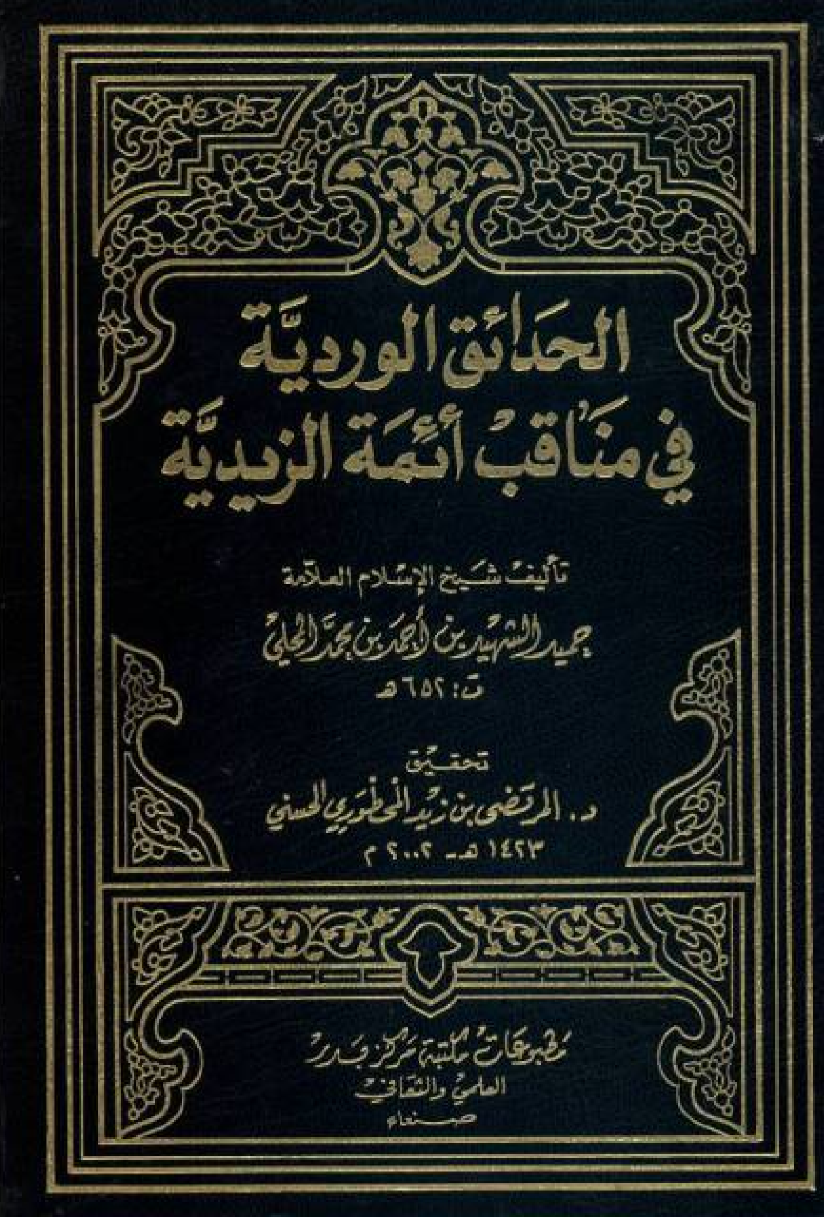


الحدائق الوردية
في مناقب أئمة الزيدية
تأليف شيخ الإسلام العلامة
حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي
ت: ٦٥٢هـ
تحقيق
د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
مطبوعات مكتبة مركز بدر
العلمي والثقافي
صنعاء

الحدائق الوردية

في مناقب أئمة الزيدية

تأليف شيخ الإسلام العلامة

حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي

ت: ٦٥٢هـ



الجزء الثاني

الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام[1]

هو: أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلامُ. فرعُ دوحة بسقت في أرض الفخار، ونور شجرة زيتونة متوقدة لذوي الأبصار. ما في آبائه عليهم السلامُ إلا من فاق وراق، وانتشر فضله في الآفاق.

وقد تقدم ذكر آبائه عليهم السلامُ وهم عبير المشتاق، وصفوة أهل الأعراق.

وأمه عليه السلام: هند ابنة عبدالملك بن سهل بن مسلم بن عبدالرحمن بن عمرو بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسْل بن عامر بن لؤي.

صفته عليه السلام: كان عليه السلام تامَّ الْخَلْق، أبيض اللون، كث اللحية، وكانت لحيته كالقطنة الشديدة البياض، حكاه السيد أبو طالب عليه السلام[2].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام من أقمار العترة الرضية، ويواقيتها المشرقة المضية، انتهت إليه الرئاسة في عصره، وتميز بالفضل على أبناء دهره. وقد أخبرنا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة بن سليمان سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين قال: روى القاضي العالم ابن عمّار قال: أخبرني فقيه آل رسول الله

---

(١) الإفادة ٨٨، أعيان الشيعة ٨/ ٤٣٥، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب ٢٠١ الشافي ١/ ٢٦٢، والزيدية لمحمود صبحي ١١٥، الأعلام للزركلي ٥/ ١٧١، والكامل لابن الأثير ٥/ ٢١٣، والفلك الدوار ١٥، ٢٧، ٥٦، والتحف شرح الزلف ١٤٥، جمهرة أنساب العرب ٤٣، والمصابيح ٥٥٥، ومجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم.

(٢) الإفادة ٨٨.

صلى الله عليه وآله في عصرنا الحسين بن حمزة، قال: أخبرني أبو النفس الزكية والشيبة المرضية حمزة بن أبي هاشم الإمام الرضى، يرفعه عن آبائه إلى شيخ من شيوخ آل الحسن كان يدرس عليه فتيان آل الحسن، وكانوا إذا جآءوا قام في وجوههم وعظّمهم، فأقسموا عليه لا فعل. وكان القاسم عليه السلام من شباب ذلك العصر، وكان إذا أتى قام في وجهه وعظّمه، فقالوا له: أيها السيد، إنّا قد عذرناك وهذا الفتى لك أعذر، فقال: لو تعلمون من حق هذا ما أعلم لاستصغرتم ما أصنع في حقه، فقالوا: وما تعلم؟ قال: هذا الفتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «لايخرج من ذريتي رجل مسروق الرباعيتين، لو كان بعدي نبي لكان هو»[1]. وفيه يقول الشاعر:

ولو أنه نادى المنادي بمكة	ببطن منىً فيمن تضم المواسمُ
مَن السيد السبّاق في كل غاية؟	لقال جميع الناس: لا شك قاسمُ
إمام منَ ابنآء الأئمة قدَّمَتْ	له الشرفَ المعروفَ والمجدَ هاشمُ[2]
أبوه عليٌّ ذو الفضآئل والنهى	وآباؤُه والأمهات الفواطمُ
بناتُ رسول الله أكرمُ نسوة	على الأرض والآباءُ شُمٌّ خضارمُ[3]

وله عليه السلام العلم العجيب، والتصانيف الرائقة في علم الكلام وغيره من

---

(١) روى السيد العلامة الأمير الحسين بدر الدين في كتابه ينابيع النصيحة ص٤٦٣ ما ورد من أخبار عن الإمام القاسم بن إبراهيم (ع) ما لفظه: «فأما ما ورد فيه من الأخبار فمما هو في أفواه الناس، ويروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة منك هاديها ومهديها ومستلب الرباعتين» يعني القاسم بن إبراهيم، هكذا يروونه مفسراً، ولم تصح لي فيه الرواية عمن أثق به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقل ثم روى لي من أثق به بإسناده إلى رسول صلى الله عليه وآله أنه قال لفاطمه عليها السلام يا فاطمة منك هاديها ومهديها ومسترق الرباعتين، لو كان بعدي نبيٌّ لكان نبيا».

(٢) هذا البيت ساقط من(أ).

(٣) المصابيح ٥٦٣.

الفنون. فمنها: كتاب الدليل الكبير فإنه بالغ في الكلام على الفلاسفة مبالغة حسنة، وأشار فيه من لطيف الكلام إلا مالا ينتهي إليه إلا المبرِّزون، ولا يبلغه إلا المحصلون. ومنها: كتاب الدليل الصغير، وكتاب العدل والتوحيد الصغير، وكتاب العدل والتوحيد الكبير، وفيه من أصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد، والمبالغة في الكلام على الجبرية على لطافة حجمه ما يشهد بغزارة علمه ووفور فهمه. ومنها: كتاب الرد على ابن المقفع الذي نصر فيه القول بالتشبيه. ومنها: كتاب الرد على النصارى وهو من نفآئس الكتب. ومنها: كتاب المسترشد، وكتاب الرد على المجبرة، وكتاب تأويل العرش والكرسي على المشبهة. ومنها: كتاب المسألة التي نقلت عنه في محاورة الملحد وهو: رجل من أرباب النظر من الملحدة، كان يغشى مجامع المسلمين ويورد عليهم الأسئلة الصعبة في قدَم العالم وغير ذلك حتى وافاه عليه السلام، وأورد ما عنده من المشكلات، فوضح له الحق فتاب إلى الله تعالى، ثم قال: تعسَت أمّة ضلت عن مثلك، وفيها[1] من غرآئب العلم وعجآئبه ما يشهد بعلو منزلته وارتفاع درجته[2].

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام[3]، رواه بإسناده إلى أبي القاسم البلخي عن مشآئخه: أن جعفر بن حرب الهمداني دخل على القاسم بن إبراهيم فجاراه في دقآئق علم الكلام، فلما خرج من عنده قال لأصحابه: أين كنا من هذا الرجل؟ فوالله ما رأيت مثله، هذا وجعفر بن حرب من عيون المتكلمين والمتبحرين في الكلام.

---

(١) أي في المسألة.

(٢) انظر الافادة ٨٨ .

(٣) الإفادة ٨٨ .

ومن تصانيفه عليه السلام: كتاب تثبيت الإمامة، فإنه أحسن فيه كل الإحسان في نصرة مذهب الزيدية في تقديم أمير المؤمنين عليه السلام على المشآئخ، وأورد من الأسئلة العجيبة في هذا المعنى على المتقدمين عليه ما يشهد بأنه البحر الزخار، والقمر النوار، والغمام المدرار.

وله في الفقه التصانيف العجيبة التي تشهد بتدقيقه وحسن تحقيقه، ومعرفته بالاختلاف بين الفقهآء، وجودة غوصه على استنباط الغرآئب نحو: كتاب الفرآئض والسنن، وكتاب الطهارة، وكتاب صلاة اليوم والليلة، ومسآئل علي ابن جهشيار، وغير ذلك من تصانيفه. وكذلك كلامه عليه السلام في علوم القرآن فإنه إذا أخذ يتكلم فيها؛ فكأنه فنه الذي عليه نشأ. وله كتاب الناسخ والمنسوخ.

فأما زهده عليه السلام وورعه فمما لا يتمارى فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه رجلان.

شهد العدآء بفضله كالأولياء ... والفضل ما شهدت به الأعدآء

وله عليه السلام كتاب سياسة النفس؛ الذي مَن شاهدَه علم أنه خرج من قلب خاشع، وكذلك غيره من رسآئله في الوعظ والتذكير.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] بإسناده عن أبي عبدالله الفارسي قال: حَجَجنا مع القاسم عليه السلام، فاستيقظتُ في بعض الليل فافتقدته، فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا أنا به ورآء المقام لاطيًا بالأرض ساجدًا، وقد بَلَّ الثرى بدموعه، وهو يقول: إلهي من أنا فتعذبني، فوالله ما تَشينُ ملكَك معصيتي، ولا تزين ملكك طاعتي. قال السيد أبوطالب: وحُكي عن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام عن أبيه: أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم عليه السلام ويصل ما بينهما على أنه يبذل له مالاً عظيمًا، فخاطبه في

---

(١) الإفادة ٩٩.

أن يبدأه بكتاب أو يجيب عن كتابه، فقال عليه السلام: لا يراني الله أفعل ذلك أبدا.

قال السيد أبو طالب[1]: ومن فحول أشعاره قوله عليه السلام:

وَنَى التهجير والدَّلَج[2]	وأقصر في المنى لَحِجُ
وطاف بحالكي وَضَحٌ	عليه من البلى نَهجُ
فقلت لنفس مكتئب	علاه من الردى ثبجُ
قَطى ما دمتَ في مَهلٍ	فإن الحبل مُنْدمجُ
ولا تَسْتَوْفري شُبهًا	فوجْه الحق مُنبلجُ
وزور القول مُمّحقٌ	إذا ضاقت به الحُججُ
فهبك رتَعْت في مَهَلٍ	أليس وراءك اللججُ
وعاذلة تُؤرقني	وجنح الليل مُعتلجُ
فقلت: رويدَ عاتبةً	لكل مهمسة فَرجُ
أسرّك أن أكون رتعْـ	ـتُ حيث المال والبَهجُ؟
وأني بتُّ يصهرني	لحَرٌ فراقه وَهَجُ
فأَسلُبَ ما كَلفتُ به	ويبقى الوزْر والحرجُ
ذريني خلف قاصية	تضايَق بي وتَنْفرجُ
ولا تَرمنَّ بي غرضًا	تطاير دونه المهجُ
إذا أكدى حيا وطن	فلي في الأرض مُنْفرجُ

وله عليه السلام في الوصايا والحكم والآداب الجامعة للدين والدنيا كتاب المكنون.

وكان عليه السلام مستجاب الدعوة. روى الشيخ أبو الفرج في كتابه الصغير في أخبار الطالبيين [٥٥٦]: أن القاسم عليه السلام دعا إلى الله في مخمصة فقال: اللّهم

---

(١) الإفادة ٩٠.

(٢) الدّلج: السير في أول الليل.

إني أسألك بالاسم الذي دعاك به سليمان بن داوود فجآءه العرش قبل ارتداد الطرْف، فتهدّل البيت عليه رُطبًا. وروى بإسناده: أنه عليه السلام دعى مرة في ليلة مظلمة فقال: اللّهم إني أسألك بالاسم الذي إذا دعيت به أجبت، فامتلأ البيت عليه نورًا. وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام: أن المأمون توصل بمن قدر عليه في أن يصافيه ويأمن جانبه، فأبى ذلك أشدّ الإباء، وبعث الحروري بوقر سبعة أبغل دنانير على أن يأخذها ويجيب عن كتابه أو يبتدئه بكتاب، فكَرِه ذلك وردّ المال، وكان قَد مال إلى حيٍّ في البادية يقال لهم: حرب، فحاربوا دونه، ولَمّا ردّ المال لامَه أهله، فقال:

تقــــول التي أناْ ردءٌ لهــــا	وقـــآء الحـــوادث دون الردى
ألســتَ ترى المال منهـلـة	مــخــارم أفــواهـهــا باللّهى؟
فـقلتُ لهـــا وهي لوّامــة	وفي عيشها لو صحت ما كفى
كــفــاف امــرء قــانع قــوتُه	ومَن يرض بالقــوت نال الغنى
فـــإني ومــــا رمت من نيله	وقــيلك حب الغنى مــا ازدهى
كَــذي الدآء هاجت لهَ شـهـوة	فـخـاف عـواقـبـهـا فـاحـتـمى[1]

وكان له عليه السلام أصحاب أخذوا العلم عنه؛ كأولاده النجبآء: محمد، والحسن، والحسين، وسليمان، وكمحمد بن منصور المرادي، والحسن بن يحيى ابن الحسين بن زيد بن علي عم يحيى بن عمر الخارج بالكوفة، ويحيى بن الحسين ابن جعفر بن عبيدالله صاحب كتاب الأنساب، وله إليه مسآئل. و منهم: عبدالله ابن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر الناصر للحق الحسن بن علي رضي الله عنه الرواية عنه، ومنهم: محمد بن موسى الخوارزمي العابد قَد روى عنه فقهًا كثيرا، وعلي ابن جهشيار، وأبو عبدالله أحمد بن محمد بن الحسن بن سلام الكوفي صاحب فقه كثير وروايات غزيرة. ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام[2].

---

(١)المصابيح: ٥٥٦.

(٢)الإفادة ٨٩.

ذكر بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته واستتاره[1]

لما استُشهد أخوه محمد بن إبراهيم عليه السلام وهو بمصر دعا إلى نفسه، وبث الدعاة وهو على حال الاستتار، فأجابه عالَم من الناس من بلدان مختلفة، وجآءته بيعة أهل مكة والمدينة والكوفة، وأهل الري وقزوين وطبرستان وتخوم الديلم، وكاتبه أهل العدل من البصرة والأهواز، وحثُّوه على الظهور وإظهار الدعوة، وأقام عليه السلام بمصر نحو عشر سنين، واشتد الطلب له هناك من عبدالله بن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة، وخرج جماعة من دعاته من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان؛ فبايعه كثير من أهلها، وسألوه أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش في طلبه، فانحاز إلى حي من البدو واستخفى فيهم، وأراد الخروج بالمدينة في وقت من الأوقات، فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك، وقالوا: إن المدينة والحجاز تسرع إليهما العساكر ولا يتمكن فيها من الميرة[2]، ولم يزل على هذه الطريقة مثابراً على الدعوة، صابرا على التغرب والتردد في النواحي والبلدان، متحملا للشدة مجتهدا في إظهار دين الله .

ولما اجتمع أمره وقت خروجه بعد وفاة المأمون وتولي محمد بن هارون الملقب بالمعتصم شدد محمد هذا في طلبه، وأنفذ عساكر كثيفة في تتبع أثره، وأحوج إلى الانفراد عن أصحابه، وانتقض أمر ظهوره. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام قال: وله بيعات كثيرة في أوقات مختلفة أولها سنة تسع وتسعين ومائة، والبيعة الجامعة لفضلاء أهل البيت عليهم السلام كانت سنة عشرين ومائتين في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فإنه بايعه هناك أحمد بن عيسى بن زيد فقيه

---

(١) ينظر الإفادة: ٩٤، والمصابيح ٥٦٣-٥٦٤ .

(٢) وهي جلب الطعام.

آل رسـول الـلـه ﷺ وعابـدهـم، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بـن الحسن الفاضل الزاهد، والحسن بن يحيي بن الحسين بن زيد، وكانت فضيلة السبق إلى منابذة الظالمين انتهت إلى هؤلآء، فاتفقوا على بيعة القاسم عليه السلام، وكانوا قَد امتُحنوا على فضلهم المشهور بالاستتار الشديد.

روينا عن السيـد أبي طالب عليه السلام في أماليـه [١٢٧ـ١٢٨] قـال: روى أبو عبدالله محمد بن يزيد المهلّبي قال: حدثّنا محمد بن زكريا الغُلابي قال: صرت إلى أحمد ابن عيسى وهو متوار بالبصرة فقال لي: لمّا طلبنا هارون – يعني الملقب بالرشيد – خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبدالله بن موسى بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن فتفرقنا في البلاد، فوقعتُ إلى ناحية الري، ووقع عبدالله بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا ما مرّ علينا، فقال القاسم عليه السلام: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن في مفازة لا مآء فيها ومعي بنت عمي وَهيَ زوجتي وبها حبَل، فجآءها المخاض في ذلك الوقت، فحفرت لها حفرة لتتولى أمر نفسها، وضربت في الأرض أطلب لها مآءً، فرجعت وقد ولدت غلاما وأجهدَها العطش فألححت في طلب المآء فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي، فكان بقآء الغلام أشد علي من وفاة أمه، فصليت ركعتين ودعوت الله أن يقبضه فما فرغت من دعآئي حتى مات.

وشكى عبدالله بن موسى: أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حُثَّ عليه الطلب وأنه صار إلى بعض المسالح[1] وقد تزيًا بزي الأكَرَة[2] والفلاحين، فسخَّره بعض الجند وحمل على ظهره شيئا، وكان إذا أعيا ووضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضربا شديدا وقال: لعنك الله ولعن من أنت منه!.

---

(١) أي الثغور.

(٢) الحراثين المزارعين.

وقال أحمد بن عيسى : وكان من غليظ ما نالني أني صرت إلى ورزنين ومعي ابني محمد ، وتزوجت إلى بعض الحاكة هناك ، وتكنيت بأبي حفص الجصّاص ، فكنت أغدو وأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة ، ثم أروح إلى منزلي كأني قد عملت يومي ، وولدت المرأة بنتا . وتزوج ابني محمد إلى بعض موالي عبدالقيس هناك ، فأظهر مثلما أظهرته ، فلما صار لابنتي نحو عشر سنين طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قَدْرٌ ، فضقت ذرعا بما دفعت إليه ، وخفت من إظهار نسبي ، وألحّ القوم عليّ في تزويجها ؛ ففزعت إلى الله تعالى وتضرعت إليه في أن يختار لها ويقبضها ويحسن عليّ الخلف ، فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها ، فخرجت مبادرا إلى ابني محمد أبشّره فلقيني في الطريق ، وأعلمني أنه ولد له ولد فسميته عليًا ، وهو بناحية ورزنين لا أعرف له خبراً للاستتار[1] الذي أنا فيه[2].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[3] بإسناده عن أبي عبدالله الفارسي قال : ضاق بالإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام المسالك ، واشتد الطلب ونحن مختفون معه خلف حانوت إسكاف من خُلَّص الزيدية ، فنودي نداء يبلغنا صوته : برئت الذمة ممن آوى القاسم بنَ إبراهيم وممن لا يدل عليه ، ومن دلّ عليه فله ألف دينار وكذا وكذا من البزّ ، والإسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع رأسه ، فلما جاءنا قلنا : ما ارتعْت؟ قال : ومن لي بارتياعي ، ولو قُرِّضت بالمقاريض بعد رضى رسول الله صلى الله عليه وآله عني في وقاية ولده بنفسي . فأقام عليه السلام طول مدته مخيفا للظالمين ، شجى في حلوق الفاسقين غير أن المقادير لم تساعد إلى كل ما أراد من رَحْضِ أدران الفساد .

---

(١)في (أ)إلا الاستتار .

(٢)الأمالي ١٢٨ .

(٣)الإفادة ٩٩ .

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وكان القاسم عليه السلام انتقل إلى الرَّس في آخر أيامه، وهي أرض اشتراها عليه السلام ورآء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفِّي بها -وقد حصل له ثوابُ المجاهدين من الأئمة السابقين- سنة ست وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، ودفن فيها ومشهده معروف يزوره من يريد زيارته فيخرج من المدينة إليه.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام:

قال عليه السلام في صدر كتاب المكنون: أستعصم الله بعصمته التي لا تهتك، وأسترشده إلى السبيل الذي ينجو به من الردى من هلك، وأستوهبه التوفيق لهدايته، والحظ الوافر من طاعته، وأرغب إليه في إلهام حكمته، واجتناب معصيته[2].

وقال عليه السلام فيه: يا بني ولَخيرُ خصال المرء أن يكون على خلاله مستشرفا، ولأوَده مثقفا، و بما يكون له من غيره متعرفا من جميل يومىء به إليه، أو مذموم خليقة يطعن من أجلها عليه، يا بني فكل من لم يفصل بالتميز ما يعنيه من زمنه، ويحذر مضلات فِتَنِهِ، ويدخر لنفسه في جِدَّته ما يَحْمَدُ غبَّه في عاقبته، ويختر الزيادة على النقصان، والربح على الخسران، فهو كالماص لثدي أمه، المخدوج قبل تمه[3].

ومن كلامه عليه السلام فيه: ومن أعجب العجآئب ذو شيبة مُرتَدٍ بالنوآئب، متسربل بالمصآئب، يستنكر رتب التصاريف، ويَفْجُر أمامه بالتسويف، وذلك لضعف نحيزته[4]، ونسيانه لما يتصرف فيه من أزمنته، وكثرة سهوه وغفلته عما

---

(١) الإفادة ١٠٠.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٩٣.

(٣) المجموع ٢/ ٢٩٦.

(٤) نحيزة الرجل: طبيعته.

قَد أفهمته خبرته، وانتظمته تجربته، فلو غُيِّبَ عن العاقل اللبيب كل أمر عجيب مما فُطر عليه المفطورون، وقَصُر عن الإحاطة بخبره العالمون؛ لكان فيما طبع عليه في ذات نفسه، وما يمر به في يومه وأمسه: من الفقر والغنى، والسرآء والضرآء، والأخذ والعطآء، والبذل والإكدآء، وكثرة السكوت وطول الصموت، والإكثار في المنطق والهذر، وسرعة القلق، والجد والهزل، وغلبة الجهل على العقل له أشغل شاغل عن الفكرة في خلآئق الإنسان، وتضاد ما يختلف فيه من الجهل والعرفان، والموثوق منها معروف، والمعلّى منها مشغوف، فمن جنح إلى الأقل كبح واستوجل[1]، وذمّ غب المصدر، وكان من أمره على خطر، وأندمته آخرته لما قَد دلته على علمه أوليته، وليس بحكيم مَن مالَ إلى الأمر المذموم. والخيلاء بالفضل مجانبٌ لسبيل العقل، ومن جعل غيره لعينه نصبا، وأظهر على من سواه في سيء أفعاله عتبا، وكان الذي فيه لطالب عثرته أعتب[2]، كان الواجب عليه أن يكون على نفسه أعتب؛ لأن من استنكر أمرًا من غيره يرضى في نفسه بمثله فقَد دل على جهله، ومن سهى عما يعنيه كان ما لا يعنيه أجدر أن لا يؤاتيه[3].

وقال عليه السلام: وإن من المنكرات في من يَسمُ نفسه بميسم الخيرات أن يضرب بطرفه صاعدا، ويكون على غيره واجدا، ولزناده زاندا، كأنه قَد تهذب من الأدناس، وأمن معتبة[4] الناس، واستقام على سوق الريادة للمستريد، أوْ ما عرف المعدوم من الموجود، والخير من الشر، والنفع من الضر، والْحَر من القُر، حيث سلك في أحشآئه، واتصل بحواسه وأجزآئه، ثم أدّته الأركان إلى الأركان، والروح إلى الجثمان، ثم صرفته تلك العوارض الخاطرة، والنوازل السآئرة

---

(١) في (أ) فاستوجل.

(٢) في (أ) أعيب.

(٣) مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٩٧ -٢٩٨.

(٤) في (أ) مغبة.

فاستنفرته إلى السخط مرة وإلى الرضى أخرى؛ فأسرف في الخلتين[1] ومال عن النجدين، فأين مستقر القديم منه[2]؟ حيث لم يدرأ عنه النوازل الممضّة، والآفات العارضة، ويستدعي لنفسه بدرأته لذلك عاجل السلوة، وينفي عنها نوادر الشقوة، ويعاود ما يديم له السرور، ويدفع عنه المحذور، ولو ألهم نفسه أحسن ما يلهم لَزاح عنه خاطر الهم، ولم يعدم محمود العاقبة وعلو الذكر في القيام، والصوت الرفيع في محافل الأقوام، ولا قصّر عن شقشقته وشهد بالفضل المزآئل[3] طريقته، ولكنه لم يحم أنفه، وقلّ عن مزايلة ما تهواه نفسه إلفه، فامتشجت[4] الادوآء في آرابه، واستلبته رصين آدابه؛ فابتغى السلامة من غير جهتها والراحة بعد فوتها، كلا لن يكون فرع من غير أصل، ولا جود إلا ببذل، ولا زكا مخلوق إلا بفضل يُجَشِّم فيه نفسه المجهود، ويستدعي لُهابُه[5] الثناء المحمود، ويجنبها الموبقات والشهوات المرديات، وليس من نفس إلا وهي تراود صاحبها على الهوى، وتدعوه إلى موارد الردى، فمن أعطاها زمامه أركبته ردعه[6]. ومن منعها ما تهوى فاز بالرغبا، ففي هذا لَكُم يا بني بيان ومعتبر. ومن لم يستظهر بالحزم على مداق الأخلاق ودناءتها، ويزجر النفس عن شهواتها، قصر دون رميته، ولم يدرك الثناء الذي سما إليه بأمنيته.

ومن أحب أن تخضع له غُلبُ الرقاب، ويقل في طاعته الارتياب، ويُنتهى عن أمره ونهيه، ويُقتدى برأيه، فليأصر[7] نفسه من ذلك على ما يريده من غيره؛

---

(١) في (أ)في الخلين.

(٢) في (أ)فيه.

(٣) في (أ)المزآئل.

(٤) أي: اختلطت.

(٥) اللهاب: اشتعال النار، إذا خلص من الدخان. قاموس ١٧٣.

(٦) الردع: بمعنى الكف أو المنع.

(٧) الأصر: الحبس. قاموس ٤٣٨.

فإن انقادت لأمره، وازدجرت عند زجره؛ فليضمم كفه من غيره على إنفاذ أمره؛ لأن تهذيب المرء لطريقته يدعو إلى طاعته، والمقصر عن طلب منفعته تزل موعظته عن القلوب زلول القطر عن الصفوان الصليب، فأوقعوا يا بني الموعظة بقلوبكم، فيا أيها المبتغي الدرك في العاجل، والفوز في الآجل، اجعل لك من نفسك موعدا تحظ به اليوم، وتفز به غدا، بصدق لا يُشاب بالتفنيد، ورجاء الموعود وخوف الوعيد، واسْمُ لما أحببت من ذلك بالعقل العتيد، والرأي السديد، والفعل الحميد، وأنا سفيرك فيه بالدرك لما تريد، وإنما أعجز الطلاب ما إليه يسمون تعسفهم السبيل[1] التي فيها عن القصد يجورون، فلم يُدركوا ما طلبوا، ولم ينالوا ما أحبوا[2].

وقال عليه السلام: والعقل آمَنُ أمين، وأفضل قرين، فاستأمنه على أحوالك وجميع خلالك، واعرف ما عرَّفك، وإذا أحمدت من أحد مذهبا فكن لمثله متسببا[3]، ولكل ما تستنكره من غيرك مجتنبا، ولْتَكْثُرْ من مستتر عيوبك وحشتُك، ولْيقلَّ بخفياتها أُنسُك، فإن اكتتامها كالمحرض على أمثالها، وإذا امتلأ الإناء انكفأ، وإذا تنوسخ السر فشا.

وقال عليه السلام: عليك بالحلم، فإنه ليس يسمَّى الرجل حليما حتى يملك نفسه عند الغضب، ولا جواداً حتى يفيد إذا ازلأمَّ الأزب[4]، وإنما يوصف بالنجدة من باشر أهل البأس والشدة، (وللمحاسن والمحامد نواد معتمدة، تطلع إليها الأفئدة)[5]، ثم يُبذل فيها الغالي من الأثمان، وتنضَى لها العيس إلى البلدان،

---

(١) سقط من(أ)السبيل.

(٢) مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٠١.

(٣) في (أ)مسببا .

(٤) ازلأم : ازلأم الضحى: انبسط . تاج العروس ١٦/ ٣٢٤. وأزب: الأزبة لغة في الأزمة وهي الشدة والقحط . تاج العروس ١/ ٣٠٢.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

فمن سرَّه أن يشهد بالجميل والإحسان فليشهد التي منها يتناقلان، ثم ليظهر منها ما يسير في الآفاق خبره، ويعظم بها في الناس خطره، ثم لِيُقَوِّمْ من نفسه بحسن التعاهد لها أَوَدَهَا، وليأخذ منها لها ما تزين به غدها، فإن الأخلاق إذا سمحت، والعلانية والسريرة إذا صحت، كانت غنائم يرتحل إليها المرتحلون، وأحاديث حسنة ينقلها الناقلون، وتبجيلا لصاحبها في العالمين، وغبطة[1] يغتبط بها يوم الدين.

والواجب في الأخلاق أكثر من الواجب في الأموال، وأفضل في جميع الأحوال، وإنما يُعظِّم ذو المال ما كان موئلا، فإذا تخرَّم ماله عاد دحيراً قليلاً، والأخلاق لا يبلى جديدها، ولا يطيش سديدها، وفضل صاحبها باق في حياته وبعد وفاته، والمال ثوب تخلق جدَّتُه، وتسمل سداه ولحمته. وأحق الأشياء بالصون العرض[2] الصحيح، والحسب الصريح. ومن آتاه الله قلبا ذكيّا وزنادا وريّا وخلقا مرضيّا، وسخيّ مذكوراً، وعقلاً زكيّا، وفهمًا رضيّا، وعلما بتقلب الأحوال وتصرف الأيام والليال، ولسانا يؤدي إليهما معرفة خلف الأزمان، ويمتهنه فيما يعود على نفعه كل الامتهان، ثم زمَّ نفسه عن الكُبرة، واعتاض من التجبر حسن العشرة، وقل افتخاره عند مناظرته، ولم يستدع نظيره إلى مباحثته، ولم يجار المجاري [3] له من طبقاته في طريق مساواته، ولم يخرج من القول إلى ما لا يعلم ولا من الفعل إلى ما يُستعظم، فقَد شرى لنفسه محمدة الحاضر والباد، واجتهد لنفسه في مصلحته أشد الاجتهاد، واستحق التعظيم من جميع من ضمته أقطار البلاد، واجتمعت له الطرآئق السمحة، وراحت عنه المذاهب المستقبحة، وجرى عليه اسم الخيرة، ونظرته بالنواظر المبجلة كل عين مبصرة، وحاز حد

---

(١) سقط من (أ) وغبطة. والغبطة بالكسر: حسن الحال والمسرة. قاموس.

(٢) في (أ)العريض.

(٣) في (أ)ولم يجاز المجاري.

الأكفاء، واعترف له بالفضل كل النظراء[1].

ومن كلامه ﷺ: منْ عَجْزِ إدراك الحواس باريها ثبت له التوحيد، وباستحقاق التوحيد ثبت العدل ؛ لأن المتفرد بالوحدانية لا يجور لوجود الجور فيمن ليس بواحد. ولَمَّا ثبت العدل وجب الوعد على المطيع، والوعيد على العاصي، ولَمَّا صح الوعد والوعيد وجب التحاجز بين المتظالمين، وهو بالرسول الآمر الناهي بما آتاه الله بعد استحقاقه منه الرسالة[2] بالطاعة والاتصال به، فأظهر عليه علامة الاتصال بالمعجزات والدلالات فرقا بين المتصل والمنقطع عن الله، ليصح خبر رسوله عنه، ولَمَّا لم تَجْرِ في العقل مشافهة الباري وخطابه لخلقه خاطبهم منهم بجنسهم ومِثْلِهم؛ إذ ليس في فِطَرِهم غير ذلك[3].

ومن كلامه ﷺ: من لم يعلم في دين الإسلام خمسة من الأصول فهو ضال جهول: أولهن: أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير. والثاني من الأصول: أن الله سبحانه عدل حكيم، غير جائر لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يعذبها إلا بذنبها. لم يمنع أحدا من طاعته بَل أمره بها، ولم يدخل أحدا في معصيته بَل نهاه عنها. والثالث من الأصول: أن الله سبحانه صادق الوعد والوعيد، يجزي بمثقال ذرة خيرا، ويجزي بمثقال ذرة شرا. من صيره إلى العذاب فهو فيه أبدا خالد مخلد كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفد. والرابع من الأصول: أن القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم، لا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله ﷺ ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى.

---

(١)مجموع الرسائل ٢/ ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢)في (أ)للرسالة .

(٣)مجموع الرسائل ١/ ٦٥١ .

والخامس من الأصول: أن التقلبَ بالأموال والتجارات في المكاسب في وَقْت مًا تُعَطَّلُ فيه الأحكام، وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزَّمْنى وسائر الضعفاء - ليس من الحِلّ والإطلاق كمثله في وقت ولاة العدل والإحسان والقائمين بحدود الرحمن، فجميع هذه الأصول الخمسة لا يسع أحدا من المكلفين جهلها، بل يجب عليهم معرفتها[1].

وقال عليه السلام في بعض مواعظه: أما بعد، فإن الدنيا دار غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يؤمن فيها محذور. جديدها يبلى، وخيرها يفنى. من وثق بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته. أفراحها تعقب أحزانا، ولذاتها تورث أشجانا. أما بعد: فأن أعمار الدنيا قصيرة، ورحاها مديرة، وسهاماتها قاصدة، وحتوفها راصدة. المغرور من اغتر بها، والمخدوع من ركن إليها. من زهد فيها كُفيها، ومن رغب عنها وُطيها قَد غرت القرون الماضية، وَهيَ على الباقين آتية؛ فيا بؤسا للباقين لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتحيرين.

أما بعد: فاقنع باليسير، وبادر في التشمير[2]، وإياك والتغرير، وانظر إلى ما تصير، فليس الأمر بصغير، وهيئ زادك للمسير، فقَد أتاك النذير. أما بعد: فقد وضح لك الطريق؛ فلا تحيدنّ عن إطاره إلى المضيق، فقد مضت الأيام وذهبت الأعوام، وفنيت الأعمار وأحصيت الآثار، وعن قليل تدعى فتجيب، وتظعن فتغيب، فعجبٌ لقلبك كيف لا يتصدع، وعجب لركنك كيف لا يتضعضع، وعجب لجسمك كيف لا يتزعزع!؟. أما بعد: فإنه ليس لحي في الدنيا مقام، وعن قليل يأتيك الْحمام، وكل خلق تفنيه الأيام، فلا تكن كالغافل النَّوَّام، فإنما

---

(١) مجموع الرسائل ١/ ٦٤٧-٦٤٨.

(٢) سقط من(أ) وبادر في التشمير.

الدنيا إلى انصرام، ولن يرى فيها دوام .

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله فيما تقدم[1] إليكم واحتج به عليكم، من قبل اللَّهف والندم، ومن قبل أخذ بالكظم وانقطاع المدة، واستكمال العدة، ومن قبل التلاقي واللزام، وأخذ بالنواصي والأقدام، فكأن قد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتم إلى دار البقاء، وكشف عنكم الغطاء، وتجرعتم سكرات الموت، وخضتم غمرات الآخرة، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعاينتم ما كنتم تحذرون .

أما بعد : فإنه لا عذر لمَن هلك بعد المعرفة والبيان، ولا حجة لمَنْ ركن إلى دار الفناء والحدثان، ولا ندم يغني عند وقوع العيان، ولا حيلة تنفع عند فوت الزمان، وعند السياق وكلول اللسان، ولا ولد ينفع، ولا أهل يمنع، في مصرع هائل، وشغل شاغل، يدعا فلا يسمع، وينادى فلا يجيب، في غصص الموت وسكراته، وتجرع زفراته، وغمومه وحسراته، قد علاك الأنين، وأتاك الأمر اليقين، فلا عذر فتعتذر، ولا رَدّة فتزدجر، قد عاينتْ نفسك حقائق الأمور، وحللتْ في مساكن أهل القبور، في ملحد محذور، قد افترشت اللَّبِنَ بعد لين الوطاء، وسكنت بين الموتى بعد مساكنة الأحياء، فالنجاء النجاء، قبل حضور الفناء .

أما بعد : فإن الدنيا أيام قلائل، وكل ما فيها ذاهب زائل، فتعز بالصبر عن الشهوات، وتنأ بالحذر عن اللذات، وفكر فيما اقترفت على نفسك من الذنوب، وفيما قد ستر الله عليك من العيوب .

أما علمت حين عصيته أنه[2] لم يكن بينك وبينه ستر يواريك منه، أما استحييت من مولاك ؟! وقد علمت أنه يراك، أما خفت العقوبة حين آثرت على تقواه هواك ؟! .

---

(١) في (أ)قدم .

(٢) في (أ) ساقطة (أما علمت) و (أنه) .

أما بعد: فيا بؤسا من مخالف خاسر، وخائن غادر!!، أما إنك عن قليل، تهجم على البلآء الطويل، فتدارك نفسك إذا عرّضتها للمهالك، واسلك[1] الطريق الواضح من المسالك، ولاتطمعها[2] في راحتها أيام حياتها، واستطرف لها النصب، واحملها على التعب؛ لما ترجو أن تصير إليه من الراحة غدا، فكأنك قد دعيت فأجبت، فاعمل لنفسك ما دمت في مهلة، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى.

أما بعد: فاحذر على نفسك خَتْر الدنيا ومكرها، وخدعها وغدرها؛ فإنها متبرجة لطلابها فاحذرها، لا تكن لها قتيلا، والتمس لنفسك[3] للنجاة منها سبيلا، وانظر لنفسك أيام مكثك فيها، واعلم أنها مرحّلة سكانها، وأن متاعها قليل، وخطبها جليل، ونعيمها زآئل، وخيرها مائل.

أما بعد: فكن في سفرك مرتادا، وهيئ عدة وزادا؛ فكأنك قد خرجت من روح الدنيا إلى ضيق اللحد وخشونة متكئه[4]، فتيقظ من نومة الغافلين، وانتبه من وَسْنَة الجاهلين، وانظر بعينك إلى مصارع المغترين، ومضاجع المستكبرين، أليس ديارهم خالية، وأجسادهم بالية، ومساكنهم مقفرة، وعظامهم نخرة، وعروقهم بالية، وأيامهم فانية؟.

أما بعد: فإنك لو رأيت يسير ما بقي من عمرك وأجَلكَ لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ورغبت في الزيادة من عملك؛ فإنك إنما تُلقى غدا في حُفرتك، وتُخلى في وهدتك[5]، ويتبرأ منك القريب، ويتسلى منك الحبيب، فلا

---

(١) في المجموع «واسلك بها».

(٢) في (أ)تطعها.

(٣)سقط من(أ)والتمس لنفسك.

(٤) في المجموع «المتكأ».

(٥) الوهدة: الهوة تكون في الأرض.

أنت إلى أهلك راجع، ولا في عملك زائد شارع، فاعمل ليوم القيامة ليوم[1] الحسرة والندامة.

أما بعد: فلا يمل بك الأمل الكاذب، ولا تكن كالشاهد الغائب؛ فإنك والقوم على بساط واحد، والموت يأتي على كل صادر ووارد، فلا يذهبن قولي لك[2] صفحا، فإني لم آلك حضّا ونصحا؛ فإن تقبل نصيحتي فأنت لذلك أسعد، وبه أعلى عينا وأرشد، وعن قليل يأتيك الخبر، فالحذر الحذر، فإنه يأتي أسرع من لمح البصر.

أما بعد: فإن الدنيا بحر عميق، ولنيرانها لهب وحريق، ولطرقها مفاوز ومضيق، فاتخذ زادا[3] لبعد مفاوزها ومضيقها، فأعد عدة السير تزحزح به عن لهبها وحريقها، واتخذ سفينة تنجو بها من بحر عميقها، وقرِّب عليك الأجل، لا تخدعك بآمالها ومكرها، وقد عرفتك نفسها، وأوضحت لك لبسها، فلا تَعْمَ وأنت بصير، ولا تأمن وأنت بتحذير، فإن الذي بقي من عمرك قليل، فإما الثواب الجزيل، وإما البلاء الطويل، فكن بعملك منتفعا، وللموت متوقعا، فإنك لا تدري على أي حال يأتيك، وفي أي وقت يفاجيك، فعجبا لك يا مكنون الأجل، كيف تغتر بطول الأمل! فابْكِ على نفسك إن كنت باكيا، وتيقظ من غفلتك إن كنت لاهيا.

أما بعد: فإنك قد أُخرجت من روح الدنيا ومساكنها، وأبْدَتْ أهلك لغيرك[4] سكنها ومحاسنها، ونسيتْ ما كان لها من كدك، وتغيرت عما كانت لك عليه من بَعْدك، فتمتعوا بمالك، ولم يعبؤا بحالك، لمن لا يرثى لك غدا من

---

(١) في (أ) ومجموع الرسائل: قبل.

(٢) في مجموع رسائل الإمام «عنك».

(٣) في المجموع: فالحذر إذاً.

(٤) في (أ) وأبدّت أهلك بغيرك.

صرعتـك، ولا يؤنسـك غدا في وحشتك، فلا تبع يا مسكين بدنياك آخرتك، ولا تنخدع لها فتركب رقبتك، وعليك بنفسك أكرم الأنفس عليك، وأحب الأنفس إليك، واعلم أنك مسئول ومحاسب ومعاقب، فارغب في الثواب، وارهب من العقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

وقال عليه السلام في كتاب سياسة النفس: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، ونسأل الله ولي نعمة الابتداء، ومسهل سبيل قصد الاهتداء، أن يمن علينا وعليكم بشكر نعمه في ابتدآئه، ويحسن إلينا وإليكم بعونه على سلوك سبيل أوليآئه، التي أرجو أن تكون أنفسكم لها وفيها، ولما أنتم عليه لله من التمسك بها، والقصد إليها من الأنفس التي أذن الله بعمارتها، ورمى إليها بأسباب حياتها، فقَد عقد الله لكم بذلك لدينا عقد الخلة والإخاء، ووكد بذلك لكم علينا أخوة الخاصة والأوليآء، فأيقنوا أنه لم يوصل سبب من الأسباب بين المتواصلين، ولم يعقد خلة من الخلل بين المتخالّين من الأولين من خلق الله لا ولا من الآخرين بغير ما يرضي الله سبحانه من التقوى، ويستحقه جل ثنآؤُه من الطاعة له والرضى، إلا كانت وصلة حسرة وانقطاع، وخلة ندم غداً واسترجاع، يدعوا أهلها فيها بالويل والعويل، ويصيرون بها في الآخرة إلى خزي طويل، ذلك قوله جل ثنآؤُه: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. وقوله تعالى عن القآئلين: ﴿يا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٨-٢٩]. ونحن نرجو وليكم الله أن يكون وصلة ما بيننا، وما عقد الله - فله الحمد - عليه خلتنا، سببا عقده الله بالإيمان، وأسسه منه على رضوان، فمن أحق بالتعظيم منا له؟ لما كانت الأبرار تعظمه،

---

(١) أنظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٤٧٧ -٤٨٠.

ومن خير ما قدمنا فيه ما كانت الأتقياء[1] تقدمه، من كل ما كان لهم على بغيتهم من النجاة دليلا، وإلى ما يلتمسون من فوز حياة الخلد عند الله سبيلا، من التذكير في بقآء الآخرة، وفنآء الدنيا بما ذكر، والائتمار في عاجل هذه الدنيا من التقوى بما به[2] أمر، فافهموا ذلك فهَّمنا الله وإياكم سبيل الخير، ونفعنا ونفعكم فيها بمنافع التذكير، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، والدنيا وإن كان عمرها قصيرا وبقآء أهلها فيها قليلا يسيرا، فاعلموا رحمكم الله أنها - وإن كانت كذلك - متجر لأرباح فوآئد التقوى، ومكسب غنم لمَن تكسب فيها، ومحل مخصب لمَن تزود إليها منها[3]، وذلك أنه خلقها سبحانه لعبادته، وأمر خلقه فيها بطاعته، ونعاها إليهم قبل فنآئها، وأخبرهم جل ثناؤه بقصر مدتها وبقآئها، فقلل بأحق الحقآئق في أعينهم ما يستكثرونه من كثيرها، وقصر في كتابه الناطق عندهم ما يستطيلونه من تعميرها فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٧-٧٨]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا

---

(١) في (أ) الابقيا.

(٢) في (أ) غاية.

(٣) في مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٣٤ بزيادة: «ومعبر لمن تبلغ بما عند ظفره بكسبها وإلى دار مقام ومحل دوام ليس عنها لمن نزلها انتقال، ولا منها بعد طولها زوال».

عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٥-٤٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥][1].

وقال عليه السلام في موضع آخر من هذا الكتاب: واعلموا أن القلوب كالآنية المصدوعة، لما تنازع إليه من غرائزها المطبوعة؛ فإن لم ترهم صدوعها لم يصح مطبوعها، على بنية اعتداله فيما فطرها الله عليه من كماله، فزمُّوها بالعلم بكتاب الله وترتيله، والوقوف على محكم تأويله، ففي ذلك لها تقويم وتعديل، وهداية ونور ودليل، على منهاج خالص الطريق المساير لها في حب الله وطاعته، وما أوجب الله على العباد من أثرته وعبادته، وبكتاب الله تنجلي عن القلب ظُلَمُ الحيرة، وبلطف النظر فيه يدرك حقآئق العلم أهل البصيرة، وبسبيل الله فيه المطرقة تكون هدايات المتقين في الثقة في نيل الغايات القصوى، وبلوغ الدرجات العلى، وقد زعم بعض أهل الحَيرة والنقص، ومن لا يعرف عين النجاة والتخلص أن الألطاف في النظر، يدعو صاحبه إلى الخيلاء والبطر، وإنما يكون ذلك كذلك عند من يريده للترؤس لا لما فيه، وما جعله الله عليه من حياة الأنفس، فانفوا مثل هذا عن ضمائركم، وسدوا ثلمة عيبه في سرآئركم، واعلموا أن البحر لا يجاز يقينًا بتًّا إلا بمعبر، وأنه قد يحتاج الشجاع المحارب إلى السلاح في الحرب فكيف بالغبي المغتر؟، فلا يتعاط أحد سبيل التقوى، وما قرن الله بها من التمحيص والبلوى، إلا وقد تحصن[2] بالعلم والبصر، الذي ميز الله به بين أهل الخير والشر، فلا تَدَعُوا- رحمكم الله-حسن النظر في الأمور، والاستضاءة في ظلمها بما جعل

---

(١) ينظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢) في (أ) محّص.

الله في العلم من النور. واعلموا أن من أبواب ذلك ومفاتيحه، وأضواء ضياء نوره ومصابيحه، إخلاص العمل لله، وصدق التوكل على الله، وسبب الطريق إليها وعون من أراد ما فيها حسن الفكر في الدنيا وفنآئها، وتقلب سرّائها وضرّائها، وفي حال جميع ما فيها من ملوك الأمم خاصة، ومن دونهم من الخلق جميعا عامة، فإنكم إن تفكرتم فتروا بعين الفكرة، وتبصروا أنهم جميعا منها وإن اختلفت حالهم فيها من السعادة والشقاء قد غشيهم من همومها كأمثال الجبال، ورمت بهم من غمومها في مثل لجج البحار، فالمَلك في شُغلٍ من ملكه، والمملوك في سطوة مالكه، والمكثر من إكثاره، والمُقلُّ من إقلاله، ولن يحاط بوصف أحزانها وأوجاع غموم سكانها[1].

وقال عليه السلام: فكم بالدنيا من غريق في لجج البحار، وكم فيها ولَهًا من مُبتلَى بقتل أو أسار، وكم لطالبها، وإفراطه في حبها من ميت غريب ناء عن الولد والأوطان، بين غتم[2] لا يعرفونه، وطماطم[3] من السودان ينكرونه، لم يبكه هناك ولده ولا أقاربه، ولم تأسف عليه -كما أسف عليها- دنياه، بل تخلوا جميعا منه، وأعرضوا سريعا عنه، فورثوه غير حامدين له فيما جمع، وأسلموه إذ مات لما عمل وصنع، ولعل قائلاً منهم أن يقول: ما كان أفحش حرصه وإيعاثه[4]! أو قائلاً منهم يقول: ما أقل أو ما أكثر تراثه! تلعبًا بذكره، وتفكهًا في أمره؛ فاعرضوا هذا رحمكم الله على قلوبكم؛ لأن ينجلي لكم إن شآء الله ما فيها عن الدنيا من العمى، وانظروا إلى من زالت عنه القدرة من أبنآء الملوك

---

(1) انظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.

(2) في (أ) عتم. الأغتم: البليد. ينظر مختار الصحاح ص٤٦٩.

(3) الطماطم: جمع طِمْطِم وهو الذي في لسانه عجمة.

(4) بمعنى الحبس والصرف. القاموس ٢٢٧.

والعظماء، كيف صاروا إلى الضعة بعد الرفعة، والضيق بعد مضطربهم من السعة، بَل انظروا بعد هذا كله إلى من كان هذا أكثر[1] شغله، ألم تروا غلطهم في مسالكهم، ومرتطمهم في مهالكهم، واعتبروا بهم قبل أن تغرقوا في بحرهم، وتقعوا في مهالك أمرهم، وآثروا سبيل أحباء الله على كل سبيل، (واستدلوا بما كان لهم على سبيلهم)[2] من دليل؛ فإن دليلهم فيه وعونهم عليه ما خالط فكرهم، وأحيوا به في الفكر ذكرهم من نعيم الآخرة الدآئم المقيم، وما أعد الله لِمَن حادّه في الآخرة من العذاب الأليم[3]. وكلامه عليه السلام كثيرٌ في هذا المعنى، وهو يخرج من قلب خاشع، وجنان خاضع.



---

(١) في (أ) أكبر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) أنظر مجموع كتب رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٤٩.

الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام[1]

هو: أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلاليه إشراق النهار، وجوهر تغشى أنواره[2] الأبصار، وما ظنك بنسب يُردد بين النبي والوصي، وهما خيرتا الملك العلي. وأمه عليها السلام: أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن.

وُلِدَ بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائتي سنة، وحمل حين ولد إلى جده القاسم عليه السلام؛ فوضعه في حجره المبارك، وعوذه ودعا له، ثم قال لابنه: بم سميته؟، قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى: يحيى، توفي قبل ذلك؛ فبكى القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: هو والله يحيى صاحب اليمن، وإنما قال ذلك عليه السلام لأخبار رويت بذكره وظهوره باليمن، وكان بين ولادة الهادي عليه السلام وبين موت جده القاسم عليه السلام سنة واحدة[3].

صفته عليه السلام: قال السيد أبو طالب[4]: حكي أنه عليه السلام كان أسديًا، أنجل العينين، واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد. وكان عليه السلام في حال صباه يدخل السوق، ويقول:

---

(١) الإفادة ١٠١، والتحف شرح الزلف ١٦٧، وأئمة اليمن لزبارة ١/ ٥، وفتح الباري ١٣/ ١٠٠، وسيرة الإمام الهادي تحقيق سهيل زكار، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب (٢٠٤)، سر السلسلة العلوية (٢٨)، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي (١/ ٢٦٢)، ودرر الأحاديث النبوية ١٩١، الفلك الدوار ٣٣، والأعلام ٨/ ١٤١، بلوغ المرام ١٤٦، وتاريخ اليمن للواسعي ٢١, ٢٣، وهدية العارفين ٢/ ٥١٧، وبلوغ المرام في شرح مسك الختام ٣١.

(٢) في (أ)يغشى أنوار الأبصار.

(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠١ .

(٤) الافادة ١٠٢ .

ما طعامكم هذا؟ فيقال: الحنطة، فيدخل يده في الوعاء فيأخذ منها في كفه ويطحنه بيده، ثم يخرجه فيقول: هذا دقيق.

وكان يأخذ الدينار فيؤثر في سكته بإصبعه ويمحوها. وكان على رجل له حقٌ قبل قيامه؛ فامتنع من قضائه، فأهوى إلى عمود حديد فلواه في عنقه ثم سواه وأخرج عنقه منه.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] بإسناده: أن يحيى عليه السلام كان غلاما حَزَوَّرًا[2] بالمدينة، وكان طبيب نصراني[3] يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار له يعالجه من مرض أصابه، فنزل عن الحمار يوما وتركه على الباب، فأخذ يحيى عليه السلام الحمار وأصعده السطح، فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار، فقيل له: صعد به يحيى السطح، فسأله أن ينزله، فمن المثل السائر: (أنه إنَّما ينزل الحمار من صعد به) فأنزله وقد دميت بنانه، فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف عليه أن ترمقه العيون. وكان يأخذ قوائم البعير المسن القوي فلا يقدر البعير -وإن جهد- على النهوض. وكان يضرب بسيفه عنق البعير البازل الغليظ فيبينه من جسده.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

فضله عليه السلام لا يخفى، ونور مجده لا يطفى، وظهور حاله يغني عن ذكر محاسن خلاله[4]، إلا أنا نذكر من أحواله طرفًا رعاية لحقه الواجب، وهو الذي فقأ عين الضلال، وأجرى معين العلم السلسال، وضارب عن الدين كافة الجاحدين حتى عرف الله من أنكره. ومناقبه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح.

---

(١) الافادة ١٠٢.

(٢) في (أ) حزوّر كعلمّس: الغلام القوي، ينظر القاموس ٤٧٩.

(٣) في (أ) سرياني.

(٤) الخَلّة: الخَصْلة. القاموس ١٢٨٥.

وقد روينا عن بعض علمآءنا رحمهم الله تعالى عن النبي ﷺ أنه قال: «يخرج في هذا النهج - وأشار بيده إلى اليمن - رجل من ولدي اسمه: يحيى الهادي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يُحيي الله به الحق، ويميت به الباطل»[1] فكان عليه السلام هو الذي نشر الإسلام في أرض اليمن بعد أن كانت ظلمات الكفر فيه متراكمة، وموجات الإلحاد متلاطمة حتى أنهل من نحورهم الأسل الناهلة، وأنقع من هامهم السيوف الظامئة، فانتعش الحق بعد عثاره، وعلا بحميد سعيه من مناره، فسلام الله على شخصه الكريم.

وروى مصنف سيرته عليه السلام قال: بلغنا عن عبدالله بن موسى قال: حدثني أبي عن بشر بن رافع ورفع الحديث إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، أيها الناس، أنا أحلم الناس صغارا، وأعلمهم كبارا، أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى بنا فتح وبنا ختم، أيها الناس، ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها - ثم ذكر فتنة بين الثمانين ومآئتين - فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه كما يتألف قزع الخريف، انتظروه في الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى صادرة[2].

ومن نظر في الأمور علم أنه عليه السلام المراد بالخبر؛ لأن مصنف سيرته حكى: أن وصوله كان إلى صعدة في المرة الأخيره التي استقر فيها في الجهات لستة أيام ماضية من شهر صفر، سنة أربع وثمانين ومآئتين في أول سنة واردة وعقيب سنة صادرة، وكانت الشرور قد عظمت جدا بين أهل صعدة على كثرتهم وقوتهم في

---

(١) التحف شرح الزلف ١٠٠، وسيرة الهادي ٣٣.

(٢) المصابيح ٥٨٣.

ذلك الأوان واشتجر القتل بينهم، فلما وصل عليه السلام حط بالقرب من المدينة، ثم خرجوا إليه فوعظهم وذكرهم، وانتظم الصلح بينهم في الحال ببركته بعد أن كانت فتنتهم قد عظمت جدا، حتى إن قآئدا لآل يعفر وصل إلى ناحيتهم يريد الصلح فيما بينهم معه ألوف فما ساعدوه إلى ذلك، حتى إنهم يقتتلون وهو واقف في ناحيتهم، فقتل عشرون قتيلا، وانتظم أمرهم ببركة الهادي إلى الحق عليه السلام، واسمه: يحيى اسم نبي وهو يحيى بن زكريا عليه السلام، فامتلأ اليمن ببركته عدلا بعد أن كان فيه بالوقت الذي وافاه من القبآئح ما يعظم فيه من مذهب القرامطة والجبرية وسآئر الأفعال الزرية[1]، وطار فقهه في الآفاق، حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم يأنسون بها أكثر من أنس أهل اليمن بها، وعليها يعتمدون، وبها يفتون ويقضون[2].

وكان عليه السلام قد نشأ على العلم والعبادة، حتى صار بمنزلة الطبع له، ونال من العلم[3] منالا لم يعلم أن أحدا من المشهورين أدركه في وقت إدراكه.

روى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده: عن المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام، قال: إن يحيى بن الحسين بلغ من العلم مبلغا يختار عنده ويصنف وله سبع عشرة سنة، وهذه من عجآئب الروايات(التي تضمنت خرق العادات)[5]، ولا عجب فيمن كانت أعراقه تنتهي إلى الذروة العالية النبوية أن يبلغ هذا الكمال، ويفوز بمحاسن الخلال، وقد قال صلى الله عليه وآله: « اللهم اجعل العلم والفقه

---

(١)في (أ)الردية.

(٢)سيرة الإمام الهادي ٤١، والمصابيح ٥٧٨.

(٣)في (أ)بمنزلة الطبع ونال في العلم.

(٤)الافادة ١٠٣.

(٥)ما بين القوسين ساقط من (أ).

في عقبي وعقب عقبي، وفي زرعي وزرع زرعي»[1]؛ فتناوله هذا الدعاء الشريف الموثوق بإجابته، فارتوى من سلسال العلم المعين، وتفيأ في ظلال العرفان اليقين، حتى تفجر العلم من جوانبه، ونطق من الحكم بغرائبه.

وصنف التصانيف الفائقة، والكتب البديعة الرائقة، نحو: كتاب الأحكام وهو مجلدان في الفقه متضمنا من تفصيل الأدلة من الآثار والسنن النبوية والأقيسة القوية - ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب وحسن المعرفة. ومنها: كتاب المنتخب في الفقه أيضا، وهو من جلائل الكتب، وفيه فقه واسع وعلم رائع. ومنها: كتاب الفنون في الفقه مهذب ملخص. وكتاب المسائل. وكتاب[2] مسائل محمد بن سعيد. وكتاب الرضاع. وكتاب المزارعة. وكتاب أمهات الأولاد. وكتاب الولاء. وكتاب القياس. ومنها في التوحيد كتب جليلة القدر، نحو: كتاب التوحيد. وكتاب المسترشد. وكتاب الرد على أهل الزيغ. وكتاب الإرادة والمشيئة. ومنها: كتاب الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية، وفيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضي بأنه السابق في الميدان، المبرز على الأقران. وكتاب بوار القرامطة. وكتاب أصول الدين. وكتاب الإمامة وإثبات النبوءة والوصية. وكتاب الرد على الإمامية. وكتاب البالغ المدرك: وهو قطعة لطيفة، فيها كلام كأنه الروض ملاحة ونضارة، والسحر لطافة. وكتاب المنزلة بين المنزلتين.

ومنها: كتاب الجملة. وكتاب الديانة. وكتاب الخشية. وكتاب تفسير خطايا الأنبياء. وكتاب الرد على ابن جرير. وكتاب تفسير ستة أجزاء. ومعاني القرآن تسعة أجزاء، وكتاب الفوائد جزءان. وكتب سوى ذلك كثيرة ما يقرب من

---

(١) الشافي للإمام عبدالله بن حمزة ج١ص ٦٩، لوامع الأنوار للعلامة/ مجد الدين ج١ص ١٣ .

(٢) في (أ) ومسائل محمد بن سعيد .

عشرين كتابا تركناها، وهي ظاهرة مشهورة قد شحنت من محاسن العلم ودرر الفهم ما يشهد بأنه عليه السلام في العلم القمر الباهر والبحر الزاخر، وله الحكايات العجيبة في هذا المعنى التي يتجلى فيها، ويظهر خضوع المخالف وتسليمه، وهي كثيرة ظاهرة، وإنما نذكر منها اليسير فإن القليل يدل على الكثير، وضوء البارق يشير بالنوء المطير، وهل تفتقر الشمس إلى برهان وإنما التفصيل يثمر الجلالة والعرفان[1].

روى السيد أبو طالب عليه السلام[2] عن علي بن العباس الحسني عليه السلام: أنه سمع أبا بكر بن يعقوب عالم أهل الري وحافظهم - حين ورد عليه باليمن يقول: قد ضل فكري في هذا الرجل - يعني يحيى بن الحسين عليه السلام، فإني كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جذع، بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولا إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم فأرادهُ، فيخرج إليّ المسألة من كتبنا على ما حكى وادعى، فقد صرت إذا ادعى شيئا عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثرا.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: وحدثني رحمه الله تعالى قال: دخلت الريَّ سنة اثنتين وعشرين وثلاث مآئة، وكنت ارتحلت إلى شيخ العلوية وعالمهم أبي زيد عيسى بن محمد العلوي رحمه الله -من ولد زيد بن علي عليهما السلام- وإلى غيره من أبي حاتم وآخرين، وحضرت مجلس النظر لأبي بكر الخطاب فقيه الكوفيين وحافظهم، فجريت في مسائل النظر مع من حضر، فقالُوا: ما قرابة ما بينكم وبين أصحاب اليمن من أولاد يحيى بن الحسين وأولئك الأشراف؟ فقلت له: كان يحيى بن الحسين من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ونحن من أولاد

---

(١) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠٣ .

(٢) الافادة ١٠٤ .

(٣) الافادة ١٠٤ .

داود بن الحسن بن الحسن، وداود وإبراهيم أخوان، فنحن وهم بنو الأعمام، ولكن أم يحيى بن الحسين كانت عمة جدي، قال: علمت أن هذا عن أصل، وكان يعجبه كلامي .

ثم أنشا يحدث قال: كنا عند علي بن موسى القمي، فذكر له خروج علوي باليمن يدعي الإمامة فقال: أحسني أم حسيني ؟ فقيل: بل حسني، ويقال: إنه دون أربعين سنة، فقال: هو ذاك الفتى . . مرتين، فقلنا: مَن هو ؟ فقال: كنا في مجلس أبي حازم القاضي يوم جمعة، فدخل شاب له رواء ومنظر، فأخذته العيون فمكنوه، فجلس في غمار الناس، فما جرت مسألة إلا خاض فيها وذكر ما يختاره منها، ويحتج ويناظر، فجعلوا يعتذرون إليه من التقصير، ثم أسرع النهوض، فقيل لأبي حازم: هذا رجل من أهل الشرف من ولد الحسن بن علي عليهما السلام، فقال الناس: قد علمنا أنما خالط قلوبنا من هيبته لمنزله، فاجتهدنا أن نعرف مكانه وسألنا عنه فلم نقدر عليه .

فلما كانت الجمعة الثانية اجتمع الناس وكثروا شوقا إلى كلامه ورجاء أن يعاودهم، فلم يحضر، فتعرفنا حاله فإذا ذلك لخوف داخله من السلطان، وكان أبو حازم يقول: إن يكن في هؤلآء أحد يكون منه أمر فهذا . ثم عاودنا علي بن موسى، فقال: ألم أقل: إن العلوي هوذاك الفتى؟ قد استعلمت فإذا هو ذاك بعينه .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] عن بعضهم: أنهم كانوا مع الناصر رضي الله عنه بالجيل قبل خروجه، فنُعي إليهم يحيى بن الحسين عليه السلام، فبكى بنحيب ونشيج وقال: اليوم انهد ركن الإسلام. فقلت: ترى أنهما تلاقيا لما قدم يحيى بن الحسين طبرستان، قال: لا .

---

(١) الافادة ١٠٦ .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] أيضا بإسناده عن بعضهم قال: حضرنا إملاء الناصر الحسن بن علي عليهما السلام في مصلى آمل فجرى ذكرُ يحيى بن الحسين عليه السلام، فقال بعض أهل الري - وأكثر ظني أنه أبو عبدالله محمد بن عمرو الفقيه: كان والله فقيها، قال: فضحك الناصر، وقال: ذاك والله من أئمة الهدى.

وكان عليه السلام بالورع والزهد والعبادة إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به، وظهور ذلك يغني عن تكلف بيانه، إلا أنا نحكي قليلا من كثير مما يثلج قلوب ذوي الإيمان العارفين بحق العترة عليهم السلام. **روى** مصنف سيرته عليه السلام [2]عمن سمعه يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جبيت من اليمن شيئا، ولا شربت منه المآء.

وروى عمن سمعه يقول: ما أنفق إلا من شيء جئت به معي من الحجاز، وهذا ورع شحيح؛ لأنه عليه السلام عف عن الحلال، إذ كان يجوز له أن يتناول من الجزية وأخماس الغنآئم وسوى ذلك من كثير من الأمور المباحة لمثله في الشرع النبوي عظمه الله[3].

وروى أيضا عن ابنه محمد بن عبيدالله عليه السلام قال: وجّهت غلاما إلى يحيى ابن الحسين رضي الله عنه أطلب منه قرطاسا أكتب فيه كتابا، فقال: يحيى بن الحسين (للرسول)[4]: القرطاس لا يحل له، فدفع إلى الغلام ورقة قطن[5].

وروى أيضا عن بعضهم أنه عليه السلام قال له: اشترِ لي قرطاسا على حدَة مما يحل لي أكتب فيه، فاشتريته له.

---

(١)الافادة ١٠٥ .

(٢)سيرة الهادي ٥٨ .

(٣)سيرة الهادي ٥٨ .

(٤)ساقطة من الأصل.

(٥)سيرة الهادي ٦٠ .

وروى مصنف سيرته عليه السلام[1] عن عبيدالله بن حذيف وكان يقوم للهادي عليه السلام بأمره قال: قال لي يحيى بن الحسين: اشتر لي تبنا أعلفه دوابي، قال: فقلت: ليس نجد إلا تبن الأعشار، فقال: لا تشتر لنا منه شيئا وأنتَ تقدر على غيره، قال عبيدالله: فلم أجد غيره، فأمرت بعض الغلمان الذي يقوم على الخيل يأخذ منه كيلا معروفا حتى نشتري ونرد مثل ما أخذنا، فعلم يحيى بن الحسين، فوجه إلى عبيدالله فكلمه بكلام غليظ، وقال له عبيدالله: إنا أخذنا منه كيلا معروفا حتى نرد مكانه، فقال: لست أريد منه شيئا، ما لنا وللعشر، خذوا هذا التبن فاعزلوه حتى يعلفه من يحل له، ولم يعلف خيله تلك الليلة شيئا منه، وأمر أن يطرح للخيل قصب بلا تبن ليلتين، ثم قال: اللهم إني أشهدك أني قد أخرجت هذا من عنقي وجعلته في أعناقهم.

وروى مصنف سيرته أنه عليه السلام[2] صاح بغلام له فسأله عن خرقة، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال للغلام: أخرجها إليَّ، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: ويلك أنتَ قليل الدين ليس لك دين، تضع خرقة من الأعشار بين ثيابي.

ودخل يوما وقد تطهر للصلاة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الخرقة من العشر، فذكرت له ذلك، فقال: ما يحل لنا أن نمسح به وجوهنا، ولا نستظل به من الشمس[3].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام أيضا بإسناده أن[4] يحيى بن الحسين: قدم آمل قبل ظهور الناصر رضي الله عنه مع محمد بن زيد بجرجان، ومعه أبوه وبعض عمومته

---

(١) سيرة الهادي ٦٠ – ٦١.

(٢) سيرة الهادي ٦٢.

(٣) سيرة الهادي ٦٢.

(٤) في (أ) بإسناده إلى يحيى.

والموالي، فنزلوا حجرة بخان العلاء قال: وأشار لي إليها ونحن نجتاز الخان يوما، قال: ولم أسمع بأنه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له [1] ولم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام. قال: وامتلأ الخان بالناس حتى كاد السطح يسقط وعلا صيته، وكتب إليه الحسن بن هشام من سارية [2]، وكان على وزارة محمد بن زيد: بأن ما يجري يوحش ابن عمك، قال: ما جئنا ننازعكم أمركم، ولكن ذكر لنا أن في هذه البلد شيعة وأهلا فقلنا: عسى الله أن يفيدهم منا وخرجوا مسرعين وثيابهم عند القصار، وخفافهم [3] عند الأسكاف ما استرجعوها. قال: وحملنا إليهم من منازلنا حملانًا ودجاجًا وشيئًا مما نصطبغ به من حصرم وغيره، فتناولوا إلا اللحمات [4] فإنها ردت إلينا كهيئتها، فسألنا الموالي عن سبب ردها، فقالوا: إنه يقول: بلغني أن الغالب على هذا البلد التشبيه والجبر فلم آمن أن يكون من ذبآئحهم فقد سمعت أن أهلنا بهذا البلد لا يَتَوَقَّوْنَ ذبآئحهم[5]. وكان عليه السلام صوّاما قوّاما يصوم أكثر أيامه، ويُحيي أكثر لياليه تهجدًا وصلاة[6].

روينا عن السيد أبي طالب عليه السلام[7] بإسناده عن سليم، وكان يلي خدمة الهادي عليه السلام في داره فقال: كنت أتبعه[8] حين يأخذ الناس فرشهم في أكثر لياليه بالمصابيح إلى بيت صغير في الدار، كان يأوي إليه فإذا دخله صرفني

---

(١) في الأصل: بحذف له.

(٢) مدينة بطبرستان. معجم البلدان ج٣ ص ٧٢.

(٣) في (أ) وأخفافهم.

(٤) في (أ) فتناولوا الحملان. والظاهر فتناولوا إلا الحملان.. الخ.

(٥) الإفادة ١٠٦-١٠٧.

(٦) المصابيح ٥٨١.

(٧) الافادة ١١٠.

(٨) في (أ) أتبعه حتى حين.

فأنصرف، فهجس[1] ليلة قلبي أن أحتبس وأثبت على باب البيت أنظر ما يصنع، قال: فسهر عليه السلام الليل أجمع ركوعا وسجودا، وكنت أسمع وقوع دموعه صلى الله عليه ونشيجًا في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي، قال: من هذا؟ فقلت: أنا، فقال: سليم؟ ما عجل بك في غير حينك؟ فقلت: ما برحت البارحة جعلت فداك، قال: فرأيته اشتد عليه ذلك، وحرّج عليّ أن لا أحدث به في حياته أبداً[2]، قال: فما حدثنا به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق عليه السلام أيام المرتضى.

وكان عليه السلام إذا التقت الأبطال، وتداعت نزال ألفيته القطب الذي تدور عليه رحى القتال، يحطم الوشيج في النحور، ويثلم الهندي المشهور، وكم له من يوم أغر عاود فيه الكر، واستحيى من الفر، إذا حمي الوطيس كان أمام جنوده يُعْصبُ كبش الكتيبة، ويشاهد له كل حملة عجيبة، ولقد صدق عليه السلام حيث يقول:

أنا ابن رسول الله وابن وصيه	ومن ليس يحصى فضله ووقائعه
وقدماً ليوث الحرب فاقدت بينها	بطعن وضرب ما يُغب وعاوعه

وكان عليه السلام يضرب ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ففي الرواية: أنه ضرب رجلا على باب ميناس فخذف السيف من بين رجليه، فلما نظر إليه ابن حميد قال: استروا ضربة هذا العلوي، والله لئن رآها الناس لا تناصروا[3]. وفيه يقول الشاعر الخيواني وهو ابن أبي البلس:

لو كان سيفك قبل سجدة آدم	قد كان جُرِّد ما عصى إبليس

وطعن عليه السلام رجلا فأمرقه، فتثنى قضيب الرمح وانكسر[4]. وبرز له رجل

(١) الهاجس: الخاطر.

(٢) في (أ): أحداً.

(٣) الشافي ١/ ٣٠٥.

(٤) المصابيح ٥٧٣.

ذات يوم في بعض حروبه فرفع الرجل يده بالسيف ليضربه فأهوى عليه السلام بيده فقبض بها على يد الرجل على مقبض السيف، فهشم أصابعه[1]. ولما هزم جيشه عليه السلام يوم أتوه[2] بأسباب خيانة جرت من بعض من كان معه بقي في آخر الليل ولحقت به فرسانهم، وكان مَن عرفه قلّ طمعه فيه، فجعلوا يطعنونه وهو يُنحي الرماح بسوطه، فقال بعض أصحابه: يا سيدي سل سيفك، قال: ما كنت لأسله إلا أن أضرب به، فعاجله رجل برمحه، فلما ثبت فيه ثنى يده وكسر السنان ورمى به في وجه الرجل، وكان ذلك دأبه عليه السلام في جميع المواطن يصطلي شرر النار، ولا يقهقر عن مناطحة الشفار، بل يخوضها قدما قدما، ويجرع أضداده صابا وعلقما.

وكان له عليه السلام خصآئص وكرامات تكشف عن علو منزلته عند الله عز وجل. فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن بعضهم، قال: كان لي ابن صغير لم يتكلم، فطلبت الدوآء له بكل حيلة فأعياني؛ فعزمت على حمله إلى مكة وكنت على ذلك حتى أتاني كتاب الهادي عليه السلام، فأخذنا خاتمه فوضعناه في مآء وسقيناه الصبي فأفصح بالكلام، فحدثت بذلك الناس وشاهدوا الغلام وهو يتكلم، وشاهده بعضهم وهو لا يتكلم.

وروى أيضا عن بعضهم، قال: سمعت رجلا يقع في الهادي عليه السلام وينتقصه في أصله، فما مكث إلا أياما حتى أخذه بلآء فانقطعت رجله قبل أن يموت ثم مات بعد ذلك. قال: وسمعت أيضا أن امرأةً تكلمت بكلام سوء فقامت سحراً فأخذتها النار فاحترقت.

وروى أيضا أنه عليه السلام كان في نجران، فأتي بصبي قد ذهب بصره من الجدري، فأمرّ يده على بصره ودعا له فأبصر. وروى أنه عليه السلام كان في أرض لا ظلال فيها

(١) المصابيح ٥٧٣ .

(٢) بلدة حميرية في بلاد أرحب.

ولا شجر، وكان يوما شديد الحر كثير السموم، فأنشأ الله تعالى سحابه حتى ركدت فوق رأس الهادي عليه السلام وجميع أصحابه، وأظلهم الله بها في ذلك اليوم الشديد الحر قال: فوالله ما زالت تلك السحابة مظلة له حتى راح، وكانت السماء مصحية ما فيها سحابة غيرها، وإن الناس ليتعجبون مما رأوا.

وروى أيضا أن رجلا من ربيعة كان يكثر الرمي لأصحاب الهادي عليه السلام في يوم ميناس؛ فدعى عليه الهادي أن يقطع الله يده، فتناصلت أصابعه إلى الرسغين، ومات مما نزل به لا رحمه الله.

بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته[1] في ولايته ومدة ظهوره

لما انتشر ذكره عليه السلام في الآفاق وعلا صيته في الأقطار، خرج إلى اليمن مرتين، فأما المرة الأولى فكان خروجه سنة ثمانين ومآئتين حتى بلغ موضعا يقال له: الشَّرَفَة[2] بالقرب من صنعاء وأذعن له الناس بالطاعة، وأقام مديدة يسيرة حتى خذله أهل البلاد وغلب عليهم العصيان لله والخذلان له عليه السلام، فعاود عليه السلام إلى الحجاز، وعم أهل اليمن بعده البلاء، وشملتهم الفتن، فلما عضهم البلاء، كتبوا إلى الهادي عليه السلام يستنهضونه إلى اليمن ويخبرونه بتوبتهم إلى الله تعالى، فوصلت كتبهم إليه عليه السلام في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومآئتين فأزمع عليه السلام إلى إجابتهم[3] إلى ما طلبوه رغبة في إحيآء الدين، وطمس آثار الضلال، وخرج يشيعه سادات أهله وأكابرهم، فيهم العالم النحرير عمه محمد بن القاسم عليه السلام، فقال له عند وداعه: يا أبا الحسين، لو حَمَلَتْني ركبتاي لجاهدت معك، يا بني أشركَنا الله في كل ما أنتَ فيه في كل مشهد تشهده وكل موقف تقفه. وقال

---

(١) في (أ): ساقطة: ونبذ من سيرته.

(٢) قرية من قرى بني حشيش.

(٣) في (أ): وأزمع إلى إجابتهم في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين.

أيضا للهادي عليه السلام: يا أبا الحسين، أتراني أعيش إلى وقت توجهه إليّ مما تغنمه ولو بمقدار عشرة دراهم أتبارك بها[1]. وفي بعض الحكايات: أنه لما حضر وقت الصلاة، قال الهادي عليه السلام: تقدم يا عم فصل بنا، فتقدم محمد بن القاسم عليه السلام فصلى بهم، ثم قال: يا أبا الحسين، استغفر لي ما كان لي أن أتقدمك! فقال: يغفر الله لك يا عم، فزاد ذلك بصيرةَ مَنْ حضر في أمر الهادي عليه السلام لما كانوا يعلمون من فضل عمه محمد بن القاسم وعلمه وورعه[2].

ثم سار الهادي إلى الحق عليه السلام حتى انتهى إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة أربع وثمانين ومآتين، وبينهم الفتن العظيمة، فعمهم الصلح ببركته وصاروا إخوانا، وأقام عليه السلام آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وولى ولاته في الجهات، ورسم لهم الرسوم، ثم افتتح نجران وأقام فيه مدة، وعاود إلى صعدة ونشر من محاسن العدل ما يليق بمثله عليه السلام، وكان يتولى تفقد كثير من الأمور بنفسه سالكا في ذلك طريقة المتواضعين[3].

روى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده عن أبي الحسن الهمداني المعروف بالحروري، وكان رجلا فقيها على مذهب الشافعي- يجمع ما بين الفقه والتجارة، قال: قصدت اليمن في بعض الأوقات وحملت ما أتجر فيه إلى هناك ابتغاء لرؤية يحيى بن الحسين لما كان يتصل بي من آثاره، فلما حصلت بصعدة، قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه؟ ومتى أصل؟ وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي: إن الأمر أهون مما تقدّر، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس، فإنه يصلي بالناس الصلوات كلها، فانتظرته حتى خرج للصلاة فصلى

(١) سيرة الهادي ٣٦.
(٢) سيرة الهادي ٣٧.
(٣) سيرة الهادي ٤١.
(٤) الافادة ١١٤.

بالناس وصليت خلفه، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعلاّء في ناحية منه فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه فغير شيئا أنكرَه ووعظ قوما وزجرهم عن بعض المناكير، ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس فتقدمت إليه وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي، فعرفته أني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركا بالنظر إليه، وعرف أني من أهل العلم فأنس بي وكان يكرمني إذا دخلت إليه إلى أن قيل لي في يوم من الأيام: إنَّ غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس، فحضرت غداة هذا اليوم فشاهدت هيبة عظيمة، ورأيت الأمرآء والقواد والرجالة وقوفا بين يديه على مراتبهم وهو ينظر في القصص ويسمع الظلامات، ويفصل الأمور، فكأني شاهدت رجلا غير من كنت شاهدته وبهرتني هيبته، فادعى رجل على رجل حقًا، وأنكره المدعى عليه، وسأله البينة فأتى بها فحلف الشهود فعجبت من ذلك، فلما تفرق الناس دنوت منه، فقلت: أيها الإمام رأيتك حلفت الشهود! فقال: هذا رأيي، أنا أرى تحليف الشهود احتياطا عند بعض التهمة، وما ينكر من هذا؟هذا قول طاووس من التابعين وقد قال الله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ [المائدة:١٠٧]. قال: فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه، وقول من قال به من التابعين والدلالة عليه، ولم أكن عرفت شيئا منه قبل ذلك.

وأنفذ إلي يوما من الأيام يقول: إن كان في مالك لله[١] حق زكاة فأخرجه إلينا، فقلت: سمعا وطاعة من لي بأن أخرج زكاتي إليه وحسبت حسابي فإذا علي من الزكاة عشرة دنانير فأنفذتها إليه، فلما كان بعد يومين[٢] بعث إلي

---

(١)في (أ) لا توجد: (لله).

(٢)في (أ) : يوم.

فاستدعاني وإذا هو يوم العطاء، (قد جلس لذلك)[1] والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال: أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين، فقمت وقلت: الله الله أيها الإمام كأني أرتاب بشيء من فعلك، فتبسم وقال: ما ذهبت إلى ما ظننت ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك. وقلت له يومًا من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنتَ تطوف على المرضى في المسجد تعودهم وتمشي في السوق، فقال: هكذا كان آبائي، كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وأنتَ إنَّما عهدت الجبابرة والظلمة.

وكانت له عليه السلام مواقف مشهورة في الجهاد في سبيل الله عز وجل، فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته[2]: أنه كان في بعض أيامه مع بني الحارث، فانتقوا من خيلهم ما يدنو من أربعين فارسًا مدججة في السلاح، وأمروهم أن لا يقاتلوا وأن يقفوا حتى إذا رأوا الهادي عليه السلام حملوا عليه، فوقفوا، وبلغ إلى الهادي عليه السلام خبرهم فلم يعبأ بهم، ولما رآهم حمل عليهم بنفسه فما وقف له منهم فارس واحد، فأدرك منهم فارسًا واحداً فطعنه وألقاه وفرسَه في أراكة، وانهزم القوم وعطف عسكره وقتل منهم عليه السلام بيده جماعات كثيرة لم يثبت عددها هو ولا غيره، غير أنه كسر ثلاثة رماح، وضرب بسيفه حتى امتلأ قآئم سيفه علقًا، ولصقت أنامله على قآئم سيفه بالدم، وفي ذلك يقول عليه السلام:

طرقت لعمرك زاهر مولاها ... والحرب مسعرة يُشب لظاها

طرقت تبختر في الحلي وفي الكسا ... إن الخريدة همها وهواها

تكسو مناكب زانها أعجازها ... عند التعانق حلة ورداها

أقنى حياك فحلتي يوم الوغا ... درع أعانق جيبها وعُراها

(١) في (أ): ما بين القوسين ساقط.

(٢) سيرة الهادي ١٦٩ - ١٧٠.

نحن الفـواطم لهـونا طعن القنا ومـدامنا حـرب تدور رحـاها
هلا سألت فتخبري إن لم تري إذ سار يطلب مهجتي أعداها
لاح الصباح وأبرقوا بكتيبة شهبا تدفق خيلها وقناها
والجيش في أيديه كل عقيقة ألقين أحكم سنّها وجلاها
والمشرفية في أكف حماتنا تحكي البوارق لمعها وسناها
والخيل تنحط بالفوارس والقنا فوق الفوارس في الوغى أجراها

ومنها:

غريت أنامل راحتي بصفيحتي لله در خُبعثن[1] أغراها
ما كان إلا نطحة فتراكبت أولى كتائبها على أخراها
وانفض جمع خميسهم عن وقعة فيها جنائز ثجحت أحشاها

وفي أخباره عليه السلام أنه انهزم أصحابه عنه في ريدة، فثبت في وجه عدوه في عدة يسيرة حتى عاد أصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقال عليه السلام في ذلك اليوم:

الخيل تشهد لي وكل مثقف بالصبر والإبلاء والإقدام
حقًا ويشهد ذو الفقار بأنني أرويت حدّيه نجيع طغام
علًا ونهلاً في المواقف كلها طلبًا بثأر الدين والإسلام
حتى تذكر ذو الفقار مواقفًا من ذي الآياد السيد القمقام
جدي عليّ ذو الفضائل والنُّهى سيف الإله وكاسر الأصنام
صنو الرسول وخير من وارى الثرى بعد النبي إمام كل إمام[2]

---

(١) «خبعثن»: الأسد. القاموس ص١٥٤٠.

(٢) سيرة الهادي ٢٢٣-٢٢٤.

وقال عليه السلام وأمر بها إلى بني الحارث بنجران مع كتاب:

خذوا حذركم مني فإني مسير إليكم جيوش الله والله غالبُ

يسيرون للباغين حزب محمد عساكر تملأ الأرض منها المقانبُ

على شُزَّب[1] تعدوا بكل سميدع بأيديهم البيض الرقاق القواضبُ

وخَطِّيَّة زرق العوالي جنابها مخوف لدى الأبطال ما إن تقاربُ

بأيدي رجال أهل بأس لخوفهم تشيب لدى الحرب العوان الذوآئبُ

وما حبسها إلا فواق عن أرضكم[2] وتجلب حولي للمسير الكتآئبُ

وتلقونني مستبصراً في جهادكم وعندكمُ مني لعمري التجاربُ

فلم أر مثل الحرب أوقد نارها أخو غرةٍ دارت عليه المصآئبُ

قويٌّ على تأجيجها بدء أمره ضعيف إذا اشتدت عليه العواقبُ

يعنّف من يأبى عليه احتلابها ويسلبه إن كان يومًا يقاربُ

يُضرِّمها حتى إذا ما تأججت وعاينني ضاقت عليه المذاهبُ

فيطلب سلمي حين لا سلم والذي إلى بيته بالركب تهوي الذعالب[3]

أراد خلاصًا بعد ما غص بالذي جنت كفه فهو الشقي المطالبُ

فلا تحسدنه أكلة إن غدا بها تقيسيهُ إياها الرماح الزواغبُ

فويل لمن أضحى يهم بحربنا وويل لمن لم يدر من ذا يحاربُ

يحارب ضرغامًا يحامي عَنِ اشبلٍ له صولة مسخشية ومخالبُ

فروس لما داناه حتف لقآؤه أخو حملات قرنه منه خآئبُ

يدانيه جُهّال الرجال بأمره ومن كان ذا علم به فهو هآئبُ

---

(١) الشازب: الخشن. القاموس ص١٢٩.

(٢) هكذا في النسخ، في سيرة الهادي ع: «ما حبسها إلا فراق عن أرضكم».

(٣) أي النوق السريعة.

يخوض غمار الموت نحو عدوه له سطوة معروفة ومناقبُ
جريء على الهول العظيم مصمم حليف اللقا قد كدَّحته النوآئب[1]

وفي الحكاية: أنه عليه السلام لما بايعه أبو العتاهية واستقر في صنعآء، وكره الجفاتم وغيرهم دخوله صنعآء، واصطفوا قدَّام داره وهو في مجلسه مشرف عليهم، فأتاه أبو العتاهية فقال: يا ابن رسول الله لا تعجل فإني أرجو أن تؤول الأمور إلى المحبوب، فقال له: أنفذ إليهم فاصرفهم عن موضعهم فوالله لئن برزت إليهم لأنظمنهم في رمحي كما ينظم الجراد في العود، فرجع أبو العتاهية إليهم فناشدهم الله فلم يقبلوه ورموه بالحجارة والنبل، واجتمع معهم من الغوغاء وأهل الباطل عشرة آلاف رجل وستمآئة فارس بالجفاتم، ثم وقع القتال بالقرب من دار الهادي، جعلوا يرمون كوّاً في مجلس الهادي بالنشاب والنبل، فأتى أبو العتاهية إلى الهادي عليه السلام فقال: اركب جعلت فداك، فركب الهادي عليه السلام وأمر ابنه أبا القاسم فركب وأمر أصحابه بالركوب فخرج الهادي من داره فلما عاينه القوم وكانوا قد هزموا أصحابه حتى أدخلوهم الدار ورجعوا إلى موضعهم وحقق عليهم الهادي، وحمل عليهم وحدهُ ومعه رجل من أصحابه، فلما قاربا القوم وقف عنه صاحبه، ومضى الهادي فطعن أول من لقيه من القوم فقتله، ثم طعن أخر، ثم طعن أخر، حتى طرح منهم ثلاثة رجال من خيارهم، ثم لحق الخيل فطعن فارسا منهم فطرحه، وكان طعنه لهؤلآء القوم في حملته التي حمل عليهم، وصدق قوله فنظمهم في رمحه كما وعدهم[2].

قال الراوي: فسمعته عليه السلام يقول بعد ذلك: والله ما ندمت على شيء قلته إلا قولي لأبي العتاهية: إن خرجت إلى هؤلآء الكلاب نظمتهم في رمحي كما

(١) سيرة الهادي ٢٧٩.
(٢) سيرة الهادي ٢٠٩ .

تنظم الجراد في العود، فندمت على هذه الكلمة حتى أعطى الله عليهم الظفر فكان ما علمتم، فآليت على نفسي أن لا أتكلم بمثل ذلك أبدا، وانهزم أعدآؤه عليه السلام حتى خرجوا من صنعآء وهو في آثارهم يطردهم، وقتل عسكره منهم جماعة في الجبانة، ثم عاد مظفرا منصورا[1].

ومن شعره عليه السلام قوله من قصيدة:

فما العز إلا الصبر في حومة الوغى	إذا برقت فيها السيوف اللوامع
هل الملك إلا العز والأمر والغنى	وأفضلهم من هذبته الطبائع
ومن لم يزل يحمي وينقم ثأره	ومن هو في الحالات يقظان هاجع
يقلب بطن الرأي فيه لظهره	ويمضى إذا ما أمكنته المقاطع
ونحن بقايا المرهفات وسؤرها	إذا كان يومًا ثاير النقع ساطع
يموت الفتى منا بكل مهند	وأسمر مسنون الشبا وهو دارع
فتلك منايانا وإنا لمعشرٌ	من الناس في الدنيا النجوم الطوالع
أبونا أميرُ المؤمنين وجدُّنا	رسول الذي منه تتم الصنائع
نهضت ولم أعجز وقلت مواعظا	ذخائر علم إن وعاهن سامع
فكم قائل في نفسه وضميره	أيا واعظًا في ذا كلامك ضائع
فكيف غناء الكف عند اجتهادها	إذا لم تُعنْها بالفعال الأصابع
بنيت لهم بيتًا من المجد سمكه	دوين الثريا فخره متتابع
فأضحى لهم عزّ به ومفاخرٌ	وذكر ومجد شامخ الفضل يافع
نعشت كتاب الله بعد هلاكه	فليس بغير الحق يزمع زامع

وقال عليه السلام في بعض وقآئعه:

---

(١) سيرة الهادي ٢٠٩-٢١٠.

آلا لـلـه عـين مـن رآنـا ... وأشـباه الكلاب لدى القـتـال

وقـد سـرنا إليـهم في جيـوش ... مظفـرة تزيـف[1] إلى النـزال

بأيديهم بـواتر قـاطعـات ... تزاح بهن أقـحـاف القـلال

إذا مـا حُكِّمَتْ في القـوم يومًـا ... أطاع لحكمـهـا غُلْبُ الرجـال

وسـمـر رُكِّـبَتْ فـيـهـا المنايا ... فـحل الموت في روس العـوالي

وزور عُكِّفت للحـرب صـفـر ... على أكـبـادها زرق النصـال

إذا مـا قـابلت جـيـشًـا أحلت ... بهم من وقـعـهـا أنكى النكال

ترنم في الصـفـوف إذا تدانت ... ويذهب وقـعـهـا كـذب المقـال

فـصـبـحناهمُ بالخـيل قـبًّـا[2] ... ترامى في الأعنة كـالسَّـعَـالِ

مـجـعـفـة بثـأر الحق قـامت ... فـنـالـت مـنـهـم كـلَّ المـنـال

عليـهـا كل أروع مـصـرخي ... تسـربل سـابغ الحلق المذال

فـأعـذرنا ولم نعـجل عليـهم ... وخـيـرناهم كل الخـصـال

وقلت ألا احـقـنوا عني دمـاكم ... وإن لا تحـقـنوها لا أبالي

ولست بمسـرع في ذاك حـتى ... إذا مـا كُـفْـر كـافـركم بدا لي

وحلـت لـي دمـآؤكـم بحق ... وإخـراب السـوافل والعـوالي[3]

ومنها قوله عليه السلام:

أنا ابن مـحـمـد وأبي علي ... وجـدي خـيـر منتـعل وخـالي

بحـذوهـم لعـمـركم إحـتـذائي ... كـمـا يحـذو المثـال على المثـال

أنـا المـوت الـذي لا بـد مـنـه ... على من رام خـدعي واغـتـيـالي

---

(١) في (أ): ترمن .

(٢) مصدر وقَبَّ وهو حكاية وقع. القاموس ١٥٧ .

(٣)سيرة الهادي ٣٠٦-٣٠٧ .

وغـــــــيـث لـلـولـي إذا وَلـيٌّ أتانـي يبـــتـــغـي مني نوالـي
أخــوض إلى عـــدوي كل هـول وأصـبـر عند مـعـتـرك النزال[1]

وكـان عليه السلام شديد[2] التفقد لأحوال المسلمين، حسن الإنصاف للمظلومين من الظالمين. قـال مصنف سيرته رحمه الله تعالى[3]: رأيته ليلة وقد جآءه رجل ضعيف يستعدي على قوم، فدق الباب فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟ فقال له رجل- كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فـاستعدى ووجـه معــه في ذلــك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه، وقال لي: أبا جعفر، الحمد لله الذي خصنا من نعمه، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدي إلينا في هذا الوقت لو كان واحدا من هؤلآء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعد، ثم قال: ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة ملظة.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده عن بعضهم، قال: سمعت علي بن العباس، يقول: كنا عنده يوما وقد حمي النهار وتعالى، وهو يخفق رأسه فقمنا فقال: أدخل وأغفو غفوة، وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعا وكان اجتيازي على الموضع الذي يجلس فيـه للناس، فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك: فـقـال: لم أجسـر على أن أنام، وقلت: عـسى أن ينتـاب البـاب مظلوم فيؤاخذني الله بحقه فوليت راجعا كما دخلت.

وقـد كـان علي بن الفضــــل القرمطي -لعنه الله ظهر في اليمن، وتقـوت شـوكته وأعلـن بالكفر، حـتى روي عن بعضهم: أنه كان عُنْوَانُ كُتُبِه إلى أسعد

---

(١) المصابيح ٥٨٥.

(٢) في (أ): كثير.

(٣) سيرة الهادي ٦٢.

(٤) الافادة ١١٣.

ابن أبي يعفر: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر.

وتظاهر بمذهب المجوس، وأمرهم بنكاح الأمهات والأخوات وشرب الخمر، وأمر من كان معه أن يسلموا الأموال والحرم ويخرجوا إليه من جميع ما في أيديهم، فشذ منهم جماعة ولحقوا ببلدانهم، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم، فكان يجمع من عنده من النساء في دار، فإذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء، فتقع الأم للابن والأخت مع الأخ فيفجروا بهن في ليلتهن فمن امتنع من ذلك قتله وأباح حرمته.

وروي أنه تسمَّى: برب العالمين. وروي أنه كان يؤذن المؤذن في عسكره: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وكان ذلك في المذيخرة، وتقوت أمورهم واستحكمت في كثير من نواحي اليمن، وغلبوا على صنعآء، فلما كان كذلك بعث الهادي عليه السلام جماعة من قواده وعسكره فقصدوا صنعآء فحاربوا الباطنية، وأخرجوهم منها ودخلوها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة باقية من رجب سنة سبع وتسعين ومآئتين، فأقاموا بها أياما وآمن أهلها، ثم بعث الهادي ابنه أبا القاسم عليهما السلام إلى صنعآء في عسكر، فدخل يوم الاثنين لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومآئتين، فأقام بصنعآء وبعث إلى مقرا وألهان وحراز وهوزن فدخلت جميعا، وقتل من دعاة القرامطة جماعة[1].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2] بإسناده عن علي بن العباس رحمه الله قال: دخلت على يحيى بن الحسين عليه السلام بُعيد السحر والشموع بين يديه وقد تدرع وتسلح لقتال القرامطة، وقد هجموا بجموعهم وقضهم وقضيضهم، فوجدته

---

(١) المصابيح ٥٧١، والإفادة ١٠٨.

(٢) الافادة ١١١.

مفكرا ومطرقا، فقلت: يظفرك الله بهم أيها الإمام ويكفيكهم فطالما كفى، فقال: لست أفكر فيهم فإني أود أن لي يوما كيوم زيد بن علي عليه السلام، ولكن بلغني عن فلان- وذكر بعض الطالبية- كذا وكذا من المنكر فغمّني، فقال بعض من حضر: ويفعل أيضا كذا وكذا من المنكر، فقال: سؤة لذلك الشيخ.

وروي أنه كان له عليه السلام مع الباطنية نيف وسبعون وقعة التي حضرها بنفسه[1]، وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2]: أن القرامطة لما غلبوا على صنعآء، ورئيسهم رجل من تجار الكوفة يعرف: بعلي بن الفضل وادعى النبوءة، وسمع من عسكره التأذين: بأشهد أن علي بن الفضل رسول الله، واجتمع إلى هذا الرجل عدد كثير من أهل اليمن وغيرهم، وهمَّ بأن يقصد الكعبة ويخربها، فبلغ ذلك يحيى بن الحسين عليه السلام، فجمع أصحابه وقال: قد لزمنا الفرض في قتال هذا الرجل، فجبن أصحابه عن قتالهم، واعتذروا بقلة عددهم وكثرة عدد أولئك، وكان أصحابه في ذلك الوقت المقاتلة منهم ألف رجل، فقال لهم الهادي: أتفرون وأنتم ألفا رجل؟ فقالوا: إنَّما نحن ألف، فقال: أنتمْ ألف وأنا أقوم مقام ألف وأكفي كفايتهم، فقال له أبو العشآئر من أصحابه- وكان يقاتل راجلا: ما في الرجالة أشجع مني، ولا في الفرسان أشجع منك، فانتخب من الجميع ثلاث مآئة رجل، وسلّحهم بأسلحة الباقين حتى نُبيتهم، فإنا لا نفي بهم إلا هكذا، فاستصوب عليه السلام رأيه، فأوقعوا بهم ليلاً وهم ينادون بشعاره عليه السلام: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، فمنحوه أكتافهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم منهم شيئا كثيرا.

وله عليه السلام ليلة تشبه ليلة الهرير لأمير المؤمنين عليه السلام في وادي المغمة. سمعت الفقيه الفاضل بهآء الدين علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه، يحكى أنه قَتَلَ فيها مآئة

(١) الإفادة ١٠٩، والمصابيح ٥٧١، والشافي ١/ ٣٠٣.

(٢) الإفادة ١٠٨.

قتيل من أعدآء الله بنفسه هو، وقتل ولده المرتضى عليه السلام ما يدنو من ذلك[١].

وقام عليه السلام يقرر الدين، وينشر العدل في العالمين على موافقة السنة النبوية، والشريعة الحنيفية، واستولى على ذمار وحيشان، وبعث عماله إلى عدن، ودوخ ملوك اليمن، وطرد جند بني العباس من الجفاتم، وأنصارهم من صنعاء ومخاليف اليمن، ونزل إلى تهامة بعد أن حَلَف له رؤساؤها على طاعته، فغدروا به وقتلوا طآئفة من جنده، وبقي في عدة يسيرة في مقاتلتهم، ثم قتل منهم مقتلة عظيمة، ودان له كثير من البلاد على كثرة المعارض له من الرؤسآء والأكابر وقوتهم. وكان عليه السلام يُمرِّض أصحابه، ويداوي جرحاهم بيده، ويعود مريضهم حتى مضى عليه السلام محمود الأثر، زكي العمل، قد أحيا السنن الداثرة، وأمات المذاهب الخاسرة.

وفاته عليه السلام:

وتوفي عليه السلام بصعدة يوم الأحد لعشر باقية من ذي الحجة آخر سنة ثماني وتسعين ومآئتين، ودفن يوم الأثنين قبل الزوال، ومضى عن ثلاث وخمسين سنة، وقد كان اعتلّ علة شديدة، إلا أنه مضى وهو جالس لم تتغير جلسته[٢].

ذكره السيد أبو طالب عليه السلام. ودفن عليه السلام ورحمة الله عليه في عدني المسجد الجامع بصعدة، وقبره مشهور مزور، وفيه يقول بعض الشعرآء:

عـرِّج على قـبـرٍ بصـعـدة وابـك مـرمـوسـا بآمُل
واعلم بأن المقـتـدي بهـمـا سـيـبلُغ حـيث يامُل

أولاده عليه السلام: محمد المرتضى، وأحمد الناصر، وفاطمة، وزينب. أمهم: فاطمة ابنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، والحسن أُمُّهُ: صنعانية[٣].

---

(١) الشافي ١/ ٣٠٣.

(٢) المصابيح ص٥٨٢، والإفادة ص١١٥، ١١٦.

(٣) الإفادة ص١٥٧.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام:

قال عليه السلام: أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية لله الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله، وأصل التدبير هو التمييز، وأصل التمييز هو الفكر، ومن لم يَجُدْ فكره لم يجد تمييزه، ومن لم يجد تمييزه لم يستحكم تدبيره، والعقل كمال الإنسان، والتجربة لقاح العقل، ومن لم ينتفع بتجربته لم ينتفع بما ركب فيه من عقله، وشكر المنَّة زيادة في النعمة، والنعمة لا تتم لمن رُزِقَها إلا بشكر مُوْلِيها، ومن أغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر اللّه، وحصن الرأي التأني، وآفته العجلة إلا عند بيان الفرصة، ومن علم ما لله عنده لم يكد يهلك، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ثم ليعلم أن له عند الله مثل ما لله عنده، قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الانعام: ١٦٠]، وجودةُ اللسان زين الإنسان، وحياة القلب أصل البيان، ومن فكر في عواقب فعله نجا من موبقات عمله، وصاحب الدين مرهوب، وصاحب السخاء محبوب، وصاحب العلم مرغوب إليه، وذو النصفة مثني عليه، ومن كفى الناس مؤونة نفسه كفاه الله مؤونة غيره، ومن خضع وتذلل لله فقد لبس ثوب الإيمان، ومن لبس ثوب الإيمان فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ومن رُزِق[1] نزاهة النفس فقد أُعطي عوضا من العبادة، ومن وفق للصبر عند البلاء فقد خفت عليه المحنة العظمى، ومن أراد من الله التسديد والتوفيق، فليعمل لله بالإخلاص والتحقيق، والعلم والحكمة لا

(١) في (أ): فمن رزقه الله.

ينموان مع المعصية، والجهل والحيرة لا يقيمان مع الطاعة، ومن وفق أمن من الزلل، ومن خذل لم يتم له عمل، ولم يبلغ غاية من الأمل، ومن قويَ ناظرُ قلبه لم يضره ضعف بصره، قال الله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ [الحج:٤٦]، ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه، ودوآء العي قلة الكلام، ودوآء الجهل التعلم، ودواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعة الله والترك لمعاصيه وحسن الأوبة إليه عز وجل، ومن رغب في الله اتصل به وانقطع على الحقيقة إليه، ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد لمخالفة النفس في هواها، والعلم مصباح في صدور العلمآء؛ زينته الورع، وذبالته الزهد في الدنيا، ولا يصلح الورع إلا لمن صلح له الزهد في الدنيا، والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبدا، كما لا يجتمع في إنآء واحد النار والمآء، ومن اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات، وتقحم بلاشك في المهلكات، وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيها كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبدا، ولا يخلو فكره من الهم أصلا، ولو أعطي منها كل العطاء، والحلم مع الصبر، ولا حلم لمن لا صبر له، وعروق الحكمة التي تضرب في الصدور هي طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة، والحكمة كالشجرة: عروقها الطاعة، وثمرتها البلاغة، وأصل البر اللطف، وفروعه النصفة، وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء، وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب بالنفس.

وقال عليه السلام في بعض مواعظه: فاستعدوا أيها الغافلون لمناقشة العدل الجبار، ومحاسبة الواحد القهار، في يوم تظهر فيه أسرار قلوب العالمين، وتتضح فيه أخبار المعتدين، وتبطل فيه تأويلات المتأولين، ويحكم فيه بالحق أحكم الحاكمين، فيفوز الصادقون، ويعطب المبطلون، ويتجلى الحق للناظرين، ويبطل كذب

الكاذبين، وتشهد الملائكة عليهم بالحق اليقين، وتبين ما في ضمآئرهم آلات جوارحهم عند ختم أفواههم، وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم عليهم بفضآئحهم، وما هم من قبَل دين نبيهم، والإعراض عن فرض ربهم، والجهاد في سبيل اللّه، وفي ذلك ما يقول الرحمن، فيما نزل بواضح النور والفرقان، حين يقول: ﴿ اليَوْمَ نَخْتِمُ على أفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥]، يا أبناء الدنيا، وإخوان الشقاء، التَقَم كل واحد منكم خلفا من ضروع دنياه، وترك طريق رشده وهداه، وأعرض عن طريق[1] النصيب من آخرته وتقواه ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ اليَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٣-٨]. وقال عليه السلام: يا عبيد الدنيا، ويا ألاف الشقاء، ويا أتباع الهوى ﴿هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى * أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم:٥٦-٥٨]، وأنتُمْ ساهون، لاهون، تلعبون، ولطول الأمان تركضون، وفي ميدان[2] الغرور تقلبون، ولغاية لا تبلغونها تستبقون، وفيما نهيتم عنه تنافسون، حال والله الأجلُ دون ما أنتم فيه من طول الأمل، أفنيتم أعمـاركم في هلاك أنفسكم، وغـررتموها بكاذب تأويلكم، وخدعتموها بزخاريف أقاويلكم، فخزيكم يوم تبدو فضآئحكم، ويا شماتة أعدآئكم عند مجازاتكم بسيئ أفعالكم، ﴿ مَن جَآءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ مِنهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَومَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إلاَّ مَاكُنْتُم تَعمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٠].

ومن ذلك قوله عليه السلام: يا عبيد الدنيا وعبيد ما يفنى أحيط بكم وأنتم لا

---

(١)في (أ) : طلب.

(٢)في (أ) : ميادين.

تعقلون، وذهبتم وأَنْتُمْ لا تفقهُون، وزلزل بكم وأنتم لا تعلمون، ونزل بساحتكم وأنتم ساهُون غافلون، وفي جميع الذنوب على أنفسكم معترفون، وعن التوبة والأوبة نائمون، وفي هلكة أنفسكم تسرعون، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات: ١٧٤-١٧٧]. يا أبناء الدنيا ويا عبيد المنى، كيف بكم إذا دُعيتم إلى الحساب، وخفت موازينكم في كل الأسباب، وعظمت أوزاركم عند رب الأرباب، فحللتم باكتسابكم في أشد العذاب، وحُرمتم باجترامكم جزيل الثواب، كيف بكم إذا جُرعتم الحميم فقطع أمعآءكم، وأُطعمتم الزقوم فصدّع أكبادكم، كيف بكم إذا أحمي على ما تجمعون وتكنزون به، فتكوى بها جباهكم وجنوبكم وظهُوركم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون.

كيف بكم يا أبناء الدنيا وخدمها، وألافها وعبيدها، إذا سجنتم في الحميم، وخلفتم في العذاب الأليم، تستغيثون فلا تغاثون، وتتوبون فلا تقبلون، وتسترحمون فلا تُرحمون، وتستقيلون فلا تقالون، وتطلبون فلا تطلبون، ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٥]، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [ابراهيم: ٤٩-٥١].

يا أبنآء الدنيا، وحلفآء الشقآء، كيف بكم إذا وقعت الحسرة والندامة، كيف بكم إذا حُشرتم إلى عذاب الله يوم القيامة، كيف بكم إذا كنتم فيها أنتم والغاوون

وجنود إبليس أجمعون، كيف بكم إذا التفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، كيف بكم إذا خليتم عن الأزواج والأموال والأولاد، وسكنتم مساكن الموتى، وصرتم إلى محل الفناء والبلاء، وفارقتم ما غركم من الحياة الدنيا، وصرتم بالتبعات مطلوبين، وبالمظالم مأخوذين، وبالاشتغال عن الله معذبين، وعن التقصير مسائلين نادمين سادمين باكين معولين[1]، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج:١١-١٨]. يا رعاع الدنيا المحافظين عليها المثابرين على خدمتها، حفظتموها فضيعتكم، وأكرمتموها فأهانتكم، وآثرتموها فرفضتكم، وتقربتم منها فأبعدتكم، وعمرتموها فأخربتكم، واستحليتموها فقتلتكم، وأحببتموها فأبغضتكم. يا أبنآء الدنيا، وعمار الدنيا الفانية، ويا أعدآء الآخرة، والدار الباقية، اشتريتم اليسير الفاني بالكثير الخطير الباقي، أهونوا يا مساكين بما اشتريتم، وأكرموا يا أهل الشقآء بما بعتم، وأعظموا خطراً ما خلفتم وتركتم، فلا يبعد الله إلا من أطاع الشيطان وعصى الرحمن.

وكلامه عليه السلام في هذا المعنى كثير جم غزير، وإنما حكينا اليسير، وفيه كفاية.



(١) في (أ): ناكسين مغلولين.

الإمام النّاصر للحق عليه السلام[1]

هو: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أحسابٌ وافرة ووجوه ناضرة، وآباء أخيار أفاضل أبرار، يستشفى بيُمن بركتهم من عوارض الأسقام، ويستدفع بهم طوارق الليالي والأيّام، ولمَ لا!! وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «عند ذكر الصالحين تنزل البركةُ»[2] فإذا كان هذا في الصالحين عمومًا فكيف بسفن النجاة، وماء الحياة من عترة النبي الأوّاه، ولله القائل:

قوم بهم ويجدهم	نرجوا النجاةَ مع النجاحِ
وصلوا السيوف بخطوهم	فإذا الممنع كالمباحِ
جبريل خادم جدهم	أولاد حيٍّ على الفلاحِ

وأمه عليه السلام: حبيب أم ولد مجلوبة من خراسان، وولد بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[3].

صفته عليه السلام، قال السيد أبو طالب عليه السلام[4]: كان عليه السلام طويل القامة، يضرب إلى الأدمة، به طَرَش من ضربة أصابت أذنه بحادثة اتفقت عليه بنيسابور أو بناحية

---

(١) الإفادة ١١٧، والتحف شرح الزلف ١٨٤، وتاريخ الطبري «حوادث سنة ٣٠٢هـ»، وجمهرة أنساب العرب ٤٥، والشافي ١/ ٣٠٨، والكامل لابن الأثير ٦/ ١٤٤، والأعلام ٢/ ٢٠٠، والفلك الدوار ١٥، وعمدة الطالب ٣٤٠، وأعيان الشيعة ٥/ ١٧٩، وشهداء الفضيلة ١-٦، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٥، الدور الفاخر ٢٤٦، ومروج الذهب ٤/ ٣٧٣، وتأسيس الشيعة ٣٣٧، وتاريخ اليمن للواسعي ٢٣.

(٢) كشف الخفاء ٢/ ٧٠ بلفظ: «وتترك الرحمة».

(٣) الإفادة ١١٧.

(٤) الافادة ١١٧.

جرجان فقد اختلفت الرواية[1]، فقيل: إنه خرج إلى نيسابور في أيام المعروف بمحمد بن عبدالله السجستاني طامعا في أن يتمكن بها من الدعاء إلى نفسه، فتوفر عليه السجستاني وأكرمه.

وشرع في الدعوة سراً، وأجابه مع كثير من قواده وغيرهم. وذكر بعض من صنف أخباره أن ذلك في ناحية جرجان لما وردها الخجستاني وانحاز عنها الحسن ابن زيد، أحوج عليه السلام إلى الإقامة هناك، فسعى به بعض من كان وقف على أمره، فأخذه واعتقله وضربه بالسياط ضربا عظيما، ووقع سوط في أذنيه؛ فأصابه منه طرش، واستقصى عليه في أن يعترف بما كان منه، ويعرفه أسامي أصحابه فثبت على الإنكار، ثم أفرج عنه. وقيل: إن محمد بن زيد كاتبه في معناه، والتمس منه تخلية سبيله فعاد إلى جرجان. وقيل: إنه تخلص بخروج الخجستاني من جرجان وهذا قول من ذكر أن النكبة اتفقت عليه بناحية جرجان، وكان الخجستاني حين ضربَهُ حبسَهُ في بيت الشراب، وفيه زقاق فيها خمر؛ لأنه علم أنه يشتد عليه مقاربة موضع فيه خمر، وكان النّاصر عليه السلام يقول: قويت برآئحة تلك الخمور، فقيل له: أيُّها الإمام لو أُكرهتَ على شربها ما الذي كنت تصنع؟ فقال: كنت أنتفع بذلك ويكون الوزر على المُكره! وهذا من مليح نوادره ومزاحه الذي لا يجاوز الحق[2].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام جامعًا لخصال الكمال، فائزًا بمحاسن الخلال، قد تسنم ذروةَ الشرف العليّة، وخيم في عوالي رتب المجد السنية، وفيه ورد الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواه بعض علمآئنا رحمهم الله تعالى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله أنس عن علامات

(١) الافادة ١٤٧.

(٢) الإفادة ١١٨.

الساعة قال: «من علاماتها خروج الشيخ الأصم من ولد أخي مع قوم شعورهم كشعور النسآء بأيديهم المزاريق» وهذه كانت صفته عليه السلام وصفة أصحابه.

وفيه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته أنه قال: يخرج من نحو الديلم من جبال طبرستان فتًى صبيح الوجه يسمى باسم فرخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأكبر، يعني الحسن بن عَليّ عليهما السلام[1].

وفي الخبر لما أغرقَ الله تعالى الأرض لم يصب جبال الديلم الغرق، فَسألت الملآئكةُ عليهم السلام ربَّها عن ذلك؟ فقال: إنه يخرج فيها رجل من ولد النبي الأميّ.

وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة[2] سلفه الأكرمين سلام الله عليهم أجمعين، جامعًا بين العلم والعمل، وبرز في فنون العلم حتى كان في كل واحد منها سابقًا لا يجارى، وفاضلا لا يبارى.

قال السيد أبو طالب[3]: وكان له عليه السلام مجلس للنظر، ومجلس لإملآء الحديث، وكان يركب إلى طرف البلد، ويضرب بالصولجان للرياضة، فإذا ركب اجتمع فقهاء البلد وأهل العلم كلُّهم إلى المصلى وجلسوا فيه، فإذا فرغ من ذلك عدل إليهم عليه السلام وجلس وأملى الحديث، وكان يحضر جنآئز الأشراف وكبار الفقهآء بنفسه.

وحُكيّ أنه عليه السلام حضر لعزى بعض الأشراف، فلما سمع البكاء من داره قال: هذا الميت الذي يُبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنما الأسف على أولئك النفوس الطاهرة التي قُتلت تحت أديم السمآء، وفرق بين

(١) أنظر المصابيح ٦٠٥.

(٢) في (أ): على ما نشأ عليه.

(٣) الافادة ١٢٥.

الأجساد والرؤوس وعلى الذين قتلوا في الحبوس، وفي القيود والكبول. وخطب في هذا المعنى خطبة حسنة، وقال: آه آه في النفس حزازات لم يشفها قتلى بورود. يعني: الخراسانية الذين قُتلُوا في ذلك المكان حين هزمهم[1].

وكان القاضي أبو عبدالله الوليدي يلزم مجلسه ويعلق جميع ما يسمعه، مما يتصل بالعلم والأدب ويتعلق بضرب من الفائدة فجمع كتابا سماه ألفاظ النّاصر.

وله عليه السلام تصانيف مفيدة في أنواع العلم، منها: كتاب البساط، وكتاب في التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر، وله كتاب الحجج الواضحة بالدلآئل الراجحة في الإمامة على طريقة الزيدية، وفيه دلآئل حسنة على إمامة أمير المؤمنين، وله كتاب الأمالي في الأخبار ضمنه من فضآئل العترة عليهم السلام كثيراً، وعدة كُتُبه أربعة عشر كتابا وكل ذلك معروف مشهور.

وله عليه السلام فقه واسع، وفي فقهه كتاب الحاصر لفقه النّاصر للسيد المؤيد بالله قدس الله روحه، وكتاب الناظم للسيد أبي طالب عليه السلام، وكتاب الموجز للشيخ أبي القاسم البستي رحمه الله، وكتاب الإبانة في فقهه مشروح بأربعة كتب مجلدة كبار للشيخ العالم أبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي رضي الله عنه، وجميع أهل الجيل من الزيدية كلهم على مذهبه عليه السلام في الفروع.

وكان عليه السلام جامعا لفنون العلم من أصول الدين وفروعه ومعقوله ومسموعه، رواية للآثار، عارفا بالأخبار، ضاربا في علم الأدب بأقوى سبب.

وكان عليه السلام قد قرأ من كتب الله عز وجل ستة عشر كتابا، منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وباقيها من الصحف.

---

(١) الإفادة: ١٢٦.

وكـان عليه السلام يقـول: حفظتُ من كتب الله عز وجل ثلاثة عشر كتابا، فـما انتفعت منها كانتفاعي بكتابين، أحدهما: الفرقان لما فيه من التسلية لنبيئنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما كابده السلف الصالحون من الأنبيآء المتقدمين والرسل الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، والثاني: كتاب دانيال النبي عليه السلام؛ لما فيه أن الشيخ الأصم يخرج في بلد يقال لها: ديلمان، ويكابد من أصحابه وأعدآئه جميعا ما لا يقادر قدره ولكن عاقبته محمودة[1]. وهذا يشهد بشرفه عليه السلام العظيم وفضله الجسيم، حيث ذكره الله تعالى في كتاب دانيال صلى الله عليه وعلى سآئر أنبيائـه، ويحق له عليه السلام أن يكون كذلك، فإنه انتشر على يديه من الإسلام في تلك الجهات ما شهرته تغني عن ذكره، وقد قيل:[2] إن الذي أسلم على يديه مائتا ألف، وقيل: ألف ألف نسمة. وروى الشيخ أبو القاسم البستي[3]: أنه أسلم على يديه في يوم واحد أربعة عشر ألف نسمة، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أسلم على يديه رجل وجبت له الجـنة»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «يا علي لئن يهـدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»، فاستقر الإسلام ببركته في تلك الديار، وطُمِسَتْ رسوم الكفر والضلال، وكان أكثرَ تلك النواحي لا يعرف فيها اسم الله، بل هي باقية على الشرك والجاهلية المجوسية. وأتاها عليه السلام وملكها جستان متزوج بجدّته فرحض الله ببركته تلك الأدران، ولبست تلك الأراضي ثياب الإيمان، وصارت مستقراً للحق ومأوىً للأئمة السابقين عليهم السلام، وكان ذلك بحميد سعيه وحسن دعآئه عليه السلام فقد كان في نهاية الرفق واللين، حتى عظم تأثيره في الدعاء إلى الله تعالى، وقد شهد لذلك ما رويناه عنه عليه السلام أنه قال

---

(١) الشافي ٣٠٩.

(٢) في (أ): وقد نقل الراوي.

(٣) المراتب: ١٦٣.

في بعض مقاماته وقد دخل آمُل وازدحم عليه طبقات الرعية في مجلسه، فقال: أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ولا يعرفون خالقًا، ولا يدينون دينًا، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالا، وأقبلوا إلي إقبالا، وظهر لهم الحقُّ وعرفوا التوحيدَ والعدلَ، فهدى الله بي منهم زهاء مآئتي ألف رجل وامرأة، فهم الآن يتكلمون في التوحيد والعدل مستبصرين، ويناظرون عليهما مجتهدين، ويدعون إليهما محتسبين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الصلوات المكتوبات والفرآئض المفروضات، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على الطريق لم يأخذ ذلك لنفسه، وينصبه على رأس مرزاقه ينشده ويعرفه، ثم قاموا بنصرتي وناصبوا آبآءهم وأبنآءهم وأكابرهم للحرب في هواي واتباع أمري في نصرة الحق وأهله، لا يولي أحد منهم من عدوه ولا يعرف غيرَ الإقدام، فلو لقيت منهم ألف جريح لم تر مجروحا في قفاه وظهره، وإنما جراحاتهم في وجوههم وأقدامهم، يرون الفرار من الزحف إذا كانوا معي كفرا، والقتل شهادة وغنما.

ثم قال عليه السلام في آخر خطبته: وأنتم أيضا معاشر الرعية، فليس عليكم دوني حُجاب، ولا على بابي بَوّاب، ولا على رأسي خَلَق من الزبانية، ولا أحد من أعوان الظلمة، كبيركم أخي وشابكم ولدي، لا آنس إلا بأهل العلم منكم، ولا أستريح إلا إلى مفاوضتكم، فسلوني عن أمر دينكم وما يعنيكم من العلم وتفسير القرآن، فإنا نحن تراجمته وأولى الخلق به، وهو الذي قُرِنَ بنا وقُرِنّا به، فقال أبي رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهلَ بيتي»[1] والله ولي توفيقكم لرشدكم، وحسبي الله وحده وعليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) سبق تخريجه.

ومن كلامه عليه السلام وقد كتب إلى بعضهم: ولقد بلغك - أعزك الله ما أدعو وأهدي إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إحياءً لما أُميتَ من كتاب الله تعالى، ودُفن من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن مَحّصْتُ آي التنزيل عارفًا بها، منها تفصيل وتوصيل، ومحكم ومتشابه، ووعد ووعيد، وقصص وأمثال، آخذا باللغة العربية التي بمعرفتها يكون الكمال، مستنبطًا للسنة من معادنها، مستخرجا للمتكمنات من مكامنها، منيراً لما أدلهمّ من ظلمها، معلنا لما كتم من مستورها.

وكان عليه السلام في أرفع منزلة من منازل الحلم، فروى مصنف كتاب المُسفر: أنه نادى غلامًا له يسمى: حسيناً[1] ثلاث مرات فلم يجبه، فلما أطال عليه، قال مجيبا: مزَّة، أي لا تعش، فقال عليه السلام: مسكين أضجرناه. ونظير ذلك ما رُويَ عن عَليّ بن الحسين عليه السلام أنه دعا غلاما مراراً فلم يجبه، فلما خرج وجده قاعداً على الباب، فقال: ما منعك أن تجيبني فقال: أمنتك، قال: فخرّ ساجداً لله يحمد الله تعالى ويشكره، وقال: الحمد لله الذي أمّن عباده من شري. ثم قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

وكان عليه السلام خشنًا زاهدًا ورعًا عابدًا مقبلاً بالليل والنهار على طاعة الله وعبادته، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى توفاه الله إلى رضوانه وشريف جنّانه. ومن شعره عليه السلام قوله:

واهًا لنفسي من خياري واها ... كَلّفتُها الصَّبرَ على بلواها

وسَوغَ مرِّ الحق مُذ صباها ... ولا أرى إعطاءها هَواها

أريد تبليغا بها علياها ... في هذه الدنيا وفي أخراها

بكل ما أعلم يرضي الله[2]

---

(١) في (أ): حسير.

(٢) ذكره السيد أبو طالب في أماليه ١٢٧.

وروي أنه عليه السلام قال: ليس لي شبر أرض ولا يكون إن شاء الله، ومهما رأيتموني أقتني ذلك، فاعلموا أني قد خنتكم فيما دعوتكم إليه.

وروي عنه عليه السلام أن بعض عماله ممن رضيه من عمال آل طاهر حمل إليه ذكر أقاليم الأموال المستخرجة من كل واد، فامتنع من أخذها وأمر بإخراجها من البيت، فقال له الرافع: كان آل طاهر عدولا، والناس بذلك راضون فما عليك في أخذها؟ ومَبلَغُها في غير هذه الرواية ستمآئة ألف درهم، فقال: أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا ابن طاهر.

ومن كلامه عليه السلام: أيها الناس اتقوا الله، وكونوا قوامين بالقسط كما أمركم الله، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وجاهدوا- رحمكم الله- في الله حق جهاده، وعادوا الآباء والأبناء والإخوان في الله، فإن هذه الدار دار قُلعة، ودار بلغة، ونحن سفر والدار التي خُلقنا لها أمامنا، وكأن قد بُلِّغنا إليها ووردناها، فتزودوا من العمل الصالح فإن طريق الجنة خشن، وبالاجتهاد يبلغ إليها، إني لا أغر نفسي ولا أخدعها بالأماني، ولا أطمع أن أنال الجنة بغير عمل، ولا أشك في أن من أساء وظلم منا ضوعف له العذاب، وإنّا ولد الرجل الذي دل على الهدى، وأشار إلى أبواب الخير، وشرع هذه الشرآئعَ، وسن هذه السنن والأحكام، فنحن أولى الخلق باتباعه واقتفاء أثره واحتذاء أمثاله والاقتدآء به.

وقال عليه السلام:

أرتني أهوال المعاد بصيرتي ... وتصديق وعد الغيب رأي عيانِ
فَأيقنتُ أني بالذي قد كسبتُه ... مَدين فقلبي دائم الخفقانِ
وأنَّ وعيدَ الله حقٌّ ووعدَه ... فمن موبق أو فآئز بجنانِ
فأعلنتُ بالتَّوحيدِ والعدلِ قآئلاً ... وأظهرت أحكام الهدى ببيانِ

وكان عليه السلام في الشجاعة وثبات القلب، بحيث لا تهوله الجنود، ولا يروعه

العسكر المحشود، يخوض الغمرات ويصرع الكماة ويحطم الوشيج[1]، ويثلم الصفائح، وكم له من مقام هائل فاز فيه بالشرف الطائل، وكان يرد بين الصفين متقلدا مصحفه وسيفه ويقول: قال أبي رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثم يقول: فهذا كتاب الله، وأنا عترة رسول الله ﷺ، فمن أجاب إلى هذا، وإلا فهذا.

ومن شعره عليه السلام:

شيخٌ شَرَى مُهجَتَه بالجنه	واستَنَّ ما كان أبوه سَنَّه
ولم يزل عِلمُ الكتاب فَنَّه	يُجَاهدُ الكفَّار والأظنَّه

بالمشرفيات وبالأسنَّه

وقال عليه السلام:

فخشيت أن ألقى الإلهَ وما	أبليتُ في أعدائه عُذري
أو أن أموت على الفراش ضنى	موت النساء أجنُّ في القبر
وعلمتُ أني لا أزاد بما	آتي وينقصُ من مدى عمري
فشريت للرحمن محتسبا	نفسا لديَّ عظيمة القدر
أجري إلى غايات كل علا	مثلي إلى أمثالها يجري
لأنال رضوان الإله وما	فيه الشفاء لغلة الصدر
في فتية باعوا نفوسَهم	لله بالباقي من الأجر
صبروا على عَفْر الخدود وما	لاقوا من البأسآء والضر
يا رب فاحشر أعظمي ودمي	من بطن أم فراغل غثر[2]
أو ثعلب أو جوف ثعلبة	أو قُصب ذئب أو معا نسر

(١) شجر الرماح.

(٢) الفرغل: ولد الضبع. القاموس ص١٣٤٦. غثر: الضبع. القاموس. ص٥٧٦.

وقال عليه السلام متوجعاً لمصائب العترة عليهم السلام :

وبي لأحوال بني المصطفى	هَمٌّ له شَفٌّ وتبريحُ
عاداهم الخلق فذوا نُسْكهم	بالهَمِّ مغبوق ومصبوحُ
في كل أرضٍ منهم طاهرٌ	له دمٌ في الناس مسفوحُ
وميّتٌ في الحبس ذو حسرة	وموثق بالقيد مذبوح
وهالكٌ يُندبُ في أهله	أفلت منه وهو مجروح
لم ينقموا منهم سوى أنهم	السادة الطهر المراجيح
دعوا إلى الله فنجواهم	في الليل تقديس وتسبيح

وكان عليه السلام معظّماً قبل قيامه عند عيون العترة عليهم السلام وأفاضل العلمآء رَضِيَ اللهُ عنهم لِمَا يعرفونه من سعة علمه وغزارة فهمه ، فقد كانت عيونُ العلماء من أهل كلِ فن يُفَضِّلُه كل واحد منهم في فنه .

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1] : ورد طبرستان أيام الدّاعي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وبقي عنده إلى أن توفي ، وولي أخوه محمد بن زيد رَضِيَ اللهُ عنهما ، وأقام معه ، وكانا معظمين له عارفين بفضله وعلمه ، ولم يكن يتلبس لهما بعمل ولا يلي من جهتهما شيئا ، وربما كانا يفوّضان إليه تفرقة مال العلوية فيهم فيفعل ذلك .

قال عليه السلام[2] : وكان محمد بن زيد يتهمه بأنه منطوٍ على طلب الأمر والدعاء إلى نفسه ، مستشعراً للفزع منه لمعرفته بفضله وعلمه ، إلا أنه لا يعدل به عن طريقة الإكرام والاحتشام .

---

(١) الإفادة ١١٧ .

(٢) السيد أبو طالب في الإفادة ص١١٨ – ١١٩ .

ورَوَينا عن الشيخ أبي القاسم البلخي قال: كنا في مجلس الدّاعي محمد ابن زيد بجرجان، وأبو مسلم بن بحر حاضر، وكنا جميعا ممن يذب عن النّاصر الحسن بن عَليّ في تكذيب من ينسبُ إليه طلبَه الأمر، فدخل والتفت إلى أبي مسلم وقال يا أبا مسلم من القائل:

وفتيان صدق كالأسنة عرسوا   على مثلها والليل تغشى[1] غياهبُه

لأمرٍ عليهم أن يتم صُدُوره   وليس عليهم أن تَتمَّ عواقبُه

قال: فعلم أبو مسلم أنه قد أخطأ في إنشاد ذلك؛ لأنه يستدل به على أنه معتقد للخروج، وإظهار الدعوة، فأطرق كالخجل، وعلمت أنا مثل ما علمه فأطرقت، ففطن النّاصر لخطأه فخجل وأطرق ساعة وانصرف. فلما انصرف التفت الداعي محمد بن زيد إلى أبي مسلم، فقال: يا أبا مسلم، ما الذي أنشده أبو محمد؟ فقال: أنشد - أطال الله بقاء الداعي[2]:

إذا نحن أُبنا سالمين بأنفسٍ   كرامٍ رَجَت أمراً فخاب رجآؤُها

فأنفسنا خير الغنيمة أنّها   تؤوب وفيها مآؤها وحيآؤُها

فقال الداعي محمد بن زيد: أوَ غير ذلك، إنه يتنسم رائحة الخلافة من جبينه[3].

وكانت مناقبه عليه السلام الشاهدة بفضله جمة كثيرة. من ذلك ما أخبرني من أثق به من الإخوان -كثرهم الله عز وعلا -وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيّده الله يرويه عن الفقيه نظام الدين أبي الفضل بن فيروزشاه الجيلي رحمه الله: أنه عليه السلام قصد ذات يوم من الأيام إلى بعض المساجد، وكان منفرداً من

(١) في الإفادة «ترمي».

(٢) في الإفادة «فقال أبو مسلم: أنشد أيها الداعي».

(٣) أنظر الإفادة ١١٩-١٢٠.

الأصحاب، ولم يكن معه شيء من السلاح، فرآه بعض أعدآئه فطمع فيه، فعمده فلم يجد عليه السلام شيئا يدافع به عن نفسه، فعمد إلى صخرة صماء فسخرها الله له فقبض منها شيئا، ورمى به في وجه عدوه وبقيت آثار يده عليه السلام وأصابعه يزار ذلك ويتبرك به. وأخبرني أنه شاهد ذلك، وقد قصده في صحبة من ذكره من العلماء رضي الله عنهم.

وأخبرني من أثق به أيضا وهو الفقيه الفاضل الحسن بن عَليّ بن الحسن الديلمي البخاري رحمه الله، أن رجلا كان يحترب في الطرقات، وكان معه كلب قد عوّده أنه إذا شاهد من يطمع فيه أرسله فيعمد الكلب إلى موضع العورة من الرجل، ثم يأتي صاحبه وقد كفاه المؤنة فيأخذ ماله، فأقبل النّاصر عليه السلام ذات يوم منفردا، وقعد على غيضه يأكل شيئا من الطعام، فأرسل الرجل كلبه عليه - على جاري العادة - فلما وصل الناصرُ عليه السلام قعد بالقرب منه ولم يتعرض له، ورمى له بشيء من الطعام، وأقبل الرجلُ فدعا الناصرُ عليه السلام الله عز وجل أن يسلط عليه الكلب، فسلط عليه فقتله بما جرت العادة بأن يقتل به الناس، وانصرف الكلب مع النّاصر عليه السلام وأقام مدة. وكان ربما يحضر في شيء من الحروب فيؤثر في أعدآئه، حتى كان في بعض الأيام، وعمل رجل مأدبةً للنّاصر عليه السلام، فتقدم والكلب خلفه، فلما استقر الطعام بين يدي النّاصر عليه السلام نبح الكلب نباحا عظيما بخلاف العادة وهم بالطلوع فمنعوه من ذلك، وكانوا قد طلعوا إلى الموضع بسُلَّم، فأمرهم النّاصر عليه السلام بأن يخلوا بين الكلب وبين الطلوع، فطلع ووقف بين يدي الناصر عليه السلام وأكل شيئا من الطعام قبل أكل النّاصر عليه السلام فمات من حينه، وكان الطعام مسموما فَسَلِمَ النّاصرُ عليه السلام وأصحابُه.

وأخبرني رحمه الله أيضا: أن النّاصر عليه السلام وقف ذات يوم بالقرب من مآء وفيه ضفادع كثيرة وحيّات، فخرجت منها ضفدعٌ فقصدتها حية، فدخلت

الضفدع خلف الناصر عليه السلام كالمستجيرة به، فدعا الله عز وجل أن يسلط الضفدع على الحية، (فاستجاب دعاءه، وعادت الضفدع على الحية)[1] فقتلتها. وحكى لي هذه الحكاية الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيده الله، وقال: وأظن أيضا أن الفقيه الحسن رحمه الله قال لي: إن ذلك مستمر إلى الآن في ذلك الموضع أن الضفادع تقتل الحيات. وهذه مناقب شريفة تقضي بأنه عليه السلام ذو فضل كثير وحظ وافر عند الله جل وعلا.

أولاده عليه السلام: أبو الحسن عَليّ الأديب الشاعر، أمه: أم عَليّ بنت عمه. وأبو القاسم جعفر، وأبو الحسين أحمد أمهما: نقش، وكانت نقش هذه جارية أهدتها امرأة جستان إلى النّاصر للحق رضي الله عنه، وأم الحسن وهي فاطمة، وأم محمد، ومباركة، وأم إبراهيم، وميمونة. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[2].

ذكر قيامه، ونبذ من سيرته، ومدة ولايته، وموضع حفرته عليه السلام

كان عليه السلام مع محمد بن زيد إلى أن قُتِلَ محمد بن زيد رحمه الله بجرجان، وقد كان حضر معه الوقعة، فانهزم في جملة المنهزمين، وامتد إلى الري على طريق الدامغان وحصل بها في دار محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر الحسيني واتصل بجستان ملك الديلم خبره، وكانت بينهما مودة من أيام محمد بن زيد رحمه الله، وكاتبه وسأله الخروج إليه ليبايعه، ووعده بأنه يتوب ويقلع عن المعاصي ولا يخالفه في شيء، فامتنع أولا، وكاتبه بأنه لا يثق بوعده وليس يأمن أن لا يفيء بما يعدُ به، فجعله على ثقة من ذلك بأيمان بذلها له، فخرج إليه ومعه أولاده: ابنه الأكبر أبو الحسن عَليّ الأديب الشاعر، وأبو القاسم وأبو الحسين، فأكرمه إلا أنه أخلف ما بذل له على لسانه من ترك المعاصي وتقديم أمره في

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.
(٢) الافادة ١٢٣.

الخروج ، وكان يدافعه ويمنّيه ، وطال مقامه إلى أن تهيأ له الخروج من عنده ، فخرج إلى سهل الديلم وعرض الإسلام على من بقي منهم على الكفر ، ثم خرج إلى جيلان ، وابتدأ يعرض الإسلام على الجيل الذين هم على جانب الديلم من طرف الوادي المعروف (بأسفنذروا) وهم كفار ، فأسلموا كلهم على يديه وطهروا ، وذلك في سنة سبع وثمانين بعد ظهور الهادي باليمن لسبع سنين ، وأقام على هذه الجملة بالجيل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأزال الرسوم الجآئرة التي وضعها (آل وهسوذان) على الديلم ، واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم في الأنفس والأولاد والأموال ، ووقعت له حروب مرة بعد أخرى مع جستان ، فكانت الدآئرة على جستان ، وزال سلطان جستان عن سهل الديلم جملة وانحسم طمعه عنها ، وتخلص المسلمون من قبيح ظلمه لهم وحكمُهُ في أهاليهم وأولادهم واسترقاقه لهم ببركة دعوته عليه السلام ، وقد كان قبل مفارقته له أحوج إلى مساعدته على ورود باب (آمل) لحرب الخراسانية ، وقد كان جستان أظهر أن الأمر له وسار تحت رايته فزعا من الخراسانية وقصدهم إياه ، ولم يكن النّاصرُ رضي الله عنه يثق بوفآئه ، ويعلم أنه إن ظهر عاد إلى عادته فلم يتشدد في الحرب ، ولم يثبت ثبات مثله . وصارت الغلبة للخراسانية ، وانهزم النّاصر عليه السلام وجستان وعاد النّاصر إلى موضعه . وكان يقيم تارة (بهوسم) فيراعي أمر الجيل ، وتارة (بكيلاكجان) فيراعي أمر الديلم ، وأحوج جستان آخراً إلى أنْ بايعه ، وحلف له بالأيمان المغلظة أنه لا يخالفه ، ووفى بذلك وصار من أتباعه ، وامتد مقامه هناك أربع عشرة سنة ، واتصل بأحمد بن إسماعيل خبره في قوّته[1] وظهوره ، واجتماع الجيل والديلم على طاعته ، وأنه يريد قصد طبرستان ، فوجه إلى آمل عساكر جمة ، وكتب إلى محمد بن عَليّ المعروف بصعلوك بورود آمل من الري ومحاربته ، فورد وبلغ عدد

---

(١)في (أ) : وقته .

الجماعة أكثر من ثلاثين ألفا، وانضم إليهم من آهل آمل وحشومهم[1] وطغامهم[2] عدد كثير وكانوا في كل يوم يركبون في المراكب على طريقة الغزاة، ويستنفرون إلى حربه عليه السلام، وكثير من قُصّاصهم يفتون بذلك[3].

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام من أماليه [١٣٣]، رواه عن المعروف بأبي بكر محمد بن موسى البخاري قال: دخلت على الحسين[4] بن علي الآملي المحدث، وكان في الوقت الذي كان النّاصر للحق الحسن بن عَليّ عليه السلام في بلاد الديلم بعد، وقد احتشد لفتح آمل وَوُرُودَها، والحسين بن عَليّ هذا يفتي العوام بأنه يلزمهم قتال النّاصر للحق عليه السلام، ويستنفرهم لحربه، ومعاونة الخراسانية على قصده، وزعم أنه جهاد ويأمرهم بالتجهيز وعقد المراكب كما تفعل الغزاة. قال: فوجدته مغتما، فقلتُ له: أيها الأستاذ، مالي أراك مغتما حزينا؟ فألقى إليّ كتابًا ورد عليه وقال: اقرأه، فإذا هو كتاب الناصر للحق عليه السلام، وفيه:

يا أبا علي، نحن وإياكم خلف لسلف، ومن سبيل الخلف اتباع السلف والاقتداء بهم، ومن سلفكم الذين تقتدون بهم من الصحابة عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد، وهؤلآء لم يقاتلوا معاوية مع عَليّ بن أبي طالب عليه السلام مع تفضيلهم عليا عليه السلام تأولا منهم أنهم لا يقاتلون أهل الشهادتين، فأنت يا أبا عَليّ على سبيلك أن تقتدي بهم ولا تخالفهم وتنزلني منزلة معاوية على رأيك، وتنزل عدوي هذا ابن نوح منزلة عَليّ بن أبي طالب، فلا تقاتلني كما لم يقاتل سلفك معاوية، وتخل بيني وبينه كما خلى سلفك بينهما، فتكفّ عن قتال أهل الشهادتين كما كف سلفك، وتجنب مخالفة أئمتك الذين يقتدى بهم، ولا سيما فيما يتعلق

---

(١) أحشامهُ الذين يغضبون له من أهلٍ وعبيدٍ أو جيرة. قاموس

(٢) الطَغام: أوغاد الناس. قاموس

(٣) أنظر المصابيح ٦٠٣-٦٠٤، والإفادة ١٢٠-١٢١.

(٤) في (أ): محمد بن عيسى الحسين بن علي...

بإراقة الدماء فافهم يا أبا عَلِيّ ما ذكرت لك فإنه محض الإنصاف.

قال: فقلت له: لقد أنصفك الرجل أيها الأستاذ فلم تكرهه؟ فقال: نكرهه؛ لأنه يحسن أن يورد مثلَ هذه الحجة، ولأنه لا يرد إلا متقلدا مصحفه وسيفه، ويقول: قالَ أبي رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[1]، فهذا هو كتاب الله أكبر الثقلين، وأنا عترة رسول الله ﷺ أحد الثقلين، ثم يفتي ويناظر ولا يحتاج إلى أحد، أما سمعت ما قاله في قصيدة له؟ قال – وأنشد هذا البيت من القصيدة –:

تداعا لقتل بني المصطفى ذوو الحشو منها ومُرّاقها

رجعنا إلى تمام الرواية المتقدمة عن السيد أبي طالب عليه السلام[2] قال عليه السلام: وخرجوا بأجمعهم إلى (شالوس)، وأقبل النّاصرُ عليه السلام بعسكره من الجيل والديلم، ولم يكن لهم من آلات الحرب ما كان للخراسانية، والتقوا في موضع بين (وارفوا) و(شالوس) يعرف (بتورود) على ساحل البحر، ووقع القتال هنالك فأوقع رضي الله عنه بالخراسانية، ومنحه الله أكتافهم ونصره عليهم، فانهزموا أقبح هزيمة وقُتلُوا شر قتل، فبلغ عدد المقتولين نحو عشرين ألفا من بين مقتول بالسلاح وغريق في البحر، كانوا إذا أقبلوا إلى الظهر أخذتهم الرايات، وإذا ولوا واقتحموا البحر غرقوا، وتحصن منهم نحو خمسة آلآف رجل في قلعة شالوس مع أمير لهم يعرف بأبي الوفاء، واستأمنوا منه عليه السلام فأمنهم، وكان الظفر يوم الأحد

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي «ع» ٤٠٤، وصحيفة علي بن موسى الرضى ٤٦٤، والبزار ٣/ ٨٩ رقم ٨٦٤، ومسلم ١٥/ ١٣٩، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٨، وابن خزيمة ٤/ ٦٢ رقم ٢٣٥٧، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤١٨ وابن عساكر ٥/ ٣٦٩، وذخائر العقبى ١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٠، والطبري في الكبير ٥/ ١٦٦، والنسائي في الخصائص رقم ٧٦ ومسند أحمد ٤٣٦٧ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨.

(٢) الافادة ١٢٢.

في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثمآئة، ورحل بجيشه متوجها إلى آمل، وقد كان استقبله مشآئخها وفقهاؤها[1] وأماثلها إلى شالوس وهم على فزع منه لما كانوا أقدموا عليه، واعتذروا إليه من فعل عوامهم فقبل عليه السلام عذرَهم، وقرب الفقهاء منهم وأدنى مجلسهم وتوفر عليهم، ورحل من هناك إلى آمل، فدخلها سنة إحدى وثلاثمائة. وكان الدّاعي الحسن بن القاسم رضي الله عنه صاحب جيشه، وكان يقدم في وقت القتال وبعد عنه متتبعا آثار المنهزمين وجاوز شالوس، ثم عاد ليلحق النّاصر عليه السلام فلما انتهى إلى قلعة شالوس رأى هؤلاء المستأمنين وقد نزلوا من القلعة، فسأل عنهم فقيل: إن الناصر أمّنهم، فقال: لم أسمع من النّاصر ذلك ولم يصح عندي، وأمر بوضع الرايات فيهم، فَقُتِلُوا عن آخرهم. وذكر بعضهم أن القتل كان يدنو من أربعين ألفا. وفي الرواية أنه في ذلك اليوم لما اشتد القتال نزل بين الصفين بحيث كانت تصله النبل ودونها، قيل: إنه قيد رمحين، فصلى ركعتين وأخذ من موضع سجوده ترابًا ثم ركب فرسه ورمى بالتراب الذي في يده في وجوه أعدائه، (وقال: شاهت الوجوه)، فانهزموا عند ذلك، فأُعْجِبَ من ثباته ومن كرامته على الله في إجابة دعآئه.

ولما دخل النّاصرُ عليه السلام آمل امتد إلى الجامع وصعد إلى المنبر، وخطب خطبة بليغة ووعظ الناس فيها، ثم عنف أهل البلد على ما كان منهم من مطابقتهم لأعدآئه ومعاونتهم وخروجهم عليه ووبخهم، ثم عرفهم أنه قد عفا عنهم وأضرب عن جناياتهم، وأمّن كبيرهم وصغيرهم، ثم نزل دار الإمارة التي كانت لمحمد بن زيد الدّاعي رحمة الله عليه. وبايعه فقهآء البلد ومشآئخها ومنهم من بايعه بشالوس، وتمكن من طبرستان كلّها من شالوس إلى ساريه وأعمالها، ومن (الرُّويان وكلار) وما يتصل بها، ورتب العمال في هذه البلدان والنواحي، وولى

(١) الإفادة بزيادة «وثنّاؤها» ١٢٢.

القضاء زيد بن صالح الحسني، وكان ينظر في الأمور بنفسه، ويسط العدل ورفع رسوم الجور وعقد مجالس النظر، وكان الفقهاء يحضرونه ويكلمونه في المسائل ويكلمهم ويناظرهم. وكان الدّاعي الحسن بن القاسم بن الحسن بن عَليّ ابن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عَليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب جيشه، والمستولي على الأمر؛ لشهامته وحسن بلآئه بين يديه وورعه ودينه، ولأنه لم يكن في أولاده من يعتمد للولاية؛ لأن أبا الحسن كان مع فضله في الأدب على غير طريقة السداد.

وكان النّاصرُ رضي الله عنه مُعرضًا عنه منكرًا عليه، وأبو القاسم وأبو الحسين كانا صغيرين، فلما ترعرعا كان يستعين بهما فيما يجوز أن يستعان فيه الشباب، فينفذهما في بعض السرايا ويوليهما بعض الجيوش، ولما فتح آمل ودخلها وولى أبا القاسم ساريةَ ووقع بينه وبين الدّاعي تنافر ونزاع، وطال الخطب في ذلك.

ولما أوقع الناصر عليه السلام وأنفذ على مقدمته ابنه أبا القاسم إلى آمل، وكان الدّاعي رضي الله عنه يطمع في أن يختار للتقدم، فاستوحش من ذلك ولم يظهره، وكان هذا أول نفور عنه سرًّا، فقد كان منه رضي الله عنه أثر ظاهر جميل في تحمل المبارزة بنفسه، والتقدم إلى حيث لم يتقدم أحد. وكان أصحاب النّاصر الذين هم أهل الدين والورع مثل أبي محمد عبدالله بن أحمد بن سلام رحمه الله، ومن دونه يميلون إلى الدّاعي رضي الله عنه؛ لدينه وورعه واستقامة طريقته، وينحرفون عن أولاد النّاصر عليه السلام؛ لسلوكهم لطريقة غير مرضية في الباطن. واستوحش الداعي ونفر عن النّاصر لمكان أولاده فأدى ذلك النفار إلى الهفوة التي اتفقت منه في القبض عليه، وإنفاذه إلى قلعة اللارز، وقد ذكر من اعتذر عنه أنه كان كارها لما جرى، وأن الإقدام على ذلك بَدَرَ من سفهاء الجيل والديلم الذين كانوا وردوا في صحبة الدّاعي رضي الله عنه، وكان ليلى بن النعمان قدمه النّاصر عليه السلام إلى ناحية جرجان مع عسكر كثيف، فاتصل الخبر به وهو بسارية فانصرف بجيشه، ودخل على الدّاعي

في مضربه، وقال: ماذا صنعت بأبينا؟ يعني النّاصر، أهذا حقه عليك وعلى الجماعة؟ فقال: إنه لم يفرِّج عن المال ولم يُطعم العساكر مالا بد لهم من الخبز، فقال له: والأب إذا لم يطعم الخبز يحبس؟ ثم ركب وعدل برايته إلى جانب وصاح من كان متبعا للحق مريدا له فليعدل إلى هذه الراية، وكان أصحاب الدّاعي قد ندموا على ما بدر منهم إلا عدد يسير هم خواصه، فعدل الجيش كلهم إلا هذه الطآئفة، ففزع الدّاعي حينئذ فقال له: هات خاتمك، فأخرجه من يده وسلمه إليه، فأنفذه للوقت مع جماعة من الثقات لإخراجه من القلعة ورده، وهرب الدّاعي في الوقت مع نفر من أصحابه إلى الديلم.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: حدثني أبي رحمه الله بهذه الجملة، قال: وحدثني بأنه شاهده عليه السلام حين رد من القلعة يوم دخوله آمل، وقد استقبله أهل البلد صغيرهم وكبيرهم وكان على بغلة، فكاد الناس يقلعون بغلتَهُ من الأرض لازدحامهم عليه وخدمتهم له، ورأيته وهو يدفع الناس عنه بطرف مقرعته إذا تكابسوا عليه تمسحا به وتقبيلا لرجله حتى كادوا يزيلونه عن المركوب يشير بها وينحيهم عنه.

ثـم اتصل به بعد ذلك عليه السلام ما عزم عليه أحمد بن إسماعيل والي خراسان مـن بروزه من بخارى بجيشه وقضه وقضيضه قاصداً طبرستان، ومتوجها إلى حـربه وأظهر أنه يخربها ولا يبقي في الديلم شجرة إلا قلعها لما جرى على عسكره، واشتغل قلبه وقلوب أوليآئه بذلك اشتغالاً عظيمًا، فلما كان ذات يوم من الأيام خرج إلى مجلسه، وقال: قد كفيتم أمر هذا الرجل فقد وجهت إليه جيشا يكتفى بهم في دفعه، فقالوا: أيها الإمام ومن أين هذا الجيش؟ ومتى أنفذته؟ فقال: صليت البارحة ركعتين ودعوت الله عليه، فلما كان بعد

---

(١) الافادة ١٢٨.

أيام ورد الخبر بأن غلمانه قتلوه، وكُفي رَضِّيَ اللَّهُ عَنْهُ أمره.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: هذه حكاية معروفة مشهورة قد حدثني بها غيرُ واحد من الثقات.

وللنّاصر عليه السلام أشعار كثيرة منها قوله في قصيدة أولها:

لهفان جم وساوس الفكر	بين الغياض فساحل البحر
يدعو العباد لرشدهم وكأن	ما ضُربوا على الآذان بالوقر
مترادف الأحزان ذو جرع	مر مَذَاقتُهن كَالصَّبِر
متنفس كالكير ألهبه	نفخ القيون وواقد الجمر
أضحى العدو عليه مجتهداً	ووليه متخاذل النصر
متبرّم بحياته قلقٌ	قد ملّ صحبة أهل ذا الدهر[2]

وقال عليه السلام أيام ترشحه للقيام ودعاته سرا:

عهود الصبا سَقْيا لَكُنَّ عهودا	وإن كان إسعافي لكُنّ زهيدا
لقد حل مغناكُنَّ حلم وشيبة	يرى هديَها عن عهدكُنّ بعيدا
فتىً غادرت منه الخطوب بغشمها	طبيبا لأدواء الخطوب جليدا
إذا ساورته الفاتنات من الهوى	تبلّج ممّا لاقى لهنّ حميدا
ترى الناس يُخفون الكلام تحفظا	إذا ما رأوه أو يكون رشيدا
تباعد منه المخلصون ذووا التقى	وأصبح بين المفسدين فريدا
عجبت لمن كان النبي وصهره	وفاطمُ آباءاً له وجدودا
يرى من خلاف الناس لله ما يرى	فيُغضي عليه أو يطيق قعودا
محلّين لا يرعون لله حرمة	صدوداً ولا يخشون منه صدودا

---

(١) الافادة ١٢٩.

(٢) الإفادة ١٣١.

لقد أُسمِع الآي المفصل من له — مسامعَ وعداً صادقًا ووعيدا
أمُخترمي ريبُ المنون ولم أقُد — خيولاً إلى أعدآئنا وجنودا
ولم أُخضب المرّان من قاني الكُلَى — وأترك منه في القلوب فصيدا
بكل فتًى كالسيف أخرَق في العدَى — وإن كان في ذات الإله مجيدا
يرى الموت حتف الأنف عاراً وسُبة — وفخراً وأجراً أن يموت شهيدا
إلى أن أرى إثر المحلّين قد عفا — وقائم زرع القاسطين حصيدا[1]

وله ﷺ من قصيدة طويلة قوله :

فاجهد لكل الذي يرضى الإله به — وحبل عمرك بالإمهال موصولُ
فأنت من دَوْحة زيتونة وقدت — فيها لنور إله الخلق تمثيلُ
نور إذا غشي الأنوار مشرقُه — أضحى لها فيه تغسيقٌ وتأفيلُ
نور يقل بهذا الناس عارفه — له لدى علماء الحق تأويلُ
أتى لشعيانه[2] في سفره وأتى — بذكر أوصافه موسى وحزقيلُ
محمد وعَليّ والبتول ومن — قد كان يأتيهم بالوحي جبريلُ
وعترة المصطفى بالرس عنصرنا — الطاهرون المقاديس البهاليلُ
أشكو إلى الله أن الحق مُتّرَكٌ — بين العباد وأن الشر مقبولُ
وأن حكم كتاب الله مطّرح — وحكم من خالف القرآن معمولُ
وأن ذا اليتم والمسكين بينهم — بمزْجرِ الكلب مبهول ومعتولُ
وأن من نصر الشيطان متبع — وأن من نصر الرحمن مخذولُ
وأن أمتنا أبدت عداوتنا — أنْ خصّنا من عطآء الله تفضيلُ
إذا ذكرنا بعلم أو بعارفة — صاروا كأنّهمُ من غيظهم حُوْلُ

---

(١) الشافي ١/ ٣١٢ .

(٢) شعيانه: اسم نبي .

ومنها قوله:

وأن عـــتـــرة خــيـــر الخلق بينهم ... مــبــغَّــضُــون فـمطرودٌ ومقـتـولُ
في كل يوم لهم وتْر ومظلمـــة ... وســابح من دمـآء الطهـر مطلولُ
فاجهد وجاهد ولاة الجور محتسبا ... فقد فشى الشرك فيهم والأضاليلُ[1]

ومنها قوله:

بكل مـضطلع مـرْحـان ذي تلع ... يزينه غُـــرة منه وتحـــجـــيلُ
وكل أبيض مـثل النور ملتـهـب ... في غَـربه من قـراع الهـام تفليلُ
وكل لَدْن من الخَطِّي مـعـتـدلٍ ... كــأنَّ عـــامله بالليل قنديلُ
وكل مـعطوفـة زورآء عــاتكة ... لهــا حنين كـمـا حن المطافـيلُ
بكف كل نطاسيٌ بشكَّتـــه[2] ... فـيـه لما اعـوج تثـقـيف وتعـديلُ
وكل ذي غــضب لله ملتـهـب ... في روضة للعصاة الشمس تذليلُ
في فتـيـة قـد شروا الله أنفسهم ... فكلمـا حـملوا لله مـحـمـولُ
رأوا بعين الهدى ما قد يكون غدا ... فـمنهمُ بوعـيـد الله مـشـغـولُ
وأيقنوا أن من يعـصي يكون له ... في جـاحم النار تخليـدٌ وتغليلُ
فَـوَلَّوُا السيف والقرآن حكمـهم ... فـمـا آتاهُمْ به القـرآن مـعـمـولُ
حتى ترى الحقَّ قد قامت قوآئمه ... لأهله فـيـه تكبـيـر وتهليلُ[3]

وقال عليه السلام:

حـــسـبي من البـيض الملا ... ح عناقُ سـيـفي واحـتـضـانُه
عـــضبٌ إذا عَــدِمَ الكَمِيُّ ... الرفق ينفـــعني أمـــانُه
وكــأنْ جـرى في جـســمـه ... من بعـد تصـفـيـة دخـانُه

---

(١)الشافي ١/ ٣١٣.

(٢)في (أ) : بشكيه.

(٣)الشافي ١/ ٣١٣- ٣١٤ .

لَدُنْ يهـز الكف مـثـ	ـل النون أسلمـه مكانُه
عن غـيـر مـا خـفـر ولكـ	ـن الشُرى هـذا أوانُـه
فـبـمـثله يأبى الكريـ	ـم الشـهـم مـا فـيـه هوانُه
وأنـا امـرؤ عند احـتـدا	م الموت ينجيني جـرانُـه
وإذا تـدايـن مـعـشـر	يجـدونه وخـمـًا ديانُه
فـإذا تـكـلـم واعـظًا	فكفـاك من عظة بيـانُه
تلقى غـواشـيـه إذا	طرقـوه مُـتـرعـة جـفـانُه
مـا إن يُفَـارقْ خَـيـمـه	في كل مـا أبلى زمـانُه
شـهـدت له أفـعـاله	أن لم يقل كـذبًا لسـانُه
ذو مـنـصـب نـآء عـن الـ	أدناس يغنيني صـيـانُه
ومـؤمَّـل ذي نـخـوة	فـي الحـرب جم خُنْزُوانُـه
من شـأنه قـصـع الكُمـا	ة لـدى الـوغـى رَعـفٌ سنَانُـه[1]

وكان عليه السلام حلو المفاكهة طريف الممازحة يتصرف في مجلسه في أنواع العلوم من الكلام والفقه ورواية الآثار وإنشاد الأشعار للقدماء والمحدثين والحكايات المفيدة.

ومن طرفه في هذا الباب ما رواه السيد أبو طالب عن أبيه رضي الله عنهما قال[2]: كان رضي الله عنه محروراً شديد الحرارة، تستولي عليه الحمى إذا تكلم، فكان يوضع بين يديه كوز فيه مآء بارد، ويتجرع منه في الوقت بعد الوقت إذا تكلم كثيرا وناظر في خلال مناظرته، وكان بآمل شيخ همٌ من العراقيين يعرف بأبي عبدالله محمد بن عمرو وكان يكلمه عليه السلام في مسألة، فكان يترشش من فيه لعاب يصيب الكوز منه كما يتفق مثله من المشآئخ، فأخذ النّاصر دفترًا كان بين

---

(١) الشافي ١/ ٣١١-٣١٢.

(٢) الافادة ١٢٤.

يديه ووضعه على رأس الكوز، فاتفق أن هذا الشيخ وهو في هزازة وحدة مناظرته وَلِعَ بأخذ ذلك الدفتر عن رأس الكوز من غير قصد، ولكن كما يتفق من الإنسان أن يولع بشيء من ضجره واحتداده وفعل ذلك مرتين، وكان النّاصر يكلمه وكلما رفعه عن رأس الكوز يعيده إليه فلما رفعه الرفعة الثالثة أعاده النّاصر، ثم التفت إليه فقال: ياهذا ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، إلى غير ذلك مما رُوِيَ عنه. ولم يزل عليه السلام جادا مجتهدا في نشر العلم والعمل حتى حانت وفاته عليه السلام، فاستؤمر فيمن يقوم مقامه إذا حَدَثَ به قضاء الله عز وجل، وسأله بعضهم أن يعهد إلى بعض أولاده فقال عليه السلام: وددت أن يكون فيهم من يصلح لذلك ولكن لا أستحل في ما بيني وبين الله عز وجل أن أولي أحدا منهم أمر المسلمين، ثم قال: الحسن بن القاسم أحق بالقيام بهذا الأمر من أولادي وأصلح له منهم؛ فردوه وقد كان في الديلم ولم يمنعه ما كان أسلفه عنده من إيثار الحق في المشورة به. ثم توفي عليه السلام بآمل في ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله أربع وسبعون سنة، **ودفن** عليه السلام يوم الجمعة، وكان من آخر شعره عليه السلام قصيدة أولها:

أنافَ على السبعين ذا الحول رابعُ ... ولا بدّ لي أني إلى الله راجعُ
وصرتُ أبا جُدٍّ تقوِّمني العصا ... أدبُّ كأني كلما قمت راكع[1]

وكانت مدة ظهوره بآمل ثلاث سنين وأشهرا، ودفن بها ومشهده معروف مزور.

وذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أنه كان في الليلة التي توفي فيها يُشَاهَدُ نور ساطع من الدار التي هو فيها إلى عنان السمآء، وأنه يستضيء بذلك النور من بَعُدَ عن الدار، فلم يزل كذلك حتى انقطع النور فجآءَ مَنْ شاهده وقد توفي عليه السلام.

---

(١) الإفادة ١٣١ .

ورويِ أنه عليه السلام في مرضه كان لا تفوته صلاة بوضوء إلى أن أثقل، فكان يومئ إلى الوضوء بيده فيوضؤنه، ويأخذ في الصلاة حتى فاضت نفسُهُ وهو ساجد.

وروي أنه في ليلته التي توفي فيها استَعَرَ به المرض فأخّر المغرب والعشاء الآخرة إلى قرب السحر ثم صلاهما، فلما فرغ منها فاضت نفسه.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وقدم الدّاعي عليه السلام آمُل في شهر رمضان يوم الثلاثاء لأربع عشرة خلت منه، فبدأ بقبر النّاصر للحق عليه السلام، ومعه أولاده أبو الحسن وأبو القاسم وأبو الحسين فألصق خده بالقبر وهو يبكي، فقام أبو الحسن ابنه وأنشأ قصيدة في مرثيته:

أيحسُنُ بي أن لا أموت ولا أضنى   وقد فقدتْ عيناي من حَسَنٍ حُسنا

وقصيدة أخرى أولها:

دم الجوف يجري في الحشا متصعدا   فينهل دمعا صافيا متبددًا

وبويع للداعي رضي الله عنه في ثانيه وهو يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان فأظهر حسن السيرة في الأمور كلها في بسط العدل والإحسان إلى الأشراف وأهل العلم على طبقاتهم وتسويغ خراجهم، والتشدد على أهل العيث والفساد ما يضرب به المثل إلى الآن بطبرستان، فيقال: عدل الدّاعي.

وكانت له حروب مشهورة، ووقائع معروفة مع ولدَي النّاصر عليه السلام، ومع مسوِّدة الخراسانية، وخَطَبَ له بنيسابور ونواحيها ليلى بن النعمان مدة، وخطب أيضا بالري ونواحيها أيامًا، وبقي على أمره بعد النّاصر رضي الله عنه اثني عشرة سنة وأشهرا. واستشهد: سنة ست عشرة وثلاثمائة، في يوم الثلاثاء بعد العصر لثلاث بقين من شهر رمضان، وقد بلغ من عمره اثنتين وخمسين سنة.

رضي الله عنه وألحقه بآبائه الطاهرين.

---

(١) الافادة ١٣٢.

المرتضى لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو القاسم مُحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهو عليه السلام غصن من أغصان الخلافة الناضرة، وبدرٌ من بدور العترة الباهرة، ورضيع ثدي الإيمان، وزهر الفضل الذي ضحكت عنه الأفنان.

وأمه عليها السلام: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، فهو عليه السلام كريم الطرفين منتجب الأبوين، ولد سنة ثمان وسبعين ومائتين[2].

ذكر طرف من مناقبه وفضائله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة التقوى واليقين، متحليًا بآداب الأئمة الهادين سلام الله عليهم أجمعين، قد أدرك قصبات السبق في ميدان الفضل، وحلق في جو الشرف والنبل، واعتلى قمم المجد العالية ورُتَبَ الفخار السامية.

وله العلوم الحسنة والتصانيف المستحسنة وهي ظاهرة مشهورة في أصول الدين وفروع الفقه وعلوم القرآن. فمنها: كتاب الأصول في التوحيد والعدل. ومنها: كتاب النبوة، وكتاب الإرادة والمشيئة، وكتاب التوبة، (وكتاب الرَّد على الروافض)[3] وكتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(1) الإفادة ١٣٣، والأعلام ٧/ ١٣٥، وسيرة الإمام الهادي الفهرس ٤٥٨، وبلوغ المرام ٣٢، والتحف شرح الزلف ١٩٠، وعمدة الطالب ٢٠٤، وطبقات الزيدية «خ» والمصابيح ٥٩٠، والفلك الدوار ١٦-٥٨، ومعجم الأنساب ١/ ١٨٧، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٠١، والوافي بالوفيات ٥/ ١٨٥، وأئمة اليمن ٥٢، وفرجة الهموم والحزن للواسعي ١٧٠، وسر السلسلة العلوية ٢٨، والشافي ١/ ٣١٨.

(2) الإفادة ١٣٣.

(3) ما بين القوسين ساقط في (أ).

طالب ﷺ، وكتاب الرد على القرامطة. وكتاب الإيضاح في الفقه. وكتاب النوازل. وكتاب الرضاع. وكتاب مسائل البيوع. وكتاب مسائل المعقلي. وكتاب مسائل الطبريين . وله في التفسير قطع كثيرة، إلى غير ذلك من تصانيفه ﷺ، وهي كثيرة سوى ما ذكرنا.

فأما الزهد والورع : فمما لا يفتقر إلى برهان، وكيف لا يكون منه في أعلا طبقة وهو فرع خلافة قَد بسق فخارها وعلا منارها، وكانت له ﷺ المقامات المحمودة، والمواقف المشهودة بين يدي أبيه الهادي إلى الحق ﷺ، وكان قطب رحى الحرب إذا دارت :

وكم مقام هائل قَد قامه   لو قامه الفيل لسار القهقرى

وكان انتهى به الحال إلى أن أُخذ أسيراً في بعض الحروب، فأقام مدةً في ناحية بيت بوس حتى لطف الله عز وجل له بالخلاص.

وله ﷺ أشعار كثيرة كتبها لوالده في حال حبسه وهي موجودة في سيرته الشريفة فمن ذلك قوله ﷺ :

كدَّر الوِرْدَ علينا والصدَر   فعل من بدل دينا وغدر
أيّها الأمَّة عودوا للهدى   واتبعوا الحق بنور وبصر
حكّموا القرآن فيما بيننا   واتركوا عنكم أحاديث السمر
إن قول الله أشفى لكمُ   أيُّها الناس بإيضاح النذر
واتبعوا ما قال يحيى لكمُ   فبه تنجون من حر سقَر
إن للسيف علينا حومة   وبه نسطو على من قَد ختَر
عدمتني البيض مع سمر القنا   وتبدلتُ رقاداً بالسهر
لأثيرنَّ عجاجاً ساطعاً   بالعناجيج وبالبيض البتر
وأديرن على أعدآئنا   كأس حرب وضراماً يستعر

وقال عليه السلام في قصيدة بعث بها إلى أبيه عليه السلام:

أمـيـر المؤمنين تَعـزّ عني	ولا تحـفـل ببـعـدي واغـترابي
وهبني كنت في القـتلى صـريعًـا	بأطـراف الأسـنّـة والحـراب
وقم لله مـجـتـهـداً مـجـداً	فـمـثلك لا يعلّم بالصـواب
وكـيف وأنت أفـضلُ من عليـهـا	وأبصـرُ بالعلوم وبالكتـاب

أولاده عليه السلام: القاسم بن محمد، وإسماعيل، وإبراهيم، وعلي، وعبدالله، وموسى، ويحيى أبو الحسين وهو الخارج بالديلم الملقب بالهادي الذي روى عن عمه كتاب الأحكام، وروى المنتخب. والحسن، والحسين، والقاسم. ومن البنات: أسماء، وبنت غيرها، ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام[1].

مدة قيامه بالأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام:

لما توفي الهادي عليه السلام إلى رضوان الله تعالى، وعظم الخَطْبُ على المسلمين بوفاته لنجوم القرامطة بأرض اليمن، وتقوى أمرهم كما قال بعضهم في مرثية فيه عليه السلام:

كـفى حـزنا أنّا فـقـدنا إمـامنا	على حين أمسينا نهـابًا مقـسمـا
على حين أمسى المشركون بأرضنا	يرونا لهم فـيئـا حـلالاً ومـغنمًـا

فاجتمع الناس إلى المرتضى عليه السلام وقد كَرَبهم الأمر واشتد عليهم الخطب، وأجهشوا بالبكاء، فلما سكتوا وسكتت أصواتهم، قال عليه السلام: جزاكم الله من أهل محبة وولاية خيرا، ونعم الإمام كان لكم الهادي رضي الله عنه الناصح لكم، الحدب عليكم، كان والله حريصًا على إرشادكم، طالبا لصلاحكم، مؤثرا لكم، حاملاً لكم على ما فيه نجاتكم، داعيًا لكم إلى ما يقربكم إلى الله، زاجراً لكم عما يبعدكم منه، حاكمًا فيكم بالعدل والقسط، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل، على مثله فليكثر البكاء والأحزان، والندم والحسرة والأشجان، ولكن

---

(١) الإفادة: ١٣٣.

المرجع إلى الله عز وجل في جميع الأحوال، والعمل بالتوبة والدعاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم ولنا ولكم فيما نزل بنا من الأمر العظيم، وحل ساحتنا من الفادح الجسيم، أسوة برسول الله ﷺ وبالأئمة الماضين من عترته صلوات الله عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضاء بقضائه وتسليمًا لأمره، والموت سبيل الأولين وطريق الآخرين، وبذلك حكم على عباده رب العالمين، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو تبارك وتعالى خير الوارثين، ثم بكى بكاء شديداً، وأنشأ يقول:

يُسهِّل ما ألقى من الوجد أنني مجاوره في داره اليوم أو غدا

وارتج البلد بالبكاء، وتكلم كل واحد بمبلغ رأيه وعلمه، فلما هدأت الأصوات وسكنت الأجراس- قال المرتضى عليه السلام: الحمد لله رب العالمين ملك يوم الدين، ونستعينه على أداء ما أصبحنا نتقلب فيه من نعمه التي لا تحصى، ونحمده على ما أصابنا من خير وبلوى، ونسأله الصلاة على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى وآله وسلم، ثم إن الله عز وجلّ أمر أمراً وفرض على خلقه فروضًا، لم يرض منهم إلا بالعمل بها، والتسارع إلى ما فرض الله عليهم منها، وأرسل محمداً خاتم النبيين بشيراً ونذيراً إلى جميع المخلوقين، وأنزل عليه كتابًا فيه نور مبين، وشفاء لما في الصدور، ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، أمر عباده بالعمل على ما فرضه وأكد من الأمر عليهم بعد أن أعطاهم الاستطاعة، ومكنهم من القُدْرَةِ على ما أمرهم به، ودعاهم إليه ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الانفال:٤٢]، ولسنا رحمكم الله بأبناء دنيا فنتكالب عليها، ولا بأهل الباطل فنطلب الإمارة والسلطان والأمر والنهي من غير استحقاق، وعلى غير جهة رشد وسداد واستقامة وصلاح،

أكثركم يعلم كيف كنتم للهادي عليه السلام بعد دعائكم إياه إلى بلادكم، وبيعتكم له على كتاب الله وسنة نبيئه صلى الله عليه وآله، وإحياء معالم الدين ومجاهدة الجبارين الظالمين، ألم ينقض أكثركم تلك العهود المؤكدة والمواثيق الغليظة؟ ألم ينكث جُلّكم أيمانكم بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا؟ ألم يَدَعْ أكثركم الحق جهرًا واتبع الباطل؟ وباع الكثير الباقي بالتافه اليسير الفاني؟ وكان عليه السلام يقاسي منكم الأمرّين وتصيبه منكم المحن المتواترة وتعاملونه بأقبح المعاملة، وتقابلونه على جميع أفعاله معكم وإحسانه إليكم وعفوه عن ذنوبكم بالاساءة إليه والخروج عليه، فصبر من ذميم أفعالكم وقبيح معاملاتكم ما لا يصبر عليه إلاَّ من امتحن الله قلبه بالتقوى ونوّره باليقين والهدى، ما قصر ولا ونَى في دعائكم إلى رشدكم وطاعة ربكم، ولا سئم من نصحكم والشفقة عليكم، (ولا ترك تقويم المتأوِّد منكم، ولا بخل بما حوته يده عليكم)[1]، ومواساتكم بنفسه وماله، لم يتعلق عليه أحد منكم بمظلمة ولا ادعى عليه أحد عدولا عن الحق وميلا إلى الهوى، ومحاباة لولد وذوي قربى، بل كان يعمل بكتاب الله وسنة نبيئه صلى الله عليه وآله قَد جعلهما نصب عينيه لا يفارقهما، ولا يزايلهما ولا يدع العمل بهما، فأفعالكم التي تفعلون وسيركم التي بها تسيرون، وطرقكم التي فيها تسلكون لا يحمدها ولا يأمن من الله جل وعز العقوبة على مفارقتكم عليها ومداحاتكم فيها، وأنتم إلى الباطل تميلون وعن الحق تفرون وفي معاصي الله تسارعون، ولولا إيثار طاعة الله والائتمار لأمره والوقوف عند ما حَدّ من حكمه؛ لكان ما عرضتم علي منه من طلب الدنيا وإرادة من اتبع الهوى، هيهات لا أزول من أمر الله شبرًا، ولا أفارق حكمه فترا، حتى ألحق بالله على بصيرة، وألقاه عزوجل عن عزيمة صادقة، فإن تُقْبِلُوا إلى طاعة الله وتنفذوا لأمر الله، وتصبروا على حكمه فيما ساءكم

(١) في(أ): ما بين القوسين ساقط .

وَسَرَّكم وأعطاكم وأخذ منكم ؛ كنتم من الفائزين وعند خالقكم من المقربين ، فاتقوا الله وارجعوا باللوم على أنفسكم ، وتوبوا إلى الله رب العالمين ، وقوموا لله قانتين ولأوليائه موالين ولأعدائه معادين ، ولأهل معصيته منابذين ، ولمن خالف أمره مهاجرين ، ولآثار رسوله ﷺ متّبعين ، وللمعصية والفسوق تاركين ، وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين ، وللأئمة الصالحين من أهل بيت رسول الله ﷺ مطيعين ، واعلموا أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[1].

ثم بايعه الناس غرة المحرم سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان وخولان ونجران ، وأقام عليه السلام كذلك مديدة وسيّر جنوده لقتال القرامطة فقُتلوا في كل فج ، واستقامت له الأمور حتى كان يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة جمع عليه السلام وجوه العشائر قبله فعاب عليهم أشياءً كرهها منهُم ، وعزم على الاعتزال والتخلي من الأمر[2].

وقال عليه السلام في خطبة خطبها عند ذلك : ثم إنكم معاشر المسلمين ، أقبلتم إليّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه ، وأردتموني على قبول بيعتكم ، فامتنعت مما سألتموني ودافعت بالأمر ولم أو يسكم من إجابتكم إلى ما طلبتم مني خوفا من استيلاء القرمطي - لعنه الله على بلادكم ، وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم ، فأجريت أموركم على ما كان الهادي رضي الله عنه يجريها ، ولم أتلبس بشيء من عرض دنياكم ، ولم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم ، فلما أخزى الله القرمطي ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] ، تدبرت أمري وأمركم ونظرت فيما أتعرضه من أخلاقكم ، فوجدت أموركم تجري على غير سننها ، وألفيتكم تميلون إلى الباطل وتنفرون عن الحق ، وتستخفُّون بأهل

---

(١) أنظر المصابيح ٥٩١ - ٥٩٤ وجزء منها في الإفادة ١٣٣ .

(٢) سيرة الإمام الهادي ٤٠٠ .

الصلاح والخير والدين والورع منكم، لا تتناهون عن منكر تفعلونه، ولا تستحيون من قبيح تأتونه وذنب عظيم تركبونه، لا تتعظون بوعظ الواعظين، ولا تقبلون نصح الناصحين، بل تجرون في غيكم، وعن أمر الله إلى نهيه عادلين، وعما نأمركم بطاعة الله مزورين وعنه نافرين وإلى أعداء الله وأعداء دينه الجهال الفساق راكنين، وقد قال الحكيم العليم في محكم التنزيل: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]، فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق، ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد، ويختار رضى الله عزوجل على رضى المخلوقين إلاَّ القليل من القبيلة واليسير من الجماعة، أنزلتُ هذه الدنيا من نفسي أحسن المنازل، وآثرت الآخرة الكريم محالها، الشريفة منازلها، العالية مراتبها، واخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل، وتمسكت بطاعة رب العالمين، وذلك من غير زهد مني في جهاد الظالمين ومنابذة الفاسقين ومباينة الجائرين، مع علمي بما فرض الله عز وجل منه على عباده في وقته وأوانه، وأيقنت مع الأحول التي وصفتها، والموانع التي ذكرتها أن السلامة عندالله في الزهد في الدنيا، والاشتغال بعبادة رب العالمين والاعتزال عن جميع المخلوقين، وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله عز وجل واشتغال خاطري بتدبر آياته، وإعمال نظري وفكري في أوامره وزواجره، ومحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وأمره ونهيه، وناسخه ومنسوخه-فوجدته يوجب التبري عليّ من هذا الأمر إيجابًا محكمًا، ويلزمني تركه إلزاما قاطعا، فاتبعت عند ذلك أمر الله ونزلت عند حكمه ونظرت بقضائه، فإن لم يقم لله عز وجل علي حجة من بعد ذلك ووجدت على الحق أعوانًا، وفي الدين إخوانًا -قمت بأمر الله طلبًا لثوابه، حاكمًا بكتابه، متقلداً لأمره متبعًا سنة نبيه محمد ﷺ، لا أفارقه ولا أعدل عنه حتى يعز الله الحق ويبطل الباطل، أو الحقُ بصالح سلفي الذين

مضوا لله مطيعين وبأمره قائمين، وإن لم أجد على ذلك أعوانًا صادقين وإخوانًا لأمر الله متبعين، لم أدخل بعد اليقين في الشبه، ولم أتلبس بما ليس لي عند الله حجة، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات:٥٤] أمثلي يدخل في الأمور الملتبسة؟ هيهات! منع من ذلك خوف الرحمن، وتلاوة القرآن والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزينتها، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم ميتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون وبما كسبت أيديكم مرتهنون، ﴿وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:٢٩]، والسلام على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وآثر طاعة الله[1].

واعتزل رضي الله عنه الأمر وخلا بربه وآثر عبادته على كل شيء[2]، وصرف عماله من بلد همدان ونجران وغيرها، ولزم منزله بصعدة وأقام الأمر على حاله، ولم يظهروا له خلافا ولا كراهية لأمره، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين الناس. وكان أخوه الناصر عليه السلام في الحجاز، فقَدم بعد ذلك فأشار المرتضى عليه السلام عليه بالقيام بالأمر. وكانت مده انتصاب المرتضى عليه السلام نحو سنتين. وتوفي عليه السلام بصعدة سنة عشر وثلاثمائة، وله اثنتان وثلاثون سنة، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[3]. ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام.

◆◆◆

---

(١) الخطبة كاملة في المصابيح ٥٩٥-٥٩٧.

(٢) في(أ) ساقطة: على كل شيء.

(٣) الإفادة ١٣٤.

الناصر لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: أم أخيه عليهما السلام، ولا جوهر أعلا من جوهره، ولا عنصر أزكى من عنصره، وكيف يوصف شرف نسب تردد بين النبي المختار والأئمة الأطهار السادة الأبرار[2].

قوم كرام سادة   مَن هُمُ؟ ومَن هُمْ؟ ثم مَنْ؟

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على الزهادة، وتربى على العبادة، واقتبس من نور والده الوقاد وكرع في علم الأجداد حتى ارتوى من غريب علمهم، واستمطر رباب فهمهم، فأحرز من علمهم الصافي الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير. وله عليه السلام التصانيف النافعة[3] والكتب الرائعة في الأصول والفروع والمعقول والمسموع، فمنها: كتاب النجاة في الرد على الجبرية القدرية الفرية[4] وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير قَدر عشرين كاملة، وله كتاب الدامغ، وكتاب التوحيد، وكتاب في الفقه، وكتاب (في) التنبيه، وكتاب في

---

(١)انظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٥، وسيرة الهادي «ع» انظر الفهرس ٤٤٤، والأعلام ١/ ٢٦٨، وبلوغ المرام ٣٣ والمصابيح ٥٩٨، وإتحاف المسترشدين ٤٥، والتحف شرح الزلف ١٩١، والترجمان لابن مظفر «خ»، وأئمة اليمن ٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن ١٠٧، والفلك الدوار ١٦ ومعجم المفسرين ٢/ ٣٠٢، وعمدة الطالب ٢٠٥، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ١٥٧، وأعلام المؤلفين الزيدية ٢٠٢.

(٢)المصابيح ٥٩٨، والإفادة ١٣٥.

(٣)في(ب): الواسعة.

(٤)في(أ): الغوية.

مسائل الطبريين، وكتاب الرد على الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وله في علوم القرآن ما يشهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من التصانيف المشهورة. ومن شعره عليه السلام قوله :

أبعد الأربعين رجوت خُلداً وشيبك في المفارق قد أتاكا
كأني بالذي لابد منه مِنَ امْرِ الله ويحك قد دهاكا

أولاده عليه السلام: القاسم أبو محمد، وفاطمة، أمهما رقية بنت إبراهيم بن محمد ابن القاسم بن إبراهيم-وإسماعيل، والحسن، وجعفر، ويحيى، وعلي لأمهات أولاد، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[1].

مدة ظهوره ونبذ من سيرته ووقت موته وموضع قبره عليه السلام :

لما قَدم عليه السلام من الحجاز في آخر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة، وأقام مع أخيه عليهما السلام حتى كان يوم الأحد لثَمان ليال خلت من صفر سنة إحدى وثلاثمائة اجتمع إليه وجوه خولان، فاستعانوا به على أخيه المُرتَضَى أن يقوم فيهم، فكره ذلك، فسألوا الناصر عليه السلام القيام فيهم على ما كان والده فأجابهم إلى ذلك، وقام فيهم وأعطوه العهود والمواثيق على القيام معه على كل من ناوأه. وكانت بيعته عليه السلام يوم الجمعة في مسجد الهادي عليه السلام الذي فيه قبره.

ومن رسائله عليه السلام فيما يتضمن الدعاء إلى دين الله والحث على الجهاد في سبيل الله بين يديه، قوله عليه السلام: ألا وإني قَد رغبت فيما رغب الله فيه فنهضت له، وقمت فيما ندب إليه فسموت له، وعرفت ما أمر الله فأعلنت به، ولم أسْعَ لطلب دنيا ولا توفير مال ولا ازدياد حال، ولا طلب فساد في الأرض ولا إضاعة

---

(١) الإفادة ١٣٥ . وقال السيد العلامة مجد الدين المؤيدي في كتابه التحف شرح الزلف ١٩٧ « أولاده: أبو محمد القاسم المختار وعلي، ويحيى عقبهم باليمن واسماعيل عقبه بحلب وغيرها والحسن المنتجب أولاده ببغداد، وداود عقبه برام هُرمز وغيرها، والرشيد عقبه بدمشق، وإبراهيم عقبه بمصر، ومحمد بحلب، والحسين والمهدي هنالك».

لحق، ولا انتهاك لمسلم، ولا هتك لمحرم، ولا إراقة دم حرام، ولا إظهار بدعة، ولا فعل شنعة، ولا محبة رفعة، ولا إرادة رفاهية، ولا مفاخرة بجمع، وإنما قمت للازم الحجة بي، ووجوبها عليّ، وتوثق أرباقها[1] بي، على حين جفاء من الإخوان وتراكم من الأحزان وإفراد من الأعوان، وليس مكاني يخفى ولا مقامي يغبى، ولا اسمي بمجهول فيعذر الغافل والمتثاقل، ويجد حجة الخاذل، ويمكن المتخلف التأول مع المحن التي أنا فيها، والأمور التي أقاسيها من كثرة لائم لا يرضى، وعابد للدنيا، ومطّلب للسعة والغنى، ومتربص لا يُتقى، ومفرد عند الشدائد لا يرعى، ومتسخط وقت لا يعطى، وما دعوت إلى الدنيا فإذا عدمها أهلها معي ذهبوا، فإذا فارقوها انقلبوا، ألا وإني إنما دعوت إلى ما دعا إليه من كان قبلي من الأئمة الطاهرين والعباد الصالحين، أنا عبدالله وابن نبيه ﷺ، الشاري نفسه لله سبحانه، الغضبان لله جل ثناؤه إذ عصي في أمره، واستخف بفرضه، وقُتلت الدعاة إلى دينه، فلو أسعفتني الأعوان وعاضدتني الأنصار، وصبر على دعوتي أهل الأديان، لعلوت فرسي واعتضيت رمحي وتقلدت نجاد سيفي وآخيت درعي، وقصدت أعداء الله جل ذكره. وكان يجيب الأقران إلى يوم الطعان صابراً محتسبًا مسروراً جدلا، إذا أشرعت الأسنة، واختلفت الأعنة، ودعيت نزال لمعانقة الأبطال، وتكافحت الرجال، وسالت الدماء، وكثرت الصرعى، ورضي الرب الأعلى، فيالها خطة مرضية لله جل ثناؤه ما أشرفها، فأنا أشهد الله لوددت أني أجد إلى حيلة سبيلا يَعزُّ فيها الدين، ويصلح على يدي أمر هذه الأمة-وأني أجوع يوما وأطعَم يوما حتى تنقضي أيَّامي، وألاقي حمامي، فذلك أعظم السرور وأجل الحبور وأشرف الأمور، ولو كان ذلك وأمكن ما نزلتُ عن فرسي إلا لوقت صلاة، والصفان

---

(١) الربَق - بالكسر حبل فيه عدّة عرًا تشد به البَهْم. مختار الصحاح ٢٣١.

قائمان والجمعان يقتتلان، والخيلان يتجاولان، فنكون في ذلك كما قال شاعر أمير المؤمنين عليه السلام بصفين :

أيمنعنا القوم ماء الفرات … وفينا السيوف وفينا الْحَجَف

وفيها الشوازب مثل الوشيج … وفينا الرماح وفينا الزَّعَف

وفينا عليٌّ له سَورة … إذا خوفوه الردى لم يخف

وكما قال جدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام :

دنياي ما زال همي فيك متصلا … وإن جنابك كان المزهر الْخَضِرا

إذا انقضت حاجة لي منك أعقبها … همٌّ بأخرى فما ينفك مفتقرا

متى أراني إلى الرحمن مبتكرا … في ظل رمحي ورزق قل أو كثرا

ولكن قلَّ المعين على هذا الدين، فأنا وحيد دهري، وغريب في أمة جدي، وقد شُغل بذلك قلبي، وضعف عزمي[1].

ولما بويع له بالخلافة يوم الجمعة في مسجد الهادي إلى الحق الذي فيه قبره ركب إلى صعدة القَديمة في ذلك اليوم، فاجتمع إليه خلق كثير من الناس قيل : إنهم كانوا فيما بين صعدة والغيل، وأنشده إبراهيم بن محمد التميمي في ذلك اليوم قصيدة أولها :

عاداتُ قلبك يوم البين أن يجبا … وأن تراجع فيه الشوق والطربا

وخرج إلى المدح فقال :

قوم أبوهم رسول الله حسبهم … بأن يكون لهم دون الأنام أبا

من ذا يفاخر أولاد النبي ومن … هذا يداني إلى أنسابهم نسبا

قوم إذا افتخر الأقوام واجتهدوا … وجدتَ كلّ فخار منهُم اكتسبا

لولا الإله تلافانا بدينهم … لما فتئنا عكوفا نعبد الصلبا

---

(١) المصابيح ٥٩٩ - ٦٠١.

أقام جبريل في أبياتهم حقبا ... يتلو من الله في حافاتها الكتبا

أنتم أناس وجدنا الله صيركم ... لنا إليه إذا لُذنا به سببا

لا يُدفَعُ السوء والبلوى بغيركم ... عنا ولا ينجز الوعد الذي كتبا

وأنتم حزبه من دون غيركمُ ... ومن يكن حزبه منكم فقد غلبا

لا يصلح الدين والدنيا بغيركم ... ولا يقالُ لمن سامى بكم كذبا

من عابكم حسدا عاب الإله ومن ... عاب الإله فقد أودى وقد عطبا

ومن يكن سلمكم يسلم بسلمكم ... ومن يُحَارِبْكُمْ جهلا فقد حربا[1]

لم يفرض الله أجرا غير حبكم ... لجدكم خاتم الرسل الذي انتخبا

حتى الصلاة عليكم والدعاء لكم ... فرض على كل من صلى ومن خطبا

تشوّف[2] الملحدون النوك إذ علموا ... أن الإمام علينا اليوم قد عتبا

فقلت: لا ترفعوا جهلا رؤوسكم ... فيأخذ السيف من هاتيك ما انتصبا

إن الإمام وإن أبدى معاتبة ... منه ليشبه فينا الوالد الحدبا

كانت أمور وكان الله بالغها ... ومحنة منه قد كانت لنا أدبا

وقد تولى أمور الناس خيرهم[3] ... بعد الإمام فتم الأمر أو كربا

صنو الإمام ومن سد الإمام به ... نهج الثغور ولم الصدع فارتأبا

هذا أبو حسن والجود في قرن ... أمسى بذي يمن أمنًا لمن رهبا

ساس الأمور وكانت قبلُ مهملة ... وقام فينا بدين الله محتسبا

إذا تحجب أهل المال وامتنعوا ... لم تلفه خشية الإنفاق محتجبا

---

(١) في (أ): سقط عجز هذا البيت.

(٢) في (أ): تسوف.

(٣) في (أ): كلهم.

صلت له شيمٌ أمواله نعَمٌ | أفعاله كرم يرتاح إن طلبا
يعطي الجزيل ولا يرضى القليل ولا | يجفو الخليل لذنب جَدَّ أو لعبا
لمَّا بدا ابن رسول الله منصلتا | يوم العروبة[1] في خولان إذ ركبا
تَحفُّه عصبٌ ضاقت بها عصب | من حولها عصب يتلو بها عصبا
رجال سعد بن سعد والربيعة إذ | أتوا إليه جميعا جحفلا لَجَبَا
كأنه اليم إذ جاشت غواربه | إذا تلاطم موج البحر وارتكبا
أو كالعريض إذا التفت سحائبه | وطبق الأرض والآفاق وانسكبا
راق العيون وسر المسلمون به | وساء من عاند الإسلام فاكتأبا
كانا يشبان نار الحرب بينهما | لو أنها اضطرمت[2] كانا لها حطبا
على شفا جرف هار مواقفهم | لا يستطيعون من إشقائها هربا
حتى تداركهم منها فأنقذهم | ربٌّ بجَدِّكَ منها أنقذ العربا
فألّف الله بالإحسان بينهما | بيُمْنِكُم فأماطا الحرب واصطحبا
تلك الصنائع عند العالمين لكم | لا يعدلون بها الأوراق والذهبا
فأنتم رحمة فينا لأولنا | وآخرينا فهذا الشكر قَد وجبا

ثم أقبلت همدان وأهل نجران، فبايعوه على الطاعة، وبعث قواده وعماله إلى جميع مخاليفه، وساس الأمور أحسَن سياسة، ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله، وكانت أكثر حروبه مع الباطنية، فقد كانت شوكتهم قوية في عصره، وأظهروا المنكرات كلها وشربوا الخمور في شهر رمضان المعظم استخفافًا بحرمته، وأباحوا الحرام، وكانت النساء يجتمعن في ليلة من الليالي في بيت ثم يدخل الرجال عليهن في الظلمة فيأخذ كل واحد منهم من وقعت في يده يواقعها،

---

(١) أي الجمعة.

(٢) في (أ): اضطربت.

ويقرؤن سجعًا[1] زعموا أنه قرآن نزل على رأسهم في الإلحاد علي بن الفضل، وادعوا أن ذلك شرع ودين نزل عليهم من رب العالمين، فكانت جنود الناصر عليه السلام في كل وقت تأخذ منهُم الثأر وتنقم الأوتار، وكان آخر الوقائع وأعظمها وقعة (نُغاش) وكان قَد اجتمع من الباطنية خلق كثير من جميع المغارب وناحية تهامة وقائدهم يومئذ صاحب مسور عبد الحميد بن محمد بن الحجاج، فأقاموا في نغاش، وندب الناصر عليه السلام أمراءه وقواده وهم: إبراهيم بن الحسن العلوي العباسي، وأبو جعفر أحمَد بن محمد الضحاك، وعبدالله بن عمر، وغيرهم من الرؤساء، فانتدبوا ونهدوا في وجوه القرامطة طالبين الجهاد في سبيل الله. وكان ابتداء القتال في يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة سبع وثلاثمائة عقيب وصول أوائل عسكر الإمام عليه السلام إلى الخيرة، فتلازم القتال في موضع يعرف ببيت الورد بين الفريقين من صلاة الظهر إلى غروب الشمس.

قال عبدالله بن عمر وهو مصنف سيرة الناصر عليه السلام[2]: ولقَد رأيت من نصر الله لوليه وابن نبيه صلى الله عليه وآله الناصر لدين الله رضي الله عنه عجبا عجيبا، لقَد رمونا ونحن وقوف بين القبيلتين من نهج عبدالحميد القرمطي، فلقد رأيت نبلهم منكوسة بين القتال ما تصيب أحدًا بمَنِّ الله وإحسانه تعالى، وهربت جنود الباطنية لعنهم الله، وقتل فيهم، ووقف الجند الإمامي في الخيرة ليلة الإثنين، فلما أصبحوا نهضوا إلى قصر الحمدي[3] بالقرب من نغاش، وارتجز الغطريف بن الضحاك العلوي[4] وهو يقول:

سَيِّدنا الناصر باد عَلَمُه ... مِثلُ الهلال زَيَّنَتْهُ أنجُمُه

---

(١) في (أ): وسجعوا سجعًا.

(٢) سيرة الإمام الناصر لدين الله (خ).

(٣) في (أ): الحمودي.

(٤) في (أ): الصائدي.

همدان في كل مغار تقدمُه طرا وخولان جميعا تخدمه

وأرجو أن الكرام تعظمه لابد من حصن اللعين نهدمه

ونستحل ماله ونغنمه وفي غد يبصر ما لا يعلمه

من أخذ مال بالقران نقسمه والحق فينا لا يجور قلمه

وكانت القرامطة تشرب من مائه، فدنا العسكر المنصور ومنعهم من ذلك، قال الراوي: ولم يكن معنا أسواق ولا أهبة لمقام، فكان من نصر الله عز وجل أن قَدم علينا قوم من ناحية صنعاء معهم ثمانون حملاً من دقيق فباوعها في معسكرنا فحسَنت الحال واستغنى العسكر، وباتوا على الماء في الحمدي ليلة الثلاثاء، وعوى الذئب فصاح أحمَد بن محمد العنسي: يعز على يا ذئب غداً شبعك من لحوم القرامطة فصاحوا به، وقال راجز خولان:

نحن حميناكم وحُزنا القصرا ماء الحمودي بضرب قسرا

خولان قومي بالقياس تترا تجد لابن الطاهرين نصرا

نوفي الذمام ونعاف الغدرا إنا على الفخر نعلي الفخرا

وقومنا همدان تعلو قهرا على الأعادي بالرماح دسَرا

عبد الحميد لا تول الظهرا فإننا نعمل فيك الصبرا

غداً نُذلُ عزكم والكفرا والحق أولى بالعُلى وأحرى

وقويت جنود الحق. وقيل: إن عدتهم بلغت إلى ألف وسبعمائة، وبلغت عدة الباطنية كثرة عظيمة (قيل: إنهم سبعة آلاف)[1]، فلما كان يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان عظمه الله من سنة سبع وثلاثمائة نهد الجند الإمامي الناصري يحف به النصر ويحده الظفر قاصدين لأعداء الله تعالى في نغاش، وكان إبراهيم بن الحسن العلوي العباسي رحمه الله في الميسرة بمن معه من خيل همدان ورجلها

(١) ساقط من الأصل.

وخيل خولان، وكان أبو جعفر أحمَد بن محمد الضحاك الهمداني رحمه الله بمن معه من الأنصار؛ همدان وخولان في الميمنة، وعبدالله بن عمر في القلب بمن معه من فرسان همدان ورجالتها وأهل النخوة والوفاء منها، ثم ساروا قدما حتى استقبلوا الباطنية، وصاح شعيب بن محمد السبيعي الأرحبي: يا معشر همدان اسمعوا قولي وعوا كلامي والله لئن لم أر هذه المضارب خرِقا في أيديكم في يومكم هذا ليحلن بكم البوار، ولتكونن للقرامطة بمنزلة حمير عليها براذعها باقي أيامكم، وينتهكن حريمكم ويذهبن عزكم، فَقَدُمُوا فدتكم نفسي بالضرب قدما، ولا تنظروا إلى تهويل القرامطة المشركين فليسوا لكم بنظراء، وما بينكم وبين أن تنالوا من عدوكم ما تريدون إلاَّ صبر ساعة يسيرة ثم أيقنوا بالظفر وبفخر هذا اليوم باقي أعماركم.

قال مصنف سيرته وهو عبدالله بن عمر: ولقَد رأيت من سمعه من العسكر اهتزوا لقوله اهتزاز العرب وحركتهم الحرية والنشاط، فصمموا قَدما وذمر بعضهم بعضا، وعبأ القرامطة عساكرهم على رأس جبل نغاش[1]، وكان قائدهم عبدالحميد بن محمد بن الحجاج[2] في القلب بأهل لاعة وما يليها من بني شاور المعيل والشاهل وأهل العضد وأهل نضار وبني أعشب وكان في الميمنة القائد الآخر محمد بن إسماعيل الجوبي وعبدالله بن أبي الملاحف الصنعاني وكانا في حجور وعيان وأهل حفاش وملحان ومسور والضلع والأعذار، وكان في الميسرة يوسف بن يعقوب الوردي في النجبة وهم أصحاب ركاب القرمطي وأهل الثقة عنده، وأهل حجة وأهل أدران وعيان ومن يليهم من القبائل، وكانت معهم خيل من علك وغيرها، فسار كل واحد من الفريقين حتى تناظروا وتدانوا، فصاح صائح

(١) في(أ): ساقطة.

(٢) في(أ): حجاج.

من المسلمين: يا معشر القرامطة، أنتم تزعمون أنكم شيعة لآل محمد ﷺ، وأنكم لهم أنصار، فما بالكم قابلتموهم بجيوشكم للقتال وإراقة الدماء؟، وإنما تخدعون بذلك العوام والطغام، وأنتم أعداء محمد وآل محمد عليه وعليهم السلام، وإني أدعو دعوة وأبتهل إلى الله عز وجل في قبولها وفيها لكم نصفه، والله عز وجل أرضى للرضى وأسخط للسخط.

وأنا أقول: اللَّهم بعزتك وسلطانك وامتنانك، وتكرمتك للإسلام، وتشريفك لآل محمد ﷺ، من كان منّا ومنكم مبغضا لمحمد وآل محمد فأهلكه اليوم، وعجل نقمته، واسفك دمه، واهزم جمعه، ومن كان منّا ومنكم محبًّا لمحمد وآل محمد، وقائما معهم بالحق، فانصره وعجل نصرته، وأظهر حجته، وأحقن دمه وثبت قَدمه، فقال القرامطة بأصوات عالية: آمين.. آمين.. وأمَّن أصحابنا، وصاحت القرامطة: اللَّهم انصر أحب الفئتين إليك في يومنا هذا، (فأمّن أصحابنا وأمّنت القرامطة)[1]، ثم قامت الحرب على ساق، وسالت عن إرعاد وإبراق، فاقتتل الناس حتى زالت الشمس، وطلع إبراهيم بن [2] المحسن رضي الله عنه وكان ردفا لأصحابه، فاقتلعوا مضارب القوم ودخلوا معسكرهم، وانكشفت القرامطة منهزمين لا يلوي أحد منهُم على أحد، وسيوف المحقين تقطف منهُم الهامات حتى قتل منهُم بَشَرٌ عظيم، وهم في هزيمة فاضحة حتى تعلقوا بجبال المصانع، وأفلت عبد الحميد القرمطي والرماح في قفاه، وكان تحته فرس جواد نجا عليها بعد أن كان قَد دنا عطبه، وتغنم الناس من السلاح والدواب ما يكثر ويعظم، وانصرفوا عنه وإنّ مضارب القرامطة لخرق في أيديهم على ما حرَّض عليه شعيب بن محمد السبيعي، وقال عبدالله بن أحمَد التميمي أرجوزة أولها: عوجا خليلي أوان الموسم...

---

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) في (أ) بزيادة: المنذر.

وخرج إلى ذكر الوقعة فقال :

القـرمطي بالضلال المجرم	عبد الحميد بالفعال المؤثم[1]
إذ فـر لا يقصر عن حلْملم	وخلّف الدعاة لحم الوضم
إياك يا ابن مُحْسن لم أعدم	من خضرم سلالة لخضرم
وسيد لسيد معمم	وملك لملك غشمشم
وباذخ لباذخ عرمرم	ومقول لمقول لم يخصم
وصمد لصمد لم يرغم	وماجد لماجد لم يبرم
من معدن أركانه لم تهدم	يلقى الوفود غير كابي المبسم
بغرة مشكورة لم تذم	فأنت نورٌ في الظلام الأقتم

واستقر عبدالحميد في حلملم، وتبدد عسكره وانحل نظام جمعه، وأقام المسلمون في جبلهم يوم الأربعاء بقصر الحمدي.

فلما كان يوم الخميس كتبوا إلى الناصر لدين الله ﷺ يعلمونه بما كان من الفتح المبين، وأمروا بأخماس الغنائم وجماعة من رؤوس القتلى، وعاد كل من القواد إلى مركزه وموضعه، فعاد جواب الناصر ﷺ يحرضهم على جهاد القرامطة وقصدهم إلى أوطانهم، فاجتمع القواد على النهوض في النصف من شهر رمضان، والتقوا إلى الخيرة في يوم الثلاثاء، فوقفوا الثلاثاء والأربعاء ونهضوا يوم الخميس إلي حلملم، فنجا عبد الحميد منهزما إلى جبل يعرف (بأحضاض)، وخلف في حلملم رجلاً من أصحابه، فقصدهم عبدالله بن محمد السعدي في عسكره، فلما أيقن به من في حلملم ولّوا هاربين إلى جبل (موتك)، وهو المعروف الآن بميتك، فدخل السعدي حلملم فأحرقها بالنار، واستولى على ما فيها من الطعام، وطلع عبدالحميد إلى جبل (مدع)، ثم نهض

---

(١) في(أ) : ذي الضلال، ذي الفعال.

العسكر كله إلى المصانع، فلما علم بهم نجا إلى(مسور)، وفتت هذه الوقعة أعضاد الملحدين، ونعشت الدين وأعزت كلمة الموحدين، وشتت شمل الجاحدين.

قال مصنف سيرة الناصر عليه السلام : لقَد شهدت الحروب وعاينتها مذ بلغت الحُلُمَ، فما رأيت يوما كيوم نغاش أكثر قتلى[1] من أعداء الله القرامطة، ولقَد حبست فرسي في موضع قَد كثر فيه القتل، فلقَد سمعت للدماء خريراً كخرير الماء إذا هبط من صعود، قال رحمه الله: ولقَد رأيت ظبيا مقتولا قَد سقط بين قتيلين، قال: وحدثني بعض أصحابنا: أنه رأى ظبيين مقتولين في موضع آخر، وذلك أنه لما وقعت الهزيمة في القرامطة مع كثرتهم أخذوا الجبل عموما، فدخلت الوحوش بينهم فقتلت معهم، ولقَد صح لنا أن كثيراً من القرامطة دخلوا بين القتلى وتضمخوا بالدماء، حتى أفلتوا لما جن عليهم الليل، ولقَد بان لي بين من ذلك، وذلك أني أشرفت على موضع من البون يقال له: ناهرة حتى رجع المتبع من أصحابنا، فلقَد رأيت الجبل انهل كالسيل من القرامطة عراةً يسعون هربا من كان مندسا في الجبال والشعاب وتحت الأعناب، وذلك أن كثيرا من عسكرنا مَلَّ القتل فسلب وخلا، ولقَد كررت راجعا على شعب فيه قتلى كثير قَد ركب بعضهم بعضا، فقلت لمن معي: احفظوا هذا الموضع حتى ننظره غداً، فلما كان من الغد نظرت إليه فوجدته رقيقا بخلاف ما كان، فعلمت أنه كان فيهم أحياء دخلوا بين القتلى ثم صح لنا الخبر بعد ذلك، قال: ولقد اجتهدنا أن نعرف عدد القتلى فما قَدرنا على ذلك لتباعد الشعاب، وافتراق الأمكنة، قال: وفقد من دعاتهم وأهل الرئاسة منهم ثمانية وأربعون داعيا، ولقَد وُجد بعد ذلك قتلى كثيرة في شعاب نُغاش بسلاحهم وثيابهم ما سلبوا، قال: وما قتل من أصحابنا في قتال يوم الأحد

---

(١)وردت في النسخ (قتلا ممن رأيته وعلمت قتل) ولا معنى له، وما أثبتناه من التحف ص١٢٥ .

ولا الثلاثاء أحد سوى رَجُل واحد من البون أخطأ به بعض أصحابنا بضربة فمات منها.

وحكي لنا عن الإمام المنصور بالله عليه السلام، يرويه عن بعض أهله: أن عدة القتلى يزيد على خمسة آلاف قتيل، ولما استقر عبد الحميد في ناحية مسور، قصدهم جنود الناصر لدين الله عليه السلام، فأحاطت بهم من جميع جوانبه، وضايقوهم أشد المضايقة وقتلوا منهُم في وقعات كثيرة في أرجائه، فما أنقذهم من سطوة الحق إلاً جنود المسودة نهضت من العراق ووصلت إلى زبيد، ونهضوا من هنالك قاصدين إلى جنود الناصر عليه السلام، وكان إتيانهم بمراسلة من القرامطة، فتأخرت جنود الناصر عليه السلام. ولم يزل عليه السلام ساعيًا في إقامة قناة الدين، مجتهدا في إخماد نار الملحدين حتى توفي رضي الله عنه يوم الأربعاء ضحى النهار لثمانية عشر ليلة خلت من شهر الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة[1].

وكانت مدة ظهوره عليه السلام نحو ثلاث وعشرين سنة. ودفن بصعدة إلى جنب أخيه وأبيه ومشاهدهم معروفة ومزورة.

◆ ◆ ◆

(١) في(أ): حتى توفي رضي الله عنه سنة عشرين وثلاثمائة.

الإمام المهدي لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو عبدالله محمد بن الداعي إلى الله الحسن بن القاسم بن الحسن ابن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأمه : خورخور[2] بنت فيروز الديلمي ، وكلُّ آبائه سادة قادة ، وأبوه الأدنى الذي يضرب بعدله المثل في البلاد التي ظهر فيها أمره عليه السلام ، وهو القائم بالأمر بعد الناصر للحق عليه السلام والوصي له بعد وفاته ، وأميره في حال حياته ، وكلما علا من أب فهو ذو فضل وزهادة وعفة وعبادة[3] .

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام منور الوجه ، حسن (الشيبة إلى السمن)[4] ، كثير البكاء من خشية الله عز وجل ، سريع الدمعة ، مقربًا للصالحين وأهل الخير ، شديدًا على الفساق ، معروفًا بسلامة الصدر وحسن الرجوع على حِدَّةٍ مفرطة كانت به ، ثم يرجع أحسن رجوع ، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام .

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام :

نشأ عليه السلام على طريقة السلف الصالح ، حتى أضحى ميزانه في الفضل الميزان الراجح ، وجمع عليه السلام بين العلم والعمل ، حتى أحرز منهما قصبات السبق ، وبرز فيهما على كثير من الخلق ، وقد ذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أنه كان يقال : لو مادت الأرض بشيء لوطّوه لمادت بعلم أبي عبدالله .

---

(١) أنظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٧ ، والشافي ١/ ٣٢١ ، والتحف شرح الزلف ٢٠٩ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٨١ ، والكامل لابن الأثير ٧/ ١٠ حوادث سنة ٣٥٣ ، معجم المؤلفين ٣/ ٢٣٠ ، وأعلام المؤلفين الزيدية ٨٨٧ ومطمح الآمال ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٤ .

(٢) في (أ) : خرخرا .

(٣) الإفادة ١٣٧ ، والشافي ١/ ٣٢١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

وكان في علم الكلام بحراً لا تقطعه الألواح، ولا يخوضه الملاح، وكان شيخه فيه الشيخ العالم النحرير أبو عبدالله البصري من المبرزين في علم الكلام، الضاربين فيه بأوفر السهام، فتخرج عليه السلام معه حتى بلغ في الفن الغاية القصوى، وأدرك غاية المنى، وله قطعٌ فيه يدل على تبحره وتوسعه، وكان الشيخ أبو عبدالله رحمه الله كثير الاحتفاء به، والتعظيم لشأنه .

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وكان يحضر داره كثيراً ويبيت فيها ويلقنه المسائل، وربما يملي عليه التعاليق، ويكرر ما جرى له من الدرس، وكان يفعل هذا لأغراض . منها التبجح بأن يكون مثله من أصحابه، ويتخرج بتعليمه، وينسب إليه. ومنها الاستظهار بمكانه، والاعتصام بجنبته من قصد طبقات المخالفين له حتى لم يتمكنوا مع كثرتهم وإطباقهم على عداوته اعتقاداً وحسداً من شيء مما كانوا يحاولونه من التأثير في أمره، وبقي على ذلك العز بعد خروجه رضي الله عنه من بغداد، فإنه لما قصد عند خروجه، وأغرى أبو الحسن ابن علي الطيب العلوي الموسوي -وهو رئيس أشراف بغداد- أهل الكرخ به حتى جاؤا إلى مسجده ورجموه، وهو قاعد يملي وأزعجوه عن مكانه، وعقد محضر بأن الصلاح في نفيه من بغداد ، وبذل أكثر مَن ببغداد من الموافقين والمخالفين شهادتهم فيه، فانتهي إلى معز الدولة حاله ، وقيل له : إن أستاذ أبي عبد الله بن الداعي قَد قُصد وأوذي ، فاستعظم ذلك غاية الاستعظام، وأنكره انكار مثله، وأمر برده إلى مجلسه على نهاية الإكرام، وأنفذ إليه أكابر الدولة تعظيما له .

ومنها ماكان يختص به ذلك الشيخ من اعتقاد موالاة الأشراف ومودتهم ومحبتهم والميل إليهم، وإيثاره ان يكونوا كلهم مواظبين على العلم متقدمين فيه، حتى كان إذا ظفر بواحد منهم ووجده حريصا على العلم مطبوعا فيه يقدر أنه

---

(١) الإفادة ١٤٠ .

وجد ضالة نفيسة لا عوض بها، ويحثه على الصبر عليه، وترك التقصير فيه بأنواع من الحث .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] عن الشيخ أبي عبد الله البصري، قال: كنت أملي بعض الموجز لابن أبي بشر الأشعري، فكان رضي الله عنه يستملي ذلك بنفسه ويكتبه مع سائر أصحابنا، وكان يحتاج إلى أن يكتب في كل يوم نحو ثلاثين ورقة وأقل وأكثر من أثمان المنصوري، فكنت أتأمله وهو يكتب ذلك وقد عرق من شدة الحر وتعب تعبًا شديداً، وهو شيخ وإلى السِّمَن ما هو، فقلت: أيها السيد هوذا تتعب نفسك فيما تكتبه، وهذا لا فضل فيه بين أن تكتبه أنت وبين أن يكتبه غيرك، فقال لي: أحب أن لا أتأخر عن أصحابنا في الاستملاء، كما لا أتأخر عنهم في الدرس .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2]، عن أبي العباس العماري الطبري قال: كان أبو عبدالله البصري عند أبي عبدالله بن الداعي رضي الله عنه ليلة، وكان يجري كلام في الإمامة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال أبو عبدالله البصري قول العباس له: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه لم يكن منصوصًا عليه، ألا ترى أنه ذكر في سبب إمامته البيعة دون النص المتقدم، فقال أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه قوله: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه كان منصوصًا عليه، ألا ترى أنه لم يستشر، ولم يقل: تختارك جماعة منا وتتفق عليك ثم أبايعك .

وكان أبو عبدالله البصري يقول لأصحابه: لا تتكلموا في مجلس الشريف أبي عبدالله وبحضرته في مسألتين: في مسألة الإمامة، وفي مسألة سهم ذوي القربى فإنه لا يحتمل ما يسمعه منكم في هاتين المسألتين، ويوحشه ذلك.

وقرأ فقه الحنفية على الشيخ أبي الحسن الكرخي رحمه الله، حتى بلغ فيه

(١) الإفادة ١٣٩ .

(٢) الإفادة ١٣٩ .

المبلغ الذي يُضْرَبُ به المثل .

قال السيد أبو طالب[1] : سمعت كافي الكفاة يقول : إنه لقيه ببغداد ، وإنه كان يحضر داره كثيراً ، وإنه أول من لقي شيخنا أبا عبدالله البصري لقيه في داره ، قال : فكنا نجرب حفظه لفقه أبي حنيفة بأن نكتب له مسائل غامضة ، ننتخبها من الكتب ، وكان يقترح علينا أن نفعل ذلك ، فكان ينظر فيها ويكتب أجوبتها تحتها فلا يغلط في شيء منها على المذهب . قال عليه السلام : وحكى القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ، قال : كنا يوما في مجلس أبي الحسن ، وأبو عبدالله محمد بن الداعي رضي الله عنه حاضر على عادته ، فلما فرغ أبو الحسن من الدرس قام وخرج من المسجد (وتبعه أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه ، فلما خرج من المسجد)[2] التفت فرآه ، فقال : أيها الشريف لولا أن الخروج من المسجد لا فضيلة فيه لكنت لا أتقدم عليك فيه .

وحُكي أن مشآئخنا ببغداد وأظن أني سمعت هذه الحكاية من كافي الكفاة وهي : أن أبا الحسن لما مات حضر أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه جنازته ، وحضرها أبو تمام الزينبي وهو نقيب العباسيين ، فكان شيخنا أبو عبدالله يحب أن يصلي عليه أبو عبدالله بن الداعي ، وأبو بكر بن الدامغاني -وهو من متقدمي أصحاب أبي الحسن وحفاظهم ، وكان أبو الحسن حين غلبت عليه الرطوبة في آخر أيامه وثقل لسانه ، وانقطع عن التدريس استنابه للفتيا عنه- كان يميل إلى أن يصلي عليه أبو تمام الزينبي ؛ لأنه كان يختص به كما يختص شيخنا أبو عبدالله بأبي عبدالله ابن الداعي رضي الله عنه ، فحين وضعت الجَنازة احتال أبو بكر هذا بأن تقدم إلى بين يدي أبي عبدالله بن الداعي ، فقال : أيها السيد[3] أنت أحق الناس بالتقدم ، ولا

---

(١) الإفادة ١٣٧-١٣٨ .

(٢) في (أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٣) في (أ) : أيها السيد ، وفي الحاشية : الإمام .

يجوز أن يتقدم عليك أحد وقد حضرت، ولكنك تعلم أن مثل هذا الشيخ يقبح أن يُصلّى عليه على خلاف مذهبه، وقد علمت أن مذهبه أن تكبير الجنائز أربع، فإذا رأيت أن تكبر عليه أربعا فافعل، فانتهره رضي الله عنه، وقال: أنا لا أكبر إلا خمسًا، (فمن شاء)[1] فليتقدم، فحينئذ تقدم أبو تمام وصلى عليه[2].

وكان عليه السلام قد خرج إلى فارس فأكرمه عماد الدولة، وعرف له مكانه من الأبوة والفضل في نفسه، فإن عماد الدولة كان أحد قواد الداعي، ثم انتقل إلى بغداد في أيام معز الدولة أبي الحسن أحمد بن بُويه، فزاد في إعظامه وإكباره والرفع من محله، وكان هو وأخوه من خواص الداعي رضي الله عنه.

قال السيد أبو طالب رضي الله عنه[3]: وكان معز الدولة حين تمكن من بغداد ولّى نقابة العلوية أبا محمد علي الكوكبي القمي لخدمة قديمة سلفت له، وكان أبو علي فيه زعارة وعنف، فشكا العلوية إلى معز الدولة سوء معاملته إياهم مرةً بعد أخرى، فقال لهم: قد عزلته عنكم فاختاروا لأنفسكم من ترضونه، فاجتمع العلوية كلهم على الرضى بأبي عبدالله بن الداعي رضي الله عنه، وقالوا لمعزالدولة: لا نختار غيره، فقال معزالدولة: أنا أعظمه من هذا العمل وأجله أن أخاطبه فيه، فإني أعتقد أن مكان المطيع هو مكانه وهو المستحق له دون غيره، ولكن إن سألتموه وشفعتم إليه وأجابكم إلى ما تريدونه فهو منية المتمني، أو كلام هذا معناه. فاجتمعوا إليه رضي الله عنه وسألوه ذلك فامتنع منه وأنف من الدخول فيه، هذا مع جلالة هذا الأمر كانت في ذلك الوقت ببغداد، وأعادوا المسألة والشفاعة حالا بعد حال، واستعانوا فيه بشيخنا أبي عبدالله البصري، فإنه كان يحب أيضا دخوله في الأمر؛ ليتمكن بجاهه فضل تمكن، وأشار عليه بذلك وسأله فيه إلى أن

---

(١) في(أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) الإفادة ١٣٨.

(٣) الإفادة ١٤٢.

استجاب، وشرط على معز الدولة في ذلك شرائط .

منها : ألا يدخل إلى المطيع ولا يقبل له الخلعة التي جرى الرسم بإخراجها من داره إلى كل من تولى ببغداد الأعمال الجليلة ؛ لأنه يكون سواداً ، فامتنع من لبس السواد ولهذا امتنع من الدخول إلى المطيع ، فإن الرسم جار لمن يدخل إلى هؤلآء ألا يدخل إلا بالسواد ، ولما جرى الرسم به من تقبيل الأرض بين أيديهم إلى شرآئط أُخر شرطها ، فأجابه معزالدولة إلى جميعها وأنفذ إليه خلعة بياض ، ولم يدخل إلى المطيع طول مقامه ببغداد .

وقال لي شيخنا أبو عبدالله : ما رأيت يومًا أحسن من يوم ركوبه حين ولي النقابة وعليه الخلع ، وحوله أشراف بغداد كلهم ، وبين يديه حجاب السلطان ، ومرّ إلى (براثا) في ذلك الموكب البهي وعاد إلى داره ، وقال : صعدت بعض الغرف المشرفة على الطريق حتى رأيته ورأيت موكبه . وولى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبا الحسين ابن عبدالله نقابة الكوفة ، وأبا أحمد الموسوي نقابة البصرة ، وأبا الحسين الموسوي نقابة واسط ، وأبا القاسم الزيدي نقابة الأهواز وأعمالها ، وتحمل هذا العمل بتوليه له ، ودبره بأتم صيانة وأكمل عفاف وورع . وكان معزالدولة يكثر الإكثار الذي لا مزيد عليه ، ويعتقد فيه ما يجب اعتقادُهُ ، حتى إنه كان بين يديه يومًا جماعة من أكابر حاشيته ، وكانوا إمامية وكان في جملتهم الحمولي القمي ، وكان معزالدولة يناظرهم ، ويقول لهم : يا إمامية أين إمامكم؟ ومتى يظهر؟ فقالوا له : أيها الأمير فأين إمامك؟ أنت أيضا بلا إمام! فقال : لي إمام وأنا أريكم إمامي ، فلما دخل أبو عبدالله بن الداعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال : هذا إمامي[1] .

وبلغ من تعظيمه له أن أبا الحسن بن أبي الطيب الموسوي-وكان رئيس علوية بغداد ومن أعيانهم ومقدميهم-كان تظلم إليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متظلم منه ، فأحضره مجلسه وزجره ونهاه عن ظلم من كان يظلمه ، فأوحشه بكلمة ، فأمر بأن يجر

---

(١) الإفادة ١٤٣ .

برجله وحبسه في داره، فبلغه أن الوزير المهلبي قَد أومى إلى إنكار ما جرى عليه، وأنه يريد أن يتشفع في أمره، فغضب من ذلك واحتد وركب إلى دار معز الدولة في نصف النهار، وهو وقت لم تجر العادة بدخول دار السلطان في مثله والتعرض للقائه، وكان معز الدولة في الخيش مبتذلاً، فقيل له : قد حضر أبو عبدالله بن الداعي، فانزعج بحضوره في ذلك الوقت، وراسله وتعرف الحال في سبب مجيئه، فذكر قصة أبي الحسن بن أبي الطيب، وعاد الرسول إلى معز الدولة وعرفه ما ذكره، فأنفذَ إليه بأني قدّرت لما ذكر لي حضورك في مثل هذا الوقت أنك حضرت لشكاية ابني بُختيار، ومَنْ ابن أبي الطيب حتى تحوج أنت إلى تجشم شكايته إليّ !؟ وأنت مالك أمره، فاحكم فيه بكل ما تريده من ضرب وحبس ومن جميع أنواع العقوبة، ولكن بعد ما شكوته إلي فعقوبته عندي نفيه إلى عمان، واستدعى للوقت ابن الزكي صاحب الشرطة، وتقدم إليه بأن يقعده في زورق مقيداً موكلاً به، ويحدره إلى البصرة، وبأن يكتب إلى عامل البصرة بأن ينفذه إلى عمان، ثم تَشفع إليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في العفو عنه فَعَفَى[1].

قال السيد أبو طالب[2]: وأنشدني أبو الحسين بن أبي سعد كاتبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأبي الحسن الموسوي، قال : كتب إليه بهذه الأبيات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من واسط حين ولي النقابة، وهي أبيات مطبوعة ظريفة قال :

الحمد لله على عدله	قَد رجع الحق إلى أهله
كم بين من نختاره واليا	وبين من نرغب في عزله
يا سيداً تُجمعُ آراؤنا	مع كثرة الخلف على فضله
ومن غدا يشبه أسلافه	في قوله الحق وفي فعله
لو قيل: من خير بني المصطفى	وأفضل الأمة من نسله؟

(١) الإفادة ١٤٣ .

(٢) الإفادة ١٤٤ - ١٤٥ .

أشـــــار بالأيدي إليك الورى　　إشـــــارة الفـــــرع إلى أصله
يـا ابـن عـلـي بـن أبـي طـالـب　　مـــــثـلـك من دل عـلـى نسلـه
لو لم أقل بالنص في مـــذهبي　　وكنت كـــالقـــاطع من حـــبله
لقلت قَـد قـام إمـام الهـدى　　واجـــتـــمع العـــالم في ظله
نُبلُك في الأمـــر الذي نلتـــه　　يـزيـد والـلـه عـلـى نـبـلـه

أولاده عليه السلام : الحسن أبو محمد[1]، وعلي أبو الحسن، وابنة. **وأمهم** : أم العباس بنت علي بن العباس بن محمد بن إبراهيم الحسني[2] .

بيعته عليه السلام ونُبذ من سيرته بعد البيعة ومدة ظهوره، وموضع قبره :

أقام عليه السلام في بغداد حتى ارتفع صيته وعلا ذكره في الآفاق، فكاتبه أهل الصلاح والدين من أعيان الديلم بأنهم يبايعونه وينصرونه إن خرج إليهم، وورد عليه نفر منهُم يخاطبونه في مثل هذا المعنى، وخاطبه أبو الفوارس (ماناذر بن جستان) ملك الديلم بأنه يبايعه ويبذل في نصرته المجهود ويعينه بماله ورجاله، فتعين عليه الفرض في الخروج، فخرج من بغداد مستترا لا يقف على خروجه إلا خواص من أهل العلم الذين بايعوه ببغداد سراً، وكان معز الدولة غآئبا عنها إلى الموصل لمحاربة بني حمدان، وكان قَد اجتمع للعلوية من أوقافهم مال كثير أراد تفريقه فيهم، وكان مودعا في درب عون، ولم يكن يقف عليه أحد، فحين خرج من بغداد كتب رقعة فيها مبلغ المال والموضع الذي هو فيه مودع، وأن سبيله أن يفرق فيهم، وأمر حامل الرقعة بتسليمها إلى بعض الثقات، وأن يتصرف قبل أن يوقف على خبره، ففعل ذلك فأُخذ ذلك المال وفرق، والناس يبكون أسفا عليه

(١) في(أ): ابن محمد.
(٢) الإفادة ١٤٥ .

وعلى إمامته إذ فارقهم مثله، وعرف معز الدولة خبره، فغمه ذلك غما شديداً، وعاتب بختيار عتابًا طويلاً؛ لأنه ظن أنه خرج لوحشة عرضت له من جهته، وأخذ ﵁ على طريق الشهرزور، ووقع على موضع يعرف (بأنبير)، ومن هناك أخذ دليلا وسار حتى وصل إلى ماناذر بالروذيار، فلما عرف ماناذر خبره استقبله وخدمه، وترتب في الموضع المعروف ببيرزمي من أرض الديلم، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمآئة، وتتابع إليه المسلمون من سهل الديلم وجبلها، ومن الجيل ومن طبرستان فبايعوه، وضم إليه ماناذر جمعًا كثيفًا من أصحابه ورئيسهم نكالنجار[1] ابن أخته، وبث ﵁ الدعاة في النواحي[2].

وذكر الشيخ أبو القاسم البستي ﵁ في كتاب المراتب [١٦٥]: أن الذي بايعه أربعة آلاف رجل من علمآء الأمة، ثم نزل ﵇ عن الجيل قاصداً هوسم وواليها أبو محمد الحسن بن محمد[3] بن الثائر المعروف بأميركا، فصمد أميركا هذا لحربه، والتقيا واستظهر عليه ابن الثائر، وانحاز ﵁ إلى ناحية ماناذر، ثم جمع العساكر وعاود للقتال ثانيًا ومعه عدد كثير، ولحق به أبو محمد الحسن بن محمد بن الناصر من الري وهو ابن اخته، فلم يثبت له ابن الثائر في هذه الوقعة، وانهزم وتحصن في قلعة كانت في يده تعرف بقلعة ليالستان ورآء هوسم على حد أرض الجيل، فتمكن ﵁ من هوسم ونفذ أمره في الديلم وتلقب بالمهدي، وانقاد له كثير من الجيل، ثم جمع ابن الثائر أبو مُحمد جيشا كثيفا من الديلم، وخرج من القلعة فحاربه ﵇ وانهزم أصحابه، وثبت وحده فقبض عليه أبو محمد واعتقله على تكرمة، ثم أفرج عنه لأنه علم أنه لا يتم له اعتقاله، ولا يحتمله المسلمون من الجيل والديلم، فاعتذر وبايعه وخرج إليه أخوه

---

(١) في(أ): ناكالنجار.

(٢) الإفادة ١٤٥.

(٣) في(أ) بزيادة: بن علي.

زيد من آمل فسر به، واعتمده في أمر الجيش وفوض إليه أمره، ودبر للخروج إلى آمل وجمع الجيوش، فلما ظهر هذا الخبر أشخص من آمل إلى جرجان كبار العلوية كلهم خشية أن ينضموا إليه، وكوتب من جرجان نصر بن محمد الاسفندار لمحاربته وأنفذ إليه من طبرستان أعيان الجيل، وخرج عليه السلام من هوسم واستخلف عليها ابن الثائر أبا محمد الذي تقدم ذكره ووثق به وسكن إليه، وفارقه أبو محمد الحسن بن محمد الناصر وعاد إلى الري مستوحشا منهُ لاستخلافه أبا محمد بن الثائر، وجآء عليه السلام إلى شالوس مع عسكر عظيم من الجيل والديلم، وامتد نصر بن محمد الاسفندار إلى هنالك مع هؤلآء المتقدمين إليه من طبرستان، فالتقوا بشالوس فأوقع بهم رضي الله عنه وقتل منهُم مقتلة عظيمة، وهام الاسفندار مع الأعيان من هؤلآء على وجوههم، ثم وقع تخليط في عسكره رضي الله عنه بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة اتجهت عليه، فلم يتمكن من الامتداد إلى طبرستان وعاد إلى هوسم، فأقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الجيل والديلم، وكان ينادي بتلونهم ونفاقهم وقلة وفآئهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد. وكتب عليه السلام إلى القاضي أبي بكر محمد بن عبدالرحمن، سنة تسع وخمسين وثلاثمآئة[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي أطال الله بقاء القاضي المعروف بالعلم والأدب، والمشاركة في كل سبب، وأدام عزّه كريمًا، وأيده سعيدا، وختم له بفوز الآخرة ونعيمها، وَجَنَّبَهُ بلآء الدنيا وكدها، من هوسم عن سلامة ونعمة بالدين حرستا، وبطاعة الله سبحانه وتعالى نيطتا، وبتوفيقه وفضله كملتا، والحمد لله على ما وهب وأعطى، وصلى الله على أبينا محمد من خُتمَ به الأنبيآء واصطفى، وعلى من طاب من عترته وسنته اقتفى، وطريقته اهتدى، وسلم تسليما دآئما مهديا أبدًا، وليس القاضي

(١) في حاشية(أ) بزيادة عنوان(لفظ كتابه عليه السلام ورحمه الله إلى القاضي أبي بكر.

الأعز لدينا أدام الله عزه بغبي فينبه ، ولا بمشكل عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة فيعلم ، بل هو بحمد الله ممن يصلح أن يكون إلى الله داعيا لأوليائه ومعاونا ، وبالحق قآئلا على حسب قدرته ومكانه ، مع جميل نيته وصحة اعتقاده ، وبمثله تخف عنا المحن بتسببه إلى معاونتنا في كل فن ، وقد علم أمرا اطرحه في عصرنا جل أهلنا ، وتغافلت عنه أمة جدنا على مَضَض وتعب ، مع علو سن وضعف بدن ، فأعان الله بكرمه فما تزيدنا الأيام إلا شدة وعزا ، ودربة وحرزا ، حتى لو شاهدنا القاضي أيده الله لسُر بنا ، ولرآنا على خلاف ما عهد منا ، لأنا عاشرنا عصابة لله مطيعين ، وفي جهاد أعدآئه مجدين ، مع نجدة وكرم نفوس وديانة وخشية ، قد هان عليهم تحمل عاجل كل أمر لرجآء ثواب الله الذي وعد جميع من جعل فيه صبرا ، وأنا أرجوا من الله عزاً شاملا ، وأجراً بعد ذلك كاملا .

وقد كتبنا على يد ولينا وأخينا المخلص أبي غانم الهمداني أكرمه الله تعالى ما القاضي أيده الله يقف عليه ، وحملناه من خاص أمرنا ما يشافهه ليعلمه منه ، وعلمنا بمعرفتنا به أنه لا يصل إلى بغيته لنا إلا بالقاضي أيده الله ، فقصدناه بمكاتبتنا ، وأمرنا أبا غانم أسعده الله بالنزول عليه والمشاهدة له والامتثال بأمره حسب الثقة به ؛ لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغآئب ، والله يعينه ويوفقه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . فإن رأى القاضي الجليل العزيز أطال الله بقاه أن يتفضل من ذلك بما هو إليه أهدى وبه أولى ، وبمكاتبتنا بخبره وحاله ورأيه ومشورته ، فإنا به واثقون وعلى قوله عاملون ، وبمحضنا النصيحة من حيث هو ، فإن الدين النصيحة ، وإنا متى ورد كتابه علينا ووقفنا عليه عملنا به فعل[1] إن شآء الله ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته وعلى جميع أوليآئنا قبله أفضل السلام والتحية ، وصلى الله على سيدنا محمد أبي وآله الطيبين وسلم تسليما .

وعنوان هذا الكتاب للقاضي أخينا محمد بن عبدالرحمن أطال الله بقاءه سعيداً ، وأكرمه بطاعته مؤيداً رشيداً ، من عبدالله المهدي لدين الله محمد بن

---

(١) في نسخة (فقل).

الحسن بن رسول الله ﷺ وآله .

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1] : ومن مليح نادرته رضي الله عنه : أنه كان بالديلم رجل يعتقدون فيه أنه فقيههم ، يعرف بأبي علي بُنْديره ، وكان رضي الله عنه يتأذى[2] به . فقال بنديره هذا- يوما وهو في جحفل من الناس- : أيها السيد صف لنا صفة المنافقين . فقال رضي الله عنه : نعم ، من صفة المنافق أن يكون رجلا عليه صوف يضرب لونه إلى الصفرة ، ويكون ربعا من الرجال ، قد حلق شاربه . حتى استوفى ما ظهر من صفات هذا الرجل وزيِّه ، فقال له الرجل : أيها السيد ، هذا هو صفتي ، قال : نعم ؛ لأنك منافق . فضحك الناس من ذلك الرجل وصار ما جرى نادرة عليه إلى يومنا هذا . وقد كان صاحب طبرستان فزع منهُ فزعا عظيمًا ، وانعقدت هيبته في النفوس لعظيم موقعه من العلم والدين والشجاعة والشهامة والأبوة والبيت الرفيع ، ولكن لم تساعده المقادير .

وسمعت بعض عرب نصر بن محمد الاسفندار الذين شهدوا الوقعة يصف تلك الوقعة وثباته رضي الله عنه فيها ، ويقول : لما رأينا الرآية البيضآء وقد صعدت من الوادي لحبت قلوبنا ، فلم نثبت ولينا منهزمين . وكان أكثر قتاله رضي الله عنه بالسيف ، وكان معه سيف يقالُ : إنه كان لحمزة بن عبدالمطلب .

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: ومن تأثيره العظيم في باب الدين أن الديلم كانوا يعتقدون أن من خالف القاسم عليه السلام في فتاويه فهو ضال ، وكل قول يخالف قوله ضلالة ، والجيل يعتقدون مثل هذا في قول الناصر رضي الله عنه ، ولم يكن يُسمع هناك قبل دخوله إلى تلك الناحية أن كل واحد من القولين حق ، فأظهر رضي الله عنه هذا المذهب فيما بينهم ، وهو أن كل واحد منهما حق وصواب ، وتكلم فيه وبينه لهم ، وناظره قومٌ منهم كانوا معدودين في جملة الفقهآء ، وهم بالديلم القاسمية ، وقد

---

(١) الإفادة ١٤٩ .

(٢) في الأصل : ينادي ، وفي الإفادة : يتأذى ، فأثبتنا الأصوب .

(٣) الإفادة ١٤٧ .

كان فيهم نفر يحفظون كثيراً من مسائل القاسم ويحيى عليهما السلام، وإن لم يكونوا يتحققون بالنظر ولا يعرفون طريقة ولا يفهمون[1] أكثر ما يورد عليهم فيما يتعلق بهذا الجنس، فأما الجيل فما كان فيهم من ينتهي إلى هذا الحد أيضا، وإنما كانوا عواما مقلدة إلا أنه كان فيهم تعصب شديد في هذا الباب، وكان بعضهم يفسق بعضا في هذه المسألة، وربما كفروا، وأكثرهم كانوا لا يحفظون في هذا الباب إلا مسألة البنت مع العصبة[2]، فيجري بين الطآئفتين فيها من النزاع والتضليل والتفسيق ما هو معروف، وقد بقي هذا الخلاف يعد في كثير منهم إلا أن من يرجع منهم إلى تحصيل ودراية وفكر في الدين قد رجعوا عنه، والسبب فيه بركاته رضي الله عنه وكان يتعب معهم في تبيين هذه المسألة، ويضجرونه بجهلهم، وإيراد جهالاتهم عليه معتقدين في أنفسهم أنهم يناظرونه، إلا أن آخر الأمر اعتقد هذا القول أكثر من يرجع إلى ضرب من الدين من الطآئفتين، وشاع بعد أن كان أحد لا يجسر على أن يتكلم به قبله، واستمر ذلك بحشمته وهيبته واعتقاد الجماعة فيه على الجملة أنه عالم متفق على علمه مع قدح كثير من جهالهم فيه، ووصفهم له بأنه معتزلي مرة وبأنه حنفي أخرى، وظهر هذا الصلاح ببركته وبقي إلى يومنا هذا. وأقام رضي الله عنه بهوسم إلى أن مضى لسبيله، ودفن سنة ستين وثلاثمآئة بهوسم. وقبره هناك مشهور مزور، وقد كان كافي الكفاة نفعه الله بصالح عمله رضي الله عنه، أخرج صدرا من المال لما ورد جرجان للإنفاق على مشهده، وقيل: إنه رضي الله عنه سُمَّ وجعل السم في جام حلوى أهدي إليه فأكل منه، وكان أبو سعيد الأبهري المتكلم تولى غسله، فكان يحكي لنا أنه كان مسموما، وكان يقول: لما نظرت إليه عند الغسل شاهدت علامات السم، فزدت من بكاي وصحت، وقلت: سم سيدي عليه السلام[3].

---

(١) في (أ): يفقهون.

(٢) مثالها: رجل مات وخلف بنتا وأخا فإن للبنت الميراث كله.

(٣) الشافي ١/ ٣٢٤.

الإمام المنصور بالله القاسم بن علي عليهما السلام[1]

هو: أبو محمد القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلاليه أنوار الصباح، ويعذب ذكره في الأفواه عذوبة المآء القراح، وكل آبآئه عليهم السلام قد ضرب الفخر عليهم رواقه، ونطقهم الشرف الأكبر نطاقه[2].

نشأ عليه السلام على طريقة سلفه الأكرمين، وآبائه الغر الميامين سلام الله عليهم أجمعين في العلم والعمل، ثم وصل إلى اليمن أولا من ناحية الشام لاستدعاء أهله لما تتابعت الجراد عليهم، وأكلت ثمارهم وزرعهم، فعند وصوله صرفها الله تعالى عنهم، ولم يكن شيء في أيامه عليه السلام، وكان مشهوراً بالبركة، فلذلك قصدوه، وعاود إلى (ترج) من أرض خثعم فأقام بها، وولاته يتصرفون فيما يليه من الجهات والنواحي خاصة من أرض سنحان وأرض جنب كلها وبلد يام[3].

ثم بعث رسله عليه السلام إلى اليمن في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاثمآئة، لاستنهاض الناس إلى بين يديه، وحمل ما أُنفق من الأعشار إليه، وأصحبهم كتابا إلى الناس عمومًا، فوصلت الرسل إليهم فقام في ذلك رجال من المسلمين من البونين والخشب والمشرق والصيد، وجمعوا من البر والزكاة عشرة آلاف درهم، واجتمعوا في البون لعشر باقية من شهر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين

---

(١) سيرة الإمام المنصور للحسين بن أحمد يعقوب، طبقات الزيدية ٢/ ٨٥٩، مآثر الأبرار «خ» اللآلي المضيئة «خ»، أئمة الزيدية ١/ ٧٥-٨٢ بلوغ المرام ٣٤، تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٣٣٠، ٢/ ٢٦٣، التحف شرح الزلف ٢٠٢، وتاريخ اليمن للواسعي ١٨٩، وغاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٢٧ مطمح الآمال ٢٣١، أعلام المؤلفين الزيدية ٧٧٣، معجم المؤلفين ٢/ ٦٤٥.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

وثلاثمآئة، وساروا حتى انتهوا إلى صعدة فانضاف إليهم جماعة من الناس، ثم ساروا حتى وصلوا إلى الإمام القاسم عليه السلام وهو إذ ذاك في أسفل وادي بيشه، فلقيهم أولاده جعفر وعلي وسليمان عليهم السلام بنو القاسم عليه السلام في رؤسآء خثعم وعربها، ثم قدموا على الإمام في حصن له، وكان قد شكى شكوى منعته عن اللقاء لهم، فقعد في موضعه وأقبل إليه خلق كثير من خثعم عند قدوم أهل اليمن، فأقاموا عنده عليه السلام مدة أيام، ثم نهض بهم حتى وصل بالقرب من صعدة وأقام بها أيامًا، وهو يفرق عماله، ويقرر لهم الرسوم الشرعية[1].

وكان من كتاب له إلى أهل نجران بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، أما بعد: فإنه لا خطأ بعد تذكرة، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عذر من اعتذر، وتجاوزت عن خطيئة من قصّر، فتعوضوا من سيئاتكم إحسانا، ومن زللكم استمكانا، واعلموا أن من يرجع من سيئته كمن لم يسيء، ومن عاد في غيه نحس وغوى، وقد عرفتم جميعا أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته، ولا توبة للتآئب حتى يندم على خطيئته، وقد أظهرتم جميلاً ثم شكرتم عليه، فحوطوا قولكم بالتمام، وأنفسكم بالإسلام، واعلموا أن الإسلام حرمة ترعى، وللديانة أوامر لا تعصى، ومن قصر عن بعض ما أمر الله به كمن أضاع جميع أمره ونهيه، والله يقول- وقوله الحق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الانعام:٨٢] [2].

ثم أقام بصعدة حتى كان نهوضه يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، واستقرت أوامره النبوية في كثير من الأقطار اليمنية، ودخل صنعآء واستحكم أمره في مخاليفها، وانتشر في كثير من اليمن ودوخ كثيراً من الأعدآء واستولى على بلادهم، مجريا لأحكام الله قآئمًا بشريعة رسول الله

---

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩-٢١.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ٢٧.

ﷺ، غير وان ولا مقصر، وكان يقود الجنود الكثيرة، فإن في الحكاية: أنه حدث عليه خلاف من بعض أهل نجران، فأمر إلى ولاته في صنعاء وأعمالها، فجمعوا الجنود الكثيرة منها ومن الخشب والبونين وغيرهما من بلاده[1].

ثم نهض إلى نجران في عسكر ضخم بلغ عدد الخيل فيه ألف فارس سوى نيف وثلاثين فارسًا، وعدد الرجال ثلاثة آلاف راجل ومآئتين وأربعين راجلا، فلما استقروا في نجران دمروا أضداده وسلسوا قياده، وعاد عليه السلام بجنده المنصور إلى صعدة مظفرًا منصورًا، ثم أمر بدراهم قد كانت حصلت معه من نجران، وضم إليها شيئا كان في صعدة من خراجها، فأمر بأن يقَصَّد ذلك على جميع العسكر، فحصل للفارس مآئة درهم، وللراجل ثلاثون درهمًا، فقبض من ذلك بعض العسكر وكرهه الأكثر استقلالاً له، فلما علم عليه السلام بذلك خرج وجُمع الناس له، فتكلم معهم بأن قال: يا جميع شيعتي وجنودي وأهل طاعتي قد دعوتكم فأجبتم، واستنصرتكم فنصرتم، وأنا كثير الشكر لكم، والثناء عليكم عند الله بدءًا وعند كافة ولد آدم، ثم قال في آخره: أما ظنكم أني بخلت عليكم بشيء سوى ما أمرت بتقسيمه زادًا لكم، فبالله وحق جدي رسول الله ﷺ ما ذخرته عنكم، فاعذروا ابن نبيكم ولا تطلبوه ما لا يطيق فيحبط أجركم[2].

قال الراوي: فلقد رأيت أَعْيُنَ كثيرٍ ممن حضر تفيض بالدمع، ثم عاد عليه السلام إلى منزله، وعادت جنوده وولاته إلى كل ناحية، ثم جرت الأمور على سنن الاستقامة، وخُطب له في مخلاف نواحي جعفر وكحلان وما يليه، ولم يزل دأبه عليه السلام إقامة قناة الدين وإخماد نار الملحدين، وكان إذا حضر معركة نازل أقرانها، وأنزل فرسانها، واثبًا عند الصولة، راكدًا عند الجولة، وازعًا لأرباب الظلم، راعيًا حرمة أهل العلم، كثير الوطأة واللين، معروفا بتقريب المساكين، دمث

---

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ٣٣.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩٩ وما بعدها.

الشمـائل ، جزيل النائل ، يؤثر على نفسه عند الحاجة العارضة ، طالبا رضى الله العلي الأعلى ، مقتفيًا سنن المصطفى ﷺ النجبآء ، وكانت مكاتباته ومخاطباته مشحونةً بالحِكَم. فمن ذلك ما كتبه لولده علي وقد ولاه على بلاد وادعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم يا بني أرشدك الله وأسعدك ، أن حكمآء الأمة من جَعَلَ الأناءة نصب عينيه وشعار قلبه ، ثم استظهر بأرآء ذوي التجربة الذين كثرت عليهم نوائب الزمـان وتتـابع الحـدثان ، وأنت غر من الزمـان ومـا يدور به على الإنسان ، فـإن استشرت من قَد نقَّحت التجربة عقله رشدت وسعدت ، وليسَ كلُّ الناس يستشار ، فإنما الرأي لأهل العقول الرصينة ، والديانة والأمانة ، وليس رأي الواحد يكاد أن يبين صوابه إلا لمحصل حكيم ، فإذا أردت بيان الرأي فشاور جماعة من ذوي الرأي كلاً على حياله ، فإن اتفقت آراؤهم فلن يكون مع الإجمـاع خطأ ، وإن افترقت واختلفت فخذ منهـا بما أوجب العفـو والأناة ، واجعله المقدم ، فإنك مع ذلك ستدرك الفآئت وتأمن الندامة ، فهذا وجه اجعله مقدم أحوالك ، ، واجعل لجميع متصرفاتك أن تستشير في مأكلك ومشربك ما لا مشورة فيه ولا غنى عنه ، لكنْ ضربته مثلا ؛ لئلا تدع المشورة في صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير ، الله الله وأحذرك نفسك ، فإنَّها من أعداء أعدآئك لك ، وأشدهم مضرة عليك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [سورة يوسف : ٥٣] ، وقال عزّ وجل : ﴿ وأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] ، والهوى فاصل كل معصية .

وقَد قال ﷺ : وإذا خطر ببالك خاطران فخذ بأكرههما إليك ، فإن الرشد فيما تكرهه النفس ، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها من وقتك هذا إلى آخر عمرك ، فإن أجبت دعوتها وَضَعَك ذلك وأذهب بَهاك ، ونَظَرك بعين الدنآءة

من عاداك، وسآء ذلك من والاك، والْزَمْ الصبر فإن الصبر مفتاح الفرج وقل من صبر فلم يحصل حاجته، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه الصبر، وآحذرك إدناء من ينقصك إدناءُه، وتقلل من الناس ما استطعت، فإن مثل خيارهم كمثل الدر، ومثل شرارهم كمثل الصخر، فالدر خفيف محمله كثير منفعته، والصخر ثقيل محمله قليل نائله، وآحذرك الرغبة في الدنيا فإنها فضّاحة كشّافة، وليس تُدرك لها غاية، وأحذرك أن تطلب حوآئجَك معًا فيثقل عليك مطلبُها، ويُحزنك فوتُها، واطلبها بددا فإن ذلك أحرى لنيلها، وأخف لتكلّفها لمن كُلِّفها. فهذا وجه فاعرفه ولا تغلط فيه، وهو الذي أخل بكل من دخل في مدخلك، فكن بمعزل عما يغنيك، ولست تحظى بشيء قَد وصيتك به، إلا أن تتقي الله وتقوم بما حضَّ عليه، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بآثار العلمآء والحكمآء وهذا مفتاح الرزق والنجاة من غضب الخالق، وقَد قال النبي ﷺ: «من عُرِفَ بالحكمة لاحظته العيون بالوقار» والسلام، والله يحفظُك ويصلحُك ويوفقُك.

ومن رسالة له عليه السلام إلى أهل طبرستان روى الإمام المنصور بالله أبو محمد عبدالله بن حمزة عليه السلام منها نكتًا فنقلناها كما رواها؛ لأنَّها لم تتفق لنا كاملة، قال فيها عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم ،الحمد لله رب العالمين، وصلاته على محمد خاتم النبيئين وعلى آله الطيبين، إلى جماعة من آمن واتقى وصدق بالحسنى، ونهى النفس عن الهوى، وآثر الآخرة على الدنيا.

أما بعد: يا شيعتنا الأخيار، وخلف الأبرار، فإنكم تريدون محلة دونها مهلكة مضلة، لا تجاز بغير دليل، ولا تعبر من الزاد بقليل، من سلكها بنفسه ضل، ومن ترك الزاد لها خُذل، آلُ نبيكم أدلآؤكم عليها، وأعمالكم الصالحة زادُكم إليها، فلا تفرطوا رحمكم الله في الزاد والدليل قبل سلوكها، فكم سلكها قبلكم من المفرِّطين فهلك، وكم رام الرجعة منها فمُنِع ذلك، والتسويف والرجاء

يوردان ولا يُصدران، والخوف والعمل يُنقذان ولا يُبطلان. ثم ذكر عليه السلام[1] صدراً من المواعظ والحكم النبوية، ثم قال: أصل التأويل أول الحبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال، أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدال، العالم في غير علمنا كالجاهل بحقنا، الراغب في عدونا كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالمسيء إلينا، الشاكر لعدونا كالذام لنا، المتعرض لنحلتنا كالغازي علينا، معارضُنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما استُرعي، القائم بما لم يُستأمن عليه كالمتعدي بما استُحفظ، الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيئين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة.

ومن هذه الرسالة قوله عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينتظمان بغير زمام، ولا يُؤدى فرضهما بغير إمام، الإقرار بالنبوة لا يصلح إلا مع الإقرار بالذرية، الإقرار بالكتاب لا يصلح بغير نصاب، مقلد الناس كالباني على غير أساس، طالب العلم من غير أهله كمشتري الدر بعد جبره، المؤتم بغير العترة كالأعمى يتبع الأعمى.

ومنها قوله عليه السلام: أما تعلمون رحمكم الله وهداكم أن أصل الهلكة منذ بعث الله سبحانه آدم عليه السلام إلى هذه الغاية، لم يكن إلا بالاحتقار للأنبياء صلوات الله عليهم في أيامهم، وبالذرية من بعدهم إلى أن تقوم الساعة. وعنوان هذه الرسالة من الإمام القاسم بن علي إلى جماعة الشيعة الطبريين العارفين بفضل آل محمد خاتم النبيين.

ثم كانت وفاته عليه السلام أول يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان من سنة

---

(١) في (أ): صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كما يبدو تصحيف من الناسخ.

ثلاث وتسعين وثلاثمآئة [1]. ومشهده عليه السلام بعيان مشهور مزور. أخبرني شيخنا الزاهد بهآء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضي الله عنهما: أنَّهُ كان معه وجع فمسحه بتربته الشريفة فرفعه الله تعالى عن قرب [2].

أولاده عليه السلام: يحيى، وجعفر، وعلي، وسليمان، وعبدالله، والحسين [3].



الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السلام [4]

هو: أبو عبدالله الحسين بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ونسبه النسب الشريف الفآئق، وجوهره الجوهر الشفاف المنيف الرآئق، وكان من عيون العترة في زمانه، وتيجانهم المكللة في أوانه، برز في العلم حتى فاق أهل عصره، وسبق فيه أبنآء دهره، وهو غصن خلافة نضير، وروضة فضل وغدير، مشهور بالزهادة، معروف بالعبادة. له التصانيف الرآئقة في علم الكلام، والكتب الحسنة في مخالفي العترة عليهم السلام، وهي كثيرة قيل: إنَّها تبلغ ثلاثة وسبعين تصنيفا، منها المعجز في علم الكلام، والرد

(١) سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي ٢٨٧.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

(٤) بلوغ المرام ٣٥، التحف شرح الزلف ٢٠٢، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٣٥، معجم المؤلفين ١/ ٦٣١، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٢، الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني بين قادح ومنافح لعبدالله زيد الحوثي «تحت الطبع» هدية العارفين ١/ ٣٠٧.

على القضائية، وغيره من كتبه في الأصول، ومنها تفسير كامل سلك فيه الطريقة الوسطى، وأضحى قدحه المعلى، وشهد بأنه قد تبوأ من الفضل منزلاً رفيعًا ومحلا .

وكانت شجاعته معروفة ومواقفه موصوفة لا يفتقر إلى شاهد ولا يطمع في جحدها جاحد، كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له :

وهل رجل يقول أبي علي يقهقر في مناطحة الشفار

قام بالأمر بعد موت أبيه عليه السلام، وملك من ألهان إلى صعدة وصنعآء، ولم يزل ناعشا للحق داعيا إلى الصدق كابتًا لأرباب الإجرام، معليا لكعب الإسلام، حتى رفع للدين مناراً، وأعز له أنصاراً، وحمى له ذماراً، وقوض أركان الضلال، وكسى الحق ثوب الكمال، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى قتله بنو حماد في بعض حروبه في بعض نواحي البون، قتله رجل من بني ربيح .

وكانت وفاته عليه السلام سنة أربع وأربعمائة وقبره بريدة، وعمره نيف وعشرون سنة، وأعقب ابنتين لا غير . وروى الثقات أن قاتله عليه السلام قُرّبت إليه نار ليتبخر بها فاحترق بها، وكان ذلك دلالة على كرامته وكاشفًا عن فضيلته، ويحق له ذلك وهو من المناضلين عن الدين المجاهدين في سبيل الله رب العالمين. وقد بقي جماعة من أشياعه يعتقدون أنه حي إلى الآن، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كتبنا رسالة في هذا المعنى وسميناها بـ «الرسالة الزاجرة لذوي النهى عن الغلو في أئمة الهدى»، وقد اقتصرنا على هذا القدر؛ لأنَّها لم تتصل بنا سيرته عليه السلام وإلا فله وقآئع جمة .

◆ ◆ ◆

الإمام السيد المؤيد بالله عليه السلام[1]

هو: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زَيد بن الحسن بن عَلِيّ بن أبي طالب عليهم السلام[2].

نسب تعنق له الأنوار، وتغض من شعاعها الشموس والأقمار، ينتهي إلى جوهر النبي ﷺ وآله جواهره، ونمت إلى عنصره الكريم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق، كما قال الشريف أبو علي إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب- الكوفي الشاعر مفتخرا بآبائه عليهم السلام من قصيدة:

إن قومي لقادة الناس بالسيـ	ـف إلى ما أتى به جبريلُ
والنبي الهادي وسبطاه منا	وعَلِيّ وجعفر وعقيلُ
والأولى في حجورهم رضع الديـ	ـن وفي دورهم أتى التنزيلُ
ابن من لا يعطي القياد إذا قلـ	ـتُ أبي حيدر وأمي البتولُ

وكل آبائه عليهم السلام أقمار هدى، وبدور دجى، وبحور جود زاخرة، وسحائب علم ماطرة، وجبال حلم راسية، وكواكب شرف سامية، ويكفيك من شرفهم وجوب الصلاة عليهم في الصلوات التي هي من شرآئف العبادات، وأفضل القربات.

---

(١) سيرة إمام الهدى المؤيد بالله تصنيف الإمام المرشد بالله، الشافي ١/ ٣٢٩، أخبار أئمة الزيدية ١٢٣، نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار، ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٢٩، و٣/ ٢٣٤، التحف شرح الزلف ٢١١، الأعلام للزركلي ١/ ١١٦، اتحاف المسترشدين ٤٨.

(٢) سيرة المؤيد «خ».

وأمه عليه السلام : أم الحسن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي ذكره الشريف السيد أبو الغنائم. وكانت ولادته عليه السلام بآمل طبرستان في الكُلاذجة المنسوبة إليهم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[1].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام مذ نشأ على السداد، وأحوال الآباء الكرام والأجداد، وتأدب في عنفوان صباه حتى برع فيه، واختلف إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وكان وحيد عصره وفريد دهره، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام، والناصر لفقه الذرية الكرام، فأخذ عنه مذهب الزيدية، وقرأ عليه الكلام على طريقة البغدادية. وكان قدس الله روحه في الأصل إماميًّا فوضح له الحَقّ فانقاد له أحسن انقياد. واختلف أيضا إلى أبي الحسين علي بن إسماعيل بن إدريس، وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية، وروى عنه الحديث عن الناصر للحق عليه السلام. وكان أبو الحسين هذا من أجَلّ أهل طبرستان رئاسة وسيراً وفضلاً وعلما. قال مصنف سيرته[2]: وكان عليه السلام في الورع والتقشف والاحتياط والتقزز إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به، وتصوف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغًا منيعا، وحل في التصوف والزهد محلاً رفيعًا، وصنف سياسة المريدين[3].

وكان عليه السلام يحمل السمك من السوق إلى داره، وكانت الشيعة يتشبثون به

---

(١) سيرة الإمام المؤيد.

(٢) هو الإمام المرشد بالله.

(٣) طبعت بمكتبة مركز بدر ومؤسسة الإمام زيد بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف.

ويتبركون بحمله فلا يمكّن أحداً من حمله ، ويقول : أنا أحمله قسراً للهوى ، وتركًا للتكبر لا لإعواز من يحمله[1] . وكان قدس الله روحه يجالس الفقرآء وأهل المسكنة ، ويكاثر أهل الستر والعفة ويميل إليهم ، ويلبس الوسط من الثياب القصيرة إلى نصف الساقين قصيرة الكمين ، وكان يرقع بيده قميصه ، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغ من إصلاحه ، وكان يلبس قلنسوة من صنوف أحمر مبطنة يحشوها بقطن ويتعمم فوقها بعمامة صغيرة متوسطة ، وكان يلبس جوربًا يخيطه من الخرق ثم يلبس البطيط[2] ، وكان لا يتقوت ولا يطعم عياله إلا من ماله ، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال ، وكان يكثر ذكر الصالحين ، وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت شجيّ حزين ، وكان غزير الدمع كثير البكاء ، دآئم الفكر ، يتأوه في أثنائه ، وربما تبسم أو كشر عن أسنانه ، قال القاضي يوسف : صحبته ست عشر سنة فلم أره مستغربا في الضحك ، وكان لا يفطر في شهر رمضان حتى يفرغ من العشآء الآخرة ، وكان يداوم على الصلاة بين العشآئين ، ويطعم في شهر رمضان كثيراً من المسلمين ، وكان يمسك بيت المال بيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد ويفرق على الجند بيده ، ويوقع الخطوط بيده[3] .

وحكي : أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اشتهى يومًا من الأيام لحم حوت ، فبعث الوكيل إلى السمّاكين فلم يجد فيها إلا حوتًا لم يقطع ، وقالُوا : لا نريد أن نقطعه اليوم ، فعاد إليه وأخبره بامتناعهم من قطعه ، فوجهه ثانيًا ، فقال : مُرْهم عني بقطعه ، فأبوا قطعَه ، فلما عاد إليه حمد الله على أن رعيته لا تحذر جنبته ، وأنه عندهم ورعاياه سواء[4] . وكان قدس الله روحه كثير الحلم عظيم الصفح ، يُحكى أنه دخل

---

(١) سيرة المؤيد بالله ١ .

(٢) البطيط : رأس الخف بلا ساق . القاموس ص٨٥١ .

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٢ .

(٤) سيرة الإمام المؤيد بالله ٢ والشافي ١/ ٣٣١ .

المتوضأ ليجدد الطهارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فزعا، فقال له : ما دهاك؟ قال : إني بُعثت لقتلك، قال : وما الذي وعدوك عليه؟ قال : بقرة، قال: ما لنا بقرة وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير، وقال: اشتر بها بقرة، ولا تعد إلى مثل ذلك[1]. وحكي أنه كان قدس الله روحه يسير في طريق كلار، فطلب ممطرا له من بندار صاحبه، فقال : هو على بغل لبيت المال، فأنكر عليه، وقال : متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال، فأمر بإخراجه وتوفير الكراء من ماله. وكان يصرف عليه السلام من خاص ماله إلى بيت المال ما يكون عوضا عما يرسله الكتاب في أول الكتب، ويفرجه بين السطور في الكتاب[2].

وحكي أن شيئا من المقشر حُمل إلى داره لصرفه في مصالح المسلمين، فالتقط منه حبات بعضُ الدجاج التي تُقْتَنى لأكله خاصة، فغرم من ماله أضعاف ذلك، وقيل: إنه صرف الدجاج إلى بيت المال. ورُوي أنَّ ولده الأمير أبا القاسم شكى إليه ضيق يده وقلة نصيبه من بيت المال، واستأذنه في الانصراف فأطلق له ذلك، فقال له أصحابه : إن أبا القاسم فارس فارهٌ لا غنى عن مثله فلو أطلق له ما يكفيه، فقال : إني أدر عليه نصيبه ولا يمكن الزيادة عليه، فإن الله سبحانه أمرنا بالتسوية بين الأولاد والأجانب. وكان له صديق يتحفه كل سنة بعدد من الرمّان، فلما كان في بعض السنين زاد على رسمه وعادته، فسأله عن ذلك؟ فقال: لأن الله سبحانه زاد في رماننا فزدنا في رسمك، فلما أراد الخروج شكى عن بعض الناس، فقال : ردوا عليه رمانه كله، وأمر بإزالة شكايته ودفع الأذى عنه، إلى غير ذلك من الحكايات الجمة في ورعه وزهده وتقشفه[3]. وكان عليه السلام في العلم

---

(١) سيرة الإمام المؤيد ٣.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ٣ والشافي ١/ ٣٣١.

(٣) سيرة الإمام المؤيد٤ .

بحرا يقذف بالدرر، وجَوْنا[1] يهطل بالدرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية وأدرك النهاية. قال مصنف سيرته -قدس الله روحه[2]: كان عارفًا باللغة والنحو متمكنا من التصرف في منظومها ومنثورها. وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وكان فقيهًا بارعًا متقدمًا فيه مناظرا، وكان متقدما في علم الكلام وأصول الفقه حتى لا يُعلم أنه في أي العلوم الثلاثة كان أقدم وأرجح، ولم يبلغ النهاية في العلوم الثلاثة غيره، وإنما تقدم في علم أو علمين، وكان قد قرأ على الشيخ المرشد أبي عبدالله البصري، ولقي جميع علمآء عصره واقتبس منهم وعلق زيادات الشرح بأصفهان عن قاضي القضاة بقراءة غيره.

وحُكي عن الشيخ أبي رشيد أنه قال: لم أر السيد أبا الحسين منقطعًا قط مع طول مشاهدتي له في مجلس الصاحب، وكان لا يُغلَب إن لم يَغلب، وكانا يستويان إن لم يظهر له الرجحان، وذكر بعض من صنف في أخباره أن الصاحب الكافي قال ذات ليلة للحاضرين: ليذكر كل واحد منكم أمنيته، فذكروا، فقال: أما أنا فأتمنى أن يكون السيد أبو الحسين حاضراً، وأنا أسأله عن المشكلات وهو يبينها لي بألفاظه الفصيحة وعباراته المليحة، وكان فارقه إلى أرض الديلم.

ويحكى أن يهوديًا متقدمًا في المناظرة والمجادلة قَدم على الصاحب، فاتفق أنه حضر مجلس الصاحب فكلم اليهودي في النبوءآت حتى أعجزه وأفحمه، فلما قام من المجلس ليخرج، قال له الصاحب: أيها السيد أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب[3]. وحكي عنه- قدس الله روحه أنه قال: عزمت على أن أسافر إلى الأهواز للقاء قاضي القضاة أبي أحمد بن أبي علان وسماع مختصر الكرخي عنه، فأنهيت إلى الصاحب ما وقع في قلبي، فكتب كتابا

---

(١) في(أ): سُلَيْلَة مستديرة مغشاة تكون مع العطارين. مختار الصحاح ص١١٨.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ص٥.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٦.

بخط يده وأطنب في وصفي ورفع عن قدري، حتى كنت أستحيي من إيصال ذلك الكتاب، فأوصلت الكتاب إلى قاضي القضاة، فقال: مرحبا بالشريف، فإذا شاء افتتح المختصر ولم يزد على ذلك، ولا زارني بنفسه مع تقاعدي عنه من الغد، ولا أزارني أحدًا من أصحابه، فعلمت أنه اعتقد في كتاب الصّاحب أنه صدر عن عناية صادقة لا عن حقيقة، فقعدت عنه حتى كان يوم الجمعة حضرت الجامع بعد الظهر ومجلسه غاص بكبار العلمآء فقد كان الرجل مقصودا من الآفاق، فسُئِلَ القاضي أبو أحمد مسألة كلامية وكان لقي أبا هاشم، فقلت: لما توسط في الكلام إن لي في هذا الوادي مسلكا، فقال: تكلم، فأخذت في الكلام وحققت عليه المطالبات، ثم أوردت أسئلة عرقت فيها جبينه، فامتدت الأعين نحوي، فقلت بعد أن ظهرت المسألة عليه: يقف على فضلي القاضي. وسئل شيخ إلى جنبه عن مسألة في أصول الفقه، فلما أنهى السائل ما عنده قلت: إن لي في هذا الجو متنفسا، فقال القاضي: والأصول أيضا؟! فحققت تلك المسألة على ذلك الشيخ فظهر ضعفه فسامحته. وسئل شيخ عن يساره عن مسألة في الفقه، فقلت: إن لي في هذا القطيع شاة، فقالُوا : والفقه أيضا؟ فأوفيت الكلام في تلك المسألة أيضا حتى تعجب الفقهآء من تحقيقي وتدقيقي، فلما ظهرت المسألة كان المجلس قد انتهى، فقام القاضي من صدره وجاء إلى جنبي، فقال: أيها السيد، نحن ظننا أن الصدر حيث جلسنا فإذا الصدر حيث جلست، فجئناك نعتذر إليك من تقصيرنا في بابك، فقلت: لا عذر للقاضي مع استخفافه بي مع شهادة الصاحب بخطه، فقال: صدقت لا عذر لي، ثم عادني من الغد في داري مع جميع أصحابه وبالغ في التواضع، فحضرته فقرأت عليه الأخبار المودعة في المختصر فسمعتها بقرآءته وأمدني بأموال من عنده فرددتها، ولم أقبل شيئا منها وقلت: ما جئتك عافيا مستمنحا، فقد كان حضرة الصاحب أوفى حالا وأسهل منالا، ولم يكن هناك تقصير في لفظ ولا تفريط في لحظ، ففارقته فشيعني مع أصحابه مسافة بعيدة

وتأسفوا على مفارقتي.

وله عليه السلام التصانيف المعجبة فمنها في الأصول: كتاب النبؤات، وهو يدل على غزارة علمه في الأصول، ثم في الأدب فإنه بين المعارضات التي عورض بها القرآن الكريم، وكشف عن إدحاضها وأبان غوارها بكل وجه، وسلك في ذلك من طريقة علم الأدب ما يدل على علو منزلته وارتفاع درجته. وله في الأصول: التبصرة كتاب لطيف[1]. وله في فقه الهادي عليه السلام: كتاب التجريد وشرحه أربعة مجلدات استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر، وأحسن فيها كل الإحسان. وله أيضا: البلغة في فقه الهادي. وله في فقه نفسه: الإفادة مجلد، والزيادات مجلد علق ذلك أصحابه عنه، وفيه كل مسألة عجيبة وفتوى غريبة، ولهذين الكتابين شروح وتعاليق عدة، ومهما طلبت الغرائب فإنها توجد في فقهه عليه السلام منصوصة[2].

ولقد حكى بعض أصحابنا الواصلين من ناحية العراق وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي اللنجائي رحمه الله أنه بات ليلة من الليالي ومعه رجل من الصالحين، فبات ذلك الرجل يعبد الله عز وجل، والسيد المؤيَّد بالله بالقرب منه فلما طلع الفجر قام المؤيَّد لصلاته، فقال له ذلك الرجل: أيها السيد أتصلي بغير وضوء؟ فقال: لم أنم في هذه الليلة شيئا، وقد استنبطت سبعين مسألة. ولقد كان علماء عصره يعجبون من تحقيقه وشدة تدقيقه، ولا عجب من أمر الله يؤتي فضله من يشاء، ولذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المزية على من عداهم والفضل على من سواهم.

ولقد سمعت شيخنا العالم الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعاني رحمه الله يحكي: أن السيد المؤيَّد بالله قدس الله روحه لما توفي

---

(١) تحت الطبع بمكتبة مركز بدر بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف.

(٢) سيرة الإمام المؤيد بالله ٦.

وأقبل الناس إلى أخيه السيد أبي طالب عليه السلام يسألونه، فقال له قائل: أين كان هذا العلم في حياة السيد أبي الحسين؟ فقال: أو كان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحسين في الحياة؟ مع أن علم السيد أبي طالب غزير وفهمه جم كثير على ما يُحكى ذلك. وروينا أنه قيل لأخيه السيد أبي طالب عليه السلام: أتقول بإمامة أخيك؟ فقال: إن قلنا بإمامة زيد بن علي؛ فما المانع من القول بإمامة أخي! فانظر كيف شبهه عليه السلام بأعلى الأئمة قدراً وأغزرهم علمًا؛ لأنا قد بينا أنه أقام خمسة أشهر يفسر سورة الحمد والبقرة وذكرنا غير ذلك مما يكثر.

قال مصنف سيرته[٧]: وسمعت الشيخ أبا الفضل بن شروين رحمه الله يقول: دَع أئمة زماننا إنما الشك في الأئمة المتقدمين من أهل البيت وغيرهم، هل كانوا مثل هذا السيد في التحقيق في العلوم كلها أم لا؟ قال: وسمعت القاضي أبا الحسن الرفاء يقول: ليس اليوم في الدنيا أشد تحقيقا في الفقه من السيد أبي الحسين الهاروني.

وحكي أن المُؤَيَّد سئل عن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة في مجلس الصاحب، فكلمه القاضي أبو القاسم بن كج، وكان إمام أصحاب الشافعي، وآلَ الكلامُ إلى جميع من حضر من الفقهاء فانقطعوا في يده، فقال الصاحب يقال: لاعلم لطائفة فيهم هذا الأسد - يعني: المُؤَيَّد بالله. وحكي أنه ورد عليه من كلار مسائل صعبة على أصول الهادي، فأجاب عنها وهذه المسائل موجودة، فقال الصاحب: لست أتعجب من هذا الشريف كَيفَ أتى بهذ السحر، وإنما أتعجب من رجل بكلار كَيفَ اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة [1]. وكان له عليه السلام أصحاب فضلاء نجباء من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، فمنهم: السيد الفاضل العالم الموفق بالله أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليه السلام وهو ممن له

---

(١) سيرة الإمام المؤيد ٧.

التصانيف الفائقة الرائقة في علم الكلام وغيره، والقاضي أبو الفضل زَيد بن عَليّ الزَيدي، وكان من بيت العلم والرئاسة، ومنهم أبو منصور بن شيبة الفرزاذي.

والشريف ما نكديم أبو الحسين أحمد بن أبي هاشم محمد بن عَليّ بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد الأعرابي بن محمد بن الحسن بن عَليّ بن عمر الأشرف بن عَليّ بن الحسين بن عَليّ بن أبي طالب عليهم السلام الخارج بعده بلنجاء سنة سبع عشرةوأربعمائة، والشريف أبو القاسم بن زَيد بن صالح الزيدي، والشريف محمد بن زَيد الجعفري، ومن أصحابه في الزهد والعبادة الشريف أبو جعفر الزيدي، وكان قد استدعاه غير مرة ليستخلفه فأبى، ولم يجبه لاشتغاله بنفسه وإقباله على زهده، ومن أصحابه الفقيه أبو القاسم بن تال، وهو الذي هذّب مذهبه وهو الذي جمع الإفادة والزيادات، ومنهم: أبو بكر الموحدي القاضي، قرأ عليه فقه الزيدية، ومنهم: القاضي يوسف الخطيب وأبو الحسين الآبسكوني، ومن أصحابه ومبايعيه: أبو عَليّ بن الناصر خلّفه بجيلان، وعاد إلى آمل بالآخرة وقالوا: لا تحسبوا أني فارقت المُؤَيَّد بالله من غير إذنه، لا والله لم أخرج من عنده إلا بإذنه، وأنا أقول بإمامته ولا أعرف في هذا الزمان رجلاً أفضل منه، ومنهم: أبو عبدالله الحسين بن محمد بن سياه سيربنجان[1].

وفي الحكاية أنه ﷺ كان في بعض الليالي يطالع مسألة مع الملحدة الدهرية، فاشتبه عليه جواب مسألة فأمر باتخاذ مشعلة وقصد باب قاضي القضاة بعد قطع من الليل وهدوء الناس والأصوات، فأُخبر قاضي القضاة بحضوره، فاشتغل خاطره وهيأ مكانا وجلس فيه حتى إذا دخل عليه وجاراه في تلك المسألة وانفتح له جوابها واتضح لديه ما كان منها، قال له قاضي القضاة: هلا أخرت إلى الغد وتغيبت في هذا الوقت؟ فقال المُؤَيَّد مغضبا من كلامه متعجبًا: ما هذا بكلام

---

(١) سيرة الإمام المؤيد ٧.

مثلك، أيجوز لي أن أبيت وقد أشكلت عَليّ مسألة، ويمكنني أن أجتهد في حلها؟ فاعتذر إليه قاضي القضاه، وقال : إنما ذكرت هذا الكلام على الرسم الجاري من الناس وطيّب قلبه وعاد إلى منزله[1].

وحُكي أنه وقع بينه وبين قاضي القضاة وحشة واستزاره بسبب مسألة الإمامة، فتقاعد عن لقآئه حدود شهر حتى ركب إليه قاضي القضاة، وقال له: قد بلغك حديث جدك الحسن بن عَليّ وأخيه الحسين، وقول الحسين: لولا أن الله فضلك في السن عَليّ حتى أن يكون السبق لك إلى كل مكرمة لسبقتك إلى فضل الاعتذار، فإذا قرأت كتابي هذا فاسبق إلى ما كتب الله لك من حق السبق والبس نعلك وقدم في العذر والصلح فضلك. فقال المؤيَّد بالله: قد أطاع قاضي القضاة أيضا فضل سهمه وعلمه، وعمل بمقتضى ما زاده الله من سهمه، واعتنقا، وطالت الخلوة والسلوة بينهما، وكان الصاحب يقول: الناس يتشرفون بالعلم والشرف، والعلم والشرف يتشرف بقاضي القضاة، والشرف ازداد شرفًا بالشريف أبي الحسين.

وكان الصاحب يعظمه كل الإعظام، وكانت يمينه للسيد المؤيَّد بالله، ويساره لقاضي القضاة، وكان لا يرفع فوق المؤيَّد بالله أحدا إلى أن قدم العلويُّ رسولاً من خراسان، وكان محتشما عند السلطان ملك الترك الخاقان الأكبر مبجلا عنده، حتى إن الصاحب استقبله فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه، فلما دخل المؤيَّد بالله رآه على مكانه فتحير، فأشار إليه الصّاحب أن يرتفع إلى السرير الذي استند إليه الصاحب، فصعد المؤيَّد بالله إلى السرير وجلس في الدست الذي عليه. وكان عليه السلام يزور الصالحين، فبلغه عن رجل صلاحًا في بعض قرى ديلمان، فمضى لزيارته في جماعة من أصحابه، فلقيه الرجل خارج موضعه

---

(١) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩.

وكان لا فراش له إلا ما نسجه من أغصان الشجر، ولا يتوسد إلا آجرتين عملهما، فقال له: ما لنا فراش ولا مكان تجلسون فيه، فقال عليه السلام: لو كان لك فراش أو حاله لما زرناك، فالملوك كثير وأهل الحالات فلسنا نزورهم ولا نراهم أهلاً لذلك.

وكانت له عليه السلام كرامات تشهد له بالفضل، فمنها: أنه كان في اليوم الذي أسر فيه قدس الله روحه قصده رجل من الجيل ولطمه، فدعا عليه وسأل ربه أن يسلط الأكلة على يديه، فعن قريب اسودت يداه ووقعت فيهما الآكلة حتى ذهبتا. قال مصنف سيرته قدس الله روحه [٨:٩]: وسمعت جماعة تحكي أن بُندار وزير الكيَّا أبي الفضل الثائر في الله لما أُخبر أنه احترقت داره بهوسم في الفتنة التي كانت بها بسبب إحراق مشهد الناصر بآمل قال: إن هذا العاصي الكاذب خرب داري يعني بذلك المُؤَيَّد بالله، فأنهي ذلك إلى المُؤَيَّد بالله فلم يسمع، فشهد بذلك جماعة فقال عند ذلك: اللَّهم خذه مفاجأة، ولا ترزقه الشهادة عند موته، فعن قريب مات بغتة مفاجأة، بحيث كان جالسا فاستلقى على قفاه فإذا هو ميت من غير وصية ولا توبة. وروي عن السيد أبي الحسين زيد بن الحسين الأشتري الجرجاني: أن عياضاً الثعلبي حضر مجلسا بجرجان جرى فيه ذكر المُؤَيَّد بالله، وذكر بعضهم أن الله سبحانه يُعينُه على الحَقّ وينصره، فقال العياض الثعلبي: برئت من إله يعينه، وقال عقيب هذا القول: أوجعني بطْني، وتعلق ببطنه وعاد إلى داره ومات في تلك الليلة. قال: وسمعت هذا السيد يقول: إنَّ أبا عمرو الفقيه القصّار الجرجاني حضر مجلسا بجرجان في أيام الأمير فلك المعالي، فذكر بعضهم أن السيد أبا الحسين الهاروني إنما يطلب بما يفعل الدنيا وليس يعمل لله سبحانه، فقال أبو عمرو: كذلك أبوه عَليّ بن أبي طالب كان يحارب معاوية وعائشة للدنيا لا للآخرة، وفارق ذلك المجلس وعاد إلى داره،

ففلج في الوقت وما برز من داره بعد ذلك ومات من تلك العلة[1].

وكان عليه السلام في الشجاعة وثبات القلب بالمحل العالي، فإن في الحكاية أن شوزيل لما أسره عليه السلام اجتمع المسلمون عنده، وسألوه أن يفرج عنه فأخرج جوشنًا، وقال: احصوا المواضع التي أصابها المزراق[2] من هذا الجوشن[3]، فبلغ نيفًا وثلاثين موضعًا فقال: من يثبت في المعركة هذا الثبات كَيفَ يفرج عنه ويخلى سبيله[4]؟!

وروي أن بعضهم قال: سمعت شيرأسفار يقول: لولا وقوف المُؤَيَّد بالله يوم حرب آمل مع خمسين رجلا من الثابتين لم يخلص منا إلا اليسير، وكان شير أسفار يعدّه المُؤَيَّد بالله لخمس مآئة رجل. ومن شعره عليه السلام قوله:

تهـذّب أخـلاق الرجـال حـوادث	كما أن عين السبك يخلصه السبكُ
ومـــا أنا بالواني إذا الدهر أمّني	ومن ذا من الأيّام ويحك ينفكُّ
بلاني حـــينًا بعـــد حين بلوتُه	فلم أُلفَ رعديدًا ينهنهـه السَّهكُّ
وحنكني كـيـمـا يقـود أزمّـتي	فطحطحته[5] حنكا وما عقّني الحنكُ
ليــعلم هذا الدهر في كل حـالة	بأني فتى المضمـار أصبح يحتكُّ
ثماني آباءٌ كــــرام أعـــزة	مـراتبـهـا أنى يحـيط بهـا الدركُ
فـمـا مُـدرك تالله يبلغ شـأوهم	وإن يك سـبـاقـا فـغـايتـه الترك
فلا برقهم يا صاح إن شمتَ خُلّبٌ	ولا رفدهم وكس ولا وعدهم إفكُ
بهم زهت الأعراب في كل مشهد	سـكـونٌ ولخـمٌ ثـم كـنـدة أو عـكُّ

---

(١) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩ .

(٢) المزراق: البعير يؤخر حمله إلى مؤخر. القاموس ص١١٤٩ .

(٣) الجوشن: الصدر والدرع. القاموس ص١٥٣١ .

(٤) سيرة الإمام المؤيد ٨، والشافي في ١/ ٣٣٢.

(٥) طحطح: كسر وفرق وبدد إهلاكا. القاموس ص٢٩٦ .

وقال ﷺ يمدح الصاحب الكافي:

سقى عهدَها صوبٌ من المزن هاطل ... تحــيَّى بهـــا تلك الرُّبا والمنازلُ

منازل نجمُ الوصل فــيـهن طالعٌ ... يضيء ونجم الهـجـر فـيـهنَّ آفلُ

ومــرتَبَع للَّهــو بين رُبوعــهــا ... مــســارحــه مـأنوسـة والمناهلُ

رياضٌ حكت أبراد صنعآء رُقْمُهَا ... غـداةَ حـبـاها الوشي طلٌّ ووابلُ

وكل سـحـاب شـافه الأرض قُربهُ ... كـأن التـمـاع البـرق فيـه مشـاعل

سحبنا عطاف اللَّهو في عرصاتها ... وعنّ لنا فــيـهـا غـزالٌ مـغـازلُ

وطابت بهـا الأيام إذ سـمـحت لنا ... بما سـمـحـت والدهر عنهن غـافلُ

وكـان شـبـابي عــاذلا لعـواذلي ... وليس لهـــا في أن تُعـــاتبَ طآئلُ

نَعمْنا بها لم نعرف البؤس والأسى ... فلا الجهل منتابٌ ولا الوصل راحلُ

كــأني أغــرى بالصــبـــابة كلمــا ... وشى بيننا الواشي ولجَّ العـــواذلُ

ليـــالي عينُ الوصل فــيـهـا قـريرة ... كـمـا أن دمع الهـجـر أخرق هاملُ

وإذ لـمَــمي للغـــانيــات صـوآئدٌ ... ولي حـول ربّات الحـجَال حـبـآئلُ

أجــرٌّ ردآئي صــبــوة وصــبــابةً ... همـا شـيَمٌ أرضى بهـا وشـمـآئلُ

إلى أن بدا للشـيب بين مـفـارقي ... أســـاطيــر لم تنهض لهن أناملُ

فللأنس عني حـيث كنت تنكب ... وللهمّ حـولي حـيث سـرت قنابلُ

أتانا الربيع الغض في ثوب عـفـة ... فــجَـــاءَ به أنس من الغي حـآئلُ

إذا حـاول الضـّلالُ إسـعـاف أهله ... فمنْ دون ما يبغي من الصوم خاملُ

كذا من يَسوسُ الصاحبُ القرمُ أمرَهُ ... تتم له النعـمـآء وتزكـوا الفـضـآئلُ

ولما انتحى النيـروز[1] خـدمـة بابه ... تنسك حــتى ليس ينحــوهُ باطلُ

---

(١) النيروز: أول يوم من السنة الفارسية. القاموس ص٦٧٧.

غدا سيفه الظمآن[1] لله مصلتا | على منكب الجوزآء منه الحمآئلُ
وفصل خطاب لم تنله الأوائل | إذا عنّ لم تشمخ بسحبان وآئلُ
تبلّج عنه غرة الدين والهدى | وشخصُ الردى من وقعه متضآئلُ
دعا دعوة لله جرّد سيفها | فللكفر منها حيث شآء زلازلُ
ولما شكت أرض الجبال خُطوبَها | ولاذت به حين اعترتها الغوآئلُ
وأذْرَتْ دموعًا مثل نآئله الذى | يفيض وهل تغني الدموعُ الهواملُ
دعا نحوها عزما كَبَا البرقُ دونه | وكلٌّ لديه السيفُ والسيف فاصلُ
فشق ظلام الظلم عن وجه أهلها | ولم يبق فيها عن سنا العدل عاذلُ
وأوضح فيها للنجاة دلآئلا | وقد غُمرت تلك النهى والدلائلُ
ومن قبل ما حكّمت في كل مارق | أقام مقام الروح منه المناصلُ
صوارم واصلن الطُّلى فألفنها | وإنّ قضايا المُرهفَات فواصلُ
وشردت من ألْفَتْ سيوفُك منهم | ومن دون ما لاقوه تطوى المراحلُ
وليس لهم إلا السيوف منازل | وليس لهم إلا الحتوف رواحلُ
ألا أيُّهذا الصاحب الماجد الذي | أنامله العُليا غيوثٌ هواطلُ
أنامل لو كانت تشير إلى الصّفا | تفجّر للعافين منها جداولُ
وأغنيت حتى ليس في الأرض معدم | وأعطيتَ حتى ليس في الأرض آملُ
وكم لك في أبنآء أحمد من يد | لها معلم يوم القيامة ماثلُ
إليك عقيد المجد سارت ركابهم | وليس لهم إلا عُلاك وسآئلُ
فأعطيتهم حتى لقد سئموا اللُّهى | وعاد من العذال من هو سآئلُ
وأسعدتهم والنحس لولاك ناجم | وأعززتهم والذل لولاك شاملُ
فكل زمان لم تزيِّنْهُ عاطل | وكل مديح غير مدحك باطلُ

(١) في (أ): في الله.

ولما قال أحمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن سكرة :

إن الخلافة مذ كانت ومُذ بدأت ... معقودة بفتًى من آل عباس
إذا انقضى عُمر هذا قام ذا خلفا ... ما لاحت الشمس وامتدت على الناسِ
فقل لمن يرتجيها غيرهم سفها: ... لو شئت روّحت كربَ الظنّ باليأسِ

فأجابه السيد المؤيَّد بالله قدس الله روحه في حال حداثته :

قل لابن سُكّرة: يا نَغلَ عباس ... أضحت خلافتكم منكوسة الراس
أما المطيع فلا تُخشى بوادره ... يعيش ما عاش في ذل وإتعاس
فالحمد لله ربي لا شريك له ... خص ابن داعي بتاج العزّ في الناسِ

ذكر بيعته عليه السلام ونُبذ من سيرته ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام[1] :

كان له عليه السلام خرجات أحدها : في أيام الصّاحب في سنة ثمانين وثلاثمآئة، وبين الخرجة الأولى والخرجة الثانية سنون وفترات، وتابعه[2] الجيل والديلم وعارضه الناصر أبو الفضل، ومال إليه ناصرية الجيل لكونه من أولاد الناصر عليه السلام، وإن كان لايداني المؤيَّد بالله، ولما خرج عليه السلام ووافى جيلان، ونزل قرية من قراها يقال لها: جومة [3] في حدود جيلان وبقي أيامًا واجتمع إليه نحو سبعين رجلا ثم خرج نحو هوسم وانتهى بعد ذلك إلى قرية تدعَى كَذكاهان، فدخل عليه من الغد المسمى جوي الديلمي مع زهاء سبعمآئة رجل فقوي بهم، وانتقل إلى كُذَه قرية بقرب هوسم وأقام بها حدود سبعة أيام، وكانوا لا ينزلون على أحد إلا بإذن وطيبة نفس منه، ولا يتناولون من ثمار أحد إلا بإذن مالكه. فلما كان يوم من

(١) انظر سيرة الإمام المؤيد بالله «خ» ص١١ وما بعدها، والشافي ١/ ٣٣٣.

(٢) في(أ): وبايعه.

(٣) جومة: مدينة بفارس. معجم البلدان ص١٨٩ .

الأيام لم يبرز للناس إلا وقت الظهيرة، وكان يكتب وصاياه في كتاب وصيته، ثم برز إلى الناس وخرج نحو هوسم بعسكره، فما شعر شَوَزيل إلا بعد مجاوزته كساكجان فاستقبله شوزيل بعساكره، وأخذوا في الحرب وانفرجوا، وقد غلبهم المُؤَيَّد بالله وقهرهم وانهزم شوزيل إلى جيلان، واستولى المُؤَيَّد بالله على هوسم وبقي بها سنة واحدة، ثم قصده شوزيل من جيلان وحاربه بباب هوسم، وانحاز عسكرُ المُؤَيَّد بالله وقُتل منهم ثمانون مسلمًا، لا يرى التولي من العدو مع عدة من الفساق، وأسر المُؤَيَّد بالله وحمله إلى قرية في داخل جيلان تدعَى كيجلوم، فبقي في حبسه أياما والمسلمون يسألونه إطلاقه، فيأبى وقال: إِنَّهُ قتل خازني وضاع بسبب تلفه خمسة وعشرون ألف درهم، حتى جاء المسمى دانكين التجني وضمن هذا المال فخلى سبيله وأفرج عنه وأطلقه، ورجع المُؤَيَّد بالله إلى برفجان وأقام بها، وأدى دانكين من مال الضمان عشرين ألف درهم وأدى المؤيد بالله ثلاثة آلاف درهم وترك شوزيل ألفين، ثم عاد المُؤَيَّد بالله إلى الري، ثم امتد إلى آمل وأقام حتى وردت عليه الأعلام من وجوه الجيل والديلم ببذل النصرة له بأموالهم وأنفسهم، فتقدم عليه السلام حتى دخل برفجان، فسارع الناس إلى إجابته ولم يتخلف عنه من له خطر، فانبعث عليه السلام نحو هوسم وأبو زيد الثائري أمير عليها وشوزيل كان بطبرستان، وبلغت عدة عسكره عليه السلام سبعة آلاف رجل، فلما أحس أبو زَيد الثائري بإقبال المُؤَيَّد ترك هوسم وانزوى إلى موضع يقال له: كُلوًا فتبعه المُؤَيَّد بالله فحاربه وهزمه من هناك، فمضى أبو زَيد إلى ملك الديلم، وقتل من عسكره مقتلة عظيمة، وأخذ من أسلحتهم إلى حدود ثلاثة آلاف ترس، ثم رجع المُؤَيَّد بالله عليه السلام إلى هوسم وأقام بها سنتين، ثم عاد الأمير أبو زَيد من ديلمان وأظهر التوبة والنسك، ثم تساير القوم إلى الأمير أبي زَيد وقالوا له: إن أبا الحسين الهاروني ليس بناصري، وإنه قاصر اليد عن عطآئنا، وحملوه على

مخالفته واجتمعوا حتى أحوج المُؤَيَّد بالله إلى مفارقة هوسم والرجوع إلى جيلان فلما قدم جيلان ، أقبل إليه شير أسفار بخيله ورجاله وعاونه ورده إلى هوسم ، فبقي فيها مقدار شهرين ، ثم تقوى الأمير أبو زيد الثائري وآل الأمر إلى أن التجأ المُؤَيَّد إلى جيلان وأقام ببرفجان عند المكنى بأبي شجاع ، ثم أنفق أبو زيد الأموال الجمة على أهل جيلان حتى اغترّ بماله شيرأسفار وخالف المُؤَيَّد بالله ، وخالفه القوم أجمع حتى خالفه أبو شجاع أيضا ، وأخذ أربعين ألف درهم واعتذر بأنه خشي أن لا يتم أمره ويُحْوَج إلى الهرب ، ويفوتني المال ، فأحوج المُؤَيَّد بالله إلى مفارقة جيلان وامتد إلى الري وأنشد :

فررت من العُداة إلى العُدات	وكنت عَددتُهم زُمرَ الثقات
لقد خابت ظنوني عند قوم	يرون محاسني من سيئاتي
يُهيجونَ الغواة عَليّ هيْجاً	وهم شرٌ لديَّ من الغوات

ويقي الأمير أبو زَيد بهوسم إلى أن خرج عليه أبو الفضل الناصري وحاربه وهزمه ، وأقام بهوسم أربعة أشهر ، وخرج الأمير أبو زيد إلى الري وتقرب إلى المُؤَيَّد بالله وأظهر التوبة واعتذر إليه وصالحه ، وواعده أنه إن عاود هوسم أعانه على محاربة صاحب طبرستان ، ثم رجع الأمير أبو زيد إلى هوسم وملكها أياما . ثم إن أبا الفضل بن الناصر جمع عسكرا وقصد هوسم ، وهزم الأمير أبو زيد والتجأ إلى جبل حصين فتبعه أبو الفضل وحاربه وقتله ، ثم ملك أبو الفضل بعد ذلك هوسم أربعة أشهر ، ثم إن آل الثائر بعثوا رسولا إلى المُؤَيَّد وقالُوا : إن قتل أبو زيد فنحن نعينك على مرادك فالحق بنا ، فأقبل المُؤَيَّد بالله إلى ديلمان ، وصالح الاسفندارية- وهم ملوك بعض جبال الديلم- على أن ينهض بهم إلى قابوس ، وسلّمت له قلعة وارْفويه وبقي على ذلك سنتين[1] إلى أن سار نحو آمل ، وصحبه

(١) في (أ) سنين ، وسيرة الإمام المؤيد .

الكيّا أبو الفضل صاحب هوسم مع الكبار الأمرآء من الجيل والديلم، وصحبه الاسفندار المكنّى بأبي جعفر، وولده التابع للمُؤَيَّد المسمى: خُسروشاه بن أبي جعفر صاحب الرويان، وصحبه جميع أصحاب الأطراف من ولاة الكلار والديلمان سهلها وجبلها، فدنَا من أهْلَم، ونزل في الساحل ووطن عساكر آمل على الهزيمة، وكان الوالي بها من جهة الأمير قابوس أبو جعفر محمد بن الحسين الناصر، وكان فيها من الأمرآء جُفتي بن باي والعباس السالمي والإصفهبذ بن أسفاوجين في آخرين.

فخرج المُؤَيَّد بالله عليه السلام من أهلم إلى باب آمل وكان الرأي أن ينزل بباب آمل ولا يحارب مع تعب رجالته، فاستعجل وبادر المحاربة، وانهزم الأكراد الأعراب من عسكر آمل، وتفرق الجيل والديلم وأحسوا بالظفر حتى إن الشيعة استقبلوا الإمام ينثرون ويستبشرون وكانوا كالواثقين بالظفر، وكان قآئد من قواد المُؤَيَّد بالله يسمى ريشكا من كبار شجعان الجيل دخل محلة تنجمادة[1] من أول البلد، فأصاب قلنسوته وبيضته التي كانت على رأسه طرف صفآئح منصوبة لكف المطر تدعَى بالطبرية: كاولي، فنزلت البيضة عن رأسه فانتهز الفرصة جيلي من البغاة فرمى موضع الانكشاف بمزراق، فأصاب أصل أذنه فسقط عن دابته ورفع جثته أصحاب الناصر أبي جعفر فكفنه تكفينا حسنا ورد جثته[2] إلى جيلان تقربا إلى الجيل، فآل الأمر إلى أن انهزم عسكر المُؤَيَّد بالله ونقضوا أتراسهم؛ وكان السبب في ذلك على ما يقال إنه عليه السلام كان نهى عسكره[3] أن يرموا أهل البلد وأن يضربوهم وأن يشعلوا النّار في دورهم، فلما عرف أبو جعفر الناصر أنه أمن الطبرية، وعرف أن التعصب غالب عليهم، وأنهم لا يُعدُّون كثرة، وكانوا نظاره

---

(١) في (أ): تنجادة.

(٢) في (أ): تابوته.

(٣) في (أ) وسيرة الإمام الهادي بزيادة: من.

والليكاني[1] كله حجارة، فأقبل على العوام وقال : ألا ترون هذا العلم الأبيض الذي أقبل عليكم؟ أليس تريدون رفع دينكم؟ فمن رمى منكم بحجر فهذا ختمي له بصيانة داره عن التورد والنزول، وعرف أن هذا من أهم شيء عند الطبرية، فجعل يختم لهم على الشموع ويغويهم ويغريهم بهم، فأخذت الطبرية في الرمي وكسروا الأتراس فوقعت الهزيمة العظيمة في رجال المؤيد بالله حتى بقي وحده بلا راية ونهب بيت ماله، فقال ﷺ لبعض نقبائه : ما الرأي؟ فقال النقيب : انج بنفسك، فقد هربت العساكر، فقال له : انظر في مقدمة عسكرنا، فقال : ليس هنـاك إلا الكيًا أبي الفضل الثائر وشير أسفار فقال : لا سبيل إلى الرجوع فإن أبا الفضل معدود لخمس مائة رجل وشير أسفار كذلك، فكَيفَ أولي وبين يدي ألف، فقال: لا رجالة معهما وهما أيضا ينصرفان، فلما انصرف الكيًا أبو الفضل، فقال له : اخرج في دعة الله لأصونك ولأصحَبُكَ، فقال : إذا كان هنا شيرأسفار فلا يحل التولي، فعاد أيضا شيرأسفار منهزما يقول : أخرج باكيا فمضى باكيا، يقول : أي موضع أولى بالاستشهاد من هذا الموضع؟ فلولا أني أخاف ألا أُقتل على المكان، وأوسر وأحمل إلى قابوس: وهو اللعين سيء الاعتقاد فيسلك معي مسلك الانتقام فيمثل بي ويعذبني بأنواع العذاب، وإلاَّ لم أخرج من هذا المكان، فقالا له: ولأن تعود سالما أحب إلينا من أن تستشهد هاهنا، فركض وركضوا أفراسهم يحفظونه ويحمونه، فحصل تلك الليلة بساحل البحر على شط نهر، ولحق به جماعة من المنهزمين وقد تعبوا وجاعوا ومنهم جرحى فقال المؤيَّد بالله : هل فيكم من يقرضنا دينارا؟ فأقرضه رجل كان معه دينار، فبعث بعض الحاضرين إلى قرية بقُربه وقال : اطلب شيئا من الحلال تشتريه بهذا لهؤلاء الجياع، فذهب الرجل واشترى من فيشكاة القرية شاة مسلوخة وشيئًا من السمن

---

(١) في سيرة الإمام المؤيد بالله : والليكاني .

والعسل وجملة من خبز الآرز، فأمر بتقديمها إلى الجياع، وقدم إلى نفسه رغيفا واحدا وتناول نصفه، وقام إلى الصلاة حتى أصبح ولحق به المنهزمون أفواجا، وقبض أبو جعفر الناصر زهاء ثلاثين رجلا وجعلهم في أقفاص من صفآئح وأصدر بهم نحو جرجان إلى قابوس فقتلوا هناك، وكان قتل ثمانية عشر رجلا من الثابتين، فمضى أبو شجاع الفارسي البزاز والد الشيخ أبي طالب- وكان من أعيان الشيعة- إلى الشيخ أبي عبدالله الخياطي واستفتاه في[1] هؤلآء القتلى فقال: يدفنون بثيابهم فإنهم شهدآء، وذلك السيد إمام الزمان بعد الناصر للحق عليه السلام. فخرج الناصر في سنة ثلاث مآئة مستوى، وهذا إنما ظهر في سنة أربعمآئة مستوى وفي كل مآئة عام يخرج إمام صالح لهذا الأمر من آل محمد صلى الله عليه وآله فقال: كنت أعلم هذا لكني سألتك لرفع الخلاف وحذرا من العامة، فإنهم يقبلون منك، وخرج ودفنهم بثيابهم في طريق الليكاني، تعرف قبورهم بقبور الشهدآء، استوهب تلك البقعة من صاحبها فوهبها. ولما بلغ المؤيَّد بالله إلى ناحية كجوا أخذ خسر وشاه بن الاسفندار في مخالفة المؤيد بالله، وأصعد رجالة إلى هضبة هناك حول الصحرآء، وحصل عسكر المؤيَّد بالله دونهم كأنهم في حلقة وحصار وليس فيهم صاحب ترس وسلاح، ورفع القوم رايتهم وأخذوا يطلبون القتال ويُظهرون العداوة، فاشتغل قلب المؤيَّد بالله وقال: انظروا إلى هؤلآء الظلمة وإلى أفعالهم لا يمكن السكون إليهم، ولا الاعتماد عليهم وعلى مواثيقهم، فبعثوا نحوه رسولا وطلبوا المواثيق والرهائن على أن لا يحاربهم قط وأن يسلِّم قلعة وارفويه منهم، فسلم ابنه أبا القاسم منهم على أن يردّوه إليه متى سلم القلعة منهم، وشرط عليهم أن لا يحبسوا عندهم غير ابنه أبي القاسم، ثم إنهم نقضوا العهد وحبسوا مع السيد أبي القاسم جماعة، فخرج المؤيد بالله مع

---

(١) في (آ) وسيرة الإمام المؤيد بزيادة: معنى.

ثقات الاسفندار ليسلم القلعة منهم، فلما بلغوا (كلار) علموا أن الدّيالمة لا يمكنون من تسليم القلعة منهم فانصرفوا.

فلما بلغ المُؤَيَّد بالله إلى صحرآء (أيكاند)[1] استقبله المسمى أبو حليس[2] الحاجب من ناحية قلعة براز مع عسكر جرَّار ليقبض على المُؤَيَّد بالله من قبل الاسفندار، ولم يكن معه مُتَسَلِّحٌ من جنده، فاتفق أن راية أبي سعيد النيسابوري ظهرت مع جمع كثير، فرجع أبو جعفر الحاجب على عقبه، وعجزوا عن التعرض له، فلما دخل المُؤَيَّد بالله ديلمان وعرف القوم أنه يريد تسليم القلعة استدعوا أبا القاسم إصبهبذ كلار وبايعوه على الموضع المسمى تُنُكايُشته، واستقبلوه محاربين وانهزم رجال السيد، ثم إن المُؤَيَّد بالله (أخبرهم أنه لا يريد تسليم القلعة، وأن القوم انصرفوا فأطاعوه، فلما أيس الاسفندار ولم يمكنه قتل الأمير القاسم أطلقه، فمضى إلى الري، ومن ثَم إلى جيلان، ثم عاد إلى المؤيد بالله)[3]. وكان عاقبة أهل طبرستان بما صنعوا أنهم قحطوا في تلك السنة عقيب هذه الوقعة قحطًا عظيمًا حتى صار رطل خبز بعشرة دراهم، ولولا قرب إدراك الغلة لمات أكثرهم جوعًا، ثم وقع الوباء عقيب القحط فمات خلق كثير، كل ذلك بشؤم البغي ولهم في الآخرة عذاب شديد. فأما قابوس فإن الله قتله شر قتلة، وقُتل[4] أبو جعفر الناصر وجفتي بن باتي[5] والعباس السالمي والإصفهبذ بن أسفا وجين وغيرهم ممن تولى أمر تلك الحرب وسائر العسكر بادوا وهلكوا بشئوم البغي، فلما ولي منوجهر صالح المُؤَيَّد بالله على أن يؤدي إلى المُؤَيَّد بالله كل سنة

---

(١) في الأصل: أيكابذ.

(٢) أظنه لقب لأبي جعفر الحاجب كما سيأتي.

(٣) في (أ) ساقط ما بين القوسين.

(٤) في (أ): وأما أبو جعفر . . .

(٥) في الأصل: بابا، والنسخة (أ): بابي، ولكن قد سبق: باي

ألفي دينار، وجرى على ذلك أياما حتى ظلم إسفندار أهلَ كلار ونواحيها فقدم أهل إيواز[1] ومن قدام شالوس على المُؤَيَّد بالله والتمسوا منه الانتهاء إليهم ليعينوه، فلم يُجب واعتل بأنه لا يثق بوفائهم ولا يحصل على فائدة، وينقطع عنه مال الصلح الذي يبعثه إليه منوجهر فخرجوا، ثم عادوا ثانيًا وثالثًا حتى أقبل الصيف، فقام إلى المؤيَّد بالله عامة أولياء الإسفندار وأكابرهم كأبي القاسم اللؤلؤي وأبي جعفر وسائر أهل كلار وسائر أهل النواحي وأكدوا الأمر، فرضي وقصد نحو كلار، فورد عليه عسكر منوجهر من طبرستان، فقال المُؤَيَّد بالله لابنه الأمير أبي القاسم: تأهب للقتال، فذهب وتأمل القوم وانصرف، وقال: لا طاقة لنا بهؤلاء القوم فإنهم كالبحر الأخضر، فجد المُؤَيَّد بالله في الأمر وقال: لا بد من القتال؟ فعاد الأمير أبو القاسم إلى موضع يُدعى دشتنزير ووقع على القوم مغافصة فانهزموا وأسر جماعة من الأمراء والقواد ونُخب العسكر، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنموا من أموالهم وأسلحتهم شيئًا عظيمًا، وجعل أصحاب المُؤَيَّد بالله يقولون: يوم بيوم، يعنون: إنّا إن رجعنا في أيام قابوس من باب آمل فقد رجعتم من باب كلار على أسوء حال.

ثم إن المُؤَيَّد بالله كاتَبَ منوجهر بعد ذلك بكتاب حسن مشحونا بحجج وآيات وأخبار وأمثال، فصالحوه على بذل ألفي دينار في كل سنة، ثم حدث من بعد فتنة طبرستان وتعصب النواصب على الأشراف والشيعة، وكان ينصر عامة أهل طبرستان ابن سيف الدينوري ويعضدهم، وكان واليًا على آمل من يد منوجهر، واشتد ذلك حتى قدم الشيخ أبو القاسم البستي آمل من الري وأظهر التعصب للشيعة في مجالس التذكير، وسئل يوم الغدير عن الفضل بين عَليّ وأبي

---

(١) في الأصل: إيوان.

بكر، فقال: مثل عَلِيّ كمثل كوز جديد لم يمسه شيء، ومثل أبي بكر مثل كوز كان فيه خمر ودم وأنجاس وأقذار ثم غسل غسلا نظيفا؛ وذلك لأن عَلِيًّا عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين، وأبو بكر كان مشركا أربعين سنة، وإن برئ من الكفر وطهُر من الشرك، فغاظ النواصب هذا المثل لوقوف العامة عليه، وكان في البلد متفقه لم يكن له عند العامة سوق يكنى بأبي إسحاق الصفار، فلما بلغه هذا الحديث غدا من مسجده حافيا حاسرا يخرق بجوف البلد إلى دار العامل المعروف بابن سيف، وتبعته العوام على عادة الطبرية، وعاجوا وجلبوا على باب العامل، وتوصلوا بذلك إلى طرد الشيخ أبي القاسم البستي، فأخرجه ابن سيف قسراً بعد ثلاثة أيام وقد فتن البلد وانعقد للصفاري سوق عند العامة ودامت الفتنة في البلد، وكانوا يقصدون مشهد الناصر عليه السلام، واستعان الأشراف بجماعة من الجيل كانوا يحضرون المشهد ويذبون عنه ويحامون دونه، وقتلوا جماعة من العوام، وقتل من الجيل واحد، ودامت الفتنة واستحكمت الوحشة، ولم يتمكنوا من إحراق المشهد حتى استعان أهل البلد بمشبهة الرساتيق من ناحية إرمبراه[1] من ناحية أهلم، وكان رئيسهم أبو القاسم دابويه، وخاف أبو أحمد الناصر[2] -رئيس الأشراف- على ماله وداره، فراسل سكان المشهد، وأمرهم بمفارقته وتسليمه من القوم ففعلوا، فقصده القوم وأشعلوا فيه النّار وأحرقوه عن آخره ونقضوا المنارة والسور، ثم قصدوا بعد ذلك دار أبي الحسن[3] الناصر وأحرقوها، ثم هدموا مسجداً للشيعة في سكة حازم. ثم حضر الصفاري وخرب المسجد المعروف بزيدكيا العلوي في بقعة تدعى آش ريه، واستمرت الفتنة وهاج الجيل بجيلان يهتجمون ويصولون،

---

(١)في(أ) وسيرة الإمام المؤيد: : إرم براه.

(٢)في(أ): أحمد الناصر القاسم.

(٣)في(أ) : الحسين.

وامتدوا إلى باب المؤَيَّد بالله يلزمونه التقدم إلى آمل للانتقام والانتصاف. فأظهر المؤَيَّد بالله الضعف والعجز عن النهوض بنفسه، وقال: لا أجد لهذا الأمر في الحال غير السيد الثائر في الله أبي الفضل صاحب هوسم، فلما أمره بذلك أبى وامتنع وتقرب إلى منوجهر وأخذ منه المال، فهاج عليه الجيل وهموا بالقبض عليه وأحرقوا داره بهوسم وألجيء إلى الهرب، فلما أيس منه، كاتبَ أبا جعفر الناصر المقيم بالري، وأرسل إليه أبا الحسن الآبسكني، وخاطبه بالسيد الفاضل، فلما قرأ الكتاب، قال: هذا لطفُهُ عند الاستدعاء فكيف لطفه إذا حصلت عنده؟ وامتنع من إجابته. وأنفق منوجهر عشرين ألف دينار بهذا السبب وأعاد عمارة المشهد، وأنفق عليه حدود ألف وسبعمآئة دينار، وقبض الإسفهسلار- المعروف بالحاجب الكبير أسفاوجين بن أصفهان- على المعروف بالصفاري، فأمر منوجهر وأصدره إلى أستراباذ[1] وحُبسَ في قلعة تكريت، وبقي فيها زهاء عشر سنين حتى هلك منوجهر، فتقرب أبو كالجار إلى الطبرية وأطلقه ورده إلى آمل وكان في الكرة الثانية شرا منه في الأولى، ولا زال يتعصب ويتعرض للأشراف والشيعة إلى أن هلك أبو كالجار، فأنهض شرف المعالي إلى آمل للسياسة للأمير ورده أنشا بن أسفرستان الزياري[2]، فساس أهل طبرستان سياسة منكرة وقتل من المفسدين عدة وقتل الصفاري، فلما أعاد منوجهر عمارة المشهد[3] وأرشا كبار جيلان سكنت ثائرة الجيل ولم يمكنهم قصد طبرستان، وانصرفوا من وركروذ، وكان أبو الفضل انحاز إلى كرجيان، فلما انصرف الجيل بلغه أن المؤَيَّد بالله كان ضمن لهم ألفي دينار فلم يدفع، وقيل: بسبب أن ناصرية الجيل قالُوا: إن هذا العز يعود إلى المؤَيَّد

---

(١) في الأصل: استراياد.

(٢) في(أ): وردان شاه بن أسفرستان الزياري.

(٣) في(أ): المسجد.

بالله ولا يعود إلينا، فقصدهم الكيا أبوالفضل مع الكرجية وسد عليهم الطريق من كل جانب فحمل الجيل عليهم وهزموهم بإذن الله وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وخرج أبو الفضل من هناك إلى جيلان واستولى بعد ذلك على هوسم أيضًا، ولم يزل عليه السلام مشجيا للظالمين، معلنا بالدين حتى توفاه الله حميداً رشيداً فقيداً سعيداً.

وكانت وفاته عليه السلام في يوم عرفة سنة إحدى عشرة وأربعمآئة، ودفن يوم الأضحى، وصلى عليه السيد مانكديم الأعرابي القزويني الخارج بعده بلنجا الملقب بعده بالمستظهر بالله، وأديمت الْخَتْمُ على قبره من يوم دفنه إلى تمام شهر، وبُني عليه في لنجا ومشهده فيها مشهور مزور. وفيه يقول القآئل:

عرِّج على قبر بصعدة	وابْكِ مَرْمُوسا بلَنجا
واعلَم بأن المقتَدي	بهما سيبلغ ما ترجّا[1]

وكان عمره عليه السلام تسعا وسبعين سنة، وخلف من الأولاد: الأمير أبا القاسم وحده رضي الله عنه وكان اسمه الحسين وبه كان يكنى، وأولد الحسينُ أحمد، وأولد أحمدُ الإمامَ أبا طالب الأخير يحيى وعَقِبُه كثير؛منهم محمد القآئم في عشر السبعين وخمسمآئة في بلاد العجم من جيلان.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام:

قال قدس الله روحه في صدر كتابه المعروف **بسياسة المريدين** [١٩]: الحمدلله الذي جعل لنا إلى سلوك مناهج الأبرار سبلاً لآئحة، ونصب لنا على لزوم مدارج الأخيار أدلة واضحة، وجعل من تبتل إليه ووقف عليه مشاهدا لدواعي الحق التي ذهب عنها أكثر الخلق، واستنقذهم من أسر الحيرة، وعصمهم

---

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢١٢.

من بوادر الفتنة، وملكهم أزمة قلوبهم، ووقاهم شح نفوسهم، وآنسهم برياض تنزيله، وفهّمهم غوامض تأويله، وجعل لِهَمّهم مطالع في ملكوته، ولضمائرهم مراتع في عظمته وجبروته، حتى عزفت نفوسهم عن أكثر ما لهج الخلق به من الشهوات، وثبتت أقدامهم حيث دحضت أقدام كثير من ذوي[1] الخطيئات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]. والحمد لله الذي جعل التوبة للمذنبين المسرفين على أنفسهم وسيلة ينالون بها متى أخلصوها كل فضيلة، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣ - ٥٥]، وبلغنا أن الله تعالى أوحى إلى نبيه داود ﷺ، أن أنذر الصديقين وبشر المذنبين، فقال: يارب كيف أنذر الصديقين وأبشر المذنبين؟ فقال عز وجل: بشر المذنبين أني أقبل التوبة، وأنذر الصديقين لئلا يغتروا بأعمالهم، أوْ ما يرجع إلى هذا المعنى من اللفظ أو يقرب منه. وصلى الله على نبيه المبعوث نبي الرحمة المبعوث إلى كافة الأمة بالرأفة والرحمة محمد وآله، ثم قال قدس الله روحه في باب ما يستعان به على التوبة [٢٢]:

اعلَم علَّمَك الله الخير أن من أراد أن يحصل[2] لنفسه منزلة التائبين، فيجب أن يملأ قلبه خوفًا وخشية؛ لأن التوبة لا تكاد تتم، وإن تمت لم تَصفُ ولم تدُم مالم يصحبها الخوف والخشية، ثم قال بعد ذلك:

واعلَم أن الخوف للتوبة بمنزلة الأساس للأبنية، فكما أن الأبنية إذا لم تكن

---

(١) في (ب) من أهل الخطيئات.

(٢) في (أ): يجعل.

بُنيت على أساس متين لم تستقم ولم يطل لُبثُها، (كذلك التوبة إذا لم تُبن على الخوف والخشية)[1] لم تستقم ولم يطل لبثها؛ ولهذا كثير من المتكلمين بنوا أمر الخواطر التي ترد على المكلف في أول أمره على الخوف.

واعلَم أن أكثر الأشيآء دواعي وأقربها بواعث على الغرض المقصود في هذا الباب هو الاستكثار في ذكر الموت وإشعار النفس أسباب الفوت والأحوال التي تكون عند الموت وبعد الموت من البلاء في القبر وأحوال النشور والبعث، وأحوال أهل الجنة والنّار، والاستدامة لتصورها وتمكين ذكرها من النفس، حتى ينكسر مرحها، ويخف أشرها، وتكثير إيرادها على القلب حتى يغمره وتستولي عليه.

ومن أحس من قلبه بالقساوة وقلة التنبه فليتصور أحواله عند الغرغرة والنزع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبقى بين أهله طريحًا ذليلاً، وأحوال أهله وأيتامه، وكيف يبكون عليه ويندبونه، وكيف يأخذون عنه ثياب الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يلقونه في الكفن، ويدلونه في القبر، وكيف يبلى هناك، وكيف تعيث الدواب والحيات في لحمة وجلدة، ولينح على نفسه بذلك بصوت شجي في الخلوات وفي ظلام الليل، فإن العلم بهذه الأحوال علم الضرورة، والإنسان قد شاهدها كثيرا، وما يُعْلم ضرورة ويكون مشاهدا يكون تأثيره في النفس والقلب أقوى، فليهتم بهذا الباب اهتمامًا صادقًا. وبلغني أن نوحا عليه السلام سمي نوحا؛ لأنه كان ينوح على نفسه، فإذا ظهر تأثير ما قلنا في القلب والنفس وأجرى دموعه فكّر[2] حينئذ في أحوال البعث والنشور، والجنة والنّار التي طرق العلم بها اكتساب، فإنه ينتفع بذلك إن شآء الله تعالى نفعًا بينا.

وقال قدس الله روحه في هذا الكتاب من باب الإرادة[٥٧]: اعلم أن الإرادة هي طلب الانقطاع إلى الله عز وجل من كل ما سواه، قال الله تعالى:

---

(١) ما بين القوسين ساقط في الأصل.

(٢) في(أ): أفكر.

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٨]، قيل في التفسير: أخلص له إخلاصا[١]، وقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال حاكيًا عن الله تعالى: «ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً وأملأ يديك رزقا، ابن آدم لا تتباعد عني فأملأ قلبك فقراً وأملأ يديك شغلا»[٢]. ثم قال قدس الله روحه: هذه وصية لجنيد بن محمد أثبتناها على وجهها لتعلقها بغرضنا في هذا الباب ولما فيها من عظيم النفع للمريد.

قال أبو القاسم رحمه الله: اعلَم رحمك الله أن الله تعالى ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهممها، فانظر أين ينزلك قلبك؟، واعلَم أنه يوصل إلى القلوب من خيره[٣] ما اتصلت به القلوب من تعظيم أمره، فانظر ماذا يتصل بقلبك، واعلم أنه يُقبل على القلوب حسب ما القلوب مقبلة عليه، فانظر ماذا أنت مقبل بقلبك؟، واعلم أن الله تعالى يخلص إلى القلوب من برّه على ما تخلص القلوب إليه من ذكره، فانظر ماذا خالصه قلبك؟، واعلَم أن الله تعالى يعظم القلوب ويرفعها على حسب ما هي معظمة له، فانظر ماذا الذي تعظم في سرك ويعلو إليه مرادك؟، واعلم أن موانع القلوب في الابتدآء ما مالت عليه من أسباب الدنيا، فاعمل على قطع الأسباب تنل بُغْيَتَكَ من الطلب.

واعلَم أن قليل ما يُنفق[٤] منها في السرآئر يحول بينك وبين نفيس الذخآئر، فاعمل في إخراج ما بقي منها تنل بذلك ما تطلب من خالقها. واعلم أن القلوب إذا تجردت من الأمور الدنيوية صحت وصفت للعلوم الأخروية، فاعمل في ابتدآء أمرك على إخراج ذلك من سرك، واحذر أن يبقى عليك منها شيء مستبطن أو

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي ٣٥٣.

(٢) أخرجه الحاكم عن معقل بن يسار ٤/ ٣٢٦ وقال صحيح: ووافقه الذهبي.

(٣) في الأصل: خيره، والنسخة(أ): من غيره، ولا معنى لها وأثبتناها من سياسة المريدين.

(٤) في(أ): يبقى.

دقيق مراد قد كمن، فيقفك[1] ذلك ويعترض بقدره في صحة المراد، فكن على استعصاء منه، وكن فيها على أحوالك كلها زاهدا، فيصحو عند ذلك عقلك ويصفو قلبك.

واعلم أن هذا أول منزلة من منازل المريدين. واعلَم أنك إن صدقت في إرادتك له صدقك في إرادته لك. وأعلم أن الله تعالى إذا أرادك تولاك وأغناك. واعلَم أنك إن كنت لطاعته مؤثراً كان عليك بمنافعك مقبلا، وكذلك إذا كنت لعهده راعيًا وبأمره عاملا كان بالتأييد لك حافظا، فمنْ شَاهد ذلك في نفسك أنك إذا اعترض لك أمران ميزتهما بالعلم، فإذا كشف لك التمييز بالعلم عن أفضلهما ركبت الأفضل وعملت بالأجزل، ولم ترض في نفسك بالمفضول، فإذا كنت كذلك كنت صادقا، وكان الله تعالى لهمك رافعا، فإذا ارتفع همك وقوي علمك كان ذكر الله تعالى السابق إليك، والعاطف بقربه عليك، ولم تر شيئا أقرب إليك منه، ولا أقرب منك إليه، فإذا خلص لك ما وصفنا فاعتدل واستوى، لم تكن ظاعنًا إلا إليه، ولا نازلا إلا عليه، والعلم من ورآء ما أوصيتك به، فاعمل بوصيتي تنل بها من العلم من ورآء ذلك.

قال قدس الله روحه[2]: وقال بعض الحكمآء: علامةُ المريد إذا صدق في عزمه رفض الدنيا إذا كانت شاغلة للقلب ومفتِّرة له عن طاعة الله تعالى، وأحواله في الزيادة على حسب الكد والاجتهاد والانكماش والمبادرة، وحمل النفس على المكاره، ومفارقة الراحة ومجانبة الرفاهية، وليصحب من يريد ما يريد لتزداد قوة إرادته، وليستوحش ممن يريد ما لا يريد، وليَتقوَّ على ما يريده.

ثم قال قدس الله زوحه في[3]: اعلَم أن أصل هذا الباب ومِلاكُه وما عليه

---

(١) في نسخه فيقعدك.

(٢) سياسة المريدين ٦٣.

(٣) سياسة المريدين ٦٣.

يدور: هو مجانبة الشبهات، وترك ما أمكن تركه من المباحات، وبحسب ما يتركه العبد من المباح يكون فوزه للنجاح، وظفره بالمطلوب ونيله للمحبوب، وبحسب استيفائه[1] وتمتعه له يَفْتُرُ سيره، ويضعف عزمه وإرادته، ويُنشِبُ العدوُّ فيه أظفاره ومخالبه، فمن عزم على طلب الانقطاع إلى الله عز وجل، واستحقاق اسم المريدين، فليوطن نفسه على ترك ما أمكن تركه من المباح، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، فكل ما لا يعنيك فهو من اللغو.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2] وأصل ترك المباح الذي لا بد للمريد منه، ولا يستقيم أمره دونه، ولا يستقيم إلا عليه ولايملك زمام قلبه إلا به هو ملازمة الصمت ومداومة الجوع والعطش. وروي عن النبي ﷺ قال: «من عرف الله تعالى وعظمه منع الله فاه من الكلام وبطنه من الطعام وفرجه من الحرام».

وقال قدس الله روحه: واعلم رحمك الله أن المريد ربما يعرض له فتور قوي واضطراب شديد حتى ينتشر همه بعد أن كان مجموعا، ويشرد[3] فكره بعد أن كان مزموما وحتى يظن أن قلبه [كأن][4] قد صار أعلاه أسفله، فيضيق صدره ويكاد يفسد عليه أمره؛ وقد يكون ذلك لسبب ظاهر، وقد يكون من غير سبب، فلا يجب أن يرتاع عند ذلك ارتياعا يزيد في اضطرابه، ويوهمه مفارقة حاله، بل يجب أن يفر إلى الله تعالى، ويستغيث به، ويستنزل المعونة من عنده،

---

(١) في سياسة المريدين «استغنائه».

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) في (ب): وينشرد.

(٤) ساقطة من كتاب سياسة المريدين.

ويدوم على ذلك، وإن لم يجد للاستعانة[1] الحلاوة التي كان يجدها من قبل لم ييأس[2] من عوده إلى حالته، واستمر على البكاء والتضرع إلى الله تعالى، ومسألته كشف ما به، ويفزع إلى تنبيه القلب بقرآءة القرآن بصوت شجي واستماعها من غيره. و[لينظر] في حكايات المتقدمين ومواعظهم، ويستعين على ذلك بمذاكرة من يكون منهم في زمانه ومجالستهم، واستماع كلامهم، وتأمل أحوالهم، فإن كثر ذلك ودام حتى يغلبه الوسواس، استعمل ما ذكرناه في باب ما يستعان به على التوبة، واجتهد في تحصيل الخوف، وذكَّر نفسه آلآء الله ونعمائه[3]، فإن ذلك مما يُقَوِّي قلبه ويحبس عنه الشيطان.

واعلم أن ما كان من ذلك لغير سبب معلوم كان[4] دَفْعُه أسهل، وانحسامه أيسر، وعودة العبد إلى حالته الأولى أقرب، وما كان من ذلك لسبب ظاهر يعرفه المريد من نفسه، فإنه يحتاج أن يعمل في إزالة ذلك السبب ودفعه، ويستعين بالله على ذلك إنه خير معين. ويكون بقاء هذا العارض وقوته بحسب قوة السبب الموجب له وبحسب بقآئه، ومتى انحسم[5] ذلك وَجَدَ المريد له روحا في الحال، وانشرح صدره انشراحا عجيبا، وعاد إلى حالته الأولى، وكان سبيل قلبه سبيل المشرفي يخرج من الصقال. فليكن المريد متنبهاً عندما وصفناه وليستعمل ما ذكرنا، فإن الله تعالى بلطفه وفضله يغني من اتقاه، ولا يخيب رجاء من ارتجاه، وليكن دأبه ومعظم همه عند اعتراض هذا العارض التمسك بفعل الواجبات، والتنكب من المحظورات، وإن احتلت[6] عليه النوافل والمجاهدة.

(١) في نسخه: للاستغاثة.
(٢) في الأصل: يئسى.
(٣) في (ا) ونعماه.
(٤) في (ا): فإن.
(٥) في (ا) بزيادة: حد.
(٦) في الأصل: احللت.

واعلم وفقك الله إلى الخير أن للشيطان كيدين يقطع المريد بكل واحد منهما عن سيره وقصده، ويرده عن طريقه ونهجه، ولكل واحد من الكيدين[1] تفاصيل نحن نذكر جملها ليعرفها المريد ويحذر منها كل الحذر. فأحد الكيدين القاطعين له عن غرضه: أن يدعوه إلى القُرَب التي هي النوافل، وهي له في الحقيقة قواطع وشواغل، وذلك نحو أن يدعوه إلى تحصيل المال، ويوهمه أن يسد به خلة أهل الفقر والمسكنة ويعود به على الأرامل والأيتام، ويصلح الجسور والقناطير، ويبني به المساجد ويستعين به على الحج والغزو، فإذا سَوَّل له ذلك زيّن له الشح، وشغله بالجمع حتى يعود تاجرا إن كان من التجار، أو نائبا إن كان من أهل النيابة، أو عامل السلطان إن كان من العمال. فإذا شغله بذلك حال بينه وبين همه وصرفه عن طريق المجاهدة، ثم يوشك أن يغلبه الهوى أو يرده على عقبيه وربما دعاه إلى الاشتغال بجمع العلوم، وأوهمه أنه يقمع به الملحدة[2]، ويستنقذ به الضُّلال من الضلالة، والجُهال من الجهالة، فيختلط بالعلماء والمتعلمين، وأكثرهم مائلون[3] إلى الدنيا- خاصة في زماننا هذا- فيتخلق بأخلاقهم ويتحلى بحليتهم، فيدخل معهم في المنافسة وطلب الرئاسة.

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود صلى الله عليه: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالمًا مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قُطّاع عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم ان أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم، فيعادي على ذلك ويوالي، ويستعمل بذلك قلبه ويهيج فكره وينسى طريقه ويهجر ما كان آثره، فيتمكن منه الهوى والشيطان، فيدحض قدمه ويزيله عن سوآء السبيل.

(١) في (أ) ساقطة: من الكيدين.

(٢) في كتاب سياسة المريدين بزيادة: «ويهدي به المسترشد».

(٣) في (أ): ما يكون.

وربما دعاه إلى السعي في مصالح الناس والتحري لمنافعهم فيدعوه ذلك إلى مخالطة الكبراء[1] وملازمة الرؤساء ومداخلة الملوك وحواشي الملوك حتى يجالسهم ويأنس بهم ويأنسوا به، فيفارق ما كان فيه، ويضيع ما كان يطلبه وينتخبه، ويغلب الهوى عقله، ويجد الشيطان إلى استهوآئه جَدَدًا لاحبًا وطريقا لائحًا، وهذه الجمل أكثر ما تعرض للمبتدئين منهم، والذين لم يألفوا حلاوة مقصدهم ولم يأنسوا بمطلبهم وإن كان الجميع منها على خطر.

والقاطع الثاني: هو أن يفتره الشيطان عن اجتهاده، وحمله النفس على المكاره في معاملته، بأن يورد عليه من الآفات ما يتعاطاه وغيره[2] كالعُجب والرياء، وما يجري مجراهما، ويوهمه أن اجتهاده ضائع، وربما أوهمه أن الضرر عليه في الاجتهاد أعظم من الضرر في تركه؛ لأنه إذا تركه سَلِم من الرياء والعجب، وإذا أخذ نفسه به لم يسلم منهما، فيضعف متنه ويوهن عزمه ونيته فيفتر عنه، ومتى فتر غلب هواهُ عقلَه، ورده على عقبه خائبًا يائسا، ولم يزل به حتى يسلخه من الإرادة ويخرجه من جملة أهلها، وهذا الثاني أكثر ما يعرض لمن يخالط أهل التصوف من الإشارات والعبارات، فليحذر المريد جميع ذلك كل الحذر، وليدفع بجهده ما يجد من ذلك في خاطره وهمه، ويستغيث بالله عز وجل إنه خير مغيث. وربما أوهمه العدو أن الاجتهاد والطلب لا يظفران بالمطلوب، ولا يوصلان إلى المقصود وأن الوصول عطية يعطيها الله تعالى من يشآء، وأن الطلب ربما كان حجابًا بين الله وبين عبده؛ لأن العبد إذا نظر إلى الطلب وسكن إليه كان ذلك سببا للقطع فيذهله ذلك[3](عن المجاهدة، ويورثه فتورًا عظيمًا يقطعه لذلك)[4]، وهذا إنما يعرض في الأكثر لمن يعاشر أهل التصوف على ما بيناه.

---

(١)في (ا): الكثير.

(٢)في (ا): وعيوبه.

(٣)في (ا): لقطع المريد فيذله بذلك.

(٤)ما بين القوسين ساقط من (ا).

واعلَم أن الوصول وإن كان عطيَّة من الله تعالى وتفضلاً فلا بد من الطلب والاجتهاد وبذل الطاعة في تحصيل الغرض وهكذا وعد الله تعالى فقال : ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] ، فلا يغتر المريد بهذه المكيدة فإنه لا يأمن أن يصرعه بها العدو صرعة لا نهوض معها عصمنا الله تعالى من ذلك.

وحُكِيَ عن بعض الحكماء-وأظنه عن جنيد-أن في سيرة [١] المريد ألف قاطع يقطعه ، كل واحد منها يحول بينه وبين مطلوبه ، فليحذر المريد هذه القواطع كل الحذر ، وليكن في جميع أحواله مستغيثًا [٢] بالله عز وجل ، لاجئًا إليه خاضعًا بين يديه ، متبرءاً من حوله وقوته ، مستعصمًا بحول الله وقوته عز وجل ، وليعلم المريد أن الآفات وإن كانت كثيرة جمة فليس يجوز ترك الاجتهاد ليسلم من الآفات ؛ [بل يجب أن يجتهد في دفع الآفات مع المقام على المجاهدة لما يزيد في قوة الآفات] [٣] لأن الآفات مصدرها للمريد عن قوة الهوى ، وبحسب ازدياد قوتها تزداد الآفات ، فَلْيَتَصَوَّر ما بيناه المريد [٤] حق التصور ، وليتدبر حق التدبر .. إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا القياس [٥] فهو كثير ، وإنما ذكرنا منه اليسير.

وله دعوة جمع فيها من فوائد العلم الثمينة ويواقيته الشريفة ما يقضي له بالسبق في هذا الباب ، وقد رأينا إثباتها في هذا الموضع ، قال عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على عباده المصطفين.

هذا كتاب من الإمام المؤيد بالله أبي الحسين أحمد بن الحسين بن هارون

---

(١) في (أ) : سير.

(٢) في (أ) : مستعينًا.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٤) في الأصل : «فليتصور المريد ما بيناه».

(٥) في (أ) : في هذا الكتاب.

الحسني بن رسول الله ﷺ إلى من بلغه من المسلمين في أقاصي الأرض وأدانيها سلام عليكم أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ذو القوة والحول، والإفضال والطول، الذي جعل السمآء بنآء، والأرض قرارًا، وجعل خلالها أنهارًا، وخلقكم أطوارا، وأنشأ لكم أسماعا وأبصارا، أحمده رغبا ورهبا على تظاهر نعمه، وتضاعف قسمه، وترادف منحه وتتابع كرمه، وأومن به- خاضعا خاشعا- أنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، المتعالي عن الأشباه والأنداد، والشركآء والأضداد، وأتوكل عليه موقنًا أنه قاهر لا يُرام، وقادر لا يُضام، وقيوم لا ينام توحّد بالعلاء، وتفرد بالكبرياء، وحُمد على النعماء، وعُبد في الأرض والسماء، ذلكم الله ربكم له الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل:٥٣] خلق عباده رحمة لهم وإنعاما عليهم وإحسانا إليهم ثم لم يتكثر بهم عن قلة، ولم يتعزز بهم من ذلة، ولم يستأنس بهم من وحشة، فطر الأرض والسموات، وجعل النور والظلمات، وأجرى الأفلاك الدائرات، والنجوم المسخرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قولاً صدقًا، أقولها تعبدًا ورقًا. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله بشيرًا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، فصلواته عليه يوم وُلد ويوم قُبض ويوم يبعث حيا، وعلى آله الطيبين الأخيار المنتجبين الأبرار، ابتعثه على حين شمخ الكفر بأنفه، ونأى بجانبه، وامتد على الخلق رواقه، وأحاط بهم نطاقه، وملأ البسيطة ظلامه، وظهر فيهم عتوه وغرامه، والخلق حيارى لا يبصرون، وضلال لا يهتدون. قد ملكتهم الجاهلية الجهلاء، وعمتهم الفتنة الصماء، ونور الحَقّ قد آذن بالطموس، ومال بوجهه إلى العبوس، فأدى الرسالة، وأظهر الدعوة، ومحض النصيحة، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، ونهض بأمر

الله صادعا، ولشتات الدين جامعا، ولسلطان الكفر قامعا، وللأصنام والأوثان خالعا، وجاهد في[1] الله حق جهاده، وهدى ضُلّالَ عباده إلى صراط الله المستقيم، ولدين الله القويم بأنور منار وأبهر سلطان، وأوضح سبيل، وأبين دليل، قد شد عضده من المعجزات بأعظمها قدرا، وأفخمها أمرا، وأبقاها أثرا، وأعلاها خيرا، ذلك كتاب الله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الآية [الزمر:٢٣]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، قد جعله مأدبة[2] للخلق، ووصلة إلى الحقّ، وطريقا إلى النجاة واضحا، وسبيلا إلى الجنة لآئحا، من اعتصم به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وغوى، فيه بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ؛ فلم يزل ﷺ يعلمكم تنزيله، ويفهمكم تأويله، ويشرح حلاله وحرامه، ويشرح قصصه وأمثاله، حتى اهتديتم به من حيرة العمى، واستوضحتم منهاج الهدى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣] حتى أدى حق الرسالة، وقام بشرط الأمانة، ووعظ ونصح وبلغ وأسمع. ثم نقله الله إلى ما أعدّ له من كرامته، وأنزله منازل رحمته، واستأثر له ما لديه، وقبضه الله إليه راضيًا عمله، قابلاً سعيه، فابتدأ كثير من الأمة في تبديل سنته، والالتواء على عترته، كأن لم يسمعوا قول الله حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وحيث

---

(١) في (أ): في سبيل الله.

(٢) في (أ): مادة.

يقول: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فجعل الأبناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والأنفس نفسه ونفس علي صلوات الله عليهم[1].

فانظروا كَيفَ نزههم الله محققًا أنهم أولوا الصدق، ثم ألزم المؤمنين متابعتهم والكون معهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ولم يسمعوا ما أنزل الله في أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدق بخاتمه راكعا إذ يقول عز وجل قائلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2] [المائدة: ٥٥] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله مخاطبا كافة أمته: «من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أولى، فقال: من كنت مولاه فعَليّ مولاه» وقوله: «إني تارك فيكم الثقلين» وقوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»[3]، فتأملوا رحمكم الله كَيفَ أوضح الحَقّ وكَيفَ قطع المعاذير، وانظروا إلى كثير من الأمة كَيفَ غيروا وبدلوا حتى زاغوا وضلوا. فأما أمير المؤمنين فنُكثَت بيعتُه جهرا وحُمِلَ على كثير مما كره قهرًا؛ فمِنْ غادر به قد

---

(١) أنظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٨، والكشاف ١/ ٣٦٩-٣٧٠، وتيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٩، ومجمع البيان ٢/ ٣١٠، وأسباب النزول للواحدي ٥٩٢٥٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٤/ ٦٧، وتفسير الطبري مج٣/ ٣/ ٤٠٩-٤١٠.

(٢) ابن المغازلي ١٩٣ رقم ٣٥٤-٣٥٨ وشواهد التنزيل ١/ ١٦١ برقم ٢١٦ إلى رقم ٢٢٠ وذخائر العقبى ٨٨، وأسباب النزول للواحدي ١٦٨ والعمدة لابن البطريق ١٦٧ والدر المنثور ٢/ ٥١٩، والطبري ٤/ ٣٨٩، والزمخشري ١/ ٦٤٩، والفتوحات الإلهية ١٢/ ٥٠٤ والميزان ٦/ ٢١.

(٣) أخرجه الهادي في الأحكام ١/ ٤٠، والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣، والطبراني في الأوسط ج٥ برقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/ ٤٥ برقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/ ٣٣٤ برقم ١٩٦٧.

خذله وقاعد قعد عن نصرته، وناكث نكث على نفسه عقد بيعته، ومارق مرق عن طاعته، وقاسط قسط في إهمال ما أوجب الله تعالى من ولايته، وما ثبت معه على أمره إلا فريق من المهاجرين والأنصار الذين محّضوا الإيمان محضا، ورأو طاعة الله فرضا.

وقديما عهد إليه الرسول ﷺ بذلك، فقال: «يا عَليّ إنك ستقاتل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين»[1]، فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى قتله الأشقى، ومضى عليه الصلاة والسّلام شهيدا، ولاقى ربه حميدا.

فانتصب للأمر بعده الإمام الوافر والقمر الزاهر، سبط النبي وسلالة الوصي الحسن بن عَليّ صلوات الله على روحه في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، فرأب صدع الدين، ودعا إلى الحَقّ المبين، ولم يأخذه في الله لومة لائم، إلى أن خذله أجناده، وقعد عنه أعضاده، وبُسطت إليه الأيدي بالسوء، فجُرح ودفع عما انتصب له، ودُعي إلى سلم من كان له حربا، وغُصبَ على الأمر غصبا، ثم لم يرض بذلك حتى قتل مسموما، ودفن مظلوما.

فقام بالأمر بعده من ترك الدنيا وزينتها، وأراد الآخرة وسعى لها سعيها الحسين بن عَليّ عليه السلام، فشهر سيفه وبذل نفسه، ونهض إلى العراق لمنابذة الفساق بعد ما دُعي إليها ووُعد النُّصرة بها، فتعاوره من حزب الشيطان من لم يزل مبطنًا للنفاق، ومُصرًا على الشقاق، فقتلوه أقبح قتْلة، ومثلوا به أشنع مُثْلة، وغودر صريعا، ونُبذ بالعراء طريحا، وحُزّ[2] رأسه وحُمل إلى من بان كفره، وظهر ولاح عناده وانتشر، وسُبيت بنات رسول الله ﷺ وأطفاله كما سُبيت ذراري المشركين، فلم يكن من المسلمين من يغضب لله ويذبّ عن حرم رسول الله

---

(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/ ٢٠٠-٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨ ومختصر زوائد البزار ٢/ ١٧٤ برقم ١٦٤٠ والطبراني في الكبير ١٠/ ٩٢ برقم ١٠٠٥٤ وأسد الغابة ٤/ ١٠٨ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٧٢٥.

(٢) في الأصل (وَوُجِّه)، والصحيح كما في أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن روضة الحجوري.

ﷺ، بل كان الجميع بين راض شامت، ومنكر ساكت، فعند ذلك شربوا الخمور وأعلنوا الفجور، ورفعوا حشمة الإسلام ولعبوا بالأحكام، واتسعت المظالم وظهرت المآثم، حتى لم يبق من الدين إلا اسمه، ولا من الإسلام إلا رسمه.

ثم قام بعده الإمام الزكي والحبر الرضي زَيد بن عَلِيّ صلى الله عليه في عصبة قليلة شروا أنفسهم في سبيل الله، وسارعوا إلى الغفران، وتبادروا إلى الجنان، فعطفت عليهم الأشقياء من بني أمية سالكين بهم سبيلهم في جده فقتلوه وصلبوه وأحرقوه، ثم ألحقوا به الطاهر المطهر ابنه يحيى، فيا لبني أمية الويل والثبور، ويالهم السعير المسجور، غرّتهم زهرة الدنيا فمالوا إليها، ورغبوا عن الآخرة فأعرضوا عنها ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود:١٦] ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

ثم جاء بنو العباس معلنين شعارنا، طالبين بزعمهم ثأرنا بادعائهم جدّهم العباس وابنه عبدالله في متابعة[1] أمير المؤمنين، وإظهار طاعته وإيثار ولايته، إذ لم يزل العباس يخطب بمتابعته السعادة، وعبدالله يطلب في الجهاد بين يديه الشهادة، فلما اتسعت[2] أحوالهم بنا، واستوسقت أسبابهم باسمنا بغوا وطغوا، (وآثروا الحياة الدنيا، واقتفوا آثار الأكاسرة، وسلكوا منهاج الفراعنة الجبابرة، وجاهروا الله تعالى بكبائر الفسوق)[3] ورفلوا في أثواب المروق، وجردوا علينا أسياف العقوق، وسنّ مخذولهم الملقب بالمنصور في أهل بيت النبي ﷺ القتل الذريع، والحبس الفظيع، والأمر الشنيع، وأراق يوم الثنية دم محمد بن

---

(١) في (أ) بمبايعة.

(٢) في (أ) اتسقت.

(٣)ما بين القوسين أكمل من روضة الحجوري كما في أخبار أئمة الزيدية.

عبدالله النفس الزكية . ثم قَتَل أخاه إبراهيم بن عبد الله، وحمل آباهما وعمومتهما وبني عمومتهما البررة الأتقياء السادة النجباء على الأقتاب ؛ فِعْلَ أشباهه من بني أمية ، ثم اقتدى به بنوه ، وسلكوا سبيله واتبعوه ، وأظهروا المناكير فالمناكير ، وأضلوا الجماهير فالجماهير ، فيا عَجبًا لمن ينتصب على الأعواد في الجُمُعات والأعياد ، يشهد لهم على الله بالزور وهم منهمكون في الفجور أما يتقي الله الجبار؟ أما يتقي الله القهار؟ أما يخاف يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار؟ .

عباد الله، إني قد رأيت أسباب الحَقّ قد مَرجَت ، وقلوب الأولياء به قد حُرجت ، وأهل الدين[1] مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس ، ورأيت الأموال تُؤخذ من غير حلِّها وتوضع في غير أهلها ، ووجدتُ الحدود قد عُطِّلت ، والحقوق قد أبطلت ، وسنن رسول الله ﷺ قد بُدِّلت وغيِّرت ، ورسوم الفراعنة قد جُدِّدت واستعملت ، والآمرين بالمعروف قد قلوا ، والناهين عن المنكر قد وهنوا[2] فذلوا ، ووجدت أهل بيت النبي عليهم السلام مقموعين مقهورين مظلومين ، لا يُؤهَّلون لولاية ولا شورى ، ولا يتركون ليكونوا مع الناس فوضى ، بل منعوهم حقهم ، وصرفوا عنهم فيئَهم ، فَهُم يحسبون الكف عن دمآئهم إحسانًا إليهم ، والانقباض عن حبْسهم وأسْرهم إنعامًا عليهم ، يطلبون عليهم العثرات ويرقبون فيهم الزلاّت ، ووجدتُهم في كل واد من الظلم يهيمون وفي كل مرعى من الضلال يسيمون ، (ووجدت أملاك المسلمين)[3] تغصب غصبًا ، وأموالهم تنهب نهبا ، ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ

---

(١) في (أ) الحق .

(٢) في (أ) : ذهبوا .

(٣) ساقط في الأصل .

﴿ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] ووجدت الفواحش قد أقيمت أسواقها وأديم نفاقها، لا خوف الله يزع، ولا حياء الناس يمنع، بل يتفاخرون بالمعاصي، ويتنابزون ويتباهون بالإثم، قد نسوا الحساب، وأعرضوا عن ذكر المآب والعقاب، فلم أجد لنفسي عذرًا إن قعدت ملتزمًا أحكامهم، متوسطًا أيامهم، أونسهم ويؤنسونني، وأسالمهم ويسالمونني، فخرجت أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين.

أيها الناس أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والرضا من آل محمد ومجاهدة الظالمين ومنابذة الفاسقين، وإني كأحدكم لي مالكم وعليّ ما عليكم إلا ما خصني الله به من ولاية الأمر ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣١]، ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٧]، ﴿ وَتَعَاوَنُو عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ [المائدة: ٣].

أيها الناس سارعوا إلى بيعتي، وبادروا إلى نصرتي، وازحفوا زحفا إلى دار هجرتي، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١]، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وبهجتها، فإنها ظل زآئل وسحاب حآئل، ينقضي نعيمها ويظعن مقيمها، والآخرة خير وأبقى أفلا تعقلون، ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

أيها الناس مهما اشتبه عليكم فلا يشتبه عليكم أمري، أنا الذي عرفتموني صغيراً وكبيرا، ورحمتموني طفلا وناشئًا وكهلا. قد صحبت النُّسّاك حتى نُسبت إليهم، وخالطت العباد [1] حتى عُرفت فيهم، وكاثرت العلماء وحاضرت الفقهآء، فلم أخلُ عن مورد ورده عالم بارع، ومشرع شرع فيه متقن فارع، وجادلت الخصوم نضحا عن الدين، ونضالا عن الحقّ المبين، حتى عُرِفَتْ مواقعي، وكتبت وحفظت طرآئقي وأثبتت، هذا وما أبرئ نفسي في أثناء هذه الأحوال ومجامع هذه الخصال من تقصير وتعذير، ولا أزكيها بل أتبرأ إلى الله من حولها وقوتها، وإن جميع ذلك من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأما نسبتي إلى جدي رسول الله ﷺ فدونه فلق الصباح، ولا عذر لكم أيها الناس في التأخر عني والاستبداد دوني، وقد ناديت فأسمعت؛ لتجيبوا دعوتي، وتتحروا لنصرتي، وتعينوني على ما نهضت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ألا فأعينوني على أمري، وتحروا بجهدكم نصرتي، أوردكم خير الموارد، وأبلغكم أفضل المحامد. عباد الله، أعينوني على إصلاح البلاد، وإرشاد العباد، وحسم دواعي الفساد، وعمارة مناهل السداد. ألا ومن تخلف عني وأهمل بيعتي - إلا لسبب قاطع أو لعذر مانع بيِّنِ الحجة- فإني أجاثيه للخصام يوم يقوم

---

(١) في (أ): الزهاد.

الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم الآزفة، فأقول: ألم تسمع قول جدي رسول الله ﷺ: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يُجبها كبّه الله على منخريه في النّار» ألا فاسمعوا وأطيعوا ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] فلتتفق كلمتكم وليجتمع شملكم ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ألا وقد سلكتُ سبيل من مضى من آبائي الأخيار، وسلفي النجباء الأبرار في منابذة الظالمين، ومجاهدة الفاسقين مبتغيًا به مرضات رب العالمين، فاسلكوا أيها الإخوان سبيل أتباعهم الصالحين، وأشياعهم البررة الخاشعين في المعاونة والمظاهرة والمكاثفة والمؤازرة، وتبادروا رجالا وسارعوا إليّ أرسالا، وإياكم والجنوح إلى الراحة طالبين لها وجوه العلل، مغترين بما فسح الله لكم من المهل، وعن قليل يُحقُّ الحَقّ ويبطل الباطل، ويعاين كل امرئ ما اكتسب، ويُجازى كل بما اجترم ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

تمت الدعوة بحمد الله تعالى وحده وصلواته على محمد وعلى آل محمد.



السيد الناطق بالحق الظافر بتأييد الله عز وجل أبو طالب عليه السلام[1]

هو: أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون ابن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

نسبه عليه السلام النسب الشريف، وعنصره العنصر الزاكي المنيف، وما ظنك بنسب ينتهي إلى الرسول، وحيدر والبتول، الذين أحسن فيهم القائل حيث يقول:

إليكم كل مكرمة تؤولُ ... إذا ما قيل جدكم الرَّسُولُ

أليس أبوكم الهادي عليٌّ ... وأمكم المطهرة البتولُ؟

وأمه أم أخيه السيد المؤيد بالله عليه السلام وهي أم الحسن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي، ولد سنة أربعين وثلاثمائة.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة تحكي في شرفها جوهره، وتحاكي بفضلها عنصره، وكان قد قرأ على السيد أبي العباس الحسني عليه السلام فقه العترة عليهم السلام حتى لجّ في غماره ووصل قعر بحاره، وقرأ في الكلام على الشيخ أبي عبدالله البصري فاحتوى على فرائده، وأحاط معرفة بجليه وغرائبه، وكذلك قرأ عليه في أصول الفقه أيضًا، ولقي غيرهم من الشيوخ، وأخذ عنهم حتى

---

(١) التحف شرح الزلف ٢١٢، الشافي ١/ ٣٣٤، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩، الأعلام للزركلي ٨/ ١٤١، تاريخ اليمن للواسعي ٢٦، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ٢٣٤، معجم المؤلفين ٤/ ٩٢، الفلك الدوار ١٠٤، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٢١ اللآلىء المضيئة «خ» مطمح الآمال ٢٣٩.

(٢) أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩، الشافي ١/ ٣٣٤.

أضحى في فنون العلم بحراً يتغطمط تياره، ويتلاطم زخاره، وله التصانيف المرموقة والكتب الموموقة في الأصول والفروع . وله في أصول الدين المبادئ ، وزيادات شرح الأصول علقه عنه بعضهم ، وفيه علمٌ حسن يشهد له بالبلوغ إلى أعلى منزلة في الكلام . وله كتاب الدعامة في الإمامة وهو من عجآئب الكتب، وأودعه من الغرآئب المستنبطات ، والأدلة القاطعة، والأجوبة عن شبهات المخالفين النافعة ، ما يقضي بأنه السابق في هذا الميدان ، والمجلي منه في حلبة الرهان ، وهو مجلّد فيه من أنواع علوم الإمامة ما يكفي ويشفي .

وله في أصول الفقه جوامع الأدلة من الكتب المتوسِّطة، وله المجزي في أصول الفقه مجلَّدان ، وفيه من التفصيل البليغ والعلم الواسع ما لا يكاد يوجد مثله في كتاب من كتب هذا الفن . وله في فقه الهادي عليه السلام التحرير وشرحه مجلدات عدة تبلغ ستة عشر كتاباً مجلدا[1]، وفيها من حسن الإيراد والإصدار ما يشهد له بالتبريز على النظار ؛ فإنه بالغ في نصرة مذهب الهادي عليه السلام بكل وجه ، وأودعه من أنواع الأدلَّة والتعليلات ما لا يوجد في كتاب ، وفيه فقهٌ جمٌ وعلمٌ غزير ، وكذلك فإنه أودع فيه من مذاهب الفقهاء ما يكثر ، وذكر المهمَّ مما يتعلَّقون به ، ورجح مذهب الهادي عليه السلام فيه حتى ظهر ترجيحه ، وتوهَّجت مصابيحه ، وذكى لكل مشتاق ريحه[2].

قال الحاكم الإمام رحمه الله : وكلامه عليه السلام عليه مسحةٌ من العلم[3] الإلهي وجذوةٌ من الكلام النبوي . وله عليه السلام في الأخبار الأمالي المعروفة بأمالي السيد أبي طالب عليه السلام ، جمع فيها من غرآئب الأحاديث ونفآئسها ، ومحاسن الحكايات وملَح الروايات ما يفوق ويروق .

وكان عليه السلام في الورع والزهادة والفضل والعبادة على أبلغ الوجوه

---

(١)في (أ) بزيادة كبارا .

(٢) الشافي ١/ ٣٣٤، التحف ٢١٣ .

(٣)في الأصل الكلام وأثبتناها من بقية النسخ .

وأحسنها. قال الشيخ الإمام الحاكم أبو سعيد رضوان الله عليه : وكان شيخنا أبو الحَسَن علي بن عبدالله اختلف إلَيه مدة بجرجان ، والسيد أبو القاسم الحَسَني تخرج في مجلسه ؛ فيحكيان عن علمه وورعه واجتهاده وعبادته وخصاله الحميدة وسيرته المرضية شيئاً عجيبًا يليق بمثل ذلك الصدر ، وكان الصاحب الكافي يقول: ليس تحت الفرقدين مثل الأخوين ، يعني السيدين المؤيد بالله وأباطالب عليهما السلام .

ومن شعره قوله عليه السلام في مرثية في غلام له :

عليك سلامُ الله ساكن بلقعٍ ... فليس إلى دفع الحمام سبيلُ

وليس إلى غير التصبُّر مفزعٌ ... وإنْ عَنَّ خطب في المصاب جليلُ

وإن كان حزن الناس عند إياسهم ... قصيرًا فها حزني عليك طويلُ

وإن كنت تحت الترب في الرمس نازلاً ... فذكرك في حشو الفؤاد نزيلُ

ولولا مقالُ الناس فارق حلمه ... لَشَفَّع تَسْكابَ الدموعِ عويلُ

وقوله عليه السلام فيه :

يا غائباً ما له إياب ... حالفني[1] فَقْدَكَ اكتئابُ

وغاب روح الحياة عني[2] ... لما علا جسمك الترابُ

يا غائباً لم يصل شبابا ... يبكي على فَقْدِكَ الشبابُ

إلى غير ذلك من أشعاره عليه السلام فهي كثيرة[3] .

---

(١) في (أ) خالفني .

(٢) في (أ) مني .

(٣) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ عن كتاب جلاء الأبصار.

ذكر بيعته ومدة انتصابه للأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام :

بويع له عليه السلام بعد أخيه المؤيد بالله عليهما السلام ولم يتخلف عنه أحد ممن يرجع إلى دين وفضل لعلمهم بظهور علمه وغزارة فهمه ، واجتماع خصال الإمامة فيه ، وزاد أيضًا على ما يجب اعتباره من الشرآئط زيادة ظاهرة ، وفي بيعته عليه السلام يقول أبو الفرج بن هند- وكان أبو الفرج قد بلغ الغاية القصوى والمرتبة العليا في مذهب الفلاسفة ، ثم تاب وصار من عيون الزيدية ومن شيعة السيد أبي طالب عليه السلام :

سرَّ النبوة والنبيَّا	وزهَى الوصيَّة والوصيَّا
أن الديالم بايعت	يحيى بن هارون الرضيَّا
ثم استَرَبْتُ بعادة ال	أيام إذ خانت عليًّا
آل النبي طلبتُمُ	ميراثكم طلبا بطيًّا
ياليت شعري هل أرى	نجمًا لدولتكم مضيًّا
فأكون أول من يهز	إلى الهياج المشرفيًّا[1]

وأقام عليه السلام آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر على طريقة العترة المطهرة الكرام البررة ، جادا مجدا في ذلك حتى مضى إلى رضوان الله .

وتوفي عليه السلام وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وكانت وفاته عليه السلام بالديلم سنة أربع وعشرين وأربعمآئة ، وهذا هو الأقرب ، وإن ذُكرَ دونه في بعض المواضع ؛ لأنه روى الشريف السيد أبوالغنآئم رحمة الله عليه أنه قال : اجتمعت بالشريف أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني بساحة ديلمان في سنة اثنتين وعشرين وأربعمآئة ، ذكره في كتاب الأنساب[2] .

---

(١) أخبار أئمة الزيدية ١٢٥-١٢٧ . عن كتاب جلاء الأبصار .

(٢) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ ، عن كتاب جلاء الأبصار ، والتحف ٢١٥ .

وأولـد عليه السلام رجلاً واحد وهو أبو هاشم محمد، أمُّه : أم الحَسَن بنت يحيى ابن الداعي الحَسَن بن القاسم الحَسَني ، وليس له غير ولد.ذكر هذا الشريف السيد أبو الغنآئم رحمة الله عليه[1].

وقبر السيد أبي طالب عليه السلام بجرجان ولما خرجت الترك على الملك محمد بن تكش خوارزم شاه في سنة عشرين وستمآئة وجاسوا خلال الديار في بلاد الإسلام ، وقتلوا النسآء والرجال والذراري ، وخربوا المشاهد إلى القواعد ، وفي جملة ما هدموا المشهدين الشريفين القبر الأحمر قبر محمد بن جعفر بن محمد بجرجان[2]، وقبر ابن أخيه علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام بطوس ، .جآءت كتب علمآئنا من الجيل والديلم يحكون هذه الحادثة ، ويذكرون أنما سلم منهم إلا بلاد الزيدية ومشاهد أئمتهم مثل مشهد الناصر للحق بآمل ، وقبر السيدين أبي العباس وأبي طالب ، وأنهم كانوا يهمون بالوصول إليها فيقذف الله في قلوبهم الرعب وينقلبون على أعقابهم هاربين ، وأن الموالف والمخالف اعترف بفضل هؤلآء الأئمة وأنهم على بصيرة من ربهم ، وردتهم الزيدية عن بلادهم فما ضرُّوهم بشيء ، هكذا وصلت كتبهم بالتأريخ المذكور .

◆ ◆ ◆

---

(١) التحف ٢١٥ .

(٢)قال في الأم ما لفظه : صوابه بآمل لأن قبره هناك مشهور مزور ، قال حمزة بن محمود زرته بآمل .

الإمام أبو هاشم النفس الزكيّة عليه السلام[1]

هو : أبو هاشم الحسَن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسَين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسَن بن الحسَن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

كان عليه السلام من عيون العترة النبوية ، ونجوم الأسرة[3] العلوية ، قام عليه السلام وادّعى الإمامة في سنة ست وعشرين وأربعمآئة ، ودخل صنعآء في يوم الخميس لثلاث ليال خلون من شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وصاح صآئحه ثاني دخوله صنعآء يوم الجمعة بالصلاة في الجامع فدخل الناس وطلع المنبر ، وخطب وصلى بالناس وانصرف إلى منزله ، وأقام في صنعآء إلى نصف شهر رمضان ثم خرج لفساد من عارضه وهو الحسين بن مروان ، وأقام عنها مدة ثم حلفت له همدان سوى بني حمّاد في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمآئة ، فدخل صنعآء يوم الأربعآء لثمان عشرة من الشهر المذكور ، فأقام بها ثمانية أيّام ، وولى فيها واليًا وخرج إلى ريدة ، وأقام آمرا بالمعروف الأكبر ، ناهيا عن الفحشآء والمنكر ، حتى توفاه الله حميداً وقبضه سعيداً ، وهذه النكته من أخباره مذكورة عليه السلام في بعض تاريخ صنعاء .

وله دعوة شريفة ، قال في الأصل : وجدنا على ظهرها مكتوبا : أملانا هذه السيرة تقربًا إلى الله تعالى وابتغآء لمرضاته وتحريا لما عنده ، والله سبحانه ينفع بها مليها وقارئها وسامعيها وجميع الناظرين فيها ، ويجعلها عآئدة بنظام الدين

---

(١) التحف شرح الزلف ٢١٧ ، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠ ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٤٤ ، أعلام المؤلفين الزيدية ٣٢٣ ، مطمح الآمال ٢٤٠ ، الآلئ المضيئة «خ» بلوغ المرام ٢٦ ، أئمة اليمن ١/ ٨٦ ، مؤلفات الزيدية ٢/ ١٠٥ ، المقتطف في تاريخ اليمن ١١٠ .

(٢) التحف ٢١٧ .

(٣)في (أ) ساقطة الأسرة .

شآئعة البركة على جميع المسلمين آمين رب العالمين .

وذكر أنه بعث بها من ناعط ، وهو قريب من مدينة ريدة من أرض البَوْن ، وقريب بالغيل من صعدة في آخر جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وأربعمآئة ، وهي دعوة شريفة جمع فيها ﷺ من جواهر العلم الشفافة ، ودرره النفيسة ما يشهد ببراعته ويكشف عن شريف بلاغته ، وقد رأينا إثباتها بكمالها لما تضمنته من المواعظ الشافية ، والحكم البليغة الكافية ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلواته على عباده الذين اصطفى[1] ، الحمد لله العزيز الغفار ، الواحد القهار ، الملك الجبار ، خالق البحر الزخار ، والسحاب المدرار ، والنجم النوار ، والقمر السيّار ، والفلك الدوّار ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [٩-١٠ : الرعد] لا تكنهه البصآئر ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الضمآئر والأفكار ، ولا يغيره كر الدهور والأعصار ، ولا يتخرّمه مرُّ الليل والنّهار .

نحمده على كل نافع وضار ومحزن وسار ، ونشهد أن لا إله إلا الله (وحده لا شريك له)[2] شهادة إخلاص وإقرار ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار ، ونبيه الكريم النجار ، التقي النضار ، معدن الافتخار ، وزين الوقار ، والمنتخب من ولد قصي وآل نزار صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار الطاهرين الأبرار ، الذين هم في العالم أعلام الهدايات ، وفي ظلم الشبهات مصابيح الدلالات وسلم تسليما .

(١) في (أ) ساقط قوله : الحمد لله وحده وصلواته على عباده الذين اصطفى .

(٢) ساقط في الأصل .

فالحمد لله الذي إصطفى خير خلقه محمدا صلى الله عليه وآله بالنبوة ، واختصه بالرسالة ، ونصبه لإقامة الدلالة ، وندبه ناهيا عن الغي والجهالة ، وابتعثه على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وتفرق من الآرآء ، وتشعب من الأهوآء ، في فتنة عمياء صماء ، والناس يخبطون فيها خبط عشواء في ظلماء ، قَد حرفوا الكتاب ، وتنكبوا الصواب ، ونقضوا العهود ، وحلوا العقود ، وعطلوا الأحكام والحدود ، ونسوا الزجر والوعيد ، ونبذوا الدين ظهريا ، وغادروا الشرع نسيا منسيا ، فبلّغ صلى الله عليه وآله الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأوضح الدلالة ، ونبذ الخيانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأظهر البرهان والدليل ، وأقام الحق على سوآء السبيل ، فدعا إلى الله سبحانه دعوة بلغت أقاصي الأرض وأدانيها ، وأنجز له تعالى ما وعده فيها ، حين جاهد في الله حق جهاده ، وبث الحق والعدل في عباده وبلاده ، وقلع الأوثان والتماثيل ، ودحض الأصنام والأضاليل ، ونفى زخرف الأقاويل ومفتعل الأباطيل ، وكان الخلق على شفا جُرف هار فخلّصهم ، وعلى شفير حفرة من النار فأنقذهم ، فلما قوّمهم بالهدى والتقّى ، وجنّبهم مصارع الغي والردى أنـزل عليه العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى:٢٣] أمرهم تعالى أن يكافئوا جلائل النعم ، ويجازوا فواضل هذه القسم بإعظام الذُرّيّة ، وإكرام نجل النبوءة ، فرضا حتمه على كافة البريّة ، وأكده رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله بالوصية حين قال للسبطين الطيبين الطاهرين السيدين الحسن والحسين عليهما السلام : «آذى الله تعالى من آذاني فيكما ، ورحم من رحمني فيكما» ، وحين قال : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1] ، فجعل الكتاب

---

(١) رواه الإمام في المجموع ٤٠٤/ وعلي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ ، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ والترمذي ٥/ ١٢١ رقم ٣٧٨٦ وقال حديث حسن غريب ، والطبراني في الكبير عن زيد ١٨٦ رقم ٥٤٠ ومسند أحمد ٤/ ٣٠ رقم ١١٠٤ وج ٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ وج ٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٢٨ . وقال : قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي وهذا حديث صحيح .

والعترة وديعتين عظيمتين هاديتين مهديّتين باقيتين، وقال ﷺ: «أنا سلمٌ لمن سالمكُمْ وحَرْبٌ لمن حاربكم»[1] وإذا كان النبي ﷺ حربًا لمن حارب العترة، فمعلوم أن الله تعالى حربٌ لمن حارب النبي، فقد بان بالدليل أن الله تعالى حرب لمن حارب الصفوة الطاهرة من العترة الهادية. ومن كان الله تعالى حربه كان الشيطان سعيه وحزبه، وقال ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن عدل عنها غَرِقَ وهوى»[2] ونظآئر ذلك كثير، ونرى الإيجاز في هذا الإملآء أبلغ، والاختصار أنفع، فأطاع الله تعالى ورسوله ﷺ في هذه الوصية قومٌ موفقون مسددون، وعصاه آخرون محرومون مبعدون، وهذا الحي من همدان أهل المجد والبأس والنجدة والمراس وسراة الناس، ممن رضي الله تعالى ورسوله ﷺ طاعتهم ومولاتهم ومشايعتهم ومصافاتهم ومحاماتهم دوننا أهل البيت، ومدافعتهم وانصبابهم في شيعتنا، ومظاهرتهم ومؤازرتهم للقآئم منّا، ومصاحبتهم ومكاتفتهم لمُحقّنا، ومعاضدتهم ومواساتهم لمُقلّنا، ومشاغبتهم ومخاشنتهم لمبغضنا، ومحاماتهم علينا، فقد شَملت فواضلهم وعمّت نوافلهم، فهم بطانتنا وخاصتنا، وأوليآء دعوتنا، وأعضَاد دولتنا، وحماة جوزتنا ومفزع رأينا ومشورتنا، فجزى الله تعالى أحياءهم عنا خيراً وبراً وحمداً ومنّاً وشكراً، وأوسع أمواتهم ثوابًا وأجراً وعفواً وغفراً، فكم من عظيمة دوننا تولّوها، وكم من كُربة[3] جَلَوْها، وكم من

---

(١) الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧١ عن زيد بن أرقم قال المقبلي في الابحاث المسددة ٢٤٢ وحديث «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين وأخرجه أحمد والطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١ والحاكم.

(٢) أخرجه الهادي في الأحكام ١/ ٤٠ والإمام علي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣، وقال حديث صحيح على شرط مسلم واخرجه أيضاً في ٣/ ١٥٠ والطبراني وفي الأوسط ج٥/ رقم ٥٣٩٠ والكبير ٣/ ٤٥ رقم ٢٦٣٦ والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر.

(٣) في (أ): كريهة.

شهيد منهم تحت لوآء الحق معفر، وقتيل أمام إمامه مجدل، وصريع في قلب مصافه مُزمّل، وقد كانت عَرَتْهم نفرةٌ قصدنا إزاحتها، وَعَلَتْهم وحشةٌ اعتمدنا إزالتها، ورأينا استعطافهم واستمالتهم وإنالتهم بعدها وكفالتهم، وإلى الله نرغب وإياه نسأل، وإليه سبحانه نضرع ونبتهل أن يُثَبِّتهم في جملتنا ويوفقهم لنصرتنا، وأن يحشرهم غدا في زمرتنا مع أسلافنا وأسرتنا، وهو تعالى جَدُّهُ بالإجابة جدير، وعلى ما يشآء قدير.

معاشر الناس يرحمكم الله إن الله جل ثنآؤُه، وتقدست أسمآؤُه، وعظمت آلآؤُه لم يخلقكم عبثا، ولم يترككم سُدى، ولم يخل بينكم وبين آرآئكم، ولم يصر بكم بحسب شهواتكم وأهوآئكم، ولم يخلع عذاركم، ولا ملَّكَكم اختياركم، كلا بل جعل عليكم رقيبًا من العقل قامعًا أمرا، ونبيهًا من الرأي رادعًا زاجرا، وشهيداً من الشرع مانعا، ونصب لتأسيس أوامر الصدق وشرآئع الحق الأنبيآء الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين، ثم أمرهم بعد تأسيسها بسياستها وحفظها وحراستها وضبطها ودراستها، فكان الخلق في تلقي الحق قسمين: قسم بان لهم الحق فأذعنوا واستسلموا خاضعين، وانقادوا لأمر الله سبحانه طآئعين، فأجابوا داعي الله سبحانه مبتهلين ضارعين، أنسوا ببرد اليقين، ونالو رضى رب العالمين، بصدور منشرحة، وآمال منفسحة، ونيّات صادقة، ونفوس إلى الخير سابقة، ففازوا في دنياهم بالدعة والخفض، وفي عقباهم بجنة عرضها كعرض السموات والأرض، وسعدوا بالجوار للرب الكريم والنعيم المقيم، ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

وقسْمٌ جحدوا النبوة وخالفوها تمردا وعصيانا، ودفعوا الشريعة وأنكروها سحتًا وطغيانا، فاستخفّوا بحدود الله تعالى، وجاوزوا أحكام الله سبحانه

وتعالى ، واستهانوا بحرمات الله سبحانه وتعالى ، ولم يعظموا شعائر الله ﴿ وَمَن لَم يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩] ، فأدّاهم غيُّهم إلى سخط الله وسطواته ، وبلاهم كفرهم بنكاله ونقماته ، فلما انقضى عهد النبوءة ، وتعين على الخلق فرض الإمامة ألحد فيها طآئفة منهم سلكوا منهاج من تقدمهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، فغرَّتهم الدنيا بزخرفها وزهرتها وبهجتها وزينتها ، فركبتهم شهواتهم ، وأوبقتهم سيئاتهم ، ولجّت بهم عثراتهم ، فنالوا من الدنيا متاعا قليلا ، وبلاغا نزرا حقيرا ، وكابدوا بعدها عذابا طويلا وعقابا وبيلا ، وعاينوا مقاما مهيلا وغراما وتنكيلا ، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه وفكر في يومه وأمسه ودبر لغده ، وذكر مثواه في رمسه وأيقن أنه رهين بما كسبت يداه ، فحسنت أفعاله وأعماله ، ومسئول عما تحركت به شفتاه فصدقت أقوالُه .

عباد الله يرحمكم الله ، إن لكل قآئل فيما يقوله غرضا ينتحيه ، ورأيا يقصده ويرتئيه ، وغرضي والشاهد الله الذي يبلو خفيات السرآئر ، ويطلع على خفيات الضمآئر ، ما أبثكم وأنصبه لكم على غرة ، ولا أكتمكم شيئا من حلوه ومره ، غرضي ومرادي فيما أحاوركم به استشعار تقوى الله تعالى ، وابتغآء مرضات الله ، والتقرب إلى الله ، والسعي في ذات الله ، وبذل المهجة للجهاد في سبيل الله ، وحمل الخلق على كتاب الله ، وإحياء شريعة رسول الله ﷺ ، وتأمين السبل الخآئفة لتكون السياسة قآئمة حيث أمربه تعالى[1] ، من أمان عباد وإخصاب بلاد ، وإقامة حكم وإزالة ظلم ، ثم إعزاز آل رَسُول الله ﷺ الذين جحدهم أكثر الأمة حقوقها ، واستحلت عقوقها ، واستباحتْ دماءَها .

هذا أمير المؤمنين عليه السلام أزيح يوم السقيفة عن منزلته الشريفة المنيفة ،

---

(١) في(أ) أمر الله تعالى به .

وغُصبت فاطمة عليها السلام ابنة رَسُول الله ﷺ فدكًا ، وسُم الحَسَن عليه السلام سرًا ، وقتل الحسين جهرا صلى الله عليهم ، وصلب زيد بن علي عليه السلام بكناسة الكوفة ، وقطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ، وخُنقَ عبدالله بن الحسن بن الحسن في سجن الدوانيقي ، وقتل ابناه النفس الزكية محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ، ومات موسى الكاظم بن جعفر الصادق في حبس هارون ، (وكذلك يحيى بن عبدالله عليه السلام بعد أن شُهد عليه أنه عبد لهارون)[1] ، وسُمّ علي الرضا على يد المأمون ، وسم إدريس بن عبدالله في السوس الأقصى فريدًا ، ومات عيسى بن زيد في بلد الهند شريدا طريدا ، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي ، واجتمع عليهم العربي والعجمي ، فلزموا الحمية ووردوا المنية ، وكرهوا الدنية ، وصبروا على الرزية ، سلت قلوبهم عن الدنيا واشتاقت نفوسهم إلى العقبى ، وأيقنوا أن ما عندالله خير وأبقى فغرضي أن أجبر المصاب ، وأرد الحق إلى النصاب ، والأمانة إلى الأرباب ، ثم أهل العلم أوفيهم حقهم من التوقير ، وقسطهم من التمييز والتوفير ، وأز ل ما شجر بينهم من الخلاف بنفي الحتف عنهم[2] والإجحاف ، حتى أدَّاهم ذلك إلى التسفه والسباب ، ومكابرة الصواب ، ومباهتة الألباب ، والتنابز بالألقاب ، وهذه خطة عظيمة ، وثلمة في الدين كبيرة ، وفيه ما يبت عقد الدين ، ويعود ضرره على المسملين ، قال الله عز وجل : ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣] ، وقال النبي ﷺ : « اتقوا العصبية فإنها دعاء الجاهلية » واحذروا الجدال ، فإنه داعية الضلال ، يسول به الشيطان للإنسان ليورده موارد الشك بعد الإتقان ، فأنا إن شآء الله أقرر بينهم مسآئلهم تقريراً تثبت به وترتسخ ، وترتسم

---

(١) في(أ) ساقط ما بين القوسين .

(٢) في(أ)منهم .

صحته في النفوس ولا تنفسخ، من حيث لا يتعقبه تغيير ولا نقض، ولا يتطرق إلَيه وَهَمٌ ولا دحض، ثم أوفيهم حق الإنصاف ، وأرتبهم عقيب الأشراف ، ثم خيار السلاطين الذين هم كفاة الأمة[1]، وثقات الأئمة، وأرباب البيوتات القديمة، والأحساب الكريمة، والفضائل العميمة، والأصول الصريحة الصميمة ، وأقرب مجالسهم، وأرفع منازلهم وأسعف شفاعتهم ومسائلهم وعنايتهم ووسائلهم مالم يضيع ذلك حدا، ويغير حكما، ولم يفسد للسياسة رسما ، وأعمُّ قبائل العرب وعشائرها، وباديها وحاضرها وأحلافها ولواحقها ومواليها وعبيدها، بالأمن الشامل، والعدل الفاصل، والإحسان الكامل، والبر الواصل، وبعد امتناعهم من العصبية والمنافرة، وحمية الجاهلية والمشاجرة، التي تسفه الأحلام، وتقطع الأرحام، وتجلب الشين، وتقذي العين، وتشتت ذات البين، وهذه الطوآئف[2] الأربع في كل طآئفة منهم أهل العقل والتحصيل والرأي الأصيل، يحتاجون إلى تثقيف وتعريف وتشديد مرة، وتخفيف بتنقيب النقباء زمام على الشرفاء وقاضي القضاة زمام على الفقهاء، وقائد القواد زمام على الأجناد وأصحاب السيوف، وصاحب الشرط زمام على العامة، وهذا فيما صغر من الجرآئر ولم تخرج إلى حد الكبائر وكان أرشه التعزير والتأديب، فإذا زاد على ذلك كان المرجع فيه إلى قيم الدهر ، ووالي الأمر، وصاحب العصر، ولهذه الجملة تفصيل لا تحتمله هذه السيرة .

واعلموا رحمكم الله أن العربَ خيرُ الأمم بالإجماع ، وقريشًا خيرُ العرب بالإجماع ، وهاشماً خير قريش بالإجماع ، والعلويين خير هاشم بالإجماع، والفاطميين خير العلويين بالإجماع، وبلغت الوسيلة، وتناهت الفضيلة، وأي

(١) في(أ) ساقطة الأمة.

(٢) في الأصل: الطرائق.

شخص من أهل[1] هذه الرتبة السامية، والمنزلة العالية، والرفعة المتناهية، وكان صحيح البنية، لطيف الفطنة، وسليم الفطرة، وجمع - إلى طهارة المولد، وزكاء المحتد والمنشأ - النزاهة[2] والنقاء، ثم العلم الراجح، والعمل الصالح، ثم الشجاعة القاهرة، ثم السماحة الطاهرة، ثم السياسة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم السيرة العادلة الرضية والسنة الفاضلة السنية، فهو صاحب دهره، وولي الناس في عصره، فأول ما يجب عليه إصلاح النفس الأمارة بالسوء، حتى يصير كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٨-٩] ، وليست المطمئنة الراضية المرضية هي الأمّارة بالسوء.

ورياضة النفس بإماتة الشهوات الدنيوية، إذا انتصبت وأشارت بعين غير مستقيم، وأطفأ الغضب إذا استعر واحتدم وصار كالجحيم، وغض الطرف عن المحارم وسدّ السمع عن المآثم، وقمع اليد عن العظآئم، والقدم عن السعي في النمآئم، ويطهر قلبه عن الأدناس، وينفى عنه الوسواس الخناس، حتى إذا تهذبت نفسه، وتأدبت جوارحه، وخشعت أطرافه، وعفّ لسانه وسلم صدره وأعطته نفسه المقادة وبلغ منها المنى والإرادة، تخطأ منها إلى حشمه وحواشيه، ثم رهطه وأدانيه، ثم جيرته[3] وقرابته ثم أدنى البلاد التي تليه، ثم على هذا الترتيب حتى تنتهي الدعوة إلى حيث بلغت كلمة الإسلام، وينقاد بطاعتة الدين إلى جميع الأنام.

عباد الله إن السياسات أربع: فسياسة تلزم الخاصة والعامة ظاهرة وباطنة، سافرة وكامنة، وهي سياسة الأنبيآء الصديقين صلوات الله عليهم

---

(١) في(أ)ساقطة: أهل.

(٢) في(أ)في النسخ بزيادة الواو وحذفناه ليستقيم المعنى.

(٣) في(أ) حرمته.

أجمعين، وسياسة أئمة الحق دعاة الخلق عليهم السلام، فإنها تلزم ظاهرة بالقول، وباطنة بالعقل وبعقد النية.

والسياسة الثانية: تلزم الخاصة والعامة، ظاهرة لا باطنة، وقولا لا نية، وهي سياسة الملوك المتغلِّبين، فإن السلطان الجائر إذا ظهر عليهم شخصه من بعد، قالوا قد جاء لا جئنا، فإذا توسَّطهم قالوا: خلد الله ملكك، وحرس عزك وسلطانك، فإذا فارقهم قالوا: مضى لا رده الله تعالى، وتمنَّوا أن يكون آخر عهد منهم به.

والسياسة الثالثة: تلزم الخاصة ظاهرة وباطنة دون العامة، وهذه سياسة الحكمة والعلوم الاستنباطيَّة، والآرآء النظرية والاجتهادية، فإنها لا حظ[1] للعامة فيها، لأنها تدق عن أفهامهم.

والسياسة الرابعة: سياسة الوعّاظ للعامة وأصحاب الأقاصيص وأصحاب الكراسي، فإن سياستهم تملك العامة، ظاهرة وباطنة دون الخاصة، ألا ترى إلى بكآئهم بعيونهم، وخشوعهم بقلوبهم.

والحكم على ضربين: شرعي وسياسي، فالشرعي إلى القضاة، والسياسي إلى الولاة مراشد الدين والدنيا، فأول ما يجب على الإمام نصبه قاضي قضاة المسلمين بعد الاجتهاد والتحري والافتقاد، فإن أمكنه أن يكون ثاني منزلته في الفضيلة، وثالثه في ثني الوسيلة فعل ذلك، وسياسة القاضي شرعية دينية، وعند الوساطة سياسة تقنينية، ويكون فقيهًا لطيفًا أديبًا ظريفًا رفيقًا بالناس، شفيقًا عفيفًا رؤوفًا نزيه النفس عن الأطماع، حمولاً صبوراً حليمًا وقوراً لبيبًا محتشمًا مهيبًا، قد ساس نفسه على التأديب، وراضها على التهذيب، مع السلامة والاستقامة والرأي والرجاحة. ولهذه المعاني استوجب أن يكون زماما على أهل العلم والعدالة والرأي والإصابة؛ لأنه ليس من العدل والحق أن يكون الأدنى فوق

---

(١) في (أ) خطة.

الأعلى ، ولا الأنقص متقدما على الأفضل ، ولا الجاهل مملكا على العاقل ، ومن حق القاضي أن لايداجي[1] شريفا لشرفه إذا كَانَ الحق عليه ، ولا يزري بوضيع لضعته إذا كان الحق له .

وينبغي للقاضي أن لا يظهر للناس إلا بتؤدة ووقار وهدًى وسكينة ، وأن لا يتعرض للحكم وهوعلى حال جوع شديد ولا امتلاء كثير يحفِّزانه عن إنفاذ ما يُنْبيه[2] وينصبه ، ويحولان بينه وبين ما يقطعه ويرتبه ، بل يتعمد أعدل حالاته وأرشدها ، وأفضل أوقاته وأحمدها ، ويَجبُ على القاضي أن لا ينهض من مجلسه حتى يقضي حق الله تعالى من الصبر والمبالغة وإيفاء النظر حقه والتأمل شرطه ، وأن يستقصي ما بينَ الخصوم من المنازعة ، وأن يحسن لهم الإنصات والإصاخة ، ويجمل لهم المخاطبة ، ويَجبُ أن يكون مخاطبته لمن علت طبقته واتضعت منزلته واحدة في مجلس قضائه كيلا ييأس الضعيف من النصفة ، ولا يطمع القوي في القهر والغلبة ، ويَجبُ عليه أن ينظر فيما يرد عليه فما وجده في كتاب الله تعالى وسنة رَسُوله ﷺ ، أمضاه ، وما وجد لإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام فيه حكما وأصاب من مراسمهم فيه رسما حكم به ، وما لم يجد فيه من النوازل والحوادث رجع إلى إمامه فيه ليأمره بما يقضيه ، ويتقدم إلَيه ليوجب ما ينهيه ، ولا يقدم على تقليد الأحكام بالظن قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

ويَجبُ عليه أن يتثبَّت عند شهادة الشهود ، ويبحث عن حالاتهم ، ويفحص عن وجوه عدالاتهم ، ويجعل رجوعه في ذلك إلى أهل الثقة والأمانة والستر والصيانة ، ومَنْ ليس بينه وبين من يسأل عنه هوادةٌ ولا عداوةٌ .

---

(١) في(أ) المداجاة : المداراة . قاموس ١٦٥٤ .

(٢) في(أ)يُنبه .

ويَجِبُ عليه أن يتوقف عن الحكم بإراقة الدماء على جهة القَوَد حتى يطالع الإمام بصورة الأمر ، فإن للدم عند الله منزلة ليست لغيره مما يحكم الناس فيه .

ويَجِبُ أن لا يقبل شهادة فاسق ولامارق ولا متهم ولا مريب ولا ظنين في دينه ولا جار إلى نفسه بالشهادة لحظ من حظوظ الدنيا .

ويَجِبُ عليه أن يحكم بما يرد عليه من خطوط القضاة وكتبهم ، وشهادات شهود البلدان المشاهير عنده إلا أن يرى غلطًا فاحشًا فيطالع الإمامَ به ليرى رأيه ، وإذا تحاكم إلَيه أهل الذمة حكم بينهم بحكم الإسلام فإن في ذلك ترغيما لهم .

هذه شروط أحكام الشريعة على حسب ما يقتضيه هذا المختصر ، فأما المتولِّي لأحكام السياسة الذي هو المأمور وصاحب الجيوش والسرايا فإن الإمام يعهد إلَيه ويأمره بتقوى الله تعالى ، وإيثار طاعته في سر أمره وعلانيته ، والاعتصام بحبله وإصلاح ما بينه وبينه بالعمل الزكي والخلق الرضي ، وأن يتعاهد نفسه في تطهير مذهبه ، والمحافظة على دينه وأمانته ومأكله ومشربه وملبسه ومكسبه ، والعلم بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله في جميع متصرفه وسائر منقلبه ، ولا يولِّي إلا من يصح له الضبط والكفاية ، (والذبُّ والسياسة بما يقمع به أهل العبث والفساد ، وتصلح معه الرعية والبلاد ، فإنه لا تجب الجباية إلا بالحماية ، ولا تصلح الولاية إلا مع الكفاية)[1] ، وأن يتجنب محارم الله تعالى ومساخطه ، وأن يكف من معه من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد من الرعية أو مسائتهم بأذية ، ويحضهم على لزوم السلامة والاستقامة ، وسلوك الطاعة بأقصى الاستطاعة ، ومقارعة أعدآء الله القاسطين ، ومجاهدة الخالعين

---

(١) في (أ) ساقط ما بين القوسين .

المارقين بأفضل العُدَّة والعتاد .

ويَجبُ عليه أن يحسن صحبة من معه من الجنود في تجريدهم للبعوث ، وأن يكثر عرضهم ، وأن يتفقد دوابهم وأسلحتهم ، ويأمرهم باتخاذها والتنقية فيها ، فإنّ ذلك مما يزيد الدين حرزاً وعزّاً ويزيد أعدآء الله ذُلا وقُلا .

ويَجبُ على أمير الجيش أن يعظم الأنجاب الأنجاد من الجيش ، وأن ينزلهم منازلهم ويوفيهم مقاديرهم من الإكرام ، فإن ذلك مما يشحذ نياتهم ، ويزيد في بصآئرهم ، ولا يأخذ أحداً بفرق ولا تهمة دون أن يكون من أهل الريب والظنة ، وأن لا يعاقب أحدا منهم بشبهة ولا ببلاغة كاذبة ولا رفيعة دون أن تظهر له البينة العادلة والعلامات الواضحة .

ويَجبُ عليه أن يتعاهد ثغوره وقلاعه وحصونه وأطرافه ومصالحه[1] ، ويحترس من اختلال يقع فيها ، ولا يُنفِّذ قَوداً ولا قصاصاً دون مطالعة الإمام فيها ، وينهى عن التنزل في بيوت الناس والتطرُّق على غلاتهم .

ويَجبُ أن يتفقّد الحبوس وينفس عمن فيها ، ولا يضيق عليهم ولا يمنعهم أقواتهم ومرافقهم من غير تضييق ولا تشديد ، وأن لا يمنعهم المآء الطاهر والمكان الطاهر في أحيان صلواتهم وأوقات عباداتهم ، ولا يأخذ أحداً بأكثر مما يوجبه جرمه ويقتضيه ذنبه .

ويَجبُ على الوالي صاحب الجيوش والسرايا ، أن يقرأ عهد الإمام على مَنْ قبَلَه من الأوليآء والأجناد ، ويعلمهم بحسن رأي الإمام فيهم ، وتوجيه الصلاح لهم ، وإيثار الإحسان إليهم ، والعدل عليهم ، ودفع الضيم عنهم ، والمجاهدة لعدوهم ، والمرامات دونهم ، فإن الجند حماة جوزة الإسلام ، واعضاد الإمام ، والذابون عن الأنام ، وهم حماة الثغور ، وحراس الجمهور ، والدين بهم مهيب ، والحق بهم مصحوب ، والثأر بهم مطلوب ، والصلاة عماد الدين

---

(١) في (أ) ومسالحه .

لا يجوز أن يتولاها غير الطاهرين المهذبين، فيولي عليهم الشريف العفيف ، ويُؤمَر أن يقيم الصلاة لأوقاتها المعلومة ، وأحيانها المحدودة ، وأن لا يخدجها ولا ينقصها إذا كان به يأتمُّ من خلفه ، وصلاة جميعهم معقودة بصلاته وفي عنقه ولازمة له، وأن يكون دخوله فيها بإخبات ودعة، وهدى واستكانة ، وخشوع وخضوع، فإن الموقف العظيم والمقام الكريم بينَ يدي الرب الرحيم .

ويَجِبُ أن يُرتلَ قرآنه إذا قرأ ، وأن يُسْمِعَ خطبته إذا خطب، وأن يضع كل كلام في موضعه ، وكل قول في الموضع الأليق به .

ويَجِبُ عليه العناية بمرمَّة المساجد ، وإصلاح مصابيحها وقناديلها، ومياضيها ومستحماتها، وترتيب المصلين والمؤذنين فيها ، ويعول من تطوع منهم، وإزاحة علة من دنت حالته من بيت مال المسلمين؛ لأن يتوفر على حفظ المواقيت، لئلا يقع فيها تفريط ولا تقصير .

ويَجِبُ عليه أن يكفل اليتامى والمفلسين ويجري عليهم الجرايات بحسب الكفاف وعلى معلمهم؛ ليتوفروا على تعليم كتاب الله تعالى والمعرفة بالحلال والحرام والقضايا والأحكام دون الكتاب والحساب، فإن ذلك من مصالح الدنيا، كذلك يعني بتطهيرهم بالختان، وكسوتهم عند ذلك؛ لئلا تنكسر نفوسهم، ثم تزويج اليتيمة لليتيم على فرائض الله تعالى وخيرهما وسترهما ، والزكاة عروة من عرى الدين، وفرضها لازم لجميع المسلمين، وكذلك الصدقة فلا يجبيهما[1] إلا إلى من صحت إمامته، وارتضيت ديانته، وحسنت سيرته، وبليت سريرته ليؤمر بجبايتها بلا رهق ولا عسف ولا تحامل ولا جنف[2] ويجعل للعمال عليها كفافا يغنيهم إلا أن يكون الناظر فيها من نصاب هاشم بن عبدمناف ، والحِسْبَةُ

---

(١) في(أ)يلجبهما إلا لمن صحت أمانته .

(٢) في(أ) ولا حيف. الميل. القاموس ١٠٣١ ، والمختار ١١٣ .

باب من أبواب البر يتخير لها الفقية في الدين القيم بمصالح المسلمين، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واقعًا على من وقعت الحسبة عليه، وصادعا على من صدعت من غير ميل ولا ممالاة، ولا حيف ولا مداجاة، وهذا باب كبير وأمر خطير لا يجوز إغفاله، ولا يسع الإمام الإخلال به ؛ لأن موضع أمره قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يستنيب فيه إلا شخصًا طاهرًا لا تأخذه في الله لومة لآئم، ولا تصده عن طاعة الله محاشاة ولا مراعاة، والرعية وديعة الله سبحانه عند الإمام لا يصل إلى ضبطهم وحفظهم وحياطتهم إلا بمعونة منه تعالى، فيجب عليه صونهم وحراستهم وحفظهم وحياطتهم، وحملهم على ما فيه صلاح معائشهم والعون لهم على مصالحهم، وأمان سبيلهم، وتسهيل سبيل مرافقهم ومكاسبهم، وإزالة المكوس[1] والرسوم الجائرة والأوضاع المجحفة عنهم؛ ليكونوا له داعين، وفي أيامه آمنين، وبسيرته راضين، ولخلافة الله تعالى فيهم حامدين، وبحسب نظره لهم شاكرين . وصيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ومراعاة استهلاله، وتصحيح تواريخ استقلاله، والتوسعة فيه من الصدقات والزكوات والنوافل والقربات، وأن يُصام هذا الشهر إيمانا واحتسابا، وأن يكون الصوم غض الطرف عن المحارم، وكف اللسان عن الرفث والهجر وتنزيه السمع عن القبائح، وقبض اليد عن البطش إلى المآثم[2] إعظاما لما أوجب الله سبحانه من حقه، وحتم من توقيره وتعظيمه على خلقه .

ويجب على الإمام إقامة الحج فإنه من شعآئر الله تعالى المفروضة وحرمات

---

(١) في(أ): الموكوس. والمكس: هو ما يأخذه العشار بعد الفراغ من أخذ الزكاة من المصدق، وفي الحديث: «لا يدخل صاحب مكس الجنة».

(٢) في(أ): عن المحارم.

الله المكتوبة، فرضه على من استطاع إليه سبيلا. والمعونة على الجهاد فإنه باب عظيم في حماية حوزة الإسلام وحفظ بيضته، وأن يبدأ منه بإزالة الشوآئب العارضة من جهة المرتسمين بالشريعة، الخالعين لربقة الإسلام، الذين عطّلوا الحدود، ونقضوا العهود، وحلوا العقود ليذعنوا للحق طآئعين، ويرجعوا إلى ما مرقوا منه خاضعين، والله سبحانه العالم بالسرآئر، المطّلعُ على الضمآئر يعلم ما نعتقده ونتحراه، ونعتمده ونتوخاه من إصلاح الجائر عن القصد الخارج عن الحد، وأن غرضنا فيهم ومرادنا منهم تألّف شاردهم، وإصلاح فاسدهم، واستمالة نافرهم، وأمان خآئفهم، وإنصاف مظلومهم، واستنقاذ مغشومهم عن[1] مخالب غاشمهم، ونعش كبيرهم، وجبر كسيرهم، وسكون دهمآئهم، وتحصين أموالهم المنهوبة، وحقن دمآئهم المسفوكة، وصلة أرحامهم المقطوعة، وتأنيس طريقهم المخوفة، والإحسان إلى محسنهم، والتعمد لإساءة مسيئهم مالم يجترح ذنبًا ولم يضع حدا، وحملهم على ما يعود عليهم في دنياهم بالأمن والصلاح، واليُمْن والفلاح، والخير والنجاح، وفي آخرتهم بالفوز والنجاة، جعلنا الله وإياكم ممن يؤثر الحق طوعا، ويعتمد الصدق سمعا، ويستعمل أبواب الصلاح قولا وفعلا. وبيننا وبينكم يا إخواننا مواضعة نكتبها بنسخ شتّى تكون عند أمنآئكم وثقاتكم، أنا لا نثلم لكم جاها، ولا ننقص لكم من حل الله تعالى حالا، ولا نستبيح لكم عِرْضا، ولا نستحل منكم محرما ولا مأثما، وأنا نعوّضكم في عزّ الجهاد تحت لوآء الحق أضعاف ما تتأملونه إذا أسخطتم الله تعالى ربكم، وجرحتم دينكم ودنستم أعراضكم، وأن الحق تستنزل معه الخيرات، وتُستدرّ به البركات، هذا أماني وضماني على الوفاء به، والله سبحانه على ما أقوله راع وكفيل، وكفى بالله شهيدا. وقد علمتم يا إخواننا عطف الله تعالى

---

(١) في (أ): من.

بكم إلى صلاحكم ، وإيصالكم إلى ما فيه عمارة حالكم ، أنه إذا عرض أمران ديني ودنيوي وجب على العاقل المكين وذوي الرأي الرصين أن يختار ما يبقى على ما يفنى ، وما يدوم على ما يضمحل ويبلى ، فكيف إذا أمكنه الجمع بين الحالين ، ونيل كلتا المنزلتين ، ما عذره في سوء الاختيار ، وماالذي يلجيه إلى العار والشنار ودخول النار؟ جعلنا الله تعالى وإياكم ممن يؤثر الحق ويعتمده ، ويريد الصدق ويقصده وأستغفر الله العظيم لي ولكم إنه هو[1] الغفور الرحيم ، والصلاة على جميع ملآئكة الله المقربين وأنبيآئه الصادقين وأئمة دينه المحقين وجميع عباده الصالحين وأهل طاعته من أهل السموات والأرضين .

أملأناه على حد العجلة ، فإن كان فيه زلل أو خلل فذلك بسببه ، ونكتب المواضعة على المهلة إن شآء الله تعالى ، والحمد لله وحده وصلواته على رسوله سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين ، وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .



(١) في(أ)ساقطة : هو .

الإمامُ الناصر أبو الفتح الديلمي عليه السلام[1]

هو: أبو الفتح الناصر[2] بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكان عليه السلام غزيرُ العلم، وافر الفهم، له تصانيف تكشف عن علوِّ منزلته وارتفاع درجته، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه من أنواع المحاسن، وهو كتاب جليل القدر قد أودع فيه من الغرائب المستحسنات، والعلوم العجيبة النفيسة ما قضى له بالتبريز والإصابة، ودلَّ على الكمال والنجابة، وهو أربعة أجزاء. ومنها كتاب الرسالة المبهجة في الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة، يعني الفرقة الخاسرة المطرفية، وفيه علم رائق، وكلام فائق، يدل على بلوغه في هذا الفن الدرجة العليا، ويشهد بأن قدحه فيه المعلا. وله دعوةٌ حسنة جدا قد احتوت على فرائد[3] من الكلام يوازن الياقوت، قال في صدرها:

هذا كتاب من عبد الله ووليه الناصر لدين الله إلى كافة الناس أما بعد: فالحمد لله ذي العزة القعساء، والقدرة العلياء، الذي دهر الدهور بحسن تدبيره، وأنطق الصامت ببديع حكمته، وجالت أبصار البصائر في عظيم عظمته، وتاهت في سبق بدائع خلقه الأفهام، وحارت عن ظنون مداه الظنون والأوهام، لم يشبه

---

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٥٤٧، أئمة اليمن ١/ ٩٠، التحف شرح الزلف ٢١٨، بلوغ المرام ٣٦، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩١، والشافي ١/ ٣٣٨، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٤٦، ومطمح الآمال ٢٤٠ أعلام المؤلفين الزيدية ٧٤٩، اللآلئ المضيئة «خ» الذريعة ٤/ ٢٢٥.

(٢) في النسخ: أبوالفتح بن الناصر بن الحسن وما أثبتناه هو الصحيح. أنظر الشافي للإمام عبدالله بن حمزة ١/ ٣٣٨ والتحف شرح الزلف ٢١٨.

(٣) في (أ) فوائد.

بشيء فتدركه الأوصاف، ولم يكن جسمًا فتحويه الجهات والأطراف، ولا مرئيًا فتحيط به النواظر والأبصار، ولا موهومًا فتناله الخواطر والأفكار، أزليٌّ لا إلى انتهاء، أوليٌّ من غير ابتداء، عالم بما في الظنون والخفاء، قادر على الإفناء والإبقاء، عدلٌ في الحكم والقضاء، متجلِّلٌ بالعظمة والكبرياء، مُعِدٌّ لعباده دار الجزاء، فالمحسن في درجات[1] السرور والنعماء، والمسيءُ في دركات الحُطمة النَّكداء ﴿نارُ الله المُوقَدَةُ * الَّتي تطَّلِعُ على الأفئدَةِ * إنَّها عليهم مُؤْصَدَةٌ * في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:٦-٩]. تعالى منْ صانع لم يصنع بمباشرة، ولم يخترع بمماسة، ولم ينله في كثير ابتداعه فتور، ولا اعتراه في عظيم اختراعه لَغَبٌ ولا تقصير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتنزه عن المسامي والنظير، المترفِّع عن الظهير والوزير. ونشهد أنَّ أبانا رسول الله ﷺ نبيه الذي اصطفاه، ورضيه الذي ارتضاه، وسيفه الذي على أعدائه انتضاه، وحقه الذي فيهم أمضاه، وخالصته الذي بنوره حباه، بعثه وأمواج الكفر متلاطمة، وحنادس الجور متلاحمة، وأواديُّ الإفك زاخرة، وشقاشق الشرك هادرة، وعمايات الجاهلية مظلمة، وغيابات الضلالات مستهلة، وعزاليُّ الباطل منهلّة، ومواضي الحق منفلّة، وجماهر الطغيان مجمهرة، وعساكر البهتان معسكرة، وقسي الشيطان موترة، وأقوال البدع مؤثرة، فأزهق بحقه باطلهم، وقمع بنصله صائلهم، وأخمد بشهابه بواترهم، وأجمد بعواصفه ثوائرهم، وهدم بنيانه[2] مشيَّدهم، وفرق بعدده عديدهم، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء:٥] فكان ﷺ للكتاب منيرا، ولأحزاب[3] الشرائع مثيرا،

---

(١) في(أ) دار.

(٢) في(أ) وهزم ببنيانه.

(٣) في(أ) لحزاب.

ولمن اعتصم به مجيرا، ولجميع الإنس والجانّ مبشراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

ثم خرج فيه إلى ذكر علي عليه السلام، فقال بعد كلام له : صبر أمير المومنين صلوات الله عليه في تلك الفتن الصمّ والمحن، اللهم صبّر مثله؛ إذ جرّبته الخطوب، وعزت على الإساءة الندوب، وشابت من أهوالها المفارق، ونشرت على مناجبها[1] المرافق، وأعوز فيها الناصر، وقل عندها التناصر، وذل فيها المساعد، وخفي لديها المراشد، ﴿وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلزالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: ١٠]، إلى أن ثني له عليه السلام الوساد، ووطّئ له المهاد، بانقراض الدول المبطلة، وتوالي الأيام المضمحلة، فصدع به فجر الإحسان، وهَمَت من الله سماء الرحمة والامتنان، وأضاء وجه الدين بعد كسوفه، وأنار بدر الشريعة بعد خسوفه، وتباشرت الأمم بأيامه، وتكاثفت النعم بالتئام أمره وانتظامه، فما كان بأسرع من لمحة بصر، واستطارة شرر، أن جُمع الناكثون بالبصرة، وحسروا عن لثام الغدرة، فجعل الله لوليه النصر، وأذاقهم وبال الأمر، ورد عاقبتهم إلى الخسر، ولم يعتبر بذلك ابن أبي سفيان مع جموع الباطل والطغيان ومردة الإنس والجان، وأصحاب الطواغيت، وأحزاب العفاريت، وفرق الضلالة، وزمر الجهالة، حتى كان منه ما كان إلى غير ذلك مما عانا عليه السلام من قتال الخوارج المارقين الفسقة الباغين، فحين كادت الأرض أن تغني بأزاهير عدله، وتهتز بأنوار فضله، وتتبرج في حلة الحق، وتزهو بظهور الإنصاف والصدق، وتصفو مشاربها من المحتفين، وتخلو مذاهبها من كل طنين، ويجري عليها أحكام الكتاب المبين، خُيِّر لقتله أشقى الأولين

---

(١) في(أ) على مصاحبها.

والآخرين، فضرب هامته وخضّب منها شيبته.

ثم قال عليه السلام بعد كلام في هذا المعنى في ذكر الحسن والحسين: فالمشتكى إلى الله تعالى من أمة ضلّت عن سوآء السبيل، ودخلت في شريعة رسولها بالتغيير والتبديل، وجَازَتْ بَنِيْه بالنفي والتقتيل[1]، وفرقت ما جمعه، وابتذلت ما حماه ومنعه، ووالت أعدآءه، وعادت أوليآءه، وتبعت مَنْ قَهَره، وخذلت من نصره ورفعت من وضعه، ووضعت من رفعه، وآوت من ناواه، وناوءَت من آواه، ونبذت كتاب الله تعالى، الجامع للأمر والزجر، كأنهم عنه عمون، وعن حوار بيانه تائهون، وعن واضح آياته حائرون، وإلى العمى والتيه صائرون، قد ألفت طريقة الزيغ والعناد، واستوطت مركب الجور والفساد، قرنًا فقرنًا، وزمنًا فزمنًا، وخلفًا وسلفًا، من لدن الأيام الأموية إلى العباسية إلى أهل هذه الغاية في أهل هذا البيت الشريف، والمحل المنيف، الذين رفع الله ذكرهم وأجل قدرهم وجعلهم مفازًا للمتمسكين، ومنجًى للمعتصمين، في يوم لا تنفع فيه الندامة، وتقوم فيه القيامة، وتطم الأهوال، وتعظم الأوجال ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١]، وكانوا عليهم السلام - في تلك الأعصار المظلمة والمدد المدلهمّة، والأوقات الغابرة، والأزمان الجائرة - بين مقتول ومطرود، ومخذول وشريد، ونفي وقصي، ومستور ومنكور، ومسلوب ومحزون، مقرهم قنن الجبال، ومأواهم معدن الأوعال، خائفون هائنون، سائحون على الأرض سائبون، فكم من أخْمُصٍ مطهَّرة وقدم منزهة، قد شيكت في الهرب، ودميت خوفا من درك الطلب، وعين قد قرحت بالسُّهاد، وناظر حُرِمَ طَعمَ الرقاد، وحُرّ وجْه لوَّحته الهواجر والسمائم، ومصون بدن أنصبته الموامي والدَّيام[2]، يظلون بأكباد حرَّاء طاوية، ويبيتون بأبدان سلباء عارية، قد

---

(١) في (أ) بالبغي والتقتيل.

(٢) في (أ) الديام.

أتعبتها الأسفار، وعرفتها البراري والقفار، حقوقهم مصروفة إلى القيان والخدم والخصيان، قد اتخذوا ملابسهم من وشي اليمن، ومجالسهم من صنع الأرمن، وصيّروا دين الله لهوا ولعبا، والتمرد على أوليائه طريقة ومذهبا، لا يألونهم خبالا، ولا يزيدونهم إلا ختالا، وكل من قام من هذه العترة الطاهرة للانتقام والانتصار والاقتصاص والإيثار رموه بالدواهي، وأخذوا عليه المرامي، وسددوا إلى مقاتله، واجتهدوا في نصب حبائله.

فانظروا رحمكم الله كيف صُلب زيد بن علي عليهما السلام بالكناسة، وقُطع رأس يحيى بن زيد في المعركة، وخُنق عبدالله بن الحسن بن الحسن في حبس الدوانيقي، وقُتل ابنه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي، وهُزم إدريس بن عبدالله بفخ حتى وقع إلى الأندلس فريدا، ومات عيسى بن زيد ببلد الهند طريداً شريداً، وقُتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والأيمان، وبعد ما كُتب له العهد والضمان، هذا غير ما فُعل بسادة طبرستان، وقُتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على يد آل سامان، وغير ما فعل أبو الساج[1] بسادة المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامرّاء، وبحسبكم أنه ليس في بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة.

ثم قال ﷺ بعد ذلك: لم يخلق دار الدنيا للإخلاد إليها، ولا للاعتماد عليها، والاغترار بفواني رغائبها، وعواري مواهبها، ومقتضى لذتها، ومبهج جدّتها، وخلب بارقها، ومظلم شارقها، ومتقلص ظلها، ومجدب قلها، وأجاج موردها، ومنثنى مرقدها، ومستحيل بهائها، ومتغير روائها، بل جُعلت لعمل الأخرى، وتمهيد مقر العقبى.

واعلموا معاشر الناس، أنّ الله تعالى لم يترككم سدًى هوامى ترددون بغير راع، ولا نفشًا تسرحون بلا محام ولا مراع، ولكن من لطفه الخفي، وصنعه

---

(١) في «أ» السباج.

الهني[1] أن أرسل الأنبياء والرسل ، وجعل منهم الأئمة والهداة الذين قام بهم الصلاح ، ودام بكونهم الفلاح ، وختم النبوة والرسالة بخيرهم نسبا وأشرفهم منصبًا ، وأكرمهم محتدًا ، وأعظمهم وأجلهم مولدًا ، وأطهرهم فخارًا وأعلاهم منارًا ، وأحسنهم ذمامًا ، وأرفعهم دعامًا ، وأهداهم للسبيل ، وأقومهم بالدليل ، فأنقذهم من الضلالة والعمى ، وجنبهم طرق الجهالة والردى ، وهداكم لسواء الطريق ، وألفَّ بين قلوبكم بعد التبديد والتفريق ، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ [آل عمران:١٠٣] ، يالك من إحسان ما أوفره ! وامتنان ما أكثره ! ومنحة ما أسبغها ! وعارفة ما أسوغها ! وحجة ما أبلغها ! وكان مما وعد الله نبيه ﷺ استحفاظ بنيه فأقامهم مقامه ، واسترعاه إياهم سنته ، إذ هم العترة الطاهرة ، والحجج الباهرة ، والشهداء لله تعالى على أهل الأرض بإقامة الواجب والفرض ، ذو الثقة والرأفة والشفقة بأمّة جدهم صلوات الله عليه وآله ، والتوفر على ما يصلحهم دنيا ودينًا ، ويزيدهم بالله سبحانه إيمانا ويقينا ، من توقير الكبار والحنو على الصغار ، والمحافظة على مصالح الأرامل واليتامى والضعائف والأيامى ، وحفظ مالهم من السهام والصدقات والأقسام .

ثم قال ﷺ بعد ذلك : وإنَّا لمَّا رأينا السيل قد بلغ الزُّبى ، والأحلام قد حلت لها الحبا ، وكادت الصدور تضيق ، وسوء الأعمال بأهلها تحيق ، وظهرت الفواحش والفسوق ، وشُربت الخمور ، وصرح الفجور ، وضُربت المعازف والمزامير ، وأُوترت العيدان والطنابير ، ولَبِسَ الرجالُ الحرير ، وشاع النكير وقل المُنكر ، وضاعت الحدود ، وبارت الحقوق ، ورفضت الشريعة ، واتُّبِعَت البدعة ، وابتذلت السنة ، وقلَّ التناصف ، واستولى البغي ، وهلك الضعيف ، وعزَّ الظالم ، وبُزَّ المظلوم ، ومات المعروف ، وعاش النكير ، ومات المُنكرُ ،

---
(١) في نسخة : الإلهي .

وطلعت شموس الجور ، وأفلت نجوم العدل ، وكسف[1] وجه الدين ، وغاصت مياه الحميَّة ، واطرحت جواد السؤدد ، وعلت التحوت[2] ، وهبطت الوعول ، وهطلت سماء الطغيان ، وتوافرت جموع الشيطان ، وكَثُرَ الشقاق والتمرد والنفاق ، وغُيِّرت الأحكام ، وارتشت الحُكَّام ، واعضوضل أمر أئمة الزيغ والفساد ، والحيف والإغياد ، وقصروا لأمر هم عنه قاصرون ، وعن أعبائه عاجزون ، كلا إنهم في الغلو جامحون ، وفي غيل الغواية حاذرون ، وفي تيه الغرَّة حائرون ، قد حكموا بغير حكم الكتاب ، وضلُّوا عن وجه الصواب ، ووقفوا مواقف الأطهار ، بلا مآثر ولا عناصر ، فلا حياء يردعهم ، ولا ورع يمنعهم ، ولا نكير يصدهم ، ولا دين يردهم ، قد أقروا على عمايتهم ، واتُّبعوا في ظلماتهم ، واستُحسن شنيعهم ، واستعجب فظيعهم ، فعند ما ذكرنا من الأمور المستنكرة ، والأسباب المنفرة ، والأحوال المغيرة ، وجب علينا ترك الدنيا بالكلية ، والفزع إلى الله جل ثناؤه بالجملة ، واستحلى طعم المنية ، والقيام في أمة نبينا ﷺ بالسوية ، واستدعاء أعضاد ليكون لنا رداءً على المناوين ، ويدا على الباغين ، يبذلون المهج ، ويمسحون عن جبين الدين الرهج ، كماة المأزق ، وحماة الحقائق ، ذوي البلاء والآراء ، والنُّقَّاذ لدى المضائق والمضاء ، يقاتلون على بصيرة ، ويلاقون على حسن سريرة ، و يطلبون حقوقًا طالما مُطل غريمها ، وانتهك حريمها ، وسيجبر صنعُ الله الجميل وإحسانه المعهود الجزيل قضاءها ، ويزول عن قريب التواؤها ، إن أعدَّ الله لذلك توفيقاً وتأييداً وصنعًا من لدنه وتسديداً .

ثم قال ﷺ : ولم يتصل بهذا الأمر الخطير والموضع الأثير ، إلا بالنسب

---

(١) في(أ) وكشف .

(٢) في(أ) التحوت : الأراذل السفلة كما في الحديث «لاتقوم الساعة حتى تظهر التحوت ، وتهلك الوعول » أي الأشراف . القاموس ص ١٩٠ . .

الشـهـيـر الذي بلغ السـمـاء وناطح الجـوزاء، واتضح وضـوح الشـمـس في الأبراج، وأنار إنارة القـمـر الوهّاج، والعلم بالكتـاب والسنة، ومعـرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والتأويل والتنزيل، والتحريم والتحليل، والنظر في الكلام والفقه والفرائض واللغة والنحو، والتصريف والبلاغة والخطابة والشعر، والنشأة على الطهارة من لدن الرضاعة إلى هذه الغاية، من غير جاهلية سلفت ولا جريرة سبقت، والسماحة في حالتي السراء والضراء والبؤس والنعيم، والإقدام عند مزلة الأقدام، والشجاعة التي لا ترام، بذلك شهد الحجاز والعراقان والشام ومصر وطبرستان، ذلـك من فضـل الله علينـا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكـرون، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وهو عليه السلام القائل[١]:

آلا يا لَهـمـدان بن زيد تعـاونَوا	على نصرنا فالذين سربٌ مضيَّعُ
ونادوا بَكيْـلاً ثم وادعَـة التي	لهـا المشهد المشهور ساعة تجمع
ولا بدَّ من يوم يكون قـتـامـه[٢]	بوقع القنا والمشـرفـيـة أدرع
سينقاد لي من كان بالأمس عاصيًا	ويقـرب مني النازحُ المتـمنِّعُ
أنا الناصـر المنصـور والملكُ الذي	تراه طُوال الدهر لا يتـضَـعْـضَعُ
سنمـلأُ دنيـانا من العـدلَ بعـد مـا	مضت حقبًا بالظلم والجور شرَّع

قام عليه السلام[٣] في أرض اليمن بعد وصوله من ناحية الديلم، وكان قيامه في سني الثلاثين وأربعمائة، وانتشر ذكره وعلا أمره، وملك صعدة والظاهر واختط ظفـار وهو حـصن الإمـام المنصـور بالله حـمـاه الله تعـالى وحـرسـه، وحـارب الصليحي في بلاد مذحج، وقتل من خولان بمجن مقتلة عظيمـة، وله حروب على أثافت من قِبَل الصليحي سجالٌ له وعليه، ولم يزل شجًى في حلوق الباطنية

(١) الشافي ١/ ٣٣٨.

(٢) في(أ)قيامه.

(٣) التحف شرح الزلف ٢١٨، وكتاب الشافي ٣٣٩.

والمعتدين رافعًا لمنار الدين حتى قتله الصليحي في نيّف وأربعين وأربعمائة سنة ، وقبره عليه السلام بردمان من بلاد عنس ، وله عقب .

الإمام الناصر الحسين الهوسمي عليه السلام[1]

هو : أبو عبدالله الحسين بن أبي أحمد بن الحسين[2] بن الحسن بن علي الأديب الشاعر وهو الأمير أبو الحسن بن الناصر الكبير الحسن بن علي بن الحسن ابن علي بن عُمر بن علي سيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

قام بالأمر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ونَصَبَه العلماء بهوسم للأمر نصبًا ، [ولم يبايعوه على الطاعة لقصور رأوه في علمه ، واشتغلوا بالتدريس له بالليل وبإشادة ذكره بالنهار حتى استتم العلم فبايعوه على الطاعة][3] ، وأحدق به من علماء هوسم رضي الله عنهم ثمانية عشر من المجتهدين ، وزهاء مائتي رجل من أوساط الفقهاء والمتدرسين[4] والحاكمين ، وسبعون ألفا من المنظورين من الأغنياء والعمال والمحسوبين الذين يحصل بكل فرقة منهم صلاحُ أمر من أموره . وجنوده خشنة من الأتراك وأهل التأليف من أبناء صناديد الجيل والديلم ، ودانت له جميع البلاد المنسوبة إلى الناصر للحق الكبير عليه السلام ، من أول (كنانكجا قرية جومه إلى كيلاكجان) هذا جيلان ، ومن الديلم من كياجان إلى قلعة ألموت ، وكانت إذ ذاك من قلاع بلاد الإسلام وإلى بلاد الإسفندارية إلى نواحي حدود طبرستان . وأمر ببناء الجوامع والرساتيق وبإقامة الجمعات فيها ، وكان قبل ذلك

---

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٢ ، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٥٢ .

(٢) في الأصل والنسخة(أ) : الحسن ، وأثبتناها صحيحة من التحف ٢٢٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط في (أ) .

(٤) في(أ) : من الفقهاء والمدرسين .

المشهور من مذهب الناصر للحق عليه السلام أن لا تقام الجمعة إلا في الأمصار، وكان شاعراً فصيحًا مفلّقًا. أنشأ على البديهة من وقت الظهر إلى العصر زهاء مائتي قافية في مديحة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وعليهم وتفضيل أمير المؤمنين علي عليه السلام ونقص من خالفه، وفيها :

عليٌّ كبازٍ والشيوخُ كَصَعْوةٍ فما حال صعو في مخالب أصقر

لم يكن له منازع في جميع جيلان وديلمان مع كثرة الملوك والسلاطين فيهما، وكان ذا جاه عريض، ومملكة باسطة، وبطشة قاهرة، وقوة قادرة، وكان لفقراء المسلمين كالأخ الرفيق، وللأيتام كالوالد الشفيق، وللأرامل كالزوج العطوف، وللمتعلمين كالمعاهد الرؤوف، وعلى الظلمة كالحسام القاطع، وعلى المجرمين كالسم الناقع، حارب صاحب طبرستان الملقب (باصفهبذ) وزوّج إصفهبذ ابنته منه، وكان يُهدي إليها وهي تحته كل شهر سفينة من الهدايا مع جارية واحدة يتألفه ويُسكن ثورته عن نفسه، فلم يسكن وتبرأ منه لما رأى من ظلمه لأهل طبرستان وفساده وعتوِّه وكان إذا قل شيء من بيت مال على الفقراء أخذ بالبكاء والتضرع إلى الله، وسؤاله كثرة بيت المال حتى لا ينصرف الفقراء من بابه خائبين لم نسمع أحداً من الأئمة أشد شغلا بمرافق الفقراء منه رضوان الله عليه ومراعاة لحملة القرآن، وكان يحفظ كتاب الله غيبا ويعظم من حفظه، ويرزقه من بيت المال حتى صار أهل الجيل أكثر الناس حفظا لكتاب الله تعالى، وهم مستمرون على ذلك إلى الآن ببركته عليه السلام .

وقصته ونشر محاسنه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح . بلغت مدة قيامه بالأمر من أول النصب إلى آخر ختم الإمامة أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته بهوسم سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، ومشهده بها مشهور مزور بقرب من مشهد أبي عبد الله [1] عليهما السلام [2] .

---

(١) يعني: محمد الداعي عليه السلام .

(٢) التحف شرح الزلف ٢٢٢ ، وأخبار الأئمة الزيدية نقلاً عن جلاء الأبصار ١٥٢-١٥٣ .

الهادي الحُقيني عليه السلام[1]

هو: أبو الحسن علي بن جعفر بن الحسن بن عبدالله بن علي بن الحسن بن علي بن أحمد الحقيني بن علي بن الحسين بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكان جامعًا للعلوم، أجمع العلماء في زمانه أن سُبْع علمه آلةٌ للإمامة فترشح للإمامة في بلاد الإسفندارية من أرض الديلم، فأقبل العلماء على بيعته لتكامل خصال الإمامة فيه، وكان عليه السلام يتشدد في الإنكار على من رأى للباطنية صلحًا[2] وإباحة دمه واغتنام ماله دون سبيه واسترقاقه، حتى بلغه عليه السلام ذات يوم أن القاضي مروان بَلّغَه رقعة من الملاحدة الباطنية على يدي رسول أرسلوه إليه والقاضي هذا مروان كان من علماء (لَنْجَا)، وكان يتعذر على الإمام الهادي عليه السلام تنفيذ مراده عليه لقصور يده عنه وفي موضعه، فقال: اللهم إن كان هذا صدقًا فأحضره عندي هاهنا لأصلبه فيك ولك، فلم تمض أيام إلا مقدار مسافة ما بينه وبين القاضي مروان فحضر القاضي مروان فلم يؤجِّله أن صلبه من ساعته تلك.

وكان عليه السلام قد أوصى بوصية هذه نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصية العبد المتلهف المتأسف على ما فرط وضيع، وقصر وغدر، المستعبر على نفسه طويلا، الباكي صياحا وعويلا. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له متعالي عن الأضداد والأنداد، منزه عما نسب إليه الظالمون، وأشهد أن

(١) التحف شرح الزلف ٢١٦، الشافي ١/ ٣٣٨، طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ١١٩٢، ٣/ ١٣٠٥، أعلام المؤلفين الزيدية ٦٦٣، الآلئ المضيئة «خ» الجواهر المضيئة «خ» معجم المؤلفين ٧/ ٥١، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٤٢، معجم المؤلفين ٢/ ٤٦٥، مطمح الآمال ٢٤١.

(٢) في (أ): الباطنية صلحاء.

محمدا عبده ورسوله اختاره للرسالة ودل على صدقه بالدلالة، بعثه إلى كافة الخلق بالأمر الحق بشيراً ونذيراً وسراجًا منيرًا خاتم الأنبياء وخير الأصفياء ﷺ وآله.

وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق، و البعث حق و النشور حق[1]، وأن الخلائق يحشرون ويجمعون إلى أرض صردح ويسألون ويحاسبون، ويثابون ويعاقبون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأشهد أن أمير المؤمنين إمام المسلمين بعد رسول رب العالمين؛ لما خصه الله تعالى بمجموع الفضائل والمناقب، ووضعه في أشرف المناسب، بمنصوص التنزيل المعرض للتأويل، لتقابل الأشباه والأمثال، وتعارض المعاني والأشكال، سميناه نصًا خفيًا، وإن كان معناه عند الرُساخ واضحًا جليًا. وأما كبار الصحابة الذين تصدروا للإمامة ونهضوا بالخلافة فلا أغضُ نفوسهم وأغراضهم، ولا أقابل بالشتم أعراضهم، بل أجد موجدةَ الزاري عليهم، والمستريد منهم لتمسكهم بالمحتملات، وتعلقهم بالمتأوّلات وآكلُ أمرهم إلى الله تعالى.

كما قال القاسم عليه السلام: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وأما الرتبة التي ادعيتُها، والمنزلة التي اعتليتُها، والذُّروة التي امتطيتُها فإنما كان عن اعتقاد وقع مني أني أكمل العترة خصالاً وأتمهم خلالاً، وأجمعهم لشرائطها وأعلمهم بطَرائقها، ولقد خضت غمرتها ومارست شدتها، ما أعلمتني مواضعُها مواقعَها. وأما الأموال التي تسكّعتُ فيها واقتحمت عليها مترخِّصًا برُخص الشرع لرزوح الحال، وقلة المال، وظهور الاختلال.

وذكر أبو حنيفة في الجامع الصغير: أنه يجوز للسلطان العادل أن يستقرض لبيت المال إذا كان في بيت المال قلة وبالمسلمين حاجة، ثم لم آلُ جهداً في الاستحلال من المالك حين وجدت، ووصيتُ إلى جميع المسلمين آحادهم وأفرادهم أن يستحلوا كل من وجد في حال حياتي وبعد مماتي، وإن عشتُ أقومُ

---

(١) في (أ): وأن البعث. . . ، وأن النشور. . .

بإصلاح ما أخذته من المال بطريق الجبر والقهر، وما مددت يدي إليه لقضاء الوطر وابتغاء الأرَب كما يفعل المسرفون والمترفون والمترغدون، وإنما الغرض الأعظم حفظ قناة الدين أن يعوجّ ودعائم الإسلام أن ترتجّ، وعزمت في القابل أن لا أعود إليه، ولا أرجع فيه؛ فإن المحارم أحمية الشرع، فمن حام حولها يوشك أن يقع فيها ويتورط عليها، فدونها القتاد مُخرط، والجواد محبط، والعاقل مورَّط، فليحذر كل الحذر، فإن السفر فيه الخطر، والحساب شديد والرجوع بعيد، والحاكمُ عدلٌ لا يخفى عليه شيءٌ: لا خافية الأعين، ولا همس الألسن، ولا هوادة عبودية في الجزاء والاقتصاص، هيهات لات حين مناص، إلهٌ غفّار وملك جبار، غَضَبٌ عظيمٌ وجنةٌ نعيمٍ، وعقاب وجحيم، وزبانية شداد حداد، فأما أسقاط الدفاتر كلها تصرف إلى ابن أخي (الرِّضى) أنبتَه الله نباتا حسنا إن اشتغل بالعلم فيه، ونشأ عليه وشدا منه شدواً حسنًا، فإن أضْرب عنه صَفحًا، وطوى عنه كشحًا، فهي مقسّطة على الأكابر والأفاضل من أهل العلم، تُفرّق عليهم بكمالها.

وأما الأثاث والأمتعة لو بقيت في يدي ابنتي الكبرى فهي لها، لا حق لأحد فيها، والأفراسُ والبغالُ ونوعٌ من الأسلحة- وإن قلّتْ- هي مصروفة إلى عمارة مشهد والدي على ما استصوبه المسلمون، يُنفق عليها ويُصرف إليها، فالناس اتهموني باختزال نفائس الأملاك وعقائل الأموال واختزانها والبخل بها والشح فيها، فوالذي خلقني وخلق الخلائق أني ما ادخرت من الذهب قط ثلاثة آلاف دينار، وإنما كانت ألفين ونيِّفًا، إلى أن أغار عليَّ التركُ ودخلت في ضمان الديلم، فلم يجتمع عندي ألفٌ قط. والله تعالى مطلعٌ على سرائري وضمائري، فالمال مكذوب عليه، والكبير يوجد ثم يرزح[1]، والقوي يعدو ثم يطلح[2]. وأمرت

(١) في (أ): والكبير أو الكثير-غير منقوطة- يوجد ثم يرزح: رزحت الناقة: سقطت إعياء أو هزالاً. قاموس، باب رزح.

(٢) طلح: أي تعب وعيي من طلح البعير: أعياء. القاموس: مادة طلح.

المسلمين كافتهم وعامتهم، وآحادهم وأفرادهم، فأذنت لهم أن يختاروا لي خيراً، (ويكسبوا لي ذخراً، بصدقة ودعاء لي خيراً)[1] وطاعة كانت وإن قلّ ثوابها لي، وأنا استغفر الله العظيم من كل كبيرة وصغيرة، وهفوة وسقطة وعثرة، ومن مسعاة قدمي، ومكسب يدي الذي يُسخط الرب ويُغضب الإله، وأجْأرُ بالدعاء إلى الله ضارعًا، وأخبت له خاضعًا، وقال:

فيا لهف نفسي كم أُسَوِّفُ توبتي وعمري فانٍ والردى ليَ قاهرُ

وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يُجازي عليه عادل الحكم قادر

ارحمِ اللَّهم شيبتي وذلتي، وقلتي ووحدتي وغربتي، فمَن يرحمنا إذا لم ترحم؟، ومن يكرمنا إذا لم تكرم؟! فأنت آخذ بنواصي العباد، والحاكم يوم المعاد وصلى الله على محمد وآله الطاهرين[2].

ولم يزل عليه السلام ساعيا في إقامة قناة الدين، جاهداً في قطع ضرر المعتدين حتى كان في يوم من الأيام ببلد (كجوا) من بلد الإسفندارية، فوثب عليه بغتة حشيشي من الملاحدة الباطنية أرسلوه من ناحية (ألموت) وهي قلعة من قلاعهم، فاستشهدهُ رضوان الله عليه يوم الإثنين في شهر رجب من شهور سنة تسعين وأربعمائة، ثم نقل إلى (كلار)، ودفن في قرية هسكير[3].

قال ناقل أخباره: وبلغني أنه تردم تابوته بعد حين، فجعلوا يَرُمُّونَه فأفضى بهم رمُّهم[4] إلى إظهار جثته، وكان في عصر لم يكن أحد في ذلك العصر باقيا ممن رآه في حياته إلا شيخًا واحداً، فأحضروا ذلك الشيخ لينظر فيه هل تغير عن

---

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٤٦-١٤٧.

(٣) في التحف ٢١٦، وفي (أ): هشكير.

(٤) في (أ): رميهم.

هيئة حياته شيئا، فنظر الشيخ فيه وحدد الرنُّو[1] إليه وقال : لا يتخيل لي شيء في نفسي عما رأيته إلا ذؤابته فإنها الآن أطول منها في حياته .



الإمام أبو الرضى الكيسُمي الحسيني عليه السلام[2]

كان عليه السلام جامعًا لشرائط الإمامة، مؤهلاً للزعامة[3]، دعا الخلق إلى نفسه بعد الهادي الحقيني عليه السلام، فاستولى على جميع أقطار جيلان وديلمان إلى حدود طبرستان. وكانت المملكة القاسطة الجائرة إذ ذاك في ديلمان لآل جوجى[4]، فنابذهم الإمام أبو الرضى منابذة علوية حسينية حتى طال عليهم الأمد. قال راوي أخباره: فحدثت أنه رضوان الله عليه كان ذات يوم جالسًا في مسجد من مساجد جيلان في قرية يقال لها: أمْلش، فأراد بعض آل جوجى الهجوم عليه فتكًا، وتهيأ وقال: اليوم أفقأُ عينه، فهجم على المسجد بغتة بقضه وقضيضه، فوثب الإمام وأصحابه، فكان في أصحابه صاحب يقرأ في (إصلاح المنطق) رماه الظالم بمزراق، فاتّقاه بالكتاب، ثم عطف على الظالم بالمزراق فضربه على عينه ففقأها بعزة الله تعالى ، وقال : ولقد بلغني أن فرس الظالم أعانه على فقء عينه بأن دنا

---

(١) في(أ): الدنو.

(٢) التحف شرح الزلف ٢٢٤، أعلام المؤلفين الزيدية ٤٣٢، اللآلئ المضيئة (خ) مطمح الآمال ٢٤٢، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب اخبار أئمة الزيدية في طبرستان ديلمان وجيلان، منتزع الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية ١٦٧.

(٣) الإمام الرضى الكيسمي بن مهدي بن محمد بن خليفة بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش عليهم السلام أنظر التحف ٢٢٤.

(٤) في (أ): جوى، وفي حاشية الأصل: جواء

من جدار المسجد حتى توكأ ذباب المزراق بالجدار، فلجّ به الفرس حتى تفقأت العين، ونجا الإمام وأصحابه ولم يمسسهم سوء، وابتغوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم .

وكان رضوان الله عليه يعتاد العبادة والقيام بها إذا صرخ الدِّيكُ إلى الصبح، فصرخ الديك ذات ليلة قبل وقته المعتاد، فتأذّى بشغل القلب قبل علمه بالوقت، فنهض وتفحص الوقت فوجد الوقت قبل العادة، فعاود النوم ودعا على الديك بانشقاق الكبد، فلما أصبحوا وجدوا الديك ميتا وعرفوا أنه من دعاء الإمام فشقوا بطنه فوجدوا كبد الديك منشقة .

وكان عليه السلام متشدداً جدًّا في الإنكار على المناكير، حتى بلغه أن ولداً من أولاده شرب الخمر، فلما سمع ذلك قال: حرمه الله جميع ما ينبت على وجه الأرض، فلم يلبث الولدُ أن عبر قنطرة فزال قدماه فغرق في الوادي، فنودي على الإمام بالملام، فقال: إليكم عني، قال القائل ما قال، وسمع السامع ما سمع .

وقَتَل واحد في أيامه رجلاً كان المسلمون يتأذون به وكان الرجل مليًا عدليًا، فسأله القاتل عن وجوب الدية عليه، فقال- يخاطب غيره ويشير إلى القاتل: هذا الرجل قد غزا فجزاه الله خير الجزاء.

ولم يعش بعد الهادي عليه السلام إلا قليلاً، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته في بلدة كيسُم، ومشهده هناك معروف مزور [1].



(١) أنظر أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٥١-١٥٢ والتحف ٢٢٤.

السيد أبو طالب الأخير عليه السلام[1]

هو : أبو طالب يحيى بن أبي الحسين أحمد بن أبي القاسم الحسن المؤيد بالله عليهم السلام بن أحمد بن أبي القاسم الحسين بن المؤيد بالله عليهم السلام ، وكان حافظا لمذاهب أهل البيت عليهم السلام بمتونها وتعاليقها ، غزير العلم وافر الفهم جامعًا لخصال الإمامة .

وكان خروجه بجيلان سنة اثنتين وخمسمائة ، ودان له الأكثر من بلاد الجيل ، واتصل أمره إلى هوسم ، وسرى أمره إلى جبال ديلمان ، فعارضه شريف حسني طرده من هوسم إلى لياهجان . ثم انتهى الحال بعد ذلك إلى أن قويت شوكته ، فطرد هذا الشريف من جيلان وديلمان .

وذكر بعض نقلة أخباره : أنها حدثت حمرةٌ عظيمة ملأت الأفق في السماء ، فأمر من يسأل العلماء وجمعهم فقيل له : إن هذه الآية من عند إبراهيم عليه السلام في أنه لا يحدث في ولده أمر يرفعهم إلا خرجت هذه الآية[2] .

وأخبرني الفقيه الفاضل الزاهد بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه أنه حدث مثل ذلك في أوائل أيام الإمام المنصور بالله عليه السلام . وكانت أكثر حروبه مع الباطنية ، قتل في يوم واحد منهم ألفًا وأربعمائة مع الثلج ، وأخذ من قلاعهم ثماني وثلاثين قلعة ، وافتتح من البلاد مسيرة اثنتى عشر ليلة من كل جهة ، وبنى حول قلعة ابن صباح[3] أربع قرى حاصرهم وغزاهم في البحر إلى قرية لهم

---

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٥ ، الشافي ١/ ٣٣٦ ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٨٧ ، الأعلام للزركلي ٨/ ١٣٥ ، اتحاف المسترشدين ٥٤ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٧٨ ، مطمح الآمال ٢٤٢ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١٠٨٨ ، مؤلفات الزيدية ٢/ ٢٨٩ ، اللآلئ المضيئة «خ» ، الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة ١٦٧ .

(٢) التحف ٢٢٥ .

(٣) في (أ) : ابني صباع .

فأخذها بالحصار، فصالحه كبارهم وضمَّن عليهم[1].

فكان إذا أخطأ منهم مخط لزم الضمين، وكان من لزمه الحد من كبارهم أقامه عليه، ثم يطرحه في البالوعة ويُعفر وجهه ورأسه ويضرب به الأرض ويركس بالنعال. وأقام أربع عشرة سنة ما يخرج من الجوسق وحده إلا للصلاة خوفا من مكرهم ومكيدتهم؛ لأنهم أهل غيلة متناهية في تلك الناحية، وكان لا يقبل لهم توبة، ويأخذ أموالهم ويسبي ذراريهم، وكان يقتل من خالط الباطنية مختاراً، حتى أمر بقتل سبعة أنفس فيهم رجل رأى ملحدا صلحا ولم يتميز عن الستة وقال: القاتل والستة في الجنة والواحد في النار. وصلب ثلاثةَ أحياء، ومذهبه أن الصلب للحي، وهو مذهب كثير من العلماء.

وكاتبه في وقته صاحب عُمان وكان زيديا محبًا مناصراً له، وكانت حاشيته وغلمانه ومن أجابه اثني عشر ألفًا على مذهب الهادي، وخدامه كانوا كلهم يصلون، ولم يكن يستعين من الفاسقين إلا بمن يصلي، وكان له عليه السلام من الهيبة مالم تكن لأحد قبله، وكان يضرب الطبول لاجتماع الناس وللبشارة، وكان يجتمع عنده في الوقت خلق كثير إلى ثلاثة آلاف وأكثر عند الحاجة، وكان يركب الفرس من الأرض، وكانت له غاشية على سرجه يركب بها خيفة من سُمٍّ الباطنية، ويرقى من المنبر درجتين. وكان وصل إلى صعدة من جهته القاضي أبو طالب نصر بن أبي طالب بن أبي جعفر فقيه الزيدية في عصره وعالمهم، اجتمع في خزائنه من فنون العلم اثنا عشر ألف كتاب[2]. وكانت وصلت دعوته عليه السلام إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة إلى الأمير المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام فقام لها

---

(١) الشافي ١/ ٣٣٦.

(٢) الشافي ١/ ٣٣٦، التحف ٢٢٥.

أحسن قيام، ونفذت أوامره في صعدة ونجران والجوفين والظاهر ومصانع حمير، ثم قتله أهل صعدة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وولده غدراً، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم من جهة الإمام أبي طالب عليه السلام هذا، وأخرب صعدة، وعاونه على ذلك شيخ الشيعة في وقته محمد بن عليان بن أسعد[1] البحيري، وأمدهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليماني بمال كثير، وقال محمد بن عليان شعره الذي أوله[2]:

تألبت الغوغاء من أهل صعدة . . . . وهي إلى خمسين بيتا.

وتوفي الإمام أبو طالب عليه السلام في قرية (قيتوك)[3] من قرى تنهجان من أرض الديلم في سنة عشرين وخمسمائة، وأوصى بأن يدفن سرّاً لا يعرف مضجعه، خافة أن لو غلب الملاحدة على تنهجان لنبشوا قبره وأحرقوه، فهو لا يعلم موضع القبر على التعيين وإنما يظن ذلك[4].

ومن محاسن كتبه عليه السلام عهدٌ كتبه للشريف السيد شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي رحمة الله عليهما، لما أمره بالخروج إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤيد بالله أمير الأمة والمؤمنين، الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بعد نبيها بالأئمة، وجعلَهم إكمالاً للنعمة، وإتماماً للأمّة، وجمَّل الأئمة بالخلفاء الهداة، والقضاة والكفاة، وسائر من ينوب عنهم من الولاة، وجعل الخلافة والقضاء بالحق من جملة الفرض، وشرع تفويضه إلى من زكا في الدين

---

(١) في (أ): سعد.

(٢) الشافي ١/ ٣٣٦.

(٣) في (أ): فينوك

(٤) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٥٧.

والعرض، وصيره ذريعة إلى نصرة الحق وشريعةً لتعديل الخلق وإظهار الصدق، ووضع الخلفاء والحكّام ما بلغ النهاية في الإتقان والإحكام، من القياس القويم، والقسطاس المستقيم، ليزنوا بهما الدعاوي، ويميّزوا الراجح والمساوي، وطرق سبيلاً إلى الردع بما هداهم إليه في الشرع من البينات والأيمان، والتنكيلات في الأسجان، ليحترس من القوي والضعيف ويحترس من الغالب اللهيف، كما وعد أن يضع الموازين القسط ليوم القيامة: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [الأسراء: ٧١].

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي بن رسول الله صلى الله عليه وآله - أعزّ الله رايته - حين سيّره وخيّره، وشاهد منظره ومخبره، وعرف فيما لم يعاين خبره، ألفاه سهمًا في النفاذ والمضاء، شهما في أبواب الخلافة والقضاء، مستقلا منه بالأعباء منتقبلاً بين الألباء، خليقًا بأسباب الكفاية، حميدًا في الورع والرعاية، مستخلصًا لما يناط برأيه من الولاية، شهيراً بالتوّقي والوقاية، حازمًا في الأمور، جازمًا بين الجمهور، بصيراً بطرائق الشرع، خبيراً بعلائق الأصل والفرع، نقيًا من الأوهام والريب، زكيًا في أقسام الرتب، ناشئًا على المجد[1] والرشاد، كافيًا للاجتهاد والاحتشاد، بريء الساحة من المقابح، نقي الراحة من الفواضح، نزه النفس من الأدناس بعيد الهمة عن هذه الأجناس، وولاه وفوض إليه الخلافة والقضاء ما بين مكة إلى عدن، وسائر نواحي اليمن الأقصى قصبتها ومخاليفها، مدنها وبواديها ومن بلغه الخبر في

(١) في (أ): المحمدة.

ناديها[1] يَنفُذُ أمره ما بين أهالي هذه البقاع، ويمضي على من يتحاكم إليه من أهل هذه الأصقاع، وألقى إليه[2] مقاليد الخلافة والأحكام، وقلّده أمر النقض والإبرام، ليقضي فيما بينهم بالحق، وينظر في أحوالهم متحرّياً للصدق، فإن قبلوا فقد اهتدوا، وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ، والله بصيرٌ بالعباد .

وآمُرُهُ[3] أن يستشعر طاعة الله وتقواه، ويُؤْثِرَ مراده ورضاه، فيما أعلن من أمره وأخفاه، وأن يدّرع درع طاعته كنه قدرته واستطاعته ، وأن يستخيره فيما يختارُه ويَمضيه، ويستجيره فيما يجيزه ويقضيه، وأن يعتصم به في إقامة حقّه، ويتوكّل عليه في جُلِّ أمره ودقّه وأن يستمدَّ معونته، ويطلب معونته ويفزع إليه فيما ينوبه وينويه، ويعتَمدُ عليه فيما يَذَرُهُ ويأتيه، فالتقوى طريق الإسلام والاستسلام والاعتصام بتخير الأعلام والاستعلام، والاستخارة قوام ما يقترن به الإيثار، وربك يخلق ما يشاء ويختار، والتوكل داعية الاستثبات والانتظام، والاضطلاع بالأمور العظام، فعليه توكّلوا إن كنتم مؤمنين .

وآمُرُهُ أن يسلك طريقة العدل والإنصاف، ويترك سبيل العسف والإجحاف، وأن لا يصل[4] من وليَ هداه، وأن يسوّي في الحكم بين أوليائه و عداه، وألا يتخطى الحقَّ ولا يتعدَّاه، بل يحكم بالسوية، ويقضي بعدل فيما يبرم ويمضي، كيلا يلحقه استرابة، ولا يُنسب إليه معابة، وأن يسَوّيَ بين الخصمين في لحظه ولفظه، وقوله وفعله، بين القويِّ والضعيف، بحيث لا يكون عنده أقوى من الضعيف حتى يأخذ الحق له، ولا أضعف من القويِّ حتى يأخذ الحق منه .

---

(١) في (أ): تهاديها .

(٢) في (أ): عليه .

(٣) في (أ): وأمره .

(٤) في (أ): وأن لا يضل

وآمره أن يمنع التهارج والحيف، والتلاحي في لِمَ وكيف، وأن لا يفضِّل فيه شريفاً على مشروف، ولا يُنَقِّص منكوراً عن معروف، ولا يزيد غنيًّا على فقير، ولا قويًّا على كسير؛ ما جمعهما التخاصم وضمَّهما التحاكم، وأن يميل مع الحق حيث مال، ولا يدع التعديل والاعتدال، بل يحقُّ الحقَّ ويبطل الباطل ولو كَره المجرمون، وأن لا يتعصَّب في المذهب عند الحكم لمن يؤالف، ولا يتعصب لخلاف من يخالف، وأن لا يغتر بصراخ الضعفاء وبكاهم ولا بصياح الفقراء واشتكائهم، فكم من خَوَنة يُشكّكون ويَشْكُون، كما جاؤوا أباهم عشاءً يبكون، يعتدون سراً ويستعدون علانية، ويعتدون بالوهم البعوض سانية[1]، وأن يتَّبع الرأي الصائب الوثيق، ويحذر الأدعية التي تدعى المنجنيق، فدعوة المظلوم مستجابة وإن تراخت عنه الإجابة، والظلم مَطْعمُه وخيمٌ ومرتعه ذميمٌ وأقبح ما يكون من القادر النبيه، والحاكم المتَّصف بالتنزيه.

وكلُّ كسوفٍ في الدراري شنيعةٌ ... ولكنَّه في الشمس والبدر أشنعُ

والخلفاء والقضاة كغيرهم مسئولون عمَّا خُوِّلوا، ومرتهنون بما حَملوا ومأخوذون بما حُمِّلوا: ﴿ولْيَحْكُمْ أهلُ الإنجيلِ بِمَا أنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحكُمْ بِمَا أنْزَلَ اللَّهُ فأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] وليعلم أنه علاّم الغيوب، وبيده أزمَّة القلوب ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] يبصر ما كدر وصفا، ويعلم السرَّ وأخفى، ولا يضمرَنَّ لأحد ضراً ولا يضمَّن عن أحد نصراً[2] ﴿إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بالحقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

---

(١) في (أ): شانية.

(٢) في (أ): بصرا.

وآمرُهُ بتقديم الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، فيما يستنبط منه العلم، ويستخرج منه الحكم، فيبدأ بأعلاها طبقةً، وأسناها درجةً، وأسبقها حكمةً، وهو الحق اليقين، والنور المبين، كتاب الله العزيز، وحرزه الحريز، الهادي إلى الرشد، والمنادي لدى الحشد، والحجّة في التعرُّف والتعريف، والباقي مدى[1] التكليف، المنجي من الردى، والمرجى نحوه الهدى، والمصباح الأزهر، والصباح الأنور، والمهيع الألوح، والمشرع الأروح، والعهد الذي لا يُفسخ، والقصد الذي لا يُنسخ، والمتين الذي لا يتضعضع، والمكين الذي لا يتزعزع، تجد عنده اليُمنَ والأُنس، وعجز عنه الجنُّ والإنس، وانتفى عنه العمى واللبس، وسكن إليه اللبُّ والنفس، شفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين، فمهما حَزَنَهُ مشكلٌ، أو دهاه حكمٌ معضل، فَزِعَ إلى نصوصه، وفَحَّصَ معنى عمومه وخصوصه، وائتمر بأوامره، وانزجر عن زواجره، وقام بحدوده، وعمل بعهوده، ولم يَعْدُهُ إلى ما عداه، ما وجد فيه نصًا أو فحواه، فهو الأصل لما سواه، لا تفترق مبانيه، ولا تختلف معانيه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وآمره إذا أعوزه في هذه المظنَّة أن يتطلبه فيما يتلوه من السنة فيتخذه للقضاء فصلاً، سواء ثبت قولاً أو فعلاً، فهو الحجَّة الثانية للقرآن، والمحجَّة التالية للفرقان، والمضاهي له في الحجَّة وإن فاضله في البهجة، والمداني في الإيجاز، وإن لم يبلغ حدَّ الإعجاز، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى، إذا تواتر أوجب العلم والعمل، وإذا تقاصر فَرُوِيَ بطريق الآحاد لزم العمل. فهما في وجوب العمل سيّان، وإن اختير الظّن عند الآحاد، وجرى التواتر مجرى العيان في الفؤاد، فإن تعارض الخبران، وتناقض المخبِران، فسبيل المجتهد أن يبحث عن

(١) في (أ): بقاء.

التأريخ، فإن وُجدَ وإلا عمل على الترجيح، فيأخذ عند ذلك بالتحقيق، أو سلك طريقة التلفيق، إن رفع[1] فيهما إلى المضيق أو يعدل إلى ما سواه من الدليل إن لم يتمكَّن من التأويل، ففي السنة الخروج من السنة إذا لم تكن الآية بالممكنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فسبيل المجتهدين فيه أن يتنبهوا: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وآمُرُه إذا أعوزه ما تعلَّق من هذين بالسَّماع إلى طلب شاهد الإجماع فالإجماعُ يجري بعد الكتاب والسنة للمتمسكين مجرى الجُنَّة، والطريقة الهادية إلى الجنة، من حيث دلَّ الأوَّلان عليه، وأشارَ الأفضلان إليه، واعتمدَ المسلمون أولاً وآخراً عليه، فمهما وُجد في إجماع العترة مندوحةً عمَّا عداها، ساق مطية[2] الطلب إليه وحداها، فإن وجدهم موافقين لسائر الأمة كان المدارُ عليهم لجلاء الغُمَّة، وإن لم يجد لهم إجماعاً ولا للأمَّة، طَلَبَ الحقَّ من أقوال ذي العصمة من الأئمة، فذلك يقوم مقام قول نبي الرحمة، وهم الوصيُّ والسِّبطان، عليهم صلوات الملك الديَّان، وإليه أشار الرسول لمن سمعه حيث يقول: «عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه» وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وكما قال تعالى لآل إبراهيم: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وآمُرُه إذا لم يجد شفاء الصدور في هذه الأساس، أن يفزع إلى الاستنباط والقياس، ويتأنق في رَدِّ الفروع إلى الأصول، ليظفرَ من الغرض بالحصول، متَّخذًا فكره مطيَّة الوصول، فما وَجَد له أصلاً عتيداً وركناً وطيداً وأساساً مهيداً

---

(١) في (أ): التفليق، إن دفع.

(٢) في (أ): مظنّة.

قريبًا أم بعيدًا أو شبيهًا مديداً ألحق به حكم الفرع، وقضى حقَّ دلالة الشَّرع، وحقَّق فيه تعليلاً، وعلى العلَّة دليلاً ثم عوَّل عليه تعويلاً، فلابد في كلِّ حادثة من حجَّة، وإن كانت ربما ولَجت غموضًا في لجة، فيستدعي مثيرًا ذكيًّا، ومستنبطًا زكيًّا يلزم طريق التهذيب والتنقيح، ويُشرف على حقائق التشذيب والترجيح، ولا يهمل[1] أقصى المطايا إلى الروايا، فعسى أن يتيح الله للحادثة وجهاً، لا يجد له في الوجوه شبها مقويًا للظنِّ المطلوب في الحكم المرغوب، هذا إذا لم يجد للإمام القاسم والإمام الهادي وابنيه عليهم السلام - عليه نصًا، بعد ما فَحَصَ عنه فَحصًا، فإن وجد له نصًّا صار إليه، وقصر حكمه عَلَيه، وإن لم يَجدْ له من النصِّ ما يرجع إليه، والأقربُ إليه ما ينزل لديه ومال إلى سائر أقوال الأئمة إذ[2] كان الحق لا يخرج عن هذه الفرقة المهديَّة، وإنما يعدل إلى الاجتهاد إذا لم يجد شيئاً من هذه الأمَّهات، وهي المتون والعيون: ﴿فَسْئَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وآمُرُه أن لا يخل بمحاورات العلماء، ومناظرات الفقهاء، واستشارة البصراء واستثارة آراء النظراء، والتَّثَبُّت في النظر والارتياء، غير متعسِّف عند الخفاء، ولا متوقِّف عند انكشاف الغطاء، وتبيُّن الرشد من الغي، والصواب من الخطأ فالآراء مشتركة، والطرق مشتبكة، والمدار على ما يؤتيه الله من الذكاء، وجودة القريحة والسناء، ودراسة كُتب الأجلاء دون الاتكال على تقليد الكبراء والاستنابة إلى أرباب الاسماء، والتوفيقُ من ربِّ السماء، والتحقيقُ رائدُ الذكاء، والتدقيقُ والنظر سببُ النماء، والحقُّ للطالب بالحداء ما فرَّط اللَّهُ في بيان الأشياء، ولا فرَّط فيه خاتم الانبياء، وإنما يؤتى المخطئ من متابعة الأهواء،

---

(١) في (أ): يهمل.

(٢) في (أ): إذا كان ذاك.

والاغترار بمتابعة السفهاء، والإعجاب بدعوى الكبرياء، والتنفق والتشوق بالرياء، واستبدال الظلام من الضياء، والرضى بسوء القضاء: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

وآمُرُه برفع الحجاب، وقمع الهوى والإعجاب، والتثبت في الجواب، وترك الإكرام والإعجاب، وفتح الباب للأجانب والأصحاب، وتمييز الخطأ من الصواب، وترك التضجر عند الاكتئاب، والملال من الإكثار والإطناب والإعراض عن تقديم الاغنياء وذوي الأخطار، والاحتساب على الفقرا والضعفاء والأذناب والتسوية بين الأعداء والأحباب: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وآمُرُه بنصح الخصمين إذا أحس منهما بالمين[1]، وأن يوعد المتداعيين بسوء المغبة عند التزوير، ومحاسبة رب العزة بالنقير والقطمير، وبعذاب الله للظالمين والمنغمسين في الإثم باليمين، ويعظهم بالحطمة عند طلب الحطام، وبالقارعة عند القراع واللطام، وبالساعة عند ابتلاع الوساعة، وبالآزفة عند الأيمان العاسفة، وبالنار عند اختيارهم لها على الشنار، وبالأغلال عند الفرية والاعتلال، وبالموازين القسط لمن قصد وجار عن الاعتدال، وبالأنكال والجحيم لمن نكل عن الصدق القويم، وبالزقوم والحميم لمن مال عن الحق للصديق الحميم، وبإنطاق الجوارح من ذب عن الجانح الجارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

---

(١) المين: الكذب.

وَأَرجُلُهُم بِما كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وآمُرُهُ أن لا يلقّن أحد الخصمين الحجة ولا يمكن الوكلاء من المعاون لجة، أو يسلطوا على أحد منهما سخطة أوضجة، أو يرتشوا فيتركوا لأجل النفع محجة، ويعلوا في سوم الوكالة فيصدوا عن طلب الحق بما يشعرون من الجعالة، وربما أوفي أجر الوكيل على ما يدعي من القليل، فيضطر الناس إلى ترك الحق حذرا مما يشاقه من المحق.

وآمُرُهُ بأن يمهل عند عرض اليمين عن مُنكر المال ريث اشتغاله بالبحث عن جور اليمين والسؤال، فربما شك الحالف في كيفية الحال والقبض عن كشف القناع في ذلك المقام فزعًا من تعجل الخصم للانتقام، وربما خاف ذا الجلال والإكرام، فيريد أن يسلك طريقة التحرج عن الإقسام، والتورّع عن طلب الحرام، فلا يُضيق عليه ليميّز جائز الإقدام من محظور الإحجام إلى أنحاء ذلك من أغراض الأنام، وهكذا يتثبت في تعديل الشهود وجرحهم وقبولهم وطرحهم واختيار الصالحين من المزكين والجارحين، فقد كثر في هذا الباب التدليس، وعظم التجويز والتلبيس، وقلّ الصدق في الناس والأمانة، وفشى الطمع والكذب والمين والخيانة، وأُخلق في أعين الأكثرين التدين والصيانة، وندر التعفف الحقيقي والديانة، وصارت الشهادة صناعة وحرفة، والأمانة والتورّع طرفة، يستأكلون بالأكاذيب، ويلبسون مسوك الشياه فوق قلب الذيب، يراءُون الناس ولا يخافون البأس، يحتالون طويلا ولا يذكرون الله إلا قليلا، فإن لم يجد معدّلاً ولا معدّلاً ولا مزكيا معوّلا باشر بنفسه الفحص عن الأحوال ليستبين الصواب من المحال، فما وثق به من أخبار الرجال مجانباً طريقة الاستعجال، وما قلق الظن فيه ترتب وتثبت ﴿إِن جَآءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَومًا بِجَهَالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلتُم نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، ويقدم للشهود

أيضا عظات ولا يدع الوكلاء يلقنوهم لفظات، فالعامة عميٌ عن مراشد الحق، بكمٌ عن مواقف الصريح من الصدق، والوكيل يجعل الكودن[1] جوادًا لتجلُّده، ويصيِّر البليد ذكيًا مع تبلّده، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] فإن عثر على شاهد زور تعمده، بالغ في زجره، وأوعز إلى الناس بهجره، وشهر إلى الناس حال إفكه وهُجره، ومتى رجع عن شهادته ضمَّنه ما يلزمه بحكم الشرع بعد مبالغته في الزجر والردع، وإن عثر من المزكي على مسامحة وتسمح ومساهلة عَزَلَه أوحى عزل، وعَذَلَه أدهى عذل، وكشف للناس قناع مخازيه، فالله معاقبه ومجازيه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وأَمَرَه بمن لم يصل إلى مجلسه ممن نئا من أقطار ولايته أن يستخلف من يثق باستقلاله وكفاياته وورعه ورعايته في تنفيذ الأحكام، ويحكم بما يحكم به سائر الحكام، ويعينه على الحكم بين أولئك الإخوان، فإنما الدين بالأعوان، وأن يؤدي إلى المصلحين عند طلبهم الصلح ليكون أدنى إلى الفلاح والنجاح ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩].

وأمَرَه بحفظ أموال اليتامى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فإن لم تؤنسوا الرشد توقع أن يصلح الله تعالى حالهم، ويتقدم إلى من ينصبه من ثقات الأوصياء، ومن ثبته الله من الأولياء كالأجداد والآباء للمنقصي[2] العقول والقاصرين عن المعقول أن يجروا على حكم الشفقة؛ لئلا يذهب رأس المال بالنفقة، وينصب على من يُتَّهم مشرفاً يراعي دخلهم، ويستدرك إن جادلوا دغلهم. وأن يعرف من جنف

---

(١) الكودن: الفرس الهجين.

(٢) في (ب): المنتقصي.

والتوى؛ لئلا يلحق بالمال التواء؛ ولئلا يأكله الولي والوصي ، كما يأكله القصي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

وآمره بإنكاح الأيامى عند فقد الأولياء أو عضلهم إياهم عن الأكفاء أو غيبتهم عن الأقرباء عند اجتماع الشرائط وانتقال الولاية ، وحصول الكفاءة والرغبة في الكفاية ، الإمام ولي من لا ولي له ؛ فإذا حصلت الشروط ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، بعد أن تعلموا انتفاء موانع النكاح ، فإذا كملت الأسباب وخطبهن الخطَّاب ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] .

وآمره إذا عثر على أموال المصالح والمستهلكات ، والمنارات والمستدركات أن يضبطها أحسن ضبط ، ويقف منها عند أبين شرط إلى بيت مال المسلمين ، فقد كفاه الله القيام بأسبابها وأباح له كف الإمامة في عابها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] .

وآمره أن يرتاد لحفظ الوثائق والسجلات من الحجج والبينات من أحاط علمه باحتياطه ، وأمن زلل غلطه واختباطه ، ووثق بعفافه عن المطامع الدنية ، وكفَّه عن المطاعم الرديه ، وتيقظه عن الغفلة والسهو ، وتحرُّزه من الغلط واللهو ، فتلك الحجج هي المفزع للناسين ، والمرجع للساهين ، فما حُفظَ مَرَّ وما كُتب قَرَّ والقيم بها قائم بين الإثم والعار وبين الجنة والنار ، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] .

وآمره بتأديب من يستحق التأديب والتعزير ، وحبس من يستحق الحبس والتسخير ، وأن لا يخلي سرية إلا برضى صاحبها دون شفاعة أحد من الخلق ،

والتوكيل لمن يرى التوكيل والتنكيل لمن يستاهل التنكيل، ويأخذ من يطلب الكفيل، ويضيّق على من يلزمه الإرهاق والتضييق، ويخفّف من يحق له التخفيف والترقيق، فإن ظهر إعسار المحبوس: ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨٠].

وآمُرُهُ أن يتخير الأوقاف عند فقد من ولاه الواقفون أو خيانتهم من يثق بأمانتهم، فيوليهم أمرها، ويتعرّف كلّ حين خبرها؛ فإن وُجد على طريق النصفة قرّرها في يده، وإن مال إلى المعسفة سعى في إصلاح أَوَده، أو صرفه عن عَنَده، فالأوقاف صدقات لا يصلح لإمساكها إلا الصادقون، ولا يُعزل[1] عنها إلا الفاسقون، فاتقوا الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وآمُرُهُ أن لا يستكتب إلا من كانت معارفه قوية وبصائره سوية وديانته قويمة وإصابته عزيمة ومطامعه كريمة دون من يفتر عن الجشع، أو يغتر عن الطمع.

وآمُرُهُ بأن يقرر حكومات من كان قبله من قضاة المسلمين، وأن لا يتعرّض لشيء منها بالتغيير والفسخ، والتبديل والنسخ، مالم يخالف نصّاً من الكتاب والسنة مقطوعاً أو إجماعاً قد خالفوه مفرقاً أو مجموعاً، حينئذ يدفع عنه ما كان مدفوعا، ويرفع ما صار مرفوعا، من تعرّض لحكم من قبله بالنقض من غير حجة داعية إلى الدحض، فليوطّن نفسه على مثل صنيعه، وليَرْضَ بمثل تقطيعة، وكمن يؤذن بالانقضاء إلى يوم فصل القضاء، فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد، والظن لا يتعرض على الظن الواقع بالإشهاد ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر:٣٨-٣٩].

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني

---

(١) في (أ): يعتزل.

الحسني إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين ابن الهادي بن رسول الله ﷺ أعز الله رايته، ولاَّه اليمن سهولها وجبالها وما تضمنه من أعمالها وما والاها، ولاَّه أمرها، ونفذ في جميع فعله وقوله وعقده وحله وتولية من شاء من خلفائه فيها وعزله سوى من اخترناه قبل ذلك بالإمارة، وسبقت منا إليه الإشارة، فإنه يجري على طريقته، وينفذ أمره على سننه وسيرته بمشورة السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أدام الله عزه في قليل أمره وكثيره، ثم فلو تغير عما كان قلبه وتبدَّل عما كان عليه قوله أو فعله فَلْيُنْه إلينا خبرُه، ويبين لنا أمره وعذره لننظر فيه كيف تعملون، فليُتقلَّد ما قلَّده إياه، وليَرْعَ ما استرعاه، وَلْيَعِ من شرائط ما فصّله في هذا العقد واستوعاه، وما بصره فيه من سبيل الرشد وهداه، وليحذر مخالفة ما آمره به من أولى هذه العهدة إلى آخرها، فقد فصَّلها وأجراها، وليخف الله جل ثناؤه في العدول عن العدل والوقوع عن الخذل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠] وليستعن بالله يعنه، وليسترعه يرعه ويؤمِّنه، وليتوكل عليه يزده، وليسترشده يرشده: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣] وسبيل رعايانا أن يجيبوا أمره ولا يعصوه ويعضدوه وينصروه، ويأتمروا بأمره، وينزجروا بزواجره ما أطاع الله ورسوله، فإن خالف الحق فارفضوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

أيها الناس من أطاعه فقد أطاعنا ، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله ، ومن عصاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ورسوله : **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾** [الاحزاب:٣٦] .

فليعلم إخواننا حفظهم الله تعالى أن مولدنا في ديلمان ، ومنشأنا بين جيلان وطبرستان والعراق وخراسان ، وأهل هؤلاء البلدان ليسوا من أهل اللسان والبيان بل عجم بكم عن العربية ، ولسان العجم لا شك عجمية ، وأدباء العجم وإن بلغوا في الفصاحة الثريا فلا تلحق فرسهم فرس العرب العرباء ولاسيما وقعت بين الخطتين وقائع بين الجمرتين سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً ، إلى أن فرع إلى تهذيب الكتاب وإلى ترتيب الخطاب فما وقع بالكتاب من الخلل وبالكتابة من الزلل من هاتين الجهتين فأنا معذور والله غفور شكور .

الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام[1]

هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

وآباؤه عليهم السلام من الصفوة الأكارم، والخيرة من الأعارب والأعاجم، مناقبهم شهيرة، وفضائلهم كثيرة، ورياض فضلهم مفترة الأزهار، وفوائد علمهم حلوة الثمار، وما عسى أن يقول فيهم المادح وإن أكثر، وقد أثنى عليهم المليك الأكبر، ورسوله المصطفى الأطهر، غير أن لذكرهم في اللسان حلاوة، وعلى الكلام بمدحهم طلاوة، ولله القائل:

قوم إذا املولح الرجال على   أفواه من ذاق طعمهم عذبوا

أنوار الهداية إذا اعتكست دياجير ظلم الإشكال، وشموس الهدى الكاشفة لحنادس الضلال، وما أجدرهم بقول من قال:

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم   همُ بيننا فَهُمْ رِضًى وهمُ عدل

همُ جدَّدوا أحكام كلُّ مضلَّة[3]   من الحكم لا يلقى لأحكامهم فصل

وأمه عليها السلام: الشريفة الفاضلة مليكة بنت عبدالله بن القاسم بن أحمد بن أبي البركات، واسمه إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن

---

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٥٥١، التحف شرح الزلف ٢٣١، بلوغ المرام ٣٩ وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩٣، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢، الشافي ١/ ٣٤٢، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٩٦، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٤ ترجمة ٨٥، اللآلئ المضيئة «خ»، الأعلام للزركلي ١/ ١٣٢، اتحاف المهتدين ٥٦، مطمح الآمال ٢٤٣، أئمة اليمن ١٤، معجم المؤلفين ١/ ١٤٦.

(٢) الشافي ١/ ٣٤٢، التحف ٢٣١، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢.

(٣) في (ج) فضيلة

إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكان أبوه سليمان بن محمد من عباد الله الصالحين ، بل كان يصلح للإمامة ويرجا منه القيام بنصرة الدين الحنيف ، فرأى في حال حمل امرأته بولده الإمام عليه السلام أن قائلا يقول :

بشراك يا ابن الطهر من هاشم	بماجد دولته محمد
بورك فيمن إسمه أحمد	بأحمد المنصور من مثله[1]

وأما جده المطهر بن علي بن الناصر عليهم السلام فإنه كان عالما مصنفا له التصانيف في الشريعة على مذهب جده الهادي إلى الحق عليه السلام ، وخرَّج على مذهب الهادي أشياء كثيرة ، من جملتها : أن الترتيب بين اليدين والرجلين في الوضوء لا يجب.

وكان شاعرا فصيحا فمما يروَى له عليه السلام :

لحاني في الهوى لاح نصوح	فغالب مقودي رأس جموح
فقلت له وفي الخدين مني	خدود خدها الدمع السفوح
أتطمع أن تريع إلى سلو	وأن ينسى النوى قلب جريح
بروحي من برى روحي فأعجب	بروح كيف منه ذاب روح
سأركب كل هول أو أراني	أميح ولا أراني أستميح
ولا ألوي على وطن فتضحى	مذلته على خدي تلوح
فسح في الأرض واطّلب المعالي	فكم من سيد فيها يسيح
فلولا أن فيمن ساح خيراً	يفوز به لما ساح المسيح

وتوفي عليه السلام بذي جبلة سنة خمس عشرة وأربع مائة .

---

(١) الشافي ١/ ٣٤٣ ، التحف ٢٣٢.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

نشأ عليه السلام على طريقة آبائه الأطهار ، وسلفه الأخيار ، جامعا بين العلم والعمل ، ولم يزل عليه السلام مقتبسا من أنواع العلوم حتى برز في ميدانها ، ووقف على غامض بيانها ، وكان في كل فن منها بالغًا مداهُ ، لا يفل الخصم شباه ، ولايلحق منتهاه ، درس في الأصولين على الفقيه العالم فخرالدين زيد بن الحسن ابن علي الخراساني البيهقي الوارد إلى اليمن باستدعاء السيد الإمام العالم علي بن عيسَى بن حمزة بن وهَّاس الحسيني السليماني رحمة الله عليه ورضوانه سنة أربعين وخمسمائة ، وأتى هذا الفقيه رحمه الله من بلاد بيهق وخراسان لما بلغه ظهور مذاهب المطرفية ، وأنهم يعتزون إلى أهل البيت عليهم السلام ، وفي حق الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ، ولحقته المشاق الشديدة ، ونُهِبَ أكثر كتبه بين المدينة ومكة .

وأخبرنا الفقيه جمال الدين عمران بن الحسن رضي الله عنه قال أخبرنا الثقات من أهل البيت عليهم السلام : أنه دفن في مفازة - لا ماء فيها - في تهامة ؛ فأحدث الله تعالى بعد دفنه فيها الماء إلى الآن ، وهو في موضع يعرف بالقباس كثيب بجنب البحرين عتود وعوان. ودرس على الفقيه السيد العالم الفاضل الحسن بن محمد من ولد المرتضى عليه السلام ، ذكر الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام : أنه كان يستملي وهو ينسخ من كتاب ستة أسطرٍ مرة واحدة .

ودرس على الفقيه عبدالله العنسَي اليماني الواصل من جهة الجيل والديلم بعلوم أهل البيت عليهم السلام سنة إحدى وخمسمائة ، وعلى الشيخ العالم إسحاق بن أحمد بن عبدالباعث رحمه الله ، هؤلاء من مشائخ الزيدية ، وإسحاق هذا وأبوه في نهاية العلم مصنف كبير ، صنف على المطرفية ، ولقي

إسحاقُ الحاكمَ الإمام شيخ الإسلام أباسعد رحمه الله سنة إحدَى وثمانين وأربعمائة[1] .

وله عليه السلام تصانيف جمّة في الأصول والفروع، وكانت له دراية واسعة ومعرفة ثاقبة بالمقالات، ومن نظر في تصانيفه على المطرفية علم صحة ما قلنا، من ذلك كتاب الرسالة الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال، ومن ذلك كتاب الرسالة الواضحة الصادقة في تبيين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبعية الزنادقة، فإنه جمع فيها بين المطرفية وبين كل فرقة من فرق الضلال من أهل القبلة وغيرهم من الخارجين عن الملة ، وذكر أقوالاً تفردوا بها عن جميع الأمم موحدها وملحدها . وله كتاب الحقائق في أصول الدين، والمدخل في أصول الفقه ، وله كتاب الحكمة الدرّية والدلالة النورية، شرح فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام. وله في الأحاديث الفقهية كتاب أصول الأحكام في الحلال والحرام وهو متضمن لثلاثة آلاف حديث ويزيد على ذلك قدر ثلاثمائة وكسر، وفيه علم حسن يدل على تبحره في علم الشريعة، و ذكر فيه فوائد الأخبار، وسلك فيه طريقة الترجيح لمذهب الهادي إلى الحق عليه السلام على مذاهب فقهاء العامة[2] .

وكان عليه السلام حلو المراجعة، حسن المخاطبة والمكاتبة ، ومن محاسن كلامه عليه السلام مخاطبةٌ دارت بينه وبين السلطان حاتم بن أحمد، وذلك أن حاتم بن أحمد طلب الدخول في طاعته والإقبال إليه، فلم يقبل منه عليه السلام لأمور قد كان عرفها منه، فرد حاتم بن أحمد كلاما جافيا، فرد عليه الإمام في كلام له يقول فيه : إنه طبيب ولم ينتفع بطبه ، وعاقل ولم ينتفع بعقله ، ومعه داء لا دواء له ، فرد عليه

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٣ .

(٢) التحف ٢٢٣ .

كلاما ، وتمثل فيه بقول المتنبي[1]:

كدعواك كل يدعي صحة العقل ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

فرد عليه الإمام عليه السلام :

إذا كنت لا تدري بما فيك من جهل فذاك إذاً جهل مضاف إلى جهل

ولم أنتحل ما ليس فيَّ وإنما مقالي حق قد يصدقه فعلي

ومن جحد الرحمن والرسل لم يكن بمعترف يوما بحق بني الرسل

وكل عباد الله غيرك عارف بما فيَّ من أصل شريف ومن فضل

فرد عليه كلاما فيه بيتا شعر يقول فيهما :

لنا النهي فيما حرَّم الله والزجر وليس لكم نهي هناك ولا أمر

فلا زال ذا فينا وذلك فيكم مدا الدهر حتى يأتي الحشر والنشر

فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب تمثل في أوله ببيت شعر يقول فيه :

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدت من أنطق الفيلسوف بذكره وحمده ، وإن كان مبطنا من ذلك بخلافه وضده ؛ لأنه سلك في مبتدإ كتابه طريقة محمودة ، لوأتمها ، قدَّم الجفاء والمشاتمة ، ثم عاد إليها فَتَعَدَّى الحدود المضروبة :

جرى ما جرا حتى إذا قيل سابق تلاحقه عرق الحران فبلداً

فرجع إلى عادته من سلاطة اللسان ، والسلاطة آفة الإنسان ، فكان مثله كمثل صاحب المارستان[2] ، ولا لوم لأنه مضى يوم دخلنا عليه صنعاء يعض لبَّ

(١) أنظر طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٤ .

(٢) في (أ) المارسان .

فؤاده ، ومضى بعضّه يوم الشرزة ، فبقي بلا لب إلا ما يتكلفه ، وأما ما ذكره في الذين قال إنهم قد كفوه مؤنة الهجاء ، فقد هُجيَ رسول الله ﷺ هجاه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فرد عليه حسان بن ثابت :

هجوت محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء

وما مثله هو وهم إلا مثل البعوضة لا يدري الإنسان منها إلا طنينها مع أذنيه فإذا طلبها لم يجدها ، وقد بلغت مكروهه ومكروه غيره بحمد الله تعالى :

إذا شئت أرغمت العدو ولم أبت أقلب فكري في وجوه المكائد

وقد هجانا أخوه الذي مات طريداً لنا فناب عنا بعض شيعتنا فقال :

لو سار ألف مدجج ليحل في عمران غير إمامنا لم يقدر

تلك الشجاعة لا شجاعة معشر مثل العجائز في ظلال المنظر

وأما قوله: لهم النهي فيما حرم الله والزجر، فلعل ذلك النهي والزجر على الكلاب، والله ما عرفت لهم سابقة في الجاهلية ولا في الإسلام، كان أول من تَسَلْطَنَ منهم حاتم بن الغشم؛ وذلك أنه سرق السلطنة من آل الصليحي، وذلك أنه أسلفهم مالا جمعه معهم، فأعطاه[1] المكرَّم حلقته فسرق بسبب الحلقة عدن، فتبعه المكرم إلى عدن فخالفه إلى صنعاء، فتبعه إلى صنعاء فهرب إلى براش كما فعل هو، وكذلك كانت صنعاء لآل القبيب، وهو مشتغل في المنظر بالطب والتنجيم واللعب بالكلاب، ثم افترق آل القبيب وقتل بعضهم بعضا ، فخالفهما عليها ولم يكن لأبيه ولا لجده. وأما قوله: إنه لا يحسن للرجل أن يمدح نفسه وإن أحسن المدح ما يقرُّبه الضدُّ لضدِّه، فلا يعلم اليوم أكثر عداوة منه لنا فقد شهد لنا بالإمامة والوفاء والزعامة فقال فينا :

(١) في (ب) وأعطاه .

رأيت إمـامـاً لم ير الناس مـثله أبرٌ وأوفى للطريد المشـــــرد
عـفـًا ووفـا حـتى كـأني عنده أخ أوحـمـيم لست عنه بمبـعـد

وقال أيضا أخوه أسعد في شعره :

ملكت فأسجح منعما يا ابن فاطم وشيـد مبـاني هاشم ذي المكارم

إلى قوله :

فـإن كنت قـد بُلِّغْتَ عني مـقـالة فـقـد تبت يا مـولاي توبة نادم

وعما قليل يقول كما قال أخوه ، ويفرح أن يرجع إلى ما كان عليه أبوه ، وقـوله : لا يحسن للرجل العاقل أن يمدح نفسه ، وقد حكى الله عن يوسف عليه السلام أنه قـال : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف : ٥٥] ، وقـال الله عزوجـل : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلْمِه فَأُولَئِكَ ما عليهم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّما السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ ﴾ [الشورى : ٤١-٤٢] الآية . وقـوله : إني طالب دنيـا ، وقوله هذا طار وهذا فلت ، ولذتي في دنياي قتَاله وقتالُ أمثاله من أعداء الله ، وقد نَغَّصْتُ عليه وعلى غيره من أهل الدنيا دنياهم في كل ناحية ، ولي اليوم نيفٌ وعشرون سنة ، كلما فرغت من حرب قوم من الظالمين قمت في حرب آخرين من أعداء رب العالمين ، وإني لاأبرح كذلك حتى أموت .

وأما قـوله : إني كـفـيتـه ذمَّ نفـسي بأني له داء لا دواء له ، ونعلم أن الداء الذي لا دواء له هو الموت ، وأنا له كذلك إن شاء الله تعالى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (نحن السُّم فمن شاء فليستم ، ونحن الشم فمن شاء فليشتم) ، وإن له داء ولضدِّه دواء ، فليعلم ذلك والسلام ، وصلّى الله على محمد النبي وآله وسلم .

وكان عليه السلام كثير العبـادة ، حسن الزهادة ، وله في هذا المعنى قـصيـدته المشهورة :

دعـيني أطفي عـبـرتي ما بداليـا ... وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكـيا
لعل البكى يشفي من الوجد بعضه ... إذا لم يكن للكل من ذاك شـافـيـا
وأشـفي غليـلا في فؤادي بالبكى ... ولو قـال جـهـال من الناس مـاليـا
ولن يسلم المحزون من غصة القضاء ... إذا كـانت الأحـزان تبقى كمـا هيا
فـقـد مـات همّـامٌ لوعظ إمـامـه ... وصـادف قلبـا للمـواعظ واعـيـا
وليس عـجيـبا إن بكيت ولو دمـا ... وأذهب دمعي من بكاي الأمـاقـيا
وقـدمـا بكي قـبلي رجـال تذكـروا ... رسـومـا عفت عن أهلهـا ومغـانيا
ويومًا[1] مـحتـه الذاريات وأشـعثـا ... وجته العـوافي[2] فـانشطى وأثافيا
فلم لا إذًا أبكي على ما جنت يدي ... من الذنب لـمـا أن تحـقـقت ذاتيـا[3]
فـهل من مـداوٍ للذنوب من الملا ... فلم ألق للذنب العظيم مـداويا
وهل لقـروحٍ في فـؤادي مـرهـم ... تدواي عليـلا كـامنًا في فـؤاديا
وليس لذنبي من مداو سوى البكى ... وتوبة ذي صـدق وعـفـوٍ إلاهـيـا
هبيني نسيت الموت والبعث فينة[4] ... ومـا كـان من علـم الغيـوبَ ورائيا
ألم أعتبر نفسي ونقـصان قـوتي ... ولم أك للمـوت المشـاهد ناسـيـا
وكنت آمـرءاً ذا قـوة في شـبيـبتي ... فـأصـبح مـخـضـرُّ الشـبيـبة ذاويا
وبدلـت نقـصـانا بدا في جـوارحي ... وجـاء نذير الشـيب للنفس ناعـيـا
فـيـا عـجـباً من غـافل غيـر عـاقل ... يجـدد من دنيـاه مـا صـار باليـا
ويعـمـر مـا قـد خـرب الدهر قـبله ... ويتـبع تسـويفـا له وأمـانيـا
ومن هرم يزداد ضـعـفـا وذلة ... وآمـاله يرمي بهن المرامـيـا

---

(١) في (أ): ومويًا.

(٢) في (ج): الغواني.

(٣) في (ب) دانيا.

(٤) في (ب) فتنةً.

رأيت معين الملك قد صار خاليا فأورثني سقما وأوهى عظاميا
ونشّان والبيضاء بادت وهكذا براقشها والقصر قدكان عاليا
وغمدان والسوداء والبير عطلت منازلها والكل قد صار خاليا
وفي هرم ما يهرم الطفل ذكره وفي كمنا ما كان للناس ناديا
وصرواح أوْرَوْثان للناس عبرة أباد الردى أسفاله والأعاليا
وفي كل أرض مثلهن مآثر تزهّد في الدنيا وتنفي الدواعيا
فيَارُبَّ قَيْلٍ كان فيهنَّ مترف وذي نخوة قد كان في الناس ساميا
مضى ومضت أمواله ورجاله وقد كان موجودا فأصبح فانيا
فكيف يطيب العيش للمرء بعدهم ويصبح جو الدهر للمرء صافيا
فيا أيها المغرور أقصر عن الهوى وأقبل إلى التقوى ولاتك لاهيا
وكن جاهدا في طاعة الله ربنا تفز بالذي تهوى ولاتك عاصيا
فلو لم يكن غير الممات ووحشة الـ قبور وكون المرء في القبر جاثيا
وماذا يلاقي من نكير ومنكر لكان لنا هذا من الشر كافيا
كفى بالبلا والموت للناس زاجرا وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا
فلو كان في العقبى جهنم واديا وكان جنان الخلد عشرين واديا
لخاف الذي يخشى العذاب لقاءها ويصبح يوما في جهنم ثاويا
وليست سوى دارين نار وجنة فمن لم يحاذر صار للنار صاليا
ولولم يكن غير الخلود وكم عسى تخلد في هاتيك أو تلك باقيا
ولولا الترجي للشهادة والهدى وأضحى إلى الرحمن والدين داعيا
فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة ومن كان مهديا ومن كان هاديا
وإعزاز دين الله بعد خمولة لأُشبعَ غرثاناً وأكسوَ عاريا
وأنصرَ مظلوما وأقمعَ ظالما وأُنقذَ ملهوفا وأفني معاديا

لما كنت بين الناس أنظر فعلهم | وما كنت للجهال يوما مدانيا
وأغدو لمن عادى الإله معاديا | وأضحي لمن والى الإله مواليا
لماسرت إلا في طريق ابن أدهم | وكنت لعمرو بن العبيد مواسيا
وكابن جُشيم والجنيد أخي التقى | فما كان منهم واحد متوانيا
فرحمة رب العالمين عليهم | وكان لهم من كل خير مكافيا
ويممت أرضاً لا أرى الناس عندها | وكنت لأصناف الوحوش مواخيا
وقلت لأولادي وأهلي وإخوتي | وأهل ودادي اليوم ألا تلاقيا
وإني رجوت الله عفوا ورحمة | وإن إلهي لا يخيب رجائيا
وصلى إلهي كل يوم وليلة | على من غدا للحق في الناس داعيا[1]

وقال عليه السلام في حال صغره وروي أنه قالها وهو يتعلم في نصف القرآن:

إذا أُعطيَتْ نفسُ الفتى قُوتَها الذي | حباها به رب العباد اطمأنت
وطابت ولم تغلبه إن كان عاقلا | وعادت إلى التقوى وصامت وصلّت
وإن هي لم تُعط الذي حببت[2] به | من الرزق أمست في الهموم وظلّت
وكان قصارى أمرها أن ترده | إلى جهلها قسرا وخابت وضلّت
فأما أخو التقوى الصحيح ومن له | يقين فلا يخشى اللتيا ولاالتي
إذا ماتمنت نفسه الشيء ردّها | ولم يعطها عند المنى ما تمنت
يكلفها ما لا تريد وتشتهي | وإن سئمت[3] صرف الزمان وملّت
ويمنعها من كل ما هويت ولا | يملكها أمراً وإن هي زلّت
وما تعبت نفس وهانت وأنصبت | وذلت لرب الناس إلا وعزّت
فيارب فارزقني اليقين فإنه | وتقواك رأس الدين واجعله عدتي

---

(١) هذا البيت ناقص من (أ، ب).

(٢) في نسخة حبيتَ.

(٣) في (ب) شتمت.

وزدنيَ علمـــا نافـــعـــا وتوفَّني شهيدا ولا تدحض بعدلك حجتي
وكفّر ذنوبي رب واغفر خطيئتي وإن عظمت يومـــا لديك وجلت
وأخّر حـمـامي رب حتى تميتني وقـد كـملت مني الفـروض وتمت

وقال ﷺ من قصيدة:

لا يســـام الدهر ولا يقـــصـــر يفـــــزعني دأبا بما أحـــــذر
لو أنه أنـصـف في حـكـمـــــه مـــــا اخـــتـلف المنذر والمنذَر
يقـــــذف بالخطب ســـــواد الملا فـيـسـتـقـي بالأكـبـر الأصـغـر
وتلك منه عـــادة قـــد جـــرت لم ينج منهـا المصطفَى الأطهـر
لكـنـني عـــــوّدتـه عـــــادةً لا أنثني عنهـــا ولا أفـــتـــر
أصـــبـــر للكُبّـــار من صـرفـــه في حـيـث لا يلقَى امـرأ يصـبـر
أرفع مـن قـلـبـي الأسَى بالأسَى سنلتـقي الأكـثـر فـالأكـثـر
صـادفت عـصـراً شـرُّه ظاهر يضـحك من أفـعـاله الأصـغـر
له أُهَيْلٌ جُلُّ أفـــعـــالهم[1] تكـره في الناس وتســـتنكر
دَعَـــوتُهم طُرّاً إلى رشـــدهم فـأعـرضـوا عنيَ واسـتكبـروا

ومنها:

يعـرف ربي صـدق قـولي وقـد يعـــرفـــه الغُـيَّب والحـضَّـر
وصـــارم في شـفـرتيـه الردَى يعـبـرفني والرمح والمغـــفـــر
وســـابغ مـــســتـحكم ســرده كـأنه في حـسنه الجـعـفـر
وســـابح ذو منعـــة[2] ســـابق نهـد رحـيب سـحـره مـضـمـر
والخـيـل والليل وحـسن اللقـا والضَّـيـف والمسـجـد والمنبـر
والنظم والنثـر وفـعـل العـلا والطرس والأقـلام والدفـتـر

(١) في (ب) أفعاله.

(٢) في (أ): ميعة.

والفضل والمجد معاً والوفا ... أرديتي والشرف الأشهر
لم يغشني ذام ولا ذلة ... ولا كلام أبداً معور
لي همة ما فوقها همة ... وعنصر ما مثله عنصر
إذا أنا لم أثأر من أعدائنا ... للحق بالسيف فمن يثأر
فسوف أفني معشراً خُسّراً ... في أرضهم يستحسن المنكر
لهم دروب سوف يعميهم ... في وسطها الدُّخّانُ والعِثْيَرُ
نرفع من هاماتهم[1] بيضنا ... يسيل منها العلق الأحمر
بجحفل من بعده جحفلٌ ... وعسكر في إثره عسكر
لا تبرح الغارات في أرضهم ... أهون ما يأتيهم الميسر
حتى يكونوا عبرةً للملا ... يعرفها السائل والمخبر

وقال عليه السلام :

لأحكِّمنَّ صوارماً ورماحا ... ولأبذلنَّ مع السماح سماحا
ولأقتلن قبيلةً بقبيلة ... ولأسلبنَّ من العدا أرواحا
ولأروينَّ السمر ممن أبتغي ... فإذا روين أفدنني إصلاحا
ولأجلونَّ الأفق عن ديجوره ... حتى يعود دجى الظلام صباحا
ولأكسونَّ الأرض عما سرعة ... نقعاً مثاراً أو دماً سفّاحا
ولأجلبنَّ الخيل من أقصَى المدى ... لاينثنين ولا يردن مراحا
ولأرمينَّ بها الحصيب وأهله ... ولأنجحنَّ ملوكهم إنجاحا
ولأرمينَّ الواديين بصيلمٍ ... والمشرقين وأنثني صرواحا
جيش تئنُّ الأرض من جولانه ... كأنين من يشكو عنّى وجراحا
ولأوقعنَّ بحي يامٍ وقعة ... تدع الحَميَّ من الطغاة مباحا
ولأمطرنَّ عليهم مني سَمّا ... تدع البلاد من الدما أقداحا

---

(١) في (ب) هامهم .

بفوارسٍ من مذحجٍ أُسد الشرى صاروا لكل مرتَّج مفتاحا

قوم فتحت بهم أزال ولم أزل لجميع أمصار الملا فتَّاحا

يا آل مذحج إنني أعددتكم لي في الحوادث جُنة وسلاحا

يا راكبا أبلغ ذؤابة يعربٍ عني مقالة من يريد صلاحا

أبلغ زبيد الأكرمين مقالتي وسراة عنس وقبلها الجحجاحا

أبلغ إلى الأتلاف من أصحابها [1] وإلى أفيق وأبلغَنْ صباحا

وإلى رداع والموشح أبلغا ابنا ضرار الضاربين كفاحا

ثم ادع فيهم يا لمذحج دعوة دوسوا الصفيح وثقفوا الأرماحا

قودوا إلينا مقنبا يغشى الربا جيشا أجش عرمرما نطَّاحا

فيه الصوارم والمثقفة الظما وأسود غاب تُتلف الأرواحا [2]

بالمشرفية والمثقفة الظما والأعوجية أبتغي الأرباحا

لا بالسلوِّ مع القيان وقوله هاك اضربي دفًّا وهاتي راحا

لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً يتبخترون وينكحون سفاحا

يتواعدون لكل ليلة جمعةٍ فإذا توافوا أطفأوا المصباحا [3]

وكانت له ﷺ كرامات جمة تكشف عن فضله وشرفه عند الله عز وجل، فمنها ما روي أنه ﷺ أصبح ذات يوم من الأيام يريد الوضوء عقيب مطر في الناحية التي هو فيها، فلم يجد ما يرتضي [4] لعدم المناهل، ولا وجد ترابا فبقي في

---

(١) في (ب) الأتلا ومن أضحى بها .

(٢) في (ب) من هنا اختلف ترتيب الأبيات .

(٣) في (أ) حاشية : قال منصف الكتاب رحمه الله : هذا البيت يعني قوله يتواعدون إلخ لم يذكره في السيرة وهو في ألسنة الناس ينسبونه إلى القصيدة .

(٤) في (ج) فلم يجد ماء يتوضى .

حيرة فبينا هو كذلك إذا التفت على يمنيه فوجد تراباً مسكوباً[1] ليس من جنس تراب تلك الناحية، فتيمم عليه السلام وأصحابه من ذلك التراب، وبنى أهل الناحية على موضعه مسجداً[2] .

وروى أنه عليه السلام كان في بعض أسفاره إلى نجران فأصابه عليه السلام وأصحابه الظمأ الشديد، وباتوا ليلتهم كذلك ، وقيل لهم إنه لا ماء إلا بنجران، ثم أصبحوا وتيمموا لصلاة الفجر ، وصدروا وقد أجهدهم العطش، وهم في أوائل الشتاء ولا يرجون ماء إلا على مسيرة يوم فبيناهم على ذلك إذ رأوا عند طلوع الشمس شيئا من السحاب الرقيق أو الضباب، وهم لا يحدثون أنفسهم في ذلك الوقت بمطر، ثم تجلّى ذلك السحاب وهم على مسيرهم، فوقعوا على أمارات المطر، وكلما قربوا كثر ذلك حتى أفضوا إلى غدرات من الماء القراح فشربوا وحمدوا الله ومعهم شريف يقال له: إبراهيم بن فتيح ، فقال : كنت الليلة قد ساء ظني ثم قلت في نفسي داعياً: اللّهم بيِّن لنا أمر هذا القائم برحمة منك فإن يسَّرت لنا ماء من السماء فهو الذي نرجوا ونأمل ،وإن لم تيسره فليس به، وأقسم على نفسه بصيام سنتين، لقد أسرَّ ذلك[3] .

وروي أنه عليه السلام كان في بيت بوس، وقد صلّى صلاة الجمعة في مسجد بيت بوس، فلما فرغ من الصلاة والناس يزدحمون عليه وينظرون إليه ويستمعون مواعظه وكلامه وفوائده، فدخل عليه شيخ كبير يقوده أولاده، فسلم وقرب من الإمام عليه السلام فشكا عليه الصمم في إذنيه، فنفث في أذنية ودعا له ، ثم قام هو وأولاده إلى ناحية من جوانب المسجد فإذا به يشهد ويكبر، فقالوا له : مالك؟ قال: فإني سمعت في أذنَايَ إيقاظًا كإيقاظ الوصِف فإذا بي أسمع ما يقال ويُحَدَّث

(١) في (أ) مسكوباً .
(٢) الشافي ١/ ٣٤٤.
(٣) الشافي ١/ ٣٤٣.

به، فحدَّثوه وكلموه[1] فحدثهم وأجابهم عن كل ما سألوه، وإذا به قد صار سميعا بعد أن قد شهد أولاده أنه كان لا يسمع الجباجب ولا الأصوات العالية، فعجب الناس لذلك عجباً شديدا .

ثم أتى إليه رجل آخر أعمى يقال له : جابر البصير، فسلّم وجلس بين يديه وهو يريد أن يسأله هبة جربة وصية في بلده، وظن الإمام أنه أتاه ليمسح على عينيه، فلما قرب من الإمام مسح له على عينيه ودعى الله تعالى، فرد الله تعالى في عينيه النظر، فنظره ونظر من حوله فقال : إني لم آتك لهذا فعادت الظلمة في بصره كما كانت، وأقر بذلك وأخبر به، حتى عرفه المخالف والموالف، وكان الرجل من المطرفية الكفرة الشقية فلذلك قل يقينه فسمرت به السمار ونظمت فيه الأشعار فمما قيل في ذلك من الشعر قول القاضي الحميري من قصيدة أولُها :

يا ابن بنت النبي كل لسان	ما دح ما يكون مدح لساني
ظهرت فيك معجزات كبارٌ	لم نخلها تكون[2] في إنسان
لم نُخبَّر عنها سماعا ولكـ	ـنَّا رأينا يقينها بالعيان
تبرئ الأكمه العليل وتشفي	بشفا الله أعين العميان
وتسوق الحَيَا إلى حيث ماكنـ	ـت وتجري الأنهار في الغيطاني[3]
هبك تشفي عمَى القلوب بعلمٍ	فبماذا تشفي عمَى العميان
غير أن الوليَّ لله لا تنـ	ـكر فيه خصائص الرحمن[4]

وروي أنها وجدت ورقة من ورق الذرة وفيها مكتوب بالحمرة خلقة : لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان . قال راوي

(١) في (ب،ج) محادثوه .
(٢) في (أ) تكنّ .
(٣) في (أ) الأعيان .
(٤) الشافي ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

ذلك وكان عدلاً رضًى ، وأثنى عليه ثناءً قد ذهب عني لفظه وذلك في وقت قيامه عليه السلام ووجد ذلك الصنّاع الذين أمرهم بعمارة مسجده بناحية تلمص . روينا ذلك عن شيخنا محيي الدين حميد بن أحمد رحمه الله تعالى [1] عن حنظلة بن أسعد ابن عرابة وهو [2] الذي وجد الورقة الذرة .

وروي أن غلاما من مذحج يقال له : دهمش وكان رئيسا شجاعا شابا جاهد بين يدي الإمام المتوكل على الله عليه السلام في بلاد يام ، فاستشهد صابرا محتسبا ومات عند القتال ، وكان قبل ذلك مسترسلا فبقي أهله يتأسفون عليه من النار ، فَرُضِخَت صَبِيَّةٌ صغيرة ابنت ثلاث سنين بحجر فَشُدِخَ رأسها فقالت وهي تجود بنفسها : لا تقبروني مع الكبار الكفار أهل النار واقبروني مع الصغار أهل الجنة ، وإن دهمشاً من أهل الجنة وعليه صيام شهر رمضان ، وهي لا تعرفه ولا تعرف ما عليه ، فلما وصل الإمام إلى بلد الغلام أمرت إليه والدة الغلام فقالت : إن دهمشًا كان أفطر شهر رمضان أفأصوم عنه أم ماذا أصنع ؟ فعجب الناس من ذلك [3] .

وروي أن الإمام عليه السلام لما خرج لحرب صعدة - لما نكث أهلها أيمانهم ونقضوا عهودهم في عسكر عظيم من خولان وهمدان ، حكَى مصنف سيرته وكان ثقة : أن العسكر كانوا عشرين ألفاً بين فارس وراجل ، فلما علم أهل صعدة بإقبال الجنود كبسوا الآبار وتركوا في بعضها الجيف ، فأشفقت جنود الإمام من الظمأ ، ففزع إلى الله تعالى ودعى بالغياث فأنشأ الله سبحانه سحابةً وكان ذلك الوقت حزيران فمطرت مطرا لا يظن بمثله أنه يسيل ، وعسكره بإزاء مكان ما كاد يصلهم إلا الشفان حتى أتاه البشير يعلمه بنزول سيل عظيم حتى أحاط بمدينة صعدة

---

(١) في (ج)محمد بن أحمد ، وقال في لوامع الأنوار ٢/ ٤٤ : وله الاسمان .

(٢) وهو : ساقطة من (أ).

(٣) الشافي ١/ ٣٤٥.

وبإزائها حفر عظيمة يجاوز بعضها حد البرك الواسعة فامتلأت ماءً قراحاً عذبًا سمهجًا، وكان فيه شيء من البرد، فتقدم بعساكره المنصورة فحارب مدينة صعدة فقهرها وأخذها عنوة وتغنمت الجنود منها أموالا جليلة وأخربها، وما زال ذلك العسكر على كثرته مستريحا في تلك المياة العذبة الهنية مدة إقامته، وقد ذكره في شعر له على قافية البا : نصرت بالسيل . . . إلخ[1].

ذكر مدته وانتصابه للأمر ونهاية عمره وموضع قبره عليه السلام :

أنشأ عليه السلام دعوته في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان قيامه في شدة في البلاد ونفور من أكثر الناس، فأقام على تلك الحالة مدة مديدة يدعو الناس إلى الرشاد ويبايعهم حتى انتظم له الأمر أولاً في صعدة وأعمالها ونجران، ثم في الجوف والظاهر، وانتشر حسن سيرته في أقطار اليمن واشرأبت قلوب الناس إليه فوصلت إليه المكاتبة من صنعاء يستدعونه إليها فأجاب عليه السلام بقوله :

أنشرُ سرَى[2] ينشئ من الروض أفنانا	ومسكا وكافورا وروحا وريحانا
أم الجوهر الشفاف أم سلك لؤلؤ	تضمن ياقوتاً ثمينًا وعقيانا
أم العنبر الشحري أم طرس ماجد	حسبناه لما أن فضضناه بستانا
أرقُّ من الماء المعين معانيا	وأبهر من نور الغزالة برهانا

ومنها :

فعمَّا قليل نملأ الأرض كلها	بتوفيق رب العرش عدلاً وإحسانا
ونجمع شمل العدل بعد افتراقه	وننفي من البلدان جوراً وعدوانا
ونترك أحزاب الضلالة والخنا	هباءً ونروي السيف من كل من خانا
ونجعلهم دون الأنام جميعهم	على من طغى في الأرض نصرا وأعوانا

---

(١) الشافي ١/ ٣٤٥.

(٢) في (ج) مصلح أنسرُ سرى .

وركنًا منيعـا لا يرام مـرامـه وحصنا حصينا في الزمان وجيرانا

ثم أقام عليه السلام مدة وانتهى إلى الجوف وعمد موضعا يقال له : المقيلد من مآثر الجاهلية فأثار العمارة فيه في سنة خمس و أربعين ، فوصل إليه خلق كثير من أهل الشرق والمسلمين زهاء ألف وأربعمائة رجل إلى المقيلد فأقاموا عنده ثمانية أيام يسألون عن المشكلات ويتصفحون أحواله وطرائقه ، ثم بايعوه بعد ذلك وطلبوا منه النهوض إلى اليمن فوافقوا منه بغية كان يقصدها وضالةً كان ينشدها من إرغام أهل الظلم والفساد ، فنهض عليه السلام حتى انتهى إلى بيت بوس وأقام فيه مدة أيام ، ثم بعث رسله إلى جهات اليمن ودعوا الناس إلى طاعته وبيعته ، فبايع الناس في بلاد مذحج وبكيل ومقرا وغيرها ، وواعدهم للنهوض في شهر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، فوقف عليه السلام حتى وصل لميعاده قبائل ضخمة يقودها رؤساؤها وأكابرها من جنب وعبس وزبيد وغيرهم ، وساروا من فورهم بعد أن نزل الإمام عليه السلام إلى السهل للقائهم حتى قصدوا صنعاء ، وفيها عساكر كثيره من همدان قد جمعهم السلطان حاتم بن أحمد ؛ فدخلوا قهرا بعد قتال شديد ، وكان الإمام عليه السلام قد تخلف يومه ذلك في بيت بوس ، حتى كان اليوم الثاني أقبلت العساكر إلى بين يديه فنزل نحو صنعاء في عسكر ضخم فنظم أمورها وأصلح جمهورها وأقام الحدود ، وشرب رجل من أهل صنعاء الخمر فأمر بجلده ؛ فأبلغ آلآفاً[1] من الدنانير ضريبة الوقت ولا يجلده ، فما ثناه ذلك عن إقامة الحد عليه ، والناس يَفِدُون إليه من كل ناحية وهو يأمر بالولاة معهم واتسقت له الأمور كذلك .

وكان من عجائبه عليه السلام وقد تقدم إلى ذمار في بعض أيامه فبيناهم يسيرون

---

(١) في (ب) ألفاً .

في بعض طريقهم غشيهم نوز ساطع يميل إلى الصفرة، فقال لأصحابه: هل ترون ما أرى؟ فقال له قائل: قد رأيت يا مولانا نورا زائدا فكأن الثياب البيض مثل الثياب المُسَحَّمَة[1] بالصباغ فعجبوا من ذلك، وتموا في طريقهم حتى كان اليوم الثاني ولقيهم جماعة من أهل البلاد فقالوا: أين كنتم بالأمس عند الهاجرة؟ فقالوا: في ذلك النقيل في رأس الوادي، فقالوا: فإنا رأينا في ذلك الموضع نوراً عظيما في تلك الساعة.

ومن أيامه عليه السلام المشهورة يوم غيل جلاجل وذلك أن قوما من يام الخانق أظهروا مذهب الباطنية، وكان لهم مأذون قد أظهر إلحاده؛ فأعمل الإمام عليه السلام الحيلة في قتله فَقُتِل، واستمروا على إظهار المنكرات وارتكبوا[2] الفواحش العظام واطَّرحوا شرائع الإسلام حتى روي أنهم رموا قوما على قولهم الحمد لله.

وكانت لهم ليلة تعرف بليلة الإفاضة، يجتمع فيها الرجال والنساء ويفضي بعضهم إلى بعض، وجاءت امرأة منهم جَزَّت ذوائبها بين يديه، وأخبرت أن ولدها غشيها في هذه الليله، فغضب الإمام عليه السلام وتجهز للخروج فنهض إلى الشام، فوصل إلى بلاد بني شريف وسنحان، ودعاهم إلى جهاد يام والخروج إليهم، واتعدوا للمخرج في شهر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين، ثم أقبلت نهد وجنب وخثعم فقصدوا وادعة ويام، وقد لزموا جنبتي الوادي بغيل جلاجل في كل قابلٍ مائة فارس وألف راجل، فوقع القتال الشديد وهُزِمَت عساكر الباطنية، وقُتِل منهم جماعة كثيرة وانهزموا؛ فعاد العسكر المنصور إلى محطتهم بالغنائم الكثيرة، فباتوا ليلتهم، وكان من الغد تبعوا الدروب يخربون ويحملون ما يجدون فيها من الطعام والأثاث؛ فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام يخربون دروب

---

(١) السحمة: السواد. قاموس، مادة: سحم.

(٢) في (أ): وأظهروا.

الغيل والأرنب[1] وأجلا أهل الغرير والخانق وهداده عنها وانهزموا، وكذلك أهل الجفة والحمرة فوصلوا نجران وأقفرت بلادهم وخلت عن أهلها وهي قدر مسيرة ثلاث مراحل . وكانت وقعة غيل جلاجل في أول رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وفي هذه الوقعة يقول الإمام عليه السلام :

الله أكبر أي نصر عاجلٍ	من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل
كم منَّة مِنْهُ عليَّ ونعمةٍ	وسعادة تترى وفضل فاضل
حمداً له عدد الزمان وعدة النـ	ـعماء والنَّفَس الكثير الحائل
كفرت به يام ووادعة معاً	وتجبَّروا وتمسكوا بالباطل
وأتوا من الفحشاء كل كبيرة	فعلاً وقولاً فوق قول القائل
وأتوا[2] بدين الباطنية وهو منْ	دين المجوس وفوق جهل الجاهل
فعمدت خانقهم بسنحان الأولَى	وبني شريفٍ أهل كل فضائل
فأتت عيونهم وقالوا : كذبة	ما دون ما يبغونه[3] من حائل
فاستعضلوا[4] حتى تنازع حزبهم	ووقفت في أعقابهم والحائل
فتمكنوا من أرضهم ومتاعهم	من بعد قتلٍ ثم هدم منازل
وغدت رجال منهم لغنائم	من بعد ذاك فقتلوا بالقابل
ثم انثنينا مسرعين وصدنا	والكل منا كالنعام الحافل
فعتوا عليَّ وأطلقوا أشداقهم	وتفرقوا بشقاشق وبلابل

(١) الأرنب : قرية من قرى وادعة .

(٢) في (ج) دانو .

(٣) في (ب) ما يبغوا به .

(٤) في (ج)فاستعجلوا .

وطغـوا وتاهوا ثم قـالوا جـهـرة   يا ناس مـا أحـدٌ لنا بمـمـاثل
فَـخَروا عليَّ وأكـثـروا وتوعـدوا   فـخر البـهام على الهـزبر البـاسل
كم شـامت أبدى شـمـاتتـه وكم   من حـاسـد أبدَى الكلام وخـاذل
وأنا الذي عـرفـوه لستُ بعـاجـز   عـمـا نهـضتُ له ولست بخـامل
وسمـاحتي وفصاحتي وشجاعتي   وطبـائعي مـعـروفـة وشـمـائلي
فـدعـوت أبطال الحـجـاز فـبادروا   وأتت إليَّ عـسـاكـري وجـحـافلي
ودعـوت ذا العليـا منيـفـا دعـوة   فأجاب كالسبع الفروس الصائل
وله مـكارم من أبيــه وجــده   مـشـهـورة وسـمـت بعـز طائل
هم روس قـحطان وذروة مـذحج   مـا أيُّ قـحطان لهـم بمشـاكل
وفـوارس من خـثـعم أكـرم بهم   وصلوا من البلد البـعـيـد الراحل
وأتَى ابن جـابر عندمـا ناديتـه   بالخـيل يجـري ليس بالمتـثـاقل
لما تـوافَى جندنـا بمـسـتـهـم   بلـد العـدا ووطـأتهـم بكلاكل
وقـصدتهم في أرضـهم فتركتهم   جَـزَرَ السـبـاع وطعـمـة للآكل
أخليـتـهم من أرضـهم وبلادهم   ولعلهـا تأتي ثلاثَ مـراحل
وحـصـونهم مـعـدودة مـعـروفـة   مئـتان قـد حـسبت وأي معـاقل
إني بحـرب[1] البـاطنيـة قـائم   وأنا لهـم ضـد ولست بغـافل
كم قـد ظفـرت بهم فلم أظلم وكم   جاشت بحرب الكافرين مراجلي
إني دمـارُ الفـاسـقين وإنني   للظالمين كـمـثـل سمٍّ قـاتل
وعلى يديَّ هلاكـهـم ودمـارهم   إني[2] عليـهم كـالقـضـاء[3] النازل

(١) في (ب ،ج) لحرب .
(٢) في (ب) آتي .
(٣)في (ب) بالقضاء .

يرجون أن حصونهم تنجيهم ... وحصونهم لهم ككفة حابل

ولسوف أنفيهم بعون إلهنا ... حقا وألحقهم وراء الساحل

الله أيدني بنصر معجز ... بصواعق أفنيتهم وزلازل

يا قوم فاعتبروا بذاك وأبشروا ... فلقد ظفرتم بالإمام العادل

ما بعد ما عاينتموه شبهة ... لمميِّز في أمره أو عاقل

ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الملا من راكب أو راجل

ومن أيامه عليه السلام الغر المحجلة يوم الشرزة وذلك أنه عليه السلام جمع ألفا وثمانمائة فارس من قبائل يعرب ومذحج وجنب وعنس وزبيد في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، ونهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان وجنب وسنحان في تسعمائة[1] فارس كلها معدة ، وعشرة آلاف راجل فيها ثلاثة آلاف قائس ، فلم يكن رحل الإمام عليه السلام إلا قليل ؛ فرتب عليه السلام عسكره : الميمنة والميسرة وكان في القلب ومن معه من الأشراف والشيعة ؛ فتنازل الناس وقاتل عليه السلام قتالاً شديداً وصار يقصده جماعة من الشجعان لأنه بغيتهم ، فقال عليه السلام عند ذلك : اللَّهم إنه لم يبق إلا نصرك ، وقال في نفسه : إن ظفر القوم اليوم بنا ظهر مذهب الباطنية وارتفع في جميع البلاد وهدم الإسلام والمسلمون ، فعند ذلك أرسل الله تعالى ريحًا عاصفًا من الشرق ، فقابلت وجوه أعدائه فاستبشر الإمام عليه السلام وقال : إنها ريحهم فاحملوا ثم حمل من نهجه ؛ فانهزم القوم فأعطى الله النصر ومنح القوم أكتافهم ، فلم يزل الطرد فيهم والقتل الذريع حتى انجلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير وقريب من ذلك ، ولم تزل الهزيمة في همدان إلى صنعاء ، ثم انهزموا من صنعاء وتغلقوا الحصون ، وعاد الإمام عليه السلام بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين ، ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى نحو صنعاء وقد

---

(١) في (ب ، ج) سبعمائة .

كان أمَّن أهلها فحط بالقرب منها ، ولم يدخل بالعسكر خوفا من مَعَرَّتهم بأهل المدينة ، ثم أمر بخراب درب غمدان الذي عمره حاتم بن أحمد ، وكانت فيه عناية أكيدة جدا فعفيت آثاره ، وبعد هذه الوقعة خضعت له ﷺ الملوك الأكابر وذلت له الليوث القساور ، وأقام ﷺ في ناحية بيت بوس حتى بذلت فيه الأموال الجليلة من حاتم بن أحمد إلى مائة ألف من محمد بن سباء صاحب عدن سوَى الأطيان وغيرها فسلم الله من مكرهم ، وفي هذه الوقعة يقول القاضي محمد بن عبدالله الحميري رحمه الله وكان من أوليائه ﷺ في عيد الفطر وقد عيّد بهجرة سناع :

تهنى[1] بك الأعياد إذ أنت عيدها ... وإذ أنت منها بدرها وسعودها

سبقت إلى غايات كل فضيلة ... بعلياء تبديها لنا وتعيدها

أقمت منار الدين يا ابن محمد ... وصرت كمثل الشمس باد عمودها[2]

فأشرقت الأفاق منك بغُرة ... كثير لرب العالمين سجودها

ألست الذي أحييت دين محمد ... وأسيافه مُذْ كلٍّ منها جديدها

ألست الذي ذكَّرْتنَا وقعاته ... وبيض الليالي قد محتها وسودها

بنجران والغيل الشهير وصعدة ... وصنعاء والجوفين باق[3] شهودها

ويوم نهضنا من ذمار بخيلنا ... وزيد بن عمرو يوم ذاك عميدها

كتائب من جنب بن سعد ومذحج ... تعادَي بهم خيل خفاف لبودها

يهزُّون أطراف الوشيج كأنما ... عليها سيوف فارقتها غمودها

فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت ... علينا الأعادي كهلها ووليدها

وظنوا ظنونا في الخلاء كذبنهم ... أليس عن الأخياس تحمي أسودها

---

(١) في (أ) يهني ، وفي (ب، ج) نهني .

(٢) في (ب) عمومها .

(٣) في (ب) باد ، وفي (ج) بان .

ولما أطل الموت واشتجر القنا ... ودارت رحاها واشتتب[1] وقودها
ركزت لهم صدر القناة كأنما ... جبال ثبير ثمَّ أرسا ركودها
وقلت لمرِّ النفس صبراً فهذه ... حياض الردى حقا وأنى[2] ورودها
فإن لم يكن نصر وإلا شهادة[3] ... تكون خلاصا لي فتلك أريدها
وواساك من أهل الديانة عصبة ... كثير إذا شدَّت قليل عديدها
فليت قبورا بالمدينة بشرت ... بما فعلت من بعد حين جنودها
صعقنا عليهم صعقة[4] مذحجية ... فكادت لها تلك الجبال تميدها
فيا للأكام السود لولا صعودها ... لقد كادت الأبطال جمعا تبيدها
فخمس مئين حُزَّ منها وريدها ... وخمس مئين ثقَّلتها قيودها
وطاروا إلى روس الجبال[5] شلاشلا ... من الخوف فيها خافقات كبودها
وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت ... ذوائبه في الترب ثاو مشيدها
وأضحى ابن عمران المتوَّج حاتم ... يقول ألا عفواً فلست أعودها
وأنت بنفس لا يزال نفيسها ... إلى كل مجد أو طعان يقودها
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له ... سوابق مجد ليس يحصى عديدها
إذا طلبت همدان منك إقالةً ... وسنحان يوما واستقام أويدها
فعُدْ لهم بالصفح منك وبالرضى ... فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
وحاشاك أن تنسى السوابق منهم ... وما فَعَلَتْهُ في القديم جدودها
أتعلم أن الحق قام بنصره ... إلى الآن قحطان ابن هود وهودها

---

(١) في (أ) وأنشابت.

(٢) في (ب) فأين.

(٣) في (ب) وإلا منية.

(٤) في (ب): صقعنا، صقعة.

(٥) في (أ): الحبائل.

وتعلم قحطان وهمدان إن عصت مـقـالك إنّ اللّه وهناً يزيدها
فقُد جمعها يا ابن النبي إلى الهدَى فليس يقـود القـوم إلا رشـيـدها
فما اجتمعت[1] خيل الطعان بمشهد تكون به إلاّ وأنت وحـيـدها
ولا اعتركت خيل وخيل طعائن بحَرّ القنا إلا وأنت تحيـدها
ولا اجتمعت يوما نزار ويعرب بمجتمع إلا وأنت تسودها
وإنك لّلمنصور من آل هاشم وما بعدها من غاية تستزيدها
وكل أناس أعرضوا عنك وامتروا فما هم من الإسلام إلايهودها[2]
فدمت مدى الدنيا لأمة أحمد تشد لها أركانها وتشيدها

ومن أيامه عليه السلام المحجَلة الحسان يوم قصَد زبيد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، فلما[3] وصلها عليه السلام أقام فيها ثمانية أيام، وكان أميرها يومئذ فاتك ابن محمد بن جياش، وكان فاسقاً خبيثاً يغلب عليه الخنا والفساد في نفسه، حتى روي أنه كان له بريمان[4] في بطنه كالمرأة، فعني الإمام عليه السلام في هلاكه بعد بذل مال جليل في سلامته فأقسم بالله لو أعطى ملك زبيد كله ما أفداه[5] وذلك أنه قتَله حداً لقول النبي صلى الله عليه وآله : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه » فراوده أصحابه على أخذ المال وقالوا إنه لبيت المال، فقال قد نزهت نفسي عن الطمع عند أهل زبيد، وقد كنت قلت لهم: إني لا أسألكم عليه شيئا وتلوت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ ﴾ [سبأ :٤٧] ثم نهض بهم وكان القواد يعطون العساكر كفايتهم، فقال

---

(١) في (ب) إذا اجتمعت.
(٢) في (ب، ج) تقدم هذا البيت على الذي قبله.
(٣) في (ب) ولما.
(٤) البريم: هو ما تشده المرأة على وسطها وعضدها. قاموس ١٣٩٤.
(٥) في (ب) لاأفدي.

الإمـام: أما أنا فلا أقبض منكم شيئا كفاية ولا غيرها، وكان معه ومع أصحابه زاد فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشتري له الطعام ويأمر من يطحنه [1] وكانت حاشيته مقدار ستين رجلا وولّى على زبيد واليا [2] من جهته، وعاد مُسلّماً منصورا قد أرضَى الله سبحانه عز وعلا، ولم يزل عليه السلام في جهاد بعد جهاد وجلاد عقيب جلاد حتى أشمخ الحق قباباً، ومدَّ له أطنابا، شيّد للإسلام في الأرض العز بنيانا، وأعلى له أركانا، وكانت كثير من وقعاته على الباطنية الملحدة أقماهم الله تعالى حتى دمرهم تدميرا، وأنزل بهم ويلا وثبورا، بعد أن كانت قد تسعرت نارُهم، وسطع شرارهم، فطمس الله بحميد سعيه عليه السلام ربوعهم، وفرّق جموعهم، وكانوا بين قتيل وطريد تصديقا لقول النبي ﷺ: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليًا من أهل بيتي، موكّلاً يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين» فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله. ولم يزل دأبه عليه السلام في نشر الدين، وإعلاء كلمة الحق اليقين، وقمع الملحدين، وطمس آثار المعتدين [3] حتى تجلّى الحق وسطع نوره، وتضوّع مسكه وكافوره، واستطار أمره في اليمن من صعدة ونجران، وبلاد وادعة وسنحان وشريف، وبلاد خولان والجوف والظاهر وصنعاء وأعمالها، وبلاد مذحج ونواحيها، وخطب له بخيير القاضي الفاضل عبيد مولى علي عليه السلام، وخطب له بينبع الشريف السيد الشهيد الحسن بن عبدالكريم الحسني رحمه الله، ونفذت ولايته إلى السيد على محمد العربوني [4] رحمه الله بالجيل، وكانت مدة ولايته عليه السلام ثلاثًا وثلاثين سنة، وأصابه العمى في آخر عمره، وأسره فليته بن قاسم القاسمي، وغضبت رجال همدان عاصيها ومطيعها

---

(1) في (ب، ج) يطبخه.

(2) في (ب، ج) على زبيد والناس من جهته.

(3) في (ب) الملحدين.

(4) في (أ) العربوي

حتى قرامطتها لحبسه ، وأنفوا أشد الأنفة فنزلوا على فليته بن القاسم متشفعين في أمره وقصدوه بشعر يقولون فيه :

نحن بني هاشم لكم خدم ... بحبلكم نلتوي ونلتزمُ
أنتم لنا كعبة نلوذ بها ... وسوحكم من جهاتها حرمُ
فلا تردًّ الوجوه عابسةً ... عنك وقد قابلتك تبتسمُ

فنزل إليهم فليته فأقسموا لا برح حتى يخرج الإمام عليه السلام فأخرجه على كره منه .

وتوفي عليه السلام في شهر ربيع سنة ست وستين وخمسمائة بحيدان من أرض خولان، وقبره مشهورمزور . ومولده سنة خمسمائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[1] .

ومما رثي به عليه السلام:

أعينيَّ جودا بالدموع السواجم ... على أحمد المنصور من آل هاشم
إمام الهدى مولى الأنام جميعهم ... سقَى جدثا وأراه صوب[2] الغمائم
تزلزل ركن المجد يوم وفاته ... وثلّت عروشات العُلى والمكارم
لقد جل رزء المسملين وأصبحت ... ربوع المعالي وحشة كالمآتم[3]
لقد فتكت أيدي الحِمام بأوحد ... له شرفٌ فوق النجوم العوائم
فيا موتَ مَنْ للمشكلات إذا غزت ... ومن يرتجى يوماً لدفع العظائم
ومن ذا يقود الخيل شعثاً عوابساً ... فيوردها بحر القنا والصوارم
عليها من الأبطال كل سُمَيدع ... تعوَّد في الهيجاء ضرب الجماجم
ومن تخفق الرايات فوق جبينه ... كأجنحة الطير العطاش الحوائم

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٥ .

(٢) في (ب) وبل .

(٣)في (ب) كالمآتم .

ومن يملأ المحراب نورا وبهجة وخير مصلٍّ في الأنام وصائم

ومن ذا يلاقي الألف في حومة الوغى فيكبس فيها مثل ليث ضبارم[1]

ومن لعلوم كان مُغرًا بنشرها يقصر عن إدراكها كلُّ عالم

ومن يحفظ الإسلام أم من يحوطه بسمر العوالي والرقاق الخوازم

ومن ذا يحامي دون شيعة أحمد ويدفع عنها كل ضد مقاوم

ويمنعها من كل ضيم ينالها ومن كان عن تدبيرها غير نائم

كأنَّ حياة المرء بعد وفاته وعيشته في الناس أضغاث حالم

أبا حسن لم يبق بعدك في الورى جدير بحمل المعضلات الجسائم

أبا حسنٍ ما كنت وحدك ميتا ولكنه قد مات كل العوالم

أبا حسنٍ لو يَقْبلُ الموت فديةً فديناك بالأرواح يا ابن الأكارم[2]

عليك أمير المؤمنين تحية تزورك عني يا سليل الفواطم

وصلى عليك الله ما لاح بارق وما غرّدت في الأيك ورق الحمائم

أولاده عليه السلام: المطهر الأكبر كان من عباد الله الصالحين مات في حياة أبيه سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وفيه يقول السلطان علي بن حاتم :

ألا ليت مولانا المطهر إذ ثوى بصنعاء ما زمت إلينا ركائبه

وليت علي الألغزي بن حاتم فداه بما يحوي وما هو كاسبه

ومطهر الأصغر ، ويحيى ، ومحمد ، وسليمان ، وفليته ، وقاسم ، ومحسن وابنتان[3] .

◆ ◆ ◆

---

(١) الضّبارم : الأسد والرجل الجري على الأعداء . القاموس ص١٤٦٠ .

(٢) في (أ) : البيت متقدم على البيت الذي قبله .

(٣) في (ب ، ج) بسقط وابنتان .

الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام[1]

هو أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي ابن حمزة النجيب بن علي المجاهد بن حمزة الأمير القائم بأمر الله بن الإمام النفس الزكية أبي هاشم الحسن بن الشريف الفاضل عبدالرحمن بن يحيى نجم آل الرَسُول ابن أبي محمد عبدالله العالم بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم ابن إبراهيم الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضى ابن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين سيد العرب علي بن أبي طالب سيد قريش عليهم السلام[2].

نسب كأنَّ عليه من شمس الضحى ردأً ومن فلق الصباح برودا

وأما أمه عليه السلام فهي الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان من ولد الإمام محمد الخارج بتاهرت من أرض الغرب واستقام أمره، وكان يركب الحمار ويلبس الصوف، وأبوه الإمام يحيى بن عبدالله عليهم السلام.

وهو عليه السلام من دوحة بسقت في سماء المجد والعُلا، وأثمرت ثمرا حلو المجتنى، اكتسبت النضارةَ أغصانُها، ولبست البهجةَ أفنانُها، واقترنت بغرائب العلم، وتفتقت كمائمها من عجائب الفهم، ظاهرة البركة للعالمين، تؤتي أكلها كل حين، مباركة شافية زاكية نامية، قطوفها دانية.

---

(١) أنظر سيرة الإمام عبدالله بن حمزة لأبي فراس بن دعثم بتحقيق عبدالغني محمود عبدالعاطي، أئمة اليمن ١/ ١٠٨-١٤٣، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٤٣، الترجمان «خ» مآثر الأبرار «خ» اللآلي المضيئة «خ» غاية الأماني ١/ ٣٢٩-٤٠٦، التحفة العنبرية «خ»، التحف شرح الزلف ٢٤١-٢٤٩، أعلام المؤلفين الزيدية ٥٧٨-٥٨٦ تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/ ٣٧-١٦٢، الأعلام ٤/ ٢١٣، معجم المؤلفين ٦/ ٥٠. الجواهر المضيئة «خ». مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ٥٣٩، والمقتطف من تاريخ اليمن ١١٦ - ١١٧، ونسمة السحر ٢/ ٣٢٢، والغدير ٥/ ٣٩٦.

(٢) التحف ٢٤١.

قيل ليحيى بن معاذ رحمة الله عليه: ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟ فقال: ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة، وغرست بأرض الرسالة، فهل ينفح منها إلا ريح الهدى، وعنبر التقى، وما ظنك ببيت عَمَره التنزيل، ومدحه الملك الجليل، وكانت تمائم أبويهم من زغب ريش جبريل (ع)، من ذا يدانيهم أو يساويهم؟. ثم قيل فيهم:

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
يُستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويُستدام به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل شيء ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم[1] ... ولا يدانيهم قوم وإن كرُمُوا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم
يأبى لهم أن يحل البخل ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى لهم[2]

هذه عناصره عليه السلام الشريفة وجواهره العالية المنيفة.

ولد عليه السلام بعيشان من ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر لإحدى وعشرين ليلة خلت منه سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وروي أنه عليه السلام عند ولادته ازداد ضوء المصباح وعلا علوا يتجاوز المعتاد حتى بلغ دُوَيْنَ السقف واستقام على ذلك، وأسنده مصنف سيرته عليه السلام إلى الشيخ عواض بن مسعود رحمه الله، رواه عن المرأة التي حضرت الولادة.

وكان أبوه حمزة بن سليمان عليه السلام قد رأى في شأنه منامين: أحدهما أنه رأى كأنَّ رجلا عظيم الشأن في منزلة عالية، عليه هيئة وجلالة وتعظيم عند الناس،

---

(١) في ديوان الفرزدق «جودهم».

(٢) للشاعر الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١.

فسأل من هذا ؟ ففهم من الجواب أنه ولدك واسمه عبدالله ، فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى والده فقال له : أما إن كنتَ مبشّراً بعبدالله فقد سبقك غيرك ، فلما وصل إلى منزله سألته زوجته أن يسميه عبدالله فحكى القصة .

والمنام الثاني: أنه رأى أنه ظهر منه نور يملأ الأرض كلها فعبَّره على جدته الشريفة الفاضلة سيدة بنت عبدالله الحرازي فقالت له : اكتم ذلك ، فقد قيل : إنه لا بد أن يظهر منك أو من ابنك المنصورُ أو من يدل عليه ، ثم عبَّرها على رجل وهو يتعجب منها فلما استكملها قال : أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك ، فصدق اللّه منامه .

وكان والده حمزة بن سليمان أتاه قوم من بني صُرَيم ثم من الأجارم ثم من أهل عرار [1] يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم على ابن حاتم بن أحمد لَمَّا ملك أرضهم فقال : لا فرج لكم على يديّ وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي وهو بين يديه ابن العشر السنين أو دونها ، سمعنا ذلك عمن رواه عنه عليه السلام يروي ذلك .

وكان حمزة من فضلاء أهل عصره وعيونهم له معرفة بأنواع العلوم ، كان قد أقام مع القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد قدس اللّه روحه ، وكان يروي عن القاضي : أنه يصلح للإمامة ويقول : لو دعا لأجبنا دعوته ، وكان معروفا بالسخاء والمروة والطهارة والعبادة والشجاعة ، ومن سخائه أنه لقيه ضيف ولم يكن معه شيء ، فعمد إلى ردائه ، فشقه واشترى له طعاما به ، وفيه يقول الإمام المنصور باللّه عليه السلام في كلمة له لما لامته امرأته في سماحته فقال مفتخرا :

فإن أبي أوصى بنيه بخطه ... ولست بناس للوصية من أبي
وباع تراثا من أبيه لضيفه ... وشق فضول البرد غير مكذب

ومن ورعه ما أخبرنا به بعض الإخوان كثرهم اللّه عن الإمام المنصور باللّه

---

(١) في (ج) : من بني حريم من الأجارم من أهل نجران .

أنه ضرب في رجله يوم الشرزة فبقي عقيرا، فمرت به دواب ما استجاز الركوب على أحدها -وفي تلك الحال الرخصة جائزة.

وأما سليمان بن حمزة فكان فاضلاً عالماً ورعًا وحيداً في عصره.

روى مصنف سيرة الإمام عليه السلام بإسناده إلى الشريفين الأميرين الفاضلين يعقوب وإسحاق ابني محمد بن جعفر رحمهما الله تعالى: أنه لما أتاهما خبر نعي سليمان بن حمزة قالا: الآن يأسنا من القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصرنا فقيل لهما: وهل كان يصلح لهذا الأمر؟ قالا: نعم كان له أهلاً.

وأما حمزة بن علي فإنه مات غلاما صغيرا قد بلغ العشرين وافدًا من جهة أبيه إلى حرض على الأمير غانم بن يحيى الحسني.

وأما علي بن حمزة رضوان الله عليه فكان من عيون أهل عصره وأفاضل أبناء دهره يؤهل للإمامة، ويصلح للزعامة، وهو أحد الخمسة الذين جمعهم عصر واحد يصلحون للإمامة، ذكر ذلك مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله عليهم السلام، واتصلت به دعوة الإمام السيد أبي طالب الأخير عليه السلام بعد أن سأل عن أفضل أهل البيت عليهم السلام فأشير إليه وقبره عليه السلام بذيبين، وكان له حصن بُكُر، وكان عالي الصيت، نبيه الذكر يُقصد بالمديح، ويثيب عليه بالجوائز السنية.

فمما روي فيه قول شاعر وفد إليه من صنعاء يقال له علي بن زكري:

دع الشعر وامدح خير هاشم عنصرا	عليا حمام الضد عند التكافح
فتىً فاضلاً يسمو على الناس كلهم	بعلم وعقل في البرية راجح
غياث اليتامى مشبع الضيف باذل الـ	ـعطايا لغاد في الأنام ورائح
ترى الناس أفواجا لدى سوح داره	كحجاج بيت الله حول الأباطح

ولبعضهم من قصيدة يستنهضه للقيام يقول فيها:

وَقَابَلَتْ ذِيْبِينُ مسرورةً لما التقت بالهاشمي العتيقْ

أشْوَسَ من غُرِّ بني هاشم مستنقذ الجاني وغوث الغريق

ربّاه بالجود أبو هاشم وحمزة البر الكريم الشفيق

فشب كالصارم في العزم بل كالبحر يلقاك بوجه طليق

لم يصبح الكأس ولا هاجه نوح حمامات بوادي العقيق

ولا دعا الساقي في سحرة أن هات صرفا من عصير المقيق

قم فانعش الحق وأشياعه فأنت بالمرجو منه خليق

وأما حمزة بن أبي هاشم فهو القائم بأمر اللّٰه المحتسب في سبيل اللّٰه المنابذ لأعداء اللّٰه شهد بفضله المخالف والموالف، وقد ذكره الإمام المتوكل على اللّٰه عليه السلام في بعض رسائله على المطرفية الشقية في من ذكر من أهل البيت عليهم السلام الذين أنكروا مذهب المطرفية، وردوا عليهم. وكانت له مع بني الصليحي وقعات مشهورة ومواقف مأثورة .

وكان عليه السلام في بعض أيامه في مسجد حلملم وقد اجتمع أهل الطرف وأراد الصلح بينهم في أمور كانت، فأحدث واحد بالقرب من المسجد صوتا يريد تفريق الناس حتى ينصرفوا بغير صلح فلما سمعه حمزة قدس اللّٰه روحه قال: من هذا الذي غير محضرنا غير الله لونه، فأنزل اللّٰه به البرص في مجلسه عقيب دعائه عليه السلام ورآه الناس حتى وصار آية شاهدة بفضله وكرامته، ولم يزل مجاهدا حتى مضى لحال سبيله، وقتل في المعركة عليه السلام في المَنْوي[1] آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة في أيام علي بن محمد الصليحي وكان عليه السلام يقاتل يوم قتله وهو يقول:

أطعن طعنا ثائرا غباره طعن غلام بعدت أنصاره

وانتزحت عن قومه دياره

---

(١) موضع في الخشم.

وفيه يقول شاعر المكرم:

وصرعن بالمَنْوي منكم سيدا قرما ولم أرضَ به أن يصرعا

وكان جيشه ألفا وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده سبعون شيخا من همدان يجالدون معه حتى هلكوا، وقتل معه عشرة من رؤساء همدان كل واحد له عشرة ذكور وعشر بنات، وعجل اللّٰه تعالى انتقام قاتله علي ابن محمد الصليحي، فلم يَحُلْ عليه الحول حتى قتله سعيد بن نجاح في شهر ذي القعدة لسبعة أيام خالية منه سنة ستين وأربعمائة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقتل معه بنو عمه وسبيت حرمه. وقال الإمام عليه السلام في قصيدة منها:

كم بين قولي عن أبي عن جده وأبو أبي فهو النبي الهادي

وفتى يقول حكى لنا أشياخنا ماذلك الإسناد من إسنادي

ما أحسن النظر البليغ لمنصف في مقتضى الإصدار والإيراد

خذ ما دنا ودع البعيد لشأنه يغنيك دانيه عن الإبعاد

وقال فيها ... وذكر حمزة عليهما السلام:

أفليس جدي حمزة نعش الهدى بحسامه وبعزمه الوقاد

حسما إلى أن ذاق كأس حمامه وسط العجاجة والخيول عوادي

وسليله جدي علي ذو العلا علم العلوم وزاهد الزهاد

لم يرتدع في حربه عن عامر عن فرط إبراق ولا إرعاد

يعني عامر بن سليمان الزواحي الذي قتله الأمير المحسن بن الحسن بين ثلا وشبام، وثأر بحمزة بن أبي هاشم عليهما السلام وحمل السلطان عامر بن سليمان على الأمير المحسن فتطارد له عليه السلام ثم لقاه الرمح في هزمته[1] فوقع في نحره وعطف عليه ولده، فشل شيعي من خلصان الزيديه كنانته ورماه بسهم كان فيه حمام ولده، فقال الشاعر من الزيدية:

---

(١) هزمه: جمعها هزوم وهي للثغرة من الترقوتين. المنجد: مادة هزم.

إنا قتلنا عامزا وابنه | يحيى وكانا ملكي حمير

وقال -يمدح المحسن وذكر طعنته:

لله در محسن من طاعن | والخيل بين عجاجة وسنور[1]

جادت له كف الشريف بطعنة | ضمنت له منها بموت أحمر

وقال الإمام المنصور بالله بعدما تقدم:

وسليله جدي سليمان الرضى | كثرت مكارمه عن التعداد

ولحمزة سبق إلى طرق العلا | يرويه كل أخي تُقىً وسداد

والله ما بيني وبين محمد | إلا امرؤٌ هاد نماه هادي

وأنا الذي عاينتموا أحواله | وكفى عيانكم عن استشهاد

وسلوا فإنا قد عرضنا أمرنا | للناس من عدن إلى سنداد

وأخبرني الأمير شيخ آل الرسول عماد الدين يحيى بن حمزة طول الله عمره بسنده إلى بعض أهله أنه لما دفن حمزة عليه السلام وأراد أولاده نقله من الموضع الذي دفن فيه حمزة عليه السلام فأقاموا مدة يطوفون بقبره ليلاً حتى أمكنتهم الفرصة فحملوه في شملة ليلا وله نور ساطع يرى منه أهداب تلك الشملة، ولما نقلوه من حيث كان قبروه في بيت الجالد رضوان الله عليه .

وأما أبوهاشم الحسن بن عبدالرحمن عليهما السلام فكان من فضلاء العترة وعلمائها وكان قد دعى إلى نفسه سنة ثمان عشرة وأربعمائة. وله دعوة حسنة وهي تكشف عن فضله وغزارة علمه وهي موجودة، وله كتاب سياسة النفس في الزهد والوعظ.

ولم تطل أيامه عليه السلام وإن كان قد دخل صنعاء وأقام فيها في سنة ست وعشرين وأربعمائة، واستقام أمره حتى عارضه الشقي الحسين المرواني لا رحمه

---

(١)السنور : لبوس من قد كالدرع. القاموس ٥٢٦ .

اللَّه . وتوفي بناعط في بلاد حاشد، ومشهده هناك مشهور مزور، وكان قدم من الحجاز ومعه ولداه: حمزة ومحمد، وقد بينا خبره فيما مضى، وأما من عدا هؤلاء فإنهم قدوة أعلام سادة أمجاد، قد تبوأوا غرف الشرف العالية، و تسنموا ذرى الفخار السامية، فالمجد بهم معصوب، والحق إليهم منسوب، وما حال قوم أحسابهم نبوية، وأنسابهم علوية، قد أشرق جوهرها، وطاب مخبرها! فهل لهؤلاء من عديل، أو يوجد لهم مثيل؟ إنهم لمعشر نجباء حلماء، وقوم خيرة كرماء.

فهذه صفة آبائه عليهم السلام الذي ينتمي إليهم في نسبه، وينتهي إليهم في حسبه، فما ترى حال هذه الأنساب والأفعال يا من يميز بين الأقوال، وإذا كانت هذه صفتهم أوحالتهم، فكيف ترى حالته؟ إنها لصفة شريفة، وحالة عالية منيفة، وإنه عليه السلام وإياهم لكما قال بعض من مضى وهم أخلق به وأولى:

من أهل بيت ترى ذا العرش فضلهم   بنى لهم في جنان الخلد مرتفقا

المطعمين إذا ما أزمة أزمت   والطيبين ثيابًا كلما عرقوا

كأن آخرهم في المجد أولهم   إن المكارم والأخلاق تتسق

إن قامروا قمروا أو فاخروا فخروا   أو فاضلوا فضلوا أو سابقوا سبقوا

تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا   كما تنوفس عند الباعة الوَرِق

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام طويل القامة، تام الخلق، رويُّ اللون، أقنى الأنف، حديد البصر، فيه حدة مفرطة، أبلج كث اللحية، كأن شيبها قصب الفضة صقالة وصفاء، قد كسي الكمال والمهابة والجمال حتى فاق أهل عصره في خلقه كما فاقهم في خلقه. ولقد روى لنا بعضهم أنه رآه في حال صباه وعنفوان شبابه وأنه إذا سجد يرى نور وجهه فيما يحاذيه يتردد كما يتردد نور الشمس عند وقوعه من

الماء في الجدار. مات عليه السلام وقد غلب الشيب على عارضيه خاصة، وقال له بعضهم: يخضب عارضيه[1]. فقال بديهًا:

قالوا اخضب الشيب إن الشيب منقصة | في أعين الرشـيّات[2] الرغاديد
فقلت: ذاك كما قلتم وهيبته | نقيض قولكم في أعين الصيد
نحن الذين ضربنا الناس عن عُرُض | على البياض فهل نرضى بتسويد[3]

وكان عليه السلام صادق الحدس، قوي الفراسة، يعرف بذلك من خبره من المخالطين، ويعد باليقين من جملة المحدثين، ولكَمْ من أمر أخبر به قبل أوانه بالحدس فكان كذلك وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه»[4]، قال الشاعر:

الألمعي الذي يظن بك الظـ | ـن كأن قد رأى وقد سمعا

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

هذا باب لا سبيل إلى استقصائه، وإنما نذكر اليسير ففيه كفاية ومقنع لمن قلّت خبرتُه به عليه السلام وإلا فأحواله ظاهرة وبدور شرفه باهرة.

نشأ عليه السلام من صغره على أشرف طريقة وأزكى حالة، لم يعرف له شغل في حال صباه باللعب ولا ميل إلى اللَّهو والطرب، وأخبرني من أثق به كل الثقة أنه عليه السلام لما فرغ من تعلم القرآن الكريم في حال صغره وأدرك منه الوطر أخذ يتأسف على ضياع العمر وفوات العلم وأطنب في ذلك، فأعلم بعض إخوته والده عليه السلام بذلك فدعاه وتحدث معه، وقال له: يا بني إنه لم يمض من المدة إلا القدر الذي

---

(١)في (أ): عارضه.

(٢)الظاهر أنه جمع رشأ وهو ولد الظبية. معجم قواميس اللغة ٣٨٤.

(٣)ديوان الإمام عبدالله بن حمزة «خ» ٣٠٥.

(٤)كنز العمال ١١/ ٨٨ برقم ٣٠٧٣٠ والترمذي ٥/ ٢٧٨ برقم ٣١٢٧، وفتح الباري في شرح البخاري ١٢/ ٣٨٨.

يمكنك أن تصل فيه إلى ما قد وصلت إليه وأنت مستقبل فشمر في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في أنواع العلم، فأخذ في علم الأدب حتى لَجَّ في أغواره والتقط من درره من قراره، وبرز في ذلك تبريزا بليغا، ولقد كان يحفظ من شواهد اللغة ما لم يحفظه أحد من أهل عصره .

وأخبرني الأمير الكبير شيخ آل الرَّسُول في عصره، وناعش الحق في دهره، عماد الدين، ذو الشرفين، أبو المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان طول اللّه عمره وأعلا [1] قدره: أنه رأى مع الإمام عليه السلام مجلدا فيه أشعار، ثم قال له: قد قرأته شرفًا فحفظته [2] فخذه فاسألني عن أي قصيدة منه شئت قال: فأخذته وجعلت أسأله من أوله ووسطه وآخره وأنا أذكر له بيتا من القصيدة فيأتي بها تامة حتى استرويته عدة قصائد. وأخبرني الفقيه العالم جمال الدين عمران بن الحسن ابن ناصر أدام اللّه سعادته عن بعض من له حظ وافر من الحفظ لأشعار القدماء والمحدثين: أنه قال: أنا أحفظ [3] قدر مائة ألف بيت، وفلان يحفظ مثلها وذكر رجلا من أهل الأدب ونحن لا نعد حفظنا إلى جنب حفظ الإمام عليه السلام شيئا وكان إذا عرض البيت من القصيدة يحتج به على لفظة غريبية [4] من الكتاب والسنة أو غيرهما من كلام العرب روى القصيدة أو أكثرها وربما روى [5] سبب إنشائها ونسب قائلها، وقد يحكي كثيراً من أشعاره إلى غير ذلك من الأحوال المشاهدة له في هذا الباب من السبق .

وكان عليه السلام عارفا بأيام العرب على ضرب من التفصيل، ثم ارتحل عليه السلام

---

(١)في (ج): شرف .

(٢)في (ج): أشرافًا ثم حفظته .

(٣)في (ج): قال: أحفظ .

(٤)في (ج): غريبة .

(٥)في (أ): ذكر .

للقراءة إلى الشيخ العالم حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص رضوان الله عليه، وكان عالم الزيدية في عصره، والمبرز على أبناء دهره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي شمس الدين قدس الله روحه، فوقف عنده رضي الله عنه فقرأ في الأصوليين حتى فاق الأقران وتقدم الكهول والشبان .

وحكى لي عليه السلام أنه كان يكتب في لوح عشرا في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشرا في أصول الفقه قال: وقرأت هذه ثلاثة أشراف وحفظتها وهذا ثلاثة أشراف وحفظتها[1] فجمع بين القراءة في فنين وصنف عليه السلام في أصول الدين قبل بلوغ العشرين من مولده، وكان من محاسن تصانيفه في حال صباه ودراسته عند شيخه حسام الدين قدس الله روحه كتاب «الجوهرة الشفافة» وهو جواب رسالة أنشأها رجل من أهل مصر، ووسمها «بالرسالة الطوافة إلى العلماء كافة» تشتمل على مسائل في الأصول، بألفاظ يغلب على كثير منها: التعقيد والتقعير، وهي نيف وأربعون مسألة، ومُوردها أشعري متفلسف، فطافت على كثير من البلدان، فما تصدى عالم لجوابها، ولا رام فتح بابها حتى انتهت إلى الشيخ المقدم ذكره؛ لأنه كان في علم الكلام شمسا مشرقة على الأنام، وحبرًا من أحبار الإسلام، فأمر رضي الله عنه الإمامَ أن يجيب عنها، فأجاب عليه السلام بأحسن جواب وأوضح خطاب، مع الإيجاز في الألفاظ والاستيفاء للمعاني، فجاءت حالية الجيد، محاكية للعقد الفريد .

وقال عليه السلام فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله: فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى أرض اليمن قاطعة خطامها، حاسرة لثامها، تقطع المجاهل والجهول[2]، وتصعد معاقل الوعول[3]، كم واد جزعت،

---

(١) في (ج): ساقطة: وحفظتها.

(٢) في (ج): الفحول.

ومَرْت قطعت، وشامخ طلعت . . .

تأتي على الناس لا تلوي على أحد حتى أتتنا وكانت دوننا مصر

لكنها جاءت بما برّد الأحشاء، ولم يكن كلسان الأعشى.

ثم قال: فلما اتصلت بحسام الدين، ورأس الموحدين أبي علي الحسن علامة أهل اليمن، عاينت ما يبهر العقول نورا، ويرد الطرف خاسئا حسيرا، كسرت من طرفها، وطامنت في أنفها، وقبضت من كفها، وسلمت له القياد، وقالت: هيت لك يا خير هاد، ألقت رحلها بحيث حط الفضل رحله، وصارت إلى من صار للعلماء قبله، وكان يومئذ مشغولاً بتصانيف وأجوبة لا يقوم بها سواه، ولا ينهض بعبئها إلا إياه، دفعها إليّ وقال: حلل عقدها، وقوِّم أودها، وكنت قد اغترفت من تياره غرفة طالوتية، أفرغت عليّ صبراً، ومنحتني على المناضل نصراً، فامتثلت الرسم العالي، على كثرة اشتغالي، وقلة إيغالي، مستعينا برب أزلي، قديم أبدي. فانظر إلى هذه الشذور الذهبية واليواقيت الفائقة العربية.

ثم أخذ عليه السلام في الكلام والأجوبة فكأنه السحر دقة، والماء عذوبة ورقة، وفرغ الجواب عليها من نهاية الإيضاح والبيان، ووسم الجواب« بالجوهرة الشفافة رادعة الطوافة» وأصحبها هذه الأبيات أنشدها عليه السلام في داره بحصن ظفار حرسه اللّه تعالى:

هذي أمانة من تلم به حتى يبلغها إلى مصر

غراء واضحة تضيء ظلا م الليل مثل جمانة البحر

عدلية تمضي لحاجتها فتنحَّ عنها أيها الجبري

إن كان فيها ما يسوءك من ديني فليس عليك من وزري

دعني وما ضمنتها فبه أرجو النجاة صبيحة الحشر

---

(٣)في (أ): ساقطة: الوعول.

ثم صدرت منه عليه السلام شاهدة له بالعلو والكمال، مخبرة بأنه من الشرف في أعلا يفاعه العال.

ومن تصانيفه عليه السلام شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة وهو مشتمل على جزأين. الأول الكلام في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوءات والوعد والوعيد وما يتبعها. والثاني: الكلام في فضائل العترة عليهم السلام وهو يشتمل على نكت حسنة من أخبارهم، وملح آثارهم، وهو كتاب جليل القدر. **ومن تصانيفه** عليه السلام في أصول الفقه: **صفوة الاختيار**. ومنها في أصول الدين: **كتاب الشافي** وهو يشتمل على أربعة مجلدات: تولى الربع الأول على الخصوص وهو يتعلق بأخبار القائمين من العترة عليهم السلام ومن يصلح للقيام وإن لم يقم، ومن عارضهم من بني أمية وبني العباس من أمير المؤمنين عليه السلام إلى وقت الإمام المنصور بالله عليه السلام.

ومن تصانيفه عليه السلام حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية وهو من محاسن الكتب التي فاقت، والتصانيف التي راقت، مضمنا إيضاح الألفاظ اللغوية بشواهدها العربية، وبيان المعاني على نهاية الحسن والتمام، ولقد سمعته عليه السلام يقول: إنه فرغ من تأليف الجزء الثاني منها في سبعة أيام أو ثمانية أيام، وهو في خلال ذلك مشغول بتجهيز العسكر إلى بعض الجهات، ورأيت ذلك الجزء بخطه عليه السلام الذي هو المسودة، ومن شاهده عجب من ذلك، حتى إنه لا يكاد يوجد فيه سطر مطموس، ولا مزيد إلا النادر الذي لا يؤبه له، وهذا شيء خارج عن المعتاد، هذا مع أن فيه من الألفاظ الرائقة والكلمات الفائقة ما يقل مثلها في مثله.

ومن كلامه عليه السلام: وقد ذكر معنى الإنابة وأنها الإقبال على الطاعات والقُرب المنجّيات، ثم قال: فبذلك ينال دار الخلود والرضوان، والروح والريحان، وهي دار القرار ودار الحيوان. ولم لا تكون كذلك وهي دار لا ينفد نعيمها، ولا يظعن

مقيمها، ولا يكدر شرابها، ولا يهجم قبابها، ولا ييأس أربابها، وكيف لا يعمل لها العاملون، وينيب إليها المنيبون، وأهلها في الغرفات آمنون، وفي منازل اللذات قاطنون، يميسون بين ثياب العبقري الأحمر، والسندس الأخضر، والطميم المدثر والدمقسي المصور. ثياب خلقها الجبار، لم تصنع في هذه الدار، ولم تر مثلها الأبصار، لم تنسب إلى تنيس ودمياط، ليست بقهرية ولا قوهية ولا سيرية، ولا مفوفة مزورة، ولا حضرمية محبرة، ولا تنيسية مهلهة، ولا هشامية مثقلة، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون[1].

ومن كلامه عليه السلام: ومن للمخف باللحاق، إذا أرسلت[2] خيل السباق، وألصق القطيع بالساق، وكان إلى الحكم العادل المساق، فكم من متجلد مقطوع الأباهر، ومن ذي جلد للخد عاثر، وكم من موفق فاز بقدح القامر، وحد الواتر، فمن أنهته القناعة إلى السعة فاز، ومن أنهته الرغبة إلى الضيق عطب.

ومن كلامه عليه السلام في هذا الكتاب قوله: فانظر إلى أمية الطاغية، وفئتها الباغية، وعزتها العالية، ونخوتها السامية، وسطوتها العاتية، فهل ترى لها من باقية؟ دهمتها الداهية النآد، فألحقتها بظالمي قوم عاد، بعد أن طغت في البلاد، وأكثرت فيها الفساد، ووثرت المهاد، وثبت لها الوساد، وملكت النجاد والوهاد، حتى كان يخطب للواحد منهم كل يوم جمعة على ثمانين ألف منبر على رؤوس الأشهاد، فأي طمأنينة أعظم من هذه، فأحدث الله بعد أمر أمراً، فأصبح المهنّى بهم معزى، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم :٩٨] فيا له من إزعاج ما آلمه وأهمه وبطش ما أشده وأطمّه، وإن نظرت في أمر الجاهلية فكم من واعظة جلية، أين العمالقة والأكاسرة! والتبابعة والقياصرة! والفراعنة

---

(١) حديقة الحكمة النبوية ٤١.

(٢) في (أ): وقد أطلقت.

والمناذرة!؟ وترتهم الواترة، فرذوا في الحافرة، وطرحوا في الساهرة، فباءوا بصفقة خاسرة، وتجارة بائرة، فأصبحت قبورهم عامرة، وقصورهم دائرة، فهل يأمن الدنيا بعدهم لبيب أو يسكن إليها أريب[1].

ومن كلامه ﷺ في صفة الجنة: فيها قصور مشيدة، وقباب معمدة، وعقود مكللة، وخيام مجللة، وأنهار مطردة، وحدائق متسردة مشيدة بالذهب والفضة، معمدة بالياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، واللؤلؤ والجوهر، طينها من المسك والعنبر، فكيف يصف الواصفون وصفًا قال الجبار القادر[2] كن فكان، هل يزهد فيها زاهد، أو يرقد عنها راقد، وأما النار فالنار غضب في غضب، ولهب يعلوه لهب، وأدراك متناهية في الهبوط، ونقم دائمة السقوط، لا يرحم باكيها، ولا يُشكا شاكيها، كلما نضجت جلودهم بدلها الباري[3] جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، فلمَ ينام هاربها ويرد نصيحة المخوف منها.

ومن كلامه ﷺ: في هذا الكتاب قوله: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، فكيف يعمل لها مع إدبارها عمل المستقبلين، أو كيف يركن إليها الحاضر الفطين، وقد خلت لنا فيها المثلاتُ بأبنائها الفارطين، ولقد عاينا من إدبارها عن المقبلين عليها رؤية عين اليقين، فكم لها من ضريب وطعين، وطريح ودفين، أبدت لنا محاسنها الفتانة، وتدثرت بالعفة والأمانة، حتى إذا تمكنت مخالب حبها في شغاف قلبه، وألب ودها بلبه قلبت له ظهر المجن، وجرعته كؤوس المحن، فأضرمت عليه نيران الفتن، وقلبته لوجهه حيران، وأهبطه العشا منها على سرحان، فخان فيمن خان، ودين بما دان، وقيل كان وما كان، فلَم تغنه الأحزان[4]، ولا ترفع منه

---

(١) حديقة الحكمة النبوية ١٢٠ - ١٢١.

(٢) في (أ): أمرًا قال له الملك الجبار: . . .

(٣) في (أ): بدلناهم جلودًا.

(٤) في نسخة فلم يغنه الأخوان.

الأشجان . إلى غير ذلك من فرائد كلامه الغر الثمينة ، وإنما قصدنا التنبيه دون الإكثار .

ومن تصانيفه عليه السلام: الرسالة الهادية بالأدلة البادية في السبي وما يتعلق به ، وهي بالغة النهاية . **ومن كتبه** عليه السلام :**الدرة اليتيمة في تبيين أحكام**[1] **السبي والغنيمة** ، فصَّل فيها شيئًا حسنا في السير ، وأوضح الكلام في مسائل أوردها موردها من فقه العترة عليهم السلام ، فجاء فيها من الكلام بما يوازن اليواقيت . **وقال فيها** عليه السلام: لأن موردها تعمّق في الإيراد ، ولم يسلك طريقة الاسترشاد ، كم بين من شغله [2] يتفقد حرمه وأغراضه وعنابه وإباضه ، وبين من شغله بطغيه واعتراضه وتجارزه وإبغاضه :

يطرق إطراق الكرى لكي يرى ما لا يُرى

حدد مداه ليقطع ما أمر الله بوصله ، ويقضي على العلم بجهله ، ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣] ويقول: ﴿ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩] فكيف تثبت طاعة مع الخلاف والنزاع ، والاعتراض على ولي الأمر في الأفعال والأوضاع ، إنما هو فجرأ وبجر ، فرحم اللّه امرءًا تبصر وتفكر ، وعقل الأمر وتدبر ، وسلم لمن أمرنا التسليم له ، وسلك من الرشد سبيله ، أصل الاعتراض المرض ، كما أن أصل الشَّرَق [3] الجَرَض ، هل كان في الوصي المعصوم لقائل مقالة ، فقطع العباد المجتهدون على كفره[4] لا محالة ، بعد شهادة

---

(١)في (ج)ساقطة : أحكام .

(٢)في (ج)ساقطة : شغله .

(٣) الشرقة : غصة تقول أخذته شرقة كاد يموت منها ، الجرض والجريض : الريق يغص به . المنجد ٨٧ ، ٣٨٤ .

(٤)في (أ) : أمره .

رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بالعصمة وزوال الوصمة، ما كان أحوج أهل الدين الصحيح إلى العمل بالجد والاجتهاد فيما وقع فيه من الباري سبحانه للنص الصريح في إعزاز الدين ومنابذة المعتدين، أصلح شَسْع النعل، وتأبد عن الإسلام بالحجارة والنبل، وكن ضجيعا للحسام، واصبر صبر الكرام، فإنما هي شهقة وقد أفضيت إلى دار المقام، فإما إلى سعادة دائمة، وإما إلى شقوة لازمة، كم بين الودع والورع، والبازل والفزع[1].

ومنها قوله ﷺ: اتهم نفسك لا إمامك، وتقدم فالصلاة أمامك، لا تضرب وجه الجواد السابق، لتصده عن الغاية فتكون للناس آية، ما أحوج السلاح إلى الْحَمَلة، والعلم إلى العَمَلة، يا طالب الدين لا بد من الآلة لا تقوم مقام الدرع الغلالة، انصب وارغب فلا تُتعب ولا تَتعب، فالدين نهج قويم، وصراط مستقيم، اليمين والشمال مضلة مزلة، والوسطى توصلك بحبوحة الملة، تنيمك في الأظلة، لابد للمسافر من زاد ومزاد، ولا بد للمقاتل من سلاح وعتاد، انظر لنفسك ولا تقيدها بالوكَل، ولا تعللها بليت ولعل؛ فإن هول المطلع شديد، والشاهد عليك عنيد، إن من التكبير ما يكتب على صاحبه كبيرة، فنسأل اللَّه حسن البصيرة، سبح ما استطعت بكلمة أو حركة، ففي القليل مع الاستقامة البركة[2].

ومنها قوله ﷺ: قليل من العلم يحتاج إلى كثير من العمل فإياك أن ينتظمك المثل (سعيت وحج الجمل) كم بين من شغله علاج دبر جواده ممن همُّه التعلل في إيراده.

لو أن سلمى شهدت مطلي * تمنح أو تدلج أو تعلي * إذاً لراحت غير ذات دلي

---

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧١-١٧٢.

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٣.

الإسلام عند المستحفظين به غض، وأديمه لديهم أبيض نض، وعند سواهم أسود اللون، شاحب الجبين، لا يعرف مع التوسم والتفرس إلا بعد حين، وذلك لأنهم طلبوه في غير مطلبته فلم يتحصنوا بجنته، للعلم أرباب وللدين نصاب، آل محمد أربابه وفيهم نصابه، إن أقدموا فأقدموا مصممين، وإن أحجموا فكونوا محجمين، إن التقدم على الإمام تأخر عن شريف المقام، التأخر عنه دين وشرف، والتقدم عليه شين وسرف[1].

ومنها قوله عليه السلام: إن شككت في قضية السبية فابحث عن الحنفية يا ورع يا أورع، أين أنت عن قصة الوصي الأنزع، بالغت[2] للسنة في نتف الإبطين، وغفلت عن قصة أبي السبطين[3]، ومنها قوله عليه السلام: هلك من كذب القطا[4]، وركب في أمره متن الخطا[5]، لو تُرك القطا لنام فعلق رأسها اللجام.

ومنها قوله عليه السلام[6]:

فقلت لكأس ألجميها فإنما ... حللت الكثيب من زرود لأفرغا

لا يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله، تنبيك بأيام الصيف حرملة[7].

ومنها قوله عليه السلام: ما كان أحوجنا من مورد السؤال إلى المعرفة والنصرة بئس السجية التغرب بعد الهجرة، قال الصادق الأمين عليه وعلى آله صلوات

---

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٣-١٧٤.

(٢) في (أ): تابعت.

(٣) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

(٤) القطا: طائر معروف سمي بذلك لثقل مشيه واحدته قطاة، والمثل: «لو ترك القطا لنام» يضرب مثلاً لمن يهيج إذا تُهيِّج. لسان العرب ٣/ ١٢٤.

(٥) في (أ): وأمن في أمره من الخطا.

(٦) هكذا في المخطوطات ولكن رسالته في هذا الموضع متصله فليس لها معنى، أنظر مجموع رسائل الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

(٧) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

رب العالمين: «من جهز غازيا أو خلفه في أهله كان له مثل أجره»[1] فما حاله إذا لسَنّه بملامه، وطعنه بكلامه، وثبط عنه بتشكيكه وإيهامه، وعض كالمتأسف على إبهامه.

يا خاطر الماء لا معروف عندكم	لكن أذاكم إلينا رائح غادي
بتنا غروثا وبات البق يلسعنا	يشوي الفراخ كأن لاحي في الوادي
إني لمثلكم في سوء فعلكم	إن جئتكم أبدا إلا معي زادي

هذا الشاعر المسكين تأذى من لسع البق والطوى، فما لنا بمثل حاله والبلوى بمثل خلاله[2].

ومنها قوله عليه السلام في صفة هذه الرسالة: فلما تكرر السؤال من الأصحاب، وحق لكل سائل[3] أن يجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميناها (بالدرة اليتيمة في تبيين أحكام السبي والغنيمة) على أشغال تُبلبل البالَ الساكن، وتلحق المقيم بالظاعن، ثم لم نتمكن فيها من البسط، وإن كان فيها بحمد الله ما يغني عن الرحل والحط، اعتراض البرق يدل على الحياء، وإن تعذرت مشاهدة الرباب، وقيل إن السبع المثاني هي أم الكتاب فليتدبرها الإخوان بعين الإنصاف، فلعلها- إن شاء الله - تنزل منزلة الألطاف، وتُعرف المسترشدين ما عرف أهل الأعراف، ويكون ما فيها كاف شاف[4].

ومن كتبه عليه السلام الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية وفيها يقول عليه السلام:

إذا غضب الفحل يوم الهياج	فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد	والدّم منها يحاكي المطر

---

(١) الترمذي برقم ١٦٢٩، وابن حبان برقم ١٦١٩، والترغيب والترهيب ٢/ ٢٥٤ بلفظ مقارب.

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٦.

(٣)في (أ): محب.

(٤) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٧.

أيُنكر حـــقي برجم الظنون | وهل يكتم الناس ضوء القـمـر
فــإن سُـيّـرت سيـرتي باليـقين | كـانت لعـمـرك خيـرُ السيـر
ألست الذي شق بُرْد الضـــلال | بفكر يَشُق الحـصى والشـعـر
وعـــزم توارثتـــه من عليٍّ | وحـزم تعلمـتـه من عـمـر
لسـاني كـشـقـشـقـة الأرحبي | أو كـالحسـام اليـمـاني الذكـر[1]

ومنها الأجوبة الرافعة للإشكال والفاتحة للأقفال. ومنها الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة. ومنها كتاب الإيضاح لعجمة الإفصاح، وأكثر هذا فيما يتعلق بباب السير، فقد كان الناس بَعُدَ عهدهم بالعلم حتى كثر اعتراضاتهم ففصَّل عليه السلام في هذه الكتب من البراهين على صحة أفعاله ما يبهر العقول ويردع الجهول، ولقد قال عليه السلام في بعض تصانيفه لما كثر الاقتراح عليه والتعنت، وأن لا يجيب إلا من أقوال الأئمة دون السير فقال: فحمَّلنا أيده اللّه ما لا طاقة لنا به، ولم يأت البيت من بابه لأن السيرة النبوية والأعمال الصحابية هي الأصل في الفتاوى الشرعية، أو الأعمال الدينية؛ فحالُ هذا المسترشد في سؤاله كحال من يقول لغيره أوصلني إلى بلد كذا وكذا، ولا تسلك بي طريقه. وهل صنف الأئمة عليهم السلام إلا ما بنوه على كتاب اللّه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعمال السلف رضوان الله عليهم مجمعين؛ فيكون أصلا لاحقًا بالأصول، أو مفترقين فيكون مذهبا ودينا يفتقر[2] إلى الترجيح والتعليل، ثم قال عليه السلام: والذي ذكرنا علم إن لم يوجد فيما مضى من علوم الأئمة عليهم السلام ألحق بها، وحَمِدَ اللّه أهل هذا المذهب على ما منَّ الله به عليهم واختصهم به من كون الهداة الطيبين فيهم، وسعة علومهم، وتواتر ذلك كذلك مع بقاء التكليف.

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٢.
(٢)في (أ): يرجع.

وكان كل من سأله عليه السلام ممن له أيسر معرفة، يروم المطالبة بالدليل، فكان عليه السلام يسلك بهم طريقة الرفق واللين، إذ كان ذلك شيمة له معروفة، وسجية مألوفة، وطريقة موصوفة، وشنشنة[1] مشهورة .

ومن كتبه عليه السلام الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية . ومنها الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة، وذكر عليًا عليه السلام وفتحَه خيبر، فقال في حقه ومن تقدم عليه من الصحابة:

قد عُرِّفوا طرق التقديم لو عرفوا	لكنهم جهلوا والجهل ضَرَّارُ
ساروا برايته فاسترجعوا هربا	والخيل تعثر والأبطال فرار
حتى إذا انسدَّ وجه الفتح واختلجت	خواطر من بني الدنيا وأفكار
نادى أبا حسن موفي مواعده	صبحا وقد شخصت في ذاك أبصار
فجاء كالليث يمشي خلف قائده	إذ كان في عينه ضر وعوار
فمج فيها بريق طعمه عسل	وريحه المسك لم يفضضه عطار
وقال خذها وصمم يا أبا حسن	فكان فتح وباقي الجيش صدار

ومنها دعوات عدة:

منها الدعوة العامة التي ابتدأها، وفيها من غزير الكلام، وبديع النظام ما يدل على علو منزلته في العلم، ودعوات عدة بعدها. **منها** دعوته إلى إسماعيل، **ومنها** دعوته إلى جكو، **ومنها** دعوته إلى خوارزم شاه، **ومنها** دعوته الأخيرة إلى أهل اليمن جندهم ورعاياهم، أنشأها في سنة اثني عشرة وستمائة بكوكبان، ولقد جمع فيها على التحقيق علمًا جمًا، ففيها في الوعظ والتذكير ما يأخذ بمجامع القلوب، ويصد عن ارتكاب الحوب، وفيها كثير في فضل العترة عليهم السلام، وفيها كلام في حكاية أحوال كثير من خلفاء بني العباس وما فعلوه ببعضهم بعضا من أنواع النكال، وفيها طرف من السير، وفيها الحث العظيم على

---

(١) الشنشنة : الخلق والطبيعة . مختار الصحاح ٣٤٩.

الجهاد، وغير ذلك. . . ولم يرد دعوة مثلها لأحد قط فهي من عجائب العلم وكلامه عليه السلام عجيب .

ومن كلامه عليه السلام فيها قوله : فرحم الله امرءاً نظر لنفسه قبل أن يغلق الرهن، ويظهر الوهن، وتتعذر الرجعة، ويخيب النجعة، ويبلس المجرمون، ويقال ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيا لها من كلمة ما أفجعها! وموعظة ما أوجعها! إن صادفت قلبًا حيًا ولم يلو على النهج ليًا . ومنها قوله عليه السلام: هلموا رحمكم الله إلى نور مصباح الزجاجة، ودهن زيت الزيتونة، وراية ما خفقت على رأس مسلم فدخل النار، لا يُشرب عليها الخمر، ولا يسمع العزف والزمر، ولا يظهر من المعاصي ظاهر إلا أنزل بصاحبه حكمه من الرجم فما دونه، فأما من غبا أمره فحسابه إلى الله، كم بين من يُؤمِّنُ أهل المعاصي وبين من يخيفهم ومن يعاقبهم ومن يشوقهم ومن يسلبهم ومن يسبقهم ومن يطردهم ومن يضيفهم ما سمعنا رحمكم الله الملاهي، ولا درينا قبل كسرها بالعيان ما هي، كما قلنا في بعض الأشعار:

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها ... ولا الفواحش إلا حين ننفيها

أنا ابن من نسجت آي الكتاب له ... مُلاَءة غمرت جسمي حواشيها

ومنها قوله عليه السلام: ما خالفنا أبو حنيفة ولا الشافعي ولا مالك، فانظر أين تضع قدمك يا سالك، وهؤلاء فقهاء الأمة، فهم بحمد الله أتباع آبائنا الأئمة رحمة الله على أولئك، وعلى آبائنا أفضل السلام، أين النبع من الثمام، والجود من الرهام، واليحموم من الغمام، ما أنصف نفسَه من خدعها، ولا رفعها من وضعها . ومنها قوله عليه السلام: نحن أهل التحريم والتحليل والتنزيل والتأويل، أعلام الهدى، وأقمار الدجى، بحار العلم، وجبال الحلم، فلا تعدلوا رحمكم الله عن منهاجنا، ولا تسلكوا غير فجاجنا ،فإن الفتنة بنا مطرودة، والرحمة إلينا

مردودة، اتباع الحق أحجى، وسلوك منهاج الذرية أنجى، كم بين من يعتزي إلى أهل الكساء ومن ينتسب إلى نهاوند ونسا!! ليس من أحسن كمن أساء، ومن لان كم قسا، يا أهل اليمن قد طالما سحبتم ذيول الفتن، وتجرعتم كئوس المحن، ورفضتم عترة الحسين والحسن، وجريتم في خلاف العترة على سنن، فانظروا لأنفسكم نظرا يخلصكم عندنا اليوم وعند الله غدا، فإن الله لم يخلقكم عبثا ولا يهملكم سدى، ومنها قوله عليه السلام: إن العجب كل العجب فيمن صدق الوعد والوعيد، وأعطى نفسه من الهوى ما يريد، اجعلوا أنفسكم لوامة ذمّامة، إن أردتم الفوز يوم القيامة لا تعوقوها في الخير من طريقها، ولا تشرقوها بريقها، الجنة تحت البارقة، الجنة تحت أطراف العوالي، خوضوا أبحار الحتوف وناطحوا أشفار السيوف، واستهونوا المخوف، وكونوا فوارط لا خلوف، وابتذلوا الدروع لا الشفوف، واركبوا الذريع لا القطوف، إن أردتم حلول ذات القطوف، ألا إن للدين دعاة فها نحن من سادات دعاته، وإن له حماة فكونوا من أفضل حماته.

ومنها قوله عليه السلام: ألا وإن دين الله محروس بنا ومحوط بهيبتنا، وما زال الله منا غاضب، نشيط على أطراف الأسنة وحد القواضب، تخفق منه قلوب الجبابرة على متون الأسرة، ويتركها على الأظرة، فكم من مظهر للنسك لم تكن من عادته لهيبتنا، ومن متأله وهجيراه الجبرية مخافة سطوتنا، ألم يلبس هارون المسمى بالرشيد الصوف، ويفترش اللبود، لما قام يحيى بن عبدالله عليه السلام بالديلم، وأظهر من الصلاح ما لم يكن يعلم. ومنها قوله عليه السلام: لست بجبري ولا رافضي ولا قدري ولا معتزلي ولا مُرجٍ ولا غال ولا ناصب، قال: انما هو فخر أوبجر، كم بين السراب والشراب، والقِطر والقَطر، اغترف من النهر الطالوتي، وفارق الجيش الجالوتي، حاذر أمواج الانتقام المتلاطمة في حرب أبناء فاطمة، كم بين الرشد والغي! والميت والحي! والعطاء واللي! والنفث والكي! لا تكابر الدليل العارف فيجترفك الجارف، تابع مرشدك واشدد به عضدك، ولا تهلك نفسك

وولدك، ولا تؤثر لددَك، وارخص للقبول جلدك، ولا تقطع من الباري مددك، ولا توغر جددك:

أمن غيـر أبناء النبي محـمـد	إمام لقد حاولت نقل شمام
وهل يستحق الأمر من جُلُّ همه	لجمع حطام أو لشرب مدام
تمسك بأبناء النبي فإنهم	زمام لدين الله أي زمام
لتنجو مع الناجين من كل موبق	إذا قيل للوفد ادخلوا بسلام
سيدعى الورى[1] يوم اللقا بإمامهم	فاعدد لذاك اليوم خير إمام

لا تصحب الخائف فتكتب في زمرة الخائفين، ما أنفعها من كلمة لو قبلتها قلوب العارفين، زكِّ نفسك فقد أفلح من زكاها، ولا تدسها فقد خاب من دساها. ومنها قوله ﷺ: كيف يُلبِّس العاقل على نفسه حق آل المصطفى، وقد طبق الآفاق وطفا، ما كان حديث الغدير يخفى، ومن لنا بأهل الوفاء. علينا نصب الدليل وعلى الأمة الاستدلال، موجب إرث الجنين الاستهلال، ما عُذرَ من سمع الصوت عاليا بالدعاء إلى الرشد في ترك الإجابة وتعدى سبيل الإصابة، ما قُدر كان وما حان حان، لكل نباء مستقر، والعاصي إلى سقر، يا طالب الرشد من غير أهله، أنت كطالب الدر في الحجر، والياقوت في المدر، إن للخير وللشر معادن، لا تجري مع عتاق العراز الكوادن، أين السنام من السناسن[2]، والذروة من الفراسن، والقبائح من المحاسن، والأوابد من الدواجن، إن أردت النجاة فاتبع الهادة، كم بين المرشد والمغوي، اسلك مسلك الرشد ترشد، ولا تبعد من الخير تبعد، وكن كالجمل الأنف في الانقياد للهدى، وكالسبع النافر عن الغي والردى، أنزل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة

(١) في (أ): الملأ.

(٢) في (ج): السنابس.

العين من الرأس، فإنه لا يصلح جسد لا رأس فيه، ولا رأس لا عين فيه، ما ضر من سمع واعيتنا أهل البيت لو سعى إلينا ثم تفقد أحوالنا، فإن رأى رشداً تبعه بيقين، وإن رأى -والعياذ بالله- غيًا فارقه مع المفارقين، وفاز ببرد علم اليقين، إن على العاقل عند التخويف أن يحاذر، وإن كذب المخوِّف في النادر، إن سلكت سبيل السلامة فاعرف شروط الإمامة، واطلبها في مدعيها إن كنت ممن يعيها، إن الدعاوي متساوية من المدعين، ولكن أين الثمد[1] من المعين! والشك من اليقين! التفاضل بين البينات، ولا إشكال في المتعينات، لا تستوي الدرة ولا الصدَفة، ولا الأريكةُ و الحصفة، ولا الزيتونة واللصفة، كم بين من يدعي الإمامة وشاهده زرزر والموصلي وبُر صُومًا وحنجفَةٌ وسلامة، ومن يدعيها فيملأ البلاد صلاحا وعلوما، ويظهر عليه من الخير سيما ويشهد له الفاضل والعلامة. من أنصف نفسه أنعم النظر في نجاتها، ومن تحرى رشده سعى في حياتها، ماضر من أتعب نفسه مدة يسيرة لنيل ملكا كبيراً، وحاسبها على القطمير والنقير، فجاء موقف القيامة وقد أحرز السلامة، وفاز بالكرامة، ونجا من أهوال الطامة، رحم الله امرءًا أخذ بعنان فرسه، وطار في سبيل الله إلى الهايعة، واستظل باللامعة، وجعل أشعة الحديد سراجه، وشق برد العجاجة، ودعا في فوارط أنوف الرجال نزال نزال، وصاح بأعلا صوته لعلو صيته، وشرف نيته، يا أيها الجند المجند، والحشد الملبد، حسبي عيال محمد، لا خَلْف لي عنهم ولا أمام، ولا نكول ولا انهزام، إن البيعة أخذت على المسلمين بيعة الإسلام، رويناه مسندا على أن يمنعوا رسول الله ﷺ وذريته من بعده مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم، فوفى بها لله من وفّى وهلك بها من هلك، فانظر على من الشقوة والدرك بأنصار الذرية. أين النفوس الحرية، والمغارس الذريّة، والأحساب المضية، والأخلاق الرضية،

---

(١) الثمد : المال القليل .

والطرائق المرضية، أين أبي الدبية، ومن لي بأبي الدبية، هلم إلى شرف الدنيا والآخرة، ولبوس ثيابها الفاخرة، هلم إلى أندية لا يظهر فيها الفحش والفحشاء، ولا تقرع فيها الأرقش والرقشاء، ولا يتنابز فيها بالألقاب، ولا يلعب فيها بالقرود، ولا تسلا الكلاب للهراش، ولا يلهى بالعيدان والأوتار والمعازف والمزمار، ولا يلاقى بين الديكة، ولا يناطح بين الكباش، إنما هو ذكر أو فكر، أو تأويل سنة أو كتاب، أو وعظ لذوي الألباب، يأنس بها الملائكة الكرام، و فضلاء الأنام، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، ولا ينظرون إثما عظيما، ولا فعلا ذميما، فارجعوا -رحمكم الله بحميد عنايتكم- الأمرَ إلى أربابه، والدين إلى نصابه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، ليأخذ القوس باريها، وينزل الدار بانيها، فتجري الأمور على سنن الإصابة، وتسعدوا بودق تلك السحابة، جمع الله على التقوى شملكم، وبارك فيكم ولكم، وأخذ إلى الخير بنواصيكم، وأصلح دانيكم وقاصيكم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وما وعظتكم حتى وعظت نفسي، ولا دعوتكم حتى دعوتها، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وهذه غرر يسيرة وإن كانت كلها في الرفيع من طبقات الفصيح.

ومن تصنيف له عليه السلام في جواب كتاب لبعض العجم: عقدت الفواطم في أعناقنا[1] التمائم، ولواء هاشم في رؤوسنا العمائم، ومن الصريح من الدعوة وقعات الملاحم وضرب الجماجم، وأي فئة لقيناها أو نصفها ولم تسحب ذيل الهزائم؟ ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام: وأما علماء العدل والتوحيد الدائنون

---

(١) في (ج): أعناقها.

بتصديق الوعد والوعيد فهم بقولنا قائلون، وإلينا مائلون، ويعلمنا عاملون، يرون ولاءنا جُنة وخلافنا فتنة، في جميع أقطار الأرض قد أجابوا دعوتنا سرا وجهرا، نشروا مدائحنا نظمًا ونثرًا، وأفنوا كتبنا طيًا ونشرًا، وسوف يطلعونها إن شاء الله على الخرصان[1] صُلعًا وزُهرًا:

أبابيلَ خيلٍ دينُ أحمد دينُها	مسوّمة جبريل فيها يقودها
فويل لأرباب الضلالة والخنا	إذا خفقت في الخافقين بنودها
وصاح القنا في الدارعين وبُدّلت	كُنا صيدها وازداد حَراً وقُودُها
وعُفّيت الآثارُ من كل ظالم	وبُلّت لأخذ الثار منها لبودها
ولاحت كأمثال العقايق بيضها	وبانت كألوان الشقائق سودها
ودارت رحا الحرب العوان بشوسها	وقام بأيدي الدارعين عمودها
فهذا أوان الحق يسطع نوره	ووقت نيار الظلم يبدو خمودها

فحينئذ نقول خلفًا وعقرًا، ونبدي منكم خُبرًا ونهتك سترًا، ونلقيك بما عملت كتابًا تلقاه منشورًا، ونقدم إلى ما عملتم من عمل فنجعله هباءً منثورًا، ونمشي وقد جعل الله من بين أيدينا نورًا ومن خلفنا نورًا، فإن قلتم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا وحينئذ تضرب جلالة النبوة وهيبة الخلافة بيننا وبينكم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فترومون الذهاب ولات حين ذهاب، وأنى لكم ذلك وقد أسفَّ العُقاب، وحجل الغراب جذلاً لخلع العيون وخرق الإهاب، والتفكه بين اللحوم والأعصاب، وليس هذا بعجيب أن يكون، فهل خطر في القلوب يوم وُصاب .

ومن هذا الكتاب قوله ﷺ: ولكنك لا تدري أين تولغ لسانك، وتطلق عنانك، وتضع سنانك، قد أعماك البطر، وأصمّك الأشر، فصرتَ كغراب على

---

(١) الخُرصان: الرماح. القاموس ص٧٩٥ .

مشر[1] لا تفرق بين جنى النحل ونفاخ العشر ، تنكر البغي ولا تعرف حقيقة الباغي ، وتحذر من الطغيان وأنت عين الطاغي ، لا تعرف الزواجر فتنزجر ، ولا تأمّل العبر فتعتبر ، فأنت كالبهيمة المهملة ، والضالة المرسلة ، لا تعرف من الخير والشر إلا ما شاهدت ، ولا تعتذر إن حاردت ، تلعب إن أخصبت ، وتنكب من أجدبت ، جَعلْتَ أهل بيت الذكر والرحمة وولادة النبوة ومعدن الحكمة خوارج ، ويحك فمن الوالج؟ ما أنت إلا من الهمج الهامج ، تستخفه أخف ريح ، فيرنح ويطيح .

ومن هذا الكتاب **قوله** ﷺ بعد ذكر جماعة من الأئمة السابقين عليهم السلام : أفهؤلاء بزعمك خوارج ، إعرف المداخل والمخارج ، قبل أن تحطمك الأنياب اللوامج ، فتحرمك الصفو ، وتسقيك الحاضج ، أفرق بين الخل الذايل والسنم العُفاضج[2] ، وبين أضعف الدوارج وبين الفيل السائج ، كم بين النبع والعشر ، واللب والقشر ، والقبس والدخان ، والنحاس والعقيان ، حولت وبدلت وضيعت وأهملت ، وظننت أن الدين يبطل بالغلب ، وأن المال يملك بالسلب ، لابد من حدود شرعية توقف عندها ودونها ، ويلعن الذين يتجاوزونها ، والباطل فرقة ولو انضاف إليه الأكثر ، والحق جماعة وإن كان حزبه المشفَّر .

ومنها قوله : رِدْ و رد القطاة ، واحمل في الحوصل والأطحل ، لا تحجل في الفلاة محجل فلن ينتقص بحر مجدنا ، ولن يستلب شرف جدنا ، ولن تفل شباة حدنا :

ما يضر البحر أمسى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر

---

(1) المشر : شيء كالخوص يخرج في اسم والطلح . لسان العرب ٥/ ١٧٣ .

(2) الخلّ : النحيف المختل الجسم . الذايل : طويل الذيل . والسنم : ككتف ، وهو البعير العظيم السنام . والعفاضج : الضخم السمين . القاموس المحيط ص١٢٨٤ ، ١٢٩٥ ، ١٤٥٢ ، ٢٥٤ .

ومنها قوله عليه السلام: ويحك أين السنام من الغارب؟ لقد تحكّكتْ بالأفاعي العقاربُ، وفاخرت الصقور الجنادبُ، ونازلت الليوث الثعالب، واستهزأت بصنعة السرق[1] العناكب، وأرقلت الأفائل القزع[2] لمصاولة الفحول المصاعب، وساوت الروايا المواقر ضوء أمرد غالب النجايب، كم بين الذروة والحضيض، والصحيح والمريض، ليس قطًا مثل قطي، ولا المرعي في الأقوام كالراعي .

وله عليه السلام في الفقه الاختيارات المنصورية في المسائل الفقهية، علقه عنه بعض أصحابه، وفيه فقه غريب . وله كتاب الفتاوى وهو مجلد علق من أجوبة السائلين ورتب على المعتاد من ترتيب كتب الفقه .

وكان عليه السلام في الفقه المبرز في ميدانه، الناظم لدره وجمانه، المستنبط لغرائبه، المستخرج لعجائبه، وكم من غريبة جاء بها من غير تكلف مشقة .

ولقد أخبرني الفقيه الفاضل جمال الدين عمدة المسلمين عمران بن الحسن ابن ناصر أسعده الله عن والده العالم الفاضل الحسن بن ناصر رحمه الله أنه كان يقول: إن فقهه عليه السلام فقه طري يشبه فقه الصحابة رضي الله عنهم، وقال لي بعض شيوخنا رحمهم الله وهو الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه كانت المسألة إذا أشكلت عليَّ [من] الإمام عليه السلام طلبتها فوجدتها لأمير المؤمنين عليه السلام ولزيد بن علي عليهما السلام، وسمعت شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضوان الله عليه يقول: أخشى أن تكون إمامة الإمام عليه السلام صارفة للناس عن إمامة غيره بعده، فقلت: ولم ذاك؟ فقال: لأن الناس يطلبون منه من العلم ما يُعهد من الإمام وربما لا يتفق ذلك .

ولما صدرت تصانيفه إلى الجيل والديلم صحبة الداعيين سنة أربع

---

(١) السرق : ثياب من الحرير.

(٢) أرقل: أسرع، وأرقل المفازة: قطعها. والأفائل: مفرده أفيل، وهو ابن المخاض فما فوقه. والقزع: صغار الإبل. القاموس ص١٣٠٢، ١٢٤٢، ٩٧٠.

وستمائة ، وأظل عليها السادة من أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الزيدية تداكوا على بيعته تداكّ الإبل العطاش عند الحياض ، وقالوا : هو أعلم من الناصر للحق ، سمعنا ذلك من الواردين علينا منهم مع أنهم في الجيل خاصة لا يكادون يعدلون بالناصر عليه السلام أحداً .

وأخبرني من أثق به وهو الفقيه صالح بن محمد من جهات تهامة رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين أنه سمع السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني قدس الله روحه يقول إمامنا هذا عليه السلام أعلم من الهادي عليه السلام .

وأخبرني من أثق به أيضًا عن بعض عيون علمائنا رضي الله عنهم أنه كان يقول مثل ذلك ، وقد كان هذا السيد[1] رحمه الله من أغزر أهل عصره علمًا ، وأكثرهم فهمًا ، وهو الذي قال فيه الإمام عليه السلام :

ولو يحيى دعا قدْمًا إليها ... لكان بها إمامًا للإمام

واستنهضه للقيام في أبيات أخر يقول فيها :

دعا الدمع مني بين أروع ماجد ... كريم عليم من ذؤابة هاشم
يذكرني الهندي صرمة عزمه ... وفكرته في الحادث المتفاقم
أجامع أصناف المكارم مذ نشا ... كما جمع الياقوت سلك النواظم
إذا استعجمت بين القضاة قضية ... تناول أقصاها بفكرة حازم
بقيت لشيْد المكرمات مكرمًا ... ودمتَ ومن عاداك ليس بدائم
أيحيى أرى الإسلام قُصَّ جناحُه ... ولا ينهض البازي بغير قوادم
وليس لها إلاك يا علم الهدى ... وأنت بأمر الدين أعلم عالم

ومن شاهده في تصانيفه عليه السلام علم أن له المزية العظمى ، وذلك أنه كان لا يصده كثرة الناس حوله عن التصنيف ، ولقد شهدته في مجلس الصباح وهو

---

(١) يعني السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني .

غاص بمن فيه يكتب في تفسير القرآن العظيم كتابة مستمرة وهو يُسأل في أثناء ذلك عن أمور في الدين والدنيا فيجيب عنها وإنَّ قلمه لينحدر انحداراً سريعًا، وهذه درجة عالية ومرتبة سامية، ورأيت بخط موثوق به أنه أجاب في بعض تصانيفه من أول النهار إلى حين العصر إلى موضع سماه من التصنيف فعددت ذلك فوجدته بخط متوسط خمس كوامل. فليعجب المتعجبون ولا عجب! ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء. وقلَّ ما كان ينظر عليه السلام في جواب مسألة بل كانت أجوبته على البديهة فإذا سئل عن التعليل شفى العليل ونقع الغليل وأوضح السبيل وجلا الدليل.

وكان عليه السلام في الورع والاحتياط ما يليق بسعة علمه وغزارة فهمه وعرف بذلك في جميع أحواله والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وإنما نذكر اليسير ليستدل به على ما عداه. فمن ذلك أنه كان عليه السلام يأتيه قوم كثير في أوقات مختلفة بشيء من الدراهم وغيرها فيقبض ذلك منهم، ثم يشكون شكيةً أو يطلبون إيفاء حق ونحوه، فيرد ذلك كله بعد إبلاغهم ما يجب إبلاغه. ومنها ما روي أن رجلا أتاه بدينار وسائل يسأله فسلمه إليه، فعاد صاحب الدينار فشكى عليه أمراً فأمر له بدينار عوضًا عن ديناره وأن يستبري منه، فقال الرجل: إنه بريء، فقال: قد قبلناه، وهذا صدقة عليك. ولقد رأيته عليه السلام ذات يوم من الأيام وهو قابض على درهم يريد صرفه إلى بيت المال عوضًا عن شيء لا خطر له من نقل تناوله، وكان قد جيء به من قوم فدى ومن بعضهم دون بعض فالتبس ذلك.

وكان عليه السلام معروفًا بالإيثار على نفسه من حال شبابه، كثير الإحسان إلى الوافدين، جم المعروف للطالبين، يعطي ما يجد، ويستدين إذا لم يجد، وهذه أمور تعلم باضطرار من حاله فلا معنى للاتساع منها.

وكان عليه السلام في ثبات القلب ومنازلة الأقران، ومجاولة الفرسان، بحيث لا

يتمارى فيه اثنان، ولا يتراد رجلان، وكم من موقف حطَّم فيه الوشيح، وثلّم الصفائح، وكان أمام جنوده معلمًا، يمشي إلى الموت قدما قدما، حتى انجلى القتام، وقد فاز بمحاسن الثناء من أهل الأرض والسماء، يشهد لذلك يوم عجيب، وقد قل رجع الكلام، وانهزمت جنوده الجمة وهو في وجه العدو ،ولا يرغب في التولي عن لقائه حتى لقد دقّه الأمير عماد الدين بالرمح دقة لما تفرقت العساكر بعد أن أحب الصبر للشهادة فحاطه الله عز وعلا عن كيد الأعداء، لما انتهى إليه الحال من علو كلمة الدين وإخماد نار الجاحدين، وقطع دابر المفسدين.

وكذلك يوم صنعاء فله فيها المقام الهائل، فإنه دخل في نفر يسير لا يدفع بهم عن نفسه وفيها من جنود العجم خلق كثير إلى سبعمائة فارس وهو المقصود، فدخل عليه السلام غير هائب للموت، وأذن مؤذنه بالأذان النبوي، فصلى وروعه مجموع، وقلبه غير مصدوع، ثم أعلا الله يده، ووفَّر جنده، وقذف الرعب في قلوب أعدائه، [وكذلك يوم ذَمار فإنه كان سابقًا لجنوده يذود][1] جنود الأعاجم على كثرتها بين يديه كما يذود الراعي غنمه، ولقد أخبرني من كان حاضر الوقعة أنه شاهده منفردًا لا ثاني له في الكر عليهم، وقد ذكر ذلك في بعض أشعاره عليه السلام فقال:

وفي ذمار تركت الجيش عن كمل خلفي وكافحتها عن دين معبودي

وكذلك يوم هران وهو حاسر، فانجلى ذلك اليوم عن مقام له أغر، ولكم له من يوم أغر، عاود فيه الكر واستحيى من الفر، وكان قطب رحى الحرب إذا توقدت نيرانها، وتنازلت فرسانها، وتداعت أقرانها، فحينئذ تجده خائضًا لغمرتها، متوسطا في لجتها، تارة يحطم القنا في نحور المفسدين، وحينا يعصب بالهندي كبش المعتدين. وكان عليه السلام حسن التدبير، صائب الرأي، ولقد استقرت

(١) في (ب) ساقط ما بين المعكوفين.

أوامره ونواهيه في الأقطار، وكان في الدهاء والحذق والحدس الصائب إلى حد يفوق، ومن عاشره علم ذلك ضرورة من حاله، وعرف مرتبته على أرباب هذا الشأن، وإنّ آراءه كانت تشرق أنوارها إذا دجت دياجير الخطوب، واعلنكست[1] وتضاعفت ظلمات الكروب، حتى يستثير الآراء الكامنة الصائبة، ويستنبط أنواع الصواب الباطنة .

وأما كراماته التي خُصَّ بها فهي كثيرة لا سبيل إلى استقصائها، وكثير منها يُعلم بالاضطرار لقرب العهد إلا أنا نُنبه على ما لعلَّه يغمض عمن نأت داره، فمن ذلك ما روى لنا الأمير الأجل الكبير عماد الدين شيخ العترة الأكرمين حرس الله ببقائه الإسلام- عن خالته أم الإمام المنصور بالله وكانت في نهاية الصلاح قالت: أمسينا على غير طعام والإمام عليه السلام في حال صغره، فلمَّا نام وهي متيقظة سمعته يمضغ ساعة ثم تجشأ بعد ذلك، فوضعت يدها على بطنه فوجدته ممتليًا كما يوجد بطن الشبعان فلما استيقظ سألته: ما أكل؟ فأخبرها أنه أُتي إليه بشيء على هيئة الملح فأكل منه حتى شبع .

ومن ذلك ما رواه لنا شيخنا بهاءالدين أحمد بن الحسن الرصاص قدس الله روحه: لما دخل عليه السلام صنعاء المرة الأولى، رأى فوق الإمام عليه السلام وعسكره طيورًا صافةً من الثمانية إلى التسعة إلى العشرة بيضاء مخالفة لما عهد من الطيور، وهي قصة ظاهرة .

ومن ذلك مجيء فرسه عليه السلام وبغلته عليها درعه؛ وذلك لأنه[2] لما دخل المسجد وأحاطت به الجنود وهي إلى سبعمائة فارس لا يُرى منها إلا الحدق، ووقف في المسجد الجامع حتى صلى صلاة المغرب والعشاء، وتفرقت تلك الجنود

---

(١) في (ب): واعتكست .

(٢) في (ب): أنه .

بفضل الله جلّ ثناؤه وبركته عليه السلام، وخرج من المسجد حتى أتى دار رجل من أهل المدينة ولا علم له ولا لأحد من أصحابه ولا خدمه بالبهائم، فهم في تلك الدار حتى أتى الحصان والبغلة وعليها درعه إلى باب الدار بلطف الله سبحانه وتعالى .

ومن ذلك قصة النشاب وفتح الباب به، وذلك خلاف المعتاد عند أهل البلد وهذا من الأمور المشهورة التي لا يتمارى فيها من له بحث وخبرة. ومن ذلك قصة الأكسح وكانت في المرة الثانية من دخوله صنعاء فإنه كان يمشي على أرباعه فمسح عليه فعافاه الله، وهذا أيضًا ظاهر وقد شاهده خلق جمٌّ لا يحصون من أهل المدينة على حالته الأولى وحالته الثانية .

ومن ذلك ما روي أن رجلاً كانت أسنانه كلها قد ذهبت، فمسح عليه السلام عليه ودعا له فعادت كلها ما تخلف منها واحد . ومنها أنه عليه السلام يوم دخل شبام لليلة باقية من شهر جمادى الآخرى سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فوقع على الدار نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة واستطار في الأرض حتى أن شيخا كبيرا كان في المسجد الجامع وكان إذا خرج بعد صلاة العشاء الآخرة يتعثر في طريقة لضعف بصره، فخرج فشاهد ذلك النور وقال لجماعة معه إني أُفرق الليلة بين الحصمة البيضاء والسوداء، قال مصنف السيرة الإمامية المنصورية : وشهدت أنا بذلك ورأيته، وأخرت صلاة المغرب لأجل ذلك النور حتى دخل أول وقت العتمة وبعده، وكنت قاعداً في البيت وظننت أنه ضوء القمر حتى أنبهني من حضر أنه آخر الشهر، فخرجت إلى حجرة فإذا النور ساطع في الجدران، وظننت أنه لم يره أحد غيرنا حتى أصبح المسلمون يروون ذلك في مسجد الغيل . ومنها ما رواه مصنف السيرة عن الثقة الأمير : أن أهل ذمار رووا يوم دخل الإمام عليه السلام أنهم شاهدوا عسكرًا من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق، وريحا عظيمة كفت

وجوههم وأبصارهم، حتى منعتهم التصرف[1] في القتال، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فتساقط في أيديهم، وربما يتفقأ ويتكسر في الهواء، قال: وكانت خيل الإمام عليه السلام نيفا وعشرين، والمغزية دون المائة، فانتهى الحال بعد ذلك إلى تغنم الأموال وأسر الرجال. ومنها الرواية المشهورة الظاهرة أن رجلا من المطرفية الشقية أتى ناحية من بني عبيد بظاهر بلد همدان يطلب شيئا من الزكاة، فعرفوه بتسليمها إلى الإمام عليه السلام، فأطلق لسانه بالسب ثم انصرف إلى جانب القرية فسلط الله عليه كلبة لم تجر عادةٌ لها بمضرة أحد، فوثبت على لسانه فاستخرجتها، وضربتها بأنيابها، فأقام مدة كذلك حتى نفر عنه الناس، ولم يعتبر بل بقي على كفره فأمر الإمام عليه السلام بضرب عنقه. وفي ذلك يقول حسن بن علي العصيفري رحمه الله في قصيدة:

اسمع أمير المؤمنين قضية ... أضحى بفضلك ذكرها مشهورا
أنبيت بالراسين كلبٌ مسلم ... سميته لوداده قطميرا
سمع الذي أطرى[2] عليك بسبه ... فجرى فعض لسانه تحذيرا
ها تلك معجزة غدا لك ذكرها ... في بطن كل صحيفة مسطورا

وروى مصنف سيرته عمن يثق به: أن رجلاً أراد نساخة مطاعن لمحمد بن نشوان في سيرة الإمام فشرع في نساختها، فلما انتهى إلى ثمانية أسطر يبست له ثلاث أصابع من يده، فأمسك عن النساخة فعادت أصابعه إلى حالتها الأولى في لينها، فعاد إلى النساخة فيبست مرة أخرى، فأمسك عن النساخة أيامًا ثم عاد فنسخ ثمان قوائم فأصابه الله بوجع في إحدى عينيه، ونجم حولها ثلاثة أفاليل فترك النساخة وانضجع لما نزل به من شدة الوجع، ثم تاب إلى الله تعالى وعزم

---

(١) في «أ» النظر.

(٢)في (ب): بطري.

على ترك النساخة فعوفي .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عمن يثق به : أن صبيا من أهل صنعاء أصابته آفة في عينيه حتى ابيضّتا وذهب بصره ، فأخذ له كتاب بركة من الإمام عليه السلام فما كان إلا أن تعلق الكتاب في يده فأبصر في الحال وعوفي ، وعاد إلى صنعته من الخياطة .

ومن ذلك ما رواه عمن يثق به ، قال : أصاب بُنيةً لي صغيرة رمدٌ شديد حتى طلع على عينيها البياض ويئسنا منها وخشينا ذهاب بصرها ، فأتيت إلى الإمام عليه السلام بقليل من سليط فنفث فيه وتركنا منه شيئا في عينها فعوفيت وزال الألم والبياض .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام وهم قدر خمسة عشر أو يزيد على ذلك وهو أحدهم قال : راح الإمام إلى قرية عتم من بلاد بكيل وقد أصابنا جوع شديد ، فأتى له صاحب المنزل الذي نزل عنده بقليل من عيش قدر نصف صاع أو دونه ليفطر منه ، فأكل منه لُقيمات ثم دفع باقيه إلينا فأكلنا منه حتى شبعنا ببركته ، قال : وأقسم كل واحد منا أنه قد أصاب ما يكفيه .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة أن جماعة كانوا في موضع وفيهم رجل مطرفي فأكثر السب للإمام المنصور بالله عليه السلام فلم ينكر أحد منهم ، فأنزل الله به صاعقة فاحتملته من بين أصحابه حتى أخرجته عنهم واحترق وخرج صُبابه ، وصرع أصحابه من هولها .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة : أن رجلاً من البياض نزل به العمى ، فرأى في منامه أن رجلاً قال له : تعود إلى مذهب الإمام المنصور بالله ويذهب عنك العمى ، ففعل ذلك وتاب مما كان يعتقده فلم يقف بعد ذلك إلا ثلاثة أيام وعاد عليه بصره .

ومنها ما حكاه مصنف سيرته عمن يثق به أن رجلاً اتفق بجماعة من

المطرفية فأمروه بلعن الإمام عليه السلام فساعدهم إلى ذلك، فأنزل الله به الكسح من ساعته، فندم على ما فعل وتاب إلى الله وتضرع إليه وتوسل بالإمام المنصور بالله عليه السلام فزال ذلك عنه .

ومنها القصة المشهورة: وهي أن وردسان لما تقدم إلى ناحية حوث في بعض أيامه فأخرب دار الإمام عليه السلام ثم عاد إلى صنعاء فما تم الأسبوع حتى أنزل الله تبارك وتعالى سيلاً لم يعهد أهل هذه الأعصار مثله، وكان قد بنى في صنعاء قصرًا شامخًا وتأنق فيه وتعمق فهدمه ذلك السيل واستلب كثيرا من أمواله ونفائسه ونجا بعد أن أشفا[1] على الهلاك، وتعفت آثار القصر إلى غير ذلك من الكرامات الجمة .

وقد وردت الملاحم بذكره عليه السلام وصفته ، فمنها : ما رواه مصنف سيرته عن الأمير الفاضل بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي للحق عليه السلام قدس الله روحه قال: وجدت في كتاب قديم- قد كاد يتلف من البلى، وله مائة وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عليه السلام -كلامًا في ذكر قيام القائم المنصور بالله، قال: ثم يظهر القائم المنصور بالله في سنة ثلاث وتسعين [وخمسمائة، وكان نهوض الإمام عليه السلام من الجوف إلى دار معين لطلب البيعة ودعاء الناس إلى القيام والجهاد في سبيل الله في أول ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين][2] وهذا موافق لما ذكره في الكتاب . ومنها ما رواه مصنف سيرته أولاً عن الشريف الفاضل سليمان بن بدر بن عبدالله بن جعفر قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد ابن الحنفية في شعر :

ووديعة عندي لآل محمد   أودعتها وجعلت من أمنائها

---

(١) أشفا : أشرف .

(٢)ما بين المعكوفين ساقط في (ب) .

فـإذا رأيت الكوكـبين تناوحـا ... في الجدي عند صباحها ومسائها

فـهناك يبـدأ عـز آل مـحـمـد ... وقـيـامـهـا بالنصـر في أعـدائهـا

ومنها: ما نقل من أبيات قصيدة قديمة ذكر فيها صاحبها الخوارج، ثم ذكر صفات الغُز التي شوهدت عيانًا، ثم ذكر القائم بالحق فقال:

أهـل فـسـق ولـواط ظاهـر ... أهل تعـذيب وضـرب بالخشب

كـفـروا بالدين ثم اشـتـغلوا ... بقـراع الناس حـبـا للذهب

يتـركـون الفـرض والسنة لا ... يعـرفـون اللّه ليـسـوا بعـرب

فـهم كـالجن من أبصـرهم ... طار رعـبًـا ثم خـوفًـا وهرب

ينقلون المال من أرض سـبـأ ... نحـو مـصـر ودمـشق وحلب

فـإذا مـا النـاس ضـاقـوا منهمُ ... في بسيط الأرض طُرًّا والحدب

ظهـر القـائم من أرض سـبـأ ... يمنيّ السكن شـاميّ النسب

اسـمـه باسم أبي الطهـر النبي ... ذاك عـبـداللّه كـشـاف الكرب

يملأ الأقطار عـدلا مـثلمـا ... مـلأت جـوراً وهذا قـد غلب

تظهـر الخـيـرات في أيامـه ... وترى البـاطل فـيـه قـد هرب

وترى الأشـيـب في دولتـه ... يتـمـنى كل يـوم أن يشب

ومن تأمل هذه الصفات تحقق ما قلناه؛ لأن هذه الصفات المذكورة أولاً هي الموجودة في الغُز بالمشاهدة، ولم يقم الإمام عليه السلام إلا بعد أن أصاب الناس البلاء الشديد في سهول الأرض وحزونها من هؤلاء الأعاجم، وقوله: ظهر القائم من أرض سبأ؛ لأن الإمام المنصور باللّه عليه السلام كان خروجه من ناحية الجوف، وهو يمني السكن شامي النسب؛ لأن جده أبا هاشم الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام وصل من الحجاز إلى اليمن ثم صرَّح بعد ذلك باسمه وهو عبداللّه ولم يعلم أن أحدًا من أئمتنا عليهم السلام إلى الآن على هذه الصفات، ثم ذكر ظهور الخيرات في أيامه

عليه السلام وذلك ظاهر وإن شئت فانظر إلى الحديد وكيف كان قد اشتد على الناس وأعوزهم نهاية الإعواز فصار في الكثرة على الحد الذي عرفه كل إنسان .

وأما المنامات الصادقة التي رآها الصالحون في حقه عليه السلام فهي كثيرة . فمنها ما رواه مصنف سيرته عن الشريف الفاضل الحسين بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم قال: رأيت -في شعبان سنة أربع وستمائة في منامي -رجلاً يؤذّن الأذان المعروف حتى انتهى إلى آخر الشهادتين ثم قال عقيب ذلك: أشهد أن عبدالله بن حمزة إمام مفترض الطاعة . ومنها: ما حكاه أهل جيلان في كتاب ورد منهم إلى الإمام عليه السلام عقيب إجابتهم الدعوة وإقامة الجمع، وقالوا: إن رجلاً من المحققين من العلماء وهو الفقيه القاسم بن إبراهيم رأى في المنام كأن هاتفًا يهتف من السماء بأعلى صوته: يا أيها الناس عليكم بالله الأكبر، والإمام الأطهر والنور الأزهر والعلم الأنور عبدالله بن حمزة وإلا فعليكم لعنة الله أجمعين .

وروى مصنف سيرته أن رجلا رأى في المنام كأن رجلاً أتاه بورقة وقال: اقرأ هذه فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبدالله بن حمزة أمير المؤمنين، بشارة له بالجنة وبراءة له من النار بقتله المطرفية .

وهذا الجنس من حكايات كراماته وغيرها يكثر، ولم يعلم أن أحدا من الأئمة المهتدين الهادين سلام الله عليهم أجمعين نقل له ما يقرب مما كان للإمام المنصور بالله عليه السلام فضلاً عن أن يساويه؛ لأنه قام في وقت قد غلب على الناس فيه الإعراضُ عن الدين، وضعف النشاط لجهاد المخلين، حتى كان أهل مذهبه من أكثر الخاذلين إلا من عصم الله رب العالمين وقليل ما هم، فأراد الله عز وجل أن يحرِّك خواطر الناس إلى دعوته، ويحثهم على طاعته بهذه الكرامات التي كان يظهرها عليه حالا بعد حال ﴿ وأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُم كَافِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٥] .

ذكر بيعته عليه السلام، وانتصابه للأمر العام ومنتهى عمره عليه السلام

كانت دعوته عليه السلام العامة التي هي دعوة الإمامة وقد تقدم من الجوف إلى الحقل في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وصار إلى هجرة دار معين فأقام بها أربعة أشهر تنقص أيامًا، وكان في هذه المدة اجتماع العلماء ومحاورتهم له ومناظرته حتى وجدوه بحرًا لا ينفده النازح، وخضمًا لا يفنيه الماتح. وكانت الأسئلة في أصول الدين وفروعه، ومعقوله ومسموعه، ومعاني الآيات المشكلة، وفوآئد الحديث المعربة، فحينئذ اعترفوا بأن جواده في ميدان الفضل الجلي، وأنه السابق غير المصلي، وتحققوا أنه أولى أهل عصره بالقيام بأمر الأمة، وأنه المرجوّ لكشف الغمّة؛ فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة تقدم عليه السلام ومن معه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس، وكان أولهم الأميران الداعيان إلى اللّه سبحانه وتعالى شيخا آل الرسول صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم: شمس الدين وبدرالدين يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن عبداللّه بن محمد بن المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، ثم بعدهما الأكابر من فضلاء أهل البيت عليهم السلام، ثم سائر العلماء من شيعتهم رضوان اللّه عليهم.

وكانت ألفاظ بيعته عليه السلام أن يقول بعد بسط يده: أُبايعك على كتاب اللّه تعالى، وسنة رسوله صلى اللّه عليه وعلى آله، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة وليِّنا ومعادات عدونا، والجهاد في سبيل اللّه بين أيدينا، فإذا قال الرجل نعم، قال: عليك كذلك ميثاق الله وعهده، وأشد ما أخذ اللّه على أنبيائه من عهد أو عقد، فيقول الرجل: نعم، فيقول عليه السلام: اللّه على ما تقول وكيل، وربما أكد فقال: وعلى أن نقيم ألسنتنا بالحق ولا تأخذنا في اللّه لومة لائم، وربما قال: وعلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

ثم أنشأ عليه السلام الدعوة وأودع فيها من الغرائب والعجائب ما ظهوره يغني عن ذكره، قال في صدرها: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي دل على وجود ذاته بما أظهر من آياته، وعلى عدله وحكمته بما بيّن من دلالته، بعث إلى كل أمة رسولاً ليكون نافعًا لهم، عليهم شهيدًا، ولهم إلى الخيرات دليلاً، وخلف النبوءة بالإمامة؛ لتنفيذ أحكام النبوة في البلاد إلى يوم انقطاع التكليف على العباد، فقال لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] وصلى على المبعوث بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، المفضّل على جميع البشر من العرب والعجم، وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح البهم. ثم أخذ عليه السلام في فنون حسنة من الكلام موشحة بالكتاب والسنة وقال فيها: أترون عبد الله يفتتن بدنيا قد عرف باطنها أيقن من معرفة جُلكم بظاهرها؟ واهتم بآجلها أعظم من اهتمام أكثركم بعاجلها؟ يأبى الله ذلك عليه، ورسوله صلى الله عليه، وجدود طابت، وحجور طهرت، ومواليد شرفت، ومناكح استنجبت، كيف تكون النفوس النبوية العاقلة كالبهائم العاملة، فعليكم رحمكم الله بتقديم التوبة والإنابة، قبل الإقبال والإجابة، فإني آمركم بفعلي قبل الأمر لكم بقولي، وأنهاكم عما أنهى نفسي وأهلي، المساوي لي منكم في السن أتخذه أخًا، والمتقدم أبًا، والصغير ولدًا، لا آنس إلا بأهل العلم منكم والطاعة، ولا أنفر إلا عن أهل المعصية والضلالة، ومن العجائب أنه أنشأها على أنها محاسن الكلام ما بين صلاة الظهر والعصر لا غير.

واستقر عليه السلام بناحية صعدة حرسها الله تعالى بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام، وفرّق الدعاة والولاة في النواحي والأقطار، والأحكام تجري على موافقة الشرع الشريف، فهو يزدادُ ظهورَ الدينِ الحنيف. وكان للأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد قدس الله روحه العناية الأكيدة، والصبر على تحمل مشقة السفر

على ضعفه وكبره . حتى لقد روى لنا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة خلد الله ملكه أنه رأى قدميه قد ورمتا وكثر تعبه ونصبه في بلاد عذَر والأهنوم في الدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك من الجهات . ووصلت الدعوة الشريفة إلى جهات تهامة ومخلاف بني سليمان ، فقام بأمرها السيد الفاضل العالم نظام الدين يحيى بن علي السليماني قدس الله روحه وانتشرت في سائر الأقطار ، وتقدم الإمام بعد مدة إلى جهة الجوف ، فأقام في براقش مدة والناس يفدون إليه من كل ناحية وينقلب منهم من ينقلب وقد شايع وتابع .

وكان الشيخ الفاضل عزان بن سعد رضي الله عنه من جملة من وصل إليه وكان قد أراد الحج فمر عند الإمام عليه السلام ، فلما مثُل بين يديه وبايعه قال : والله لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ وصورته وثيابه على صورة الإمام وثيابه ، وكان منامه هذا من جملة الألطاف الداعية له إلى الالتزام بطاعة الإمام عليه السلام ، ثم أمره عليه السلام بالرجوع إلى بلاده للدعاء إلى طاعته والقيام بأمر الدين ، وكان رحمه الله ذا جدٍّ واجتهاد على رئاسته في قومه ، وأقام عليه السلام في الجوف مدة ثم تقدم إلى جهة اليمن ، كلما مر بناحية أصلح فاسدها ، وأعذب مواردها ، وهدم دور الفساد حتى انتهى إلى المصانع واجتمع معه خلق كثير من كل ناحية ، وحضر أكابر الفرقة الشقية المطرفية من الجهة النائية والدانية ، فبايعوا وشايعوا واعترفوا بصحة إمامته ثم نكثوا بيعته ومرقوا عن طاعته .

وكان من كلامه عليه السلام في ذلك المقام بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيئه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ أن قال : يا معشر المسلمين إن الله لم يخلقكم عبثًا ، ولم يترككم [1] سدى ، ولم يشرك في خلقكم أحدًا ، ولم يوجدكم لِلذات الدنيا ، وخفض المعاش في المحيا ، وإنما خلقكم لعبادته ، وهداكم سبيل طاعته ،

---

(١)في حاشية (أ) : يهملكم .

وبين السبيل وأوضح الدليل، وجعلكم ممكنين، وعن فعل الخير غير ممنوعين ولا مأسورين، ثم بعث محمداً صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ داعيًا إلى الدين القويم، هاديًا إلى الصراط المستقيم، مبلغًا للرسالة، منقذاً من الضلالة، بشيراً نذيراً، ظهيرا للحق نصيراً، فهدى صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ وبصّر، وقرّب وبشّر، وأنذر وحذر وأعذر، فمن عباده من انتفع واهتدى، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى، فذلل اللّه به أعناق الجبارين فخضعت، وقمع رؤوس المتكبرين فانقمعت، ووضع صياصي الظلم فاتضعت، ورفع ذرى الإسلام فارتفعت، ووسع مسالك الحق فاتسعت ؛ فلما أصلح اللّه به عباده، وأكمل له دينه، قبضه إليه قابلاً له، راضيا عليه ؛ فصلى اللّه عليه وعلى آله وسلم صلاة تقارن روحه، وتنور ضريحه، وجعل بعده الحجة علي عباده كتابه المبين، وعترة رسوله الأمين، كما روي عن خاتم النبيين: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

أيها الناس: إنه لما عظمت نعم اللّه لدينا، وجبت طاعته[3] علينا، وصرنا أعلم الناس بالحلال والحرام، وأعرفهم بشريعة محمد عليه السلام، وأولاهم بتدبير الأمور، وأبصرهم بسياسة الجمهور، ولم يبق لنا عند اللّه تعالى في

---

(١) الحاكم ٢/ ٣٤٣، وقال حديث صحيح على شرط مسلم وأخرجه أيضا في ٣/ ١٤٠، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في الأوسط الصغير ٥/ برقم ٣٩٠، وفي الكبير ٣/ برقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر.

(٢) المجموع للإمام زيد ٤٠٤، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦.

(٣)في (ب): حجته.

الغفلة[1] معذرة في الدنيا والآخرة، قمنا إلى الله تعالى داعين، وإلى ما يرضيه ساعين، ولأمره مطيعين، ولهديه متبعين، حيث قال في كتابه المبين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فدعونا الناس إلى رضى الله جاهدين، هادين إلى الحق مهتدين، باذلين النفوس والأموال مجاهدين، وقد بلغتكم دعوتُنا، وقرعت أسماعَكم واعيتُنا، ووجبت عليكم بيعتنا، وقد روي عن جدنا سيد البشر أنه قال: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»[2]، وقد طال ما أسبل الظلم رواقه، وألقى على بدر العدل مُحاقه، وأظهر الشيطان شقاقه، وأخذ على الظالمين ميثاقه، والآن قد أذن الله تعالى بعلو الحق واستظهاره، واشتهار العدل وانتشاره، ودمغ الباطل وخمود ناره، وهدم مناره وانطماس آثاره، فبادروا رحمكم الله فقد وجب عليكم الفرض إلى جنة عرضها السموات والأرض، واغتنموا الفرصة قبل نزول الغصة، واستقصاء كل قصة، وانظروا لأنفسكم مادمتم في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل والسؤال عن العمل. واعلموا أنا قد أطلقنا لمن أنكر دعوتنا وكره بيعتنا المطالبة بالحجة والبيان، والسؤال عن واضح البرهان، والبروز إلى مضمار الامتحان، فقفوا على العينة؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، واصدقوا النية، واسلكوا السبيل الجلية، وخذوا الفائدة نقداً لا نسيّة فهذا الفرس وهذا الميدان، لكل شاسع ودان، ولا تأخذوا في دينكم إلا بالوثيقة، ولا تعملوا إلا على البصيرة والحقيقة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن المنكر واتباع

---

(١) في (ب) ساقطة: الغفلة.

(٢) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/ ٢٥٥، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٧ في سياق كلام الحسين عليه السلام.

الهوى، وزعوا نفوسكم عما تحب وتهوى. ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وكان الفقيه الفاضل شهاب الدين أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي رضي الله عنه في صحبة الإمام عليه السلام وغيره من عيون أهل العلم رضوان الله عليهم؛ فقام بين يدي الإمام عليه السلام في ذلك الموقف[1] في جهة المصانع، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: يامعشر القبائل، ويا أسود الجحافل، ويا خطباء المحافل، ويا معشر المسلمين خاصة، دون الناس عامة، إني قائل فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا، اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه، والنور الذي كنتم توقعونه، وتعدون له الليالي والأيام، والشهور والأعوام، هاهو في عترة نبيكم صلى الله عليه وآله قد لمع، وضياؤه قد سطع، وقائمهم بالفضائل قد جمع، وفي العلم قد برع، وفارق الطمع، وباشر الورع، وفارق الراحة، وجانب الاستراحة، واشتدت على الظالمين شكيمته، وتقوت عزيمته، وغزرت ديمته، وعلت همته، وقام في الله تعالى راغبًا، ولأعدائه مناصبًا، ولصلْت جبينه ناصبًا، حين بُدِّلت الأحكام، وعطِّلت شرائع الإسلام، وشُرب المدام، وارتكبت الآثام، واستُغني عن الحلال بالحرام، وكثر الفساد بالبلاد، واستطالت أيدي أهل العناد، فبايعه السادة الأجلاء، والكبراء الفضلاء، أهل السؤدد الباذخ، والشرف الشامخ، والعلم البارع، والورع الرائع، من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وغيرهم من أولياء الله المتقين، والعلماء المخلصين، وأهل الورع واليقين، بعد الاعتبار والبر والاختبار، فوجدوه خضمّاً لا تنزفه الدِّلاء، وطودًا لا يناله

---

(١) في حاشية «أ»: في بعض مواقفه.

الارتقاء، وليثًا لا تهوِّله الأهوال، ولا تقوم لصولته الأبطال، وحسامًا لا تقوم له الجنن، ولا تُروِّعه الفتن، وعزّامًا لا يصاحبه الوسن، وجندلة تدمى منها المحاجم، ويتحاماها المراجم، فاحصدوا رحمكم الله ناجم الشرك، وتعاونوا على حصاد أولي الإفك، وسابقوا إلى بيعته، وسارعوا إلى طاعته، تحيوا سعداء، وتموتوا شهداء، فإن عترة نبيكم ﷺ هم السادة القادة الذادة، الحماة الأباة الكفاة، وسفن النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، لله أبوكم من أي نور بعده تقتبسون؟ وبعد كتاب الله وسنة نبيه تلتمسون، فمن كان منكم ذا شك وارتياب، متمسكا من الحيرة بأسباب، فها هو في معرض الاعتراض، واقف نفسه لا يعي عن جواب، ولا يكل عن خطاب، عالم بالسنة والكتاب، وهو الجدير بقول جده عليه السلام:

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا	وأصبحوا في حربكم وبيتوا
فإنني قد طال ما عصيت	قد قلتموا لو جيتنا فجيتُ
ليس لكم ما شيتم أو شيت	بل ما يشاء المحيي المميت

ثم انتضى الفقيه سيفه وقال:

ولو لم أكن فيكم خطيبا فإنني	بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
أخوض به للضرب في كل غمرة	فأثني به عن تلك وهو خضيب

ثم تقدم عليه السلام إلى حصن كوكبان فأقام فيه مدة والأمور منوطة بحبل التوفيق من الله تعالى، وفي خلال ذلك أقبل إلى طاعته وتبعته من أمراء العجم حكوا بن محمد، فبايعه رجل من دعاة الإمام في بعض نواحي بكيل، فوصل إلى الإمام وانضاف إليه من خيل العجم إلى قدر مائتي فارس، فبايع الكل منهم، وصلى عليه السلام صلاة يوم النحر في شبام كوكبان ونحر وتقدم إلى صنعاء واثقًا بالله عز وجل متوكلا عليه، فلما وصلها وفيها من العجم إلى قدر سبعمائة فارس فتح أهل المدينة الباب فدخل عليه السلام في سبعة أفراس لا غير وهم أخوته ومن يختص به،

وتأخر حكوا ومن معه من الجند خارج المدينة، وقصد عليه السلام إلى المسجد الجامع فاجتمع جند العجم وأحاطوا بالمسجد إحاطة الهالة بالقمر، فوقف عليه السلام فيه حتى حضر وقت صلاة المغرب وأذن المؤذن بأذان أهل البيت عليهم السلام المختار، وقضى صلاته ووقف ينتظر الفرج من الله تعالى والنصر، فأخبرني الأمير الكبير عمادالدين خلد الله ملكه أنه أمره أن يشرف على العسكر من فوق السطح، فلما أشرف عليهم آذوه وسبوه- لعنهم الله قال: ثم إن الإمام عليه السلام أشرف من ذلك الموضع بعينه على أولئك القوم فما تكلم أحد منهم إليه بكلمة واحدة مع مشاهدتهم إياه لهيبته، وانتهى الحال بعد ذلك إلى أن أهل صنعاء الذين معه عليه السلام صوّبوا خروجه من المسجد فألبسوه شيئًا من لحافهم ليتنكر بذلك عمن شاهده عند خروجه، ثم خرجوا به فيما بينهم كأنه واحد منهم وهم يسيرون بين العجم فسلمه الله تعالى من كيدهم حراسة لدينه، ولما أراد من حياة الإسلام ونعش مذهب العترة عليهم السلام، فأقام في بعض دور المتولين له جانبا من الليل ثم صوب أصحابه الخروج لعلها تسعف فرصة للخروج من المدينة فخرجوا وقصدوا بعض أبوابها فجاؤا والجند على الباب قد اشتدت الحراسة وتأكدت في كل ناحية وعلى كل باب من أبواب المدينة، فعادوا إلى موضعهم واشتوروا، وخاف أهل صنعاء على الإمام عليه السلام، وأشفقوا لشدة محبتهم فتراجعوا، وقال بعضهم: نقف في مسجد عيّنوه لا يكاد يصله أحد، فلم يصوِّب الإمام ذلك، ثم اتفق الرأي على أنه يقف في بيت واحد غير معروف ولا مشهور فتقدم عليه السلام وتفرق أصحابه خيفة أن يطلع الصباح وهم كذلك، وبات عيون أهل المدينة من الزيدية يجتهدون في فساد عسكر العجم حتى أفسدوا من الرَّجْل إلى ثلاثة ألاف راجل وكانت لهم في ذلك عناية أكيدة تليق بصحة عقيدتهم وأكيد محبتهم لأهل البيت عليهم السلام حتى أصبح الصباح وقد انتظم لهم ما أرادوه، وفتحت أبواب المدينة فدخل حكوا

وأصحابه إلى الإمام عليه السلام، ثم أقبل جند العجم الذين كانوا فيها إلى بين يديه حتى بايعوه عليه السلام، وإن من كبارهم لمن ترعد يده عند البيعة رُعبًا وخوفًا قذفه الله في قلوبهم حتى شملتهم البيعة، وأذن لهم عليه السلام بالانصراف من المدينة فنزلوا نحو اليمن، واستقر الإمام المنصور بالله عليه السلام في المدينة ومن معه من الجنود، وجرت الأحكام النبوية على أحسن حال ووفد إليه عليه السلام الناس من كل ناحية، وكان من جملة الواصلين إليه الشيخان الأوحدان عزّان بن سعيد ومفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى في قوم كثير من جهاتهم بأموال جمة وغيرهم من أهل الجهات والنواحي، وأقام كذلك عليه السلام ينشر الهدى للطالب، والندى للعافي والراغب.

وقال عليه السلام[1] هذا الشعر عقيب دخوله صنعاء، وأثنى على أهلها بما كان لهم من العناية:

دعا ذكر نجد والحمائمَ بالحمى	وبرقًا ورعدًا لاح وهْناً وأرزما
ودارًا لهم بين العذيب وبارق	وبين هضاب الأبرقين وأصرما
ومخطوفة المتنين مهظومة الحشى	خدلَّجة الساقين معسولة اللُّما
ولا تذكرا إلا حسامًا وذابلاً	ودرعًا سلوقيّاً وطرفًا مُسوَّما
وزوراء يُضمي نُبلُها ما شحية	تمجُّ إلى الأعداء حتفًا مقسَّما
وفجرًا يَرُدُّ اليوم ليلاً بلأمَة	إذا أشرقته المشرفيَّة أظلما
كأنَّ ثبيرًا مسنفاتٌ جيَادهُ	ورضوى أخال متنه ويلملما
يُقاد إلى قوم طغاة جبابر	ليُدرك ثأرًا للعلى ولينقما
ولا تعرضا أمرًا مضى لسبيله	ولا تنسيا هذا المقام وسلما
وقولا بلا فخر ولا جبرية	ليَشفي أخا تقوى ويكبت مجرما
أمثلي يلدن المحصناتُ مقدما	إذا هم يوما بالعظيمة صمَّما

---

(1) الديوان ١٢ - ١٣ مخطوط.

قذفت بنفسي في خميس عرمرم وكنت بنفسي فيه جيشا عرمرما
ليوث شرى لولا بياض وجوههم ولولا العفاف كلّما رمت مغنما
يقودهم حامي الحقيقة ماجد مليك يصفي ساحة الملك بالدما
إذا قال قلت الليث يزأر غاضبًا وإن كف خلته في المفاضة أرقما
غدا طائعا لله غير منازع ولا فاتح بالمعورات له فما
أقلب طرفي هل أرى العرب جهرة فلم أر إلا أعجميا مُهَمْهما
سوى نفر شمّ الأنوف غطارف رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما
مسا عير من همدان في حومة الوغا يجرُّون للروع الوشيح المقوَّما
فلمّا قربنا الدرب جادت سماؤه بغيث رأينا منهُ قذًا وتوأما
كرجل جراد أمَّ سلمى عمودها إلى أن زهته ريح نجد فأتهما
فعدنا فأدينا فرائض ربنا وسرت إليهم حاسرًا لا ملأما
وتاللّه ما وطنت نفسي على الرّدى لأحرز مالاً بل لأرحض مأثما
وكنت امرءًا أهوى الحسام مُثلَّمًا وأهوى الرديني الأصمَّ محطَّما
وأكره كون الحُرِّ خلف جنوده وأرضاه عرنينًا لهم متقدما
رجعنا إلى ذكر الدخول وربما أتى عارض يحكي اللآلي منظما
فجاءت أزالٌ جمَّع اللّه شملها وأسدى إليها الصالحات وأنعما
فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا وقالوا لنا أهلاً وسهلاً ومغنما
وقالوا جهاد الظالمين فريضةٌ فقد طال ما كنّا نهابًا مُقسَّما
ستفديك أموال عظامٌ وأنفسٌ كرامٌ وإن أضحى ذووا الفسق لُوّما
فقلنا لهم خيرًا ثناءً عليهم لكونهم فيما رجوناه سُلَّما
وخضنا إلى أسد العرين عرينها بصبر حسونا منه صابًا وعلقما
وما هي بكرٌ خوض مهري إلى العدا إذا كاع يوما عنه جندي وأحجما
سل الخيل عني في عجيب ومشهدي وقد صار ورد الخيل بالركض أدهما

ألم ألْقَها ملء الفجاج مجرَّدًا عن الجيش طلقًا ضاحكًا متبسِّما

وفي بطن هرَّان ألم أحم حاسرًا ذوي الزرد الموضون يومًا متمّما

وكم موقف نلقى به الندب ساهيًا لقيت به الفتيان ليثًا عشمشما

فقل للملوك الأرض لا تطمعوا بها مراغمةً ما لاح برق وأنجما

فقد طال ما نلتم حرامًا حطامها وأحرزتم ذنبًا بذاك ومأثما

فمن كان يبغي الفوز فليلتزم بنا فعصياننا قد صار حجراً محرَّما

وقال ﷺ[1] بصنعاء وقد امتنع قوم من بني أبي الفتوح بالمشرق من الانقياد فأوقع بهم حكوا بن محمد وقعةً عظيمة، فقال في ذلك:

يا لائمي في مقال الحق لا تلم الحكم للسيف ليس الحكم للقلم

إني أبيت قليل النوم أرّقني قلب تقلَّب من هَمّ إلى هَمَمِ

ليس الفتى من ينام الليل مُنهَمكاً يفرِّح النفس بالطاري من الحلم

لَكنْ فتى الناس من أمسى وهمته في منبر الملك لا في الشاء والنعم

إني هززت حساماً صارماً ذكرا يفلُّ في الروع حدَّ الصارم الخذم

صمصامة ذكرا تمضي مضاربه لا يسأم الحرب إن العجز في السأم

بحراً متى يرض يملأ الأرض نافلة وإن تغطمط غطى وجهها بدم

في عصبة وهبوا لله أنفسهم غطارف من حماة العرب والعجم

ما أنس لا أنَس في صنعاء مواقفهم والجيشُ كالبحر حامي الظهر ملتطم

يقودهم ماجد حلوٌ شمائله عليـاء أشهر من نار على علم

أبو المظفر أعلا الناس منزلة وأضرب الناس يوم الروع للبُهم

سرٌّ لآل رسول الله منكتمٌ في سالف الدهر والماضي من الأمم

ينحط من علم ماض ومن طبق باق ومن ظهر صنديد إلى رحم

حتى بدا غرة للدهر شادخة بيضاء خالصة من شائب القتم

(١) الديوان ١٤ – ١٥.

فخان يحيى الفتوحي العهود ولم ... يخش العقاب من الجبار ذي النقم
فكفَّ عنهم عفافا كف مقتدر ... وصال فيها عقابا صول منقتم
قل لي لسيف الهدى إن كنت لاقيه ... يا هازم الجحفل الجرار ذي العلم
إني أقول وخير القول أصدَقه ... والقول يبقى وإن أفنى البلى رممي
إني أحبكم لله فاعتقدوا ... حُبِّي وحق إله الحلِّ والحرم
من متَّ منا بحبل نال بغيته ... ومن تعدَّى انثنى بالخَزي والندم
إذا المصلي تولى غير ذاكرنا ... كان الوجود لها في الصحف كالعدم

ثم نهض عليه السلام يريد ذمار في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وفيها من العجم خلق كثير فوقع القتال، وكان له عليه السلام في ذلك اليوم العناء العظيم والقتال الشديد، فإنه كان أمام جنوده المعقودة، وعساكره المحشودة، يقذف بنفسه في جموع الأعاجم فقُتل من جند العجم ثلاثون فيهم ثلاثة من العرب والباقي من صميمهم، فأيقنوا بالهلاك حتى سألوا الأمان فأمَّنهم عليه السلام على تسليم الأموال والكراع والسلاح. وذكر مصنف سيرته عليه السلام أن الخبر شاع في صنعاء يوم فتح ذمار بنفسه، قال ومثل ذلك رواه جماعة من أهل صنعاء ثقات أن فتح صنعاء اشتهر بمنى يوم العيد وتحدَّث به الناس، واستقرت الأوامر والنواهي في ذمار وأعمالها.

ثم نهض عليه السلام إلى صنعاء؛ لأن بعض العجم الذين كانوا في ذمار كانوا قد قصدوها في خلال ذلك وحطوا على المدينة، فقصدها عليه السلام من ذمار يوم الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من ربيع الأول، فلما أيقنوا بالإمام عليه السلام لاذوا بحصن براش ووصل عليه السلام المدينة وأقام مدةً، ثم كان بعد ذلك طلوع إسماعيل وقتل حكوا بن محمد والإمام عليه السلام في ناحية خيَره[1]، ثم نهض عليه السلام إلى جهران فتحقق الخبر بقتل جكوا فانصرف عليه السلام إلى بلاد بكيل ومر إلى ناحية مُقرا.

---

(١) في (ب): في ناحية خشران.

وكان من كلامه عليه السلام في بعض الأيام بناحيتهم في موضع يعرف بجرن القيل في سائلة مُقرا، وقد تحقق خيانة بعض من يتصرف عن أمره من الفرقة الشقية المطرفية فقال: وقد علمت أن البيضة لم تنحفظ والفسق لم يترفّض إلا بالجند، والجندلا يستقيم إلا بالمال، والمال لا يُؤخذ إلا من الرعية، والرعية لا تجمع على الانقياد للحق إلا بطرف من الشدة، نعم أنعم اللّه عليك، ومع ذلك فإنهم لو أهملوا لذهب الدين والمال، وانكشف الغطاء، وساءت الحال، وشُغلوا عن القيل والقال، ولكنهم تفيّئوا في ظل الحق فبغوا للحق[1] الغوائل، وجادلوا بالباطل، وهو كاسمه باطل، فلو ضغمتهم نيوب الباطل، وخافتهم المخالب؛ لصيّحوا صياح الثعالب، وقالوا: ليس لها إلا ابن أبي طالب، أين عمارة الوهاب من عنس؟ وأين زرعة من آنس؟ شتان ما بين الحمار والفرس، وتقلبوا في ذكر المناقب، وشهدوا بها من كل جانب، فأنا صاحبهم بالأمس وغداً، أوطأتهم واضح منهاج الهدى، لم أتدنّس باحتكار المال، ولا حالت بي عن سنن الاستقامة الحال، وهم يذكرون إتيان الملأ منهم، ولولا خشية التطويل لذكرناهم يعرضون علينا نصف المال، ويلزموننا القيام على تلك الشدائد والأهوال، حتى إذا فقأنا عين الفتنة بعد جذورها، وأخمدنا نار الضلالة بعد ظهورها، وتركنا روض الصريمة ليعفورها، ونصبنا منار الحق على أعلامها وفورها؛ فمن لاقف للمال كالهر اللّبِق، وطالب أحمال رجل لا تعق، وقائل إن السهاد قد لعق، فقلت: أبشر فالسّكيتُ قد لحق، واحفظ عرى الدين لئلا يمحق. فلما فاءتْ فئةُ الباطل وأجلت[2] وأصدقت زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر وظن كثير من الناس باللّه الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، فمن

---

(١) في (ب): وتفيئوا في ظل الحق الغوائل.

(٢) في (ب) سقطت: وأصدقت وأخليت.

تائب ثابت، ومن هافت خافت، والله أغير لدينه وأحمي على شرعه، ونحن على موعود ولن يخلف الله وعده، وكيف يخذل بعد العدة بالنصر جنده، وقد هزم الأحزاب وحده، يوم صنعاء وبعده، فكأنك بألوية النصر قد خفقت بالظفر أطرافها، وببحار التوفيق قد طمت بالظالمين نطاقها، فكم هناك من حائز ملكًا حسيمًا، وقائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا:

إذا غضب الفحل يوم الهياج ... فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد ... والدم فيها يحاكي المطر
أينكر حقي برجم الظنون ... وهل يكتم الناس ضوء القمر
فإن سُيِّرت سيرتي باليقين ... كانت لعمرك خَيرُ السير
ألست الذي شق برد الضلال ... بعزم يشق الحصى والشعر
وبأس توارثته من علي ... وحزم تعلمته من عمر
لساني كشقشقة الأرحبي ... أو كالحسام اليماني الذكر[1]

ثم لما تقدم إسماعيل إلى صنعاء تقدم الإمام عليه السلام إلى ناحية شبام، ثم إلى ثلا وأنشأ عليه السلام هذين الشعرين[2] قال مصنف سيرته عليه السلام من بعد صلاة الفجر إلى أول ضحوة النهار قبل انبساط الشمس، أحدهما:

لا تذكرنَّ منازل الأحباب ... بلوى قضيب فأجرعي شرحاب
دارات آرام الصَّريم وإنما ... ليس الزمان زمانَ ذكر تصاب
واذكر بنات الأعوجي ولاحق ... شمَّ المتون لواحق الأقراب
والزَّغف كالغدران أحكم نسجها ... سَرْداً كجلد الأرقم المنساب
ومناصلاً زرق المتون كأنها ... برقٌ تعرَّض في متون سحاب

(١) الديوان : ٣٢.

(٢) الديوان ١٥ - ١٦.

والماشحية كل صفراء القرى ✯ وهواك من عَتل ومن نشاب

ومقامة تدع النفوس رخيصة ✯ فرسانها والسوق سوق ضراب

ليس المحارب كل يوم غالبًا ... كم قد طرى غلب على غلاّب

لا تعجبن من جولة في صولة ... فحوادث الأيام غير عُجاب

إني أرقت وما أرقت لحادث ... من فلّ جيش أو خمود شهاب

لكن لضلّة أمة عن رشدها ... ونكوصها عهداً على الأعقاب

عني وقد عَلمَت دفاعي في الوغى ... عنها وتعظيمي لها ونصاب

ولقد دعتني فاستجبت دعاءها ... ونهضت نهضة ضيغم وثّاب

ونضوتُ عزما من عزائم حيدر ... يزري بحد الصارم القرضاب

هل تعلماني قد وقفت بموقف ... إلا ويشهد لي ذوو الأحساب

فعلام ينسى الأكرمون مودّتي ... لجهام سيفان[1] ولمع سراب

إني ومن عمَرت قريشٌ بيته ... لا حلفة الأزلام والأنصاب

لا يثلم الخطب الملمُ[2] عزائمي ... أبدًا ولا تُرخى فضول ثيابي

أفيحسب الأقوامُ أني نائم ... أو ساهر للهول أقرع نابي

الهول عندي حين يمنع ظهره ... أدنى وأهون من طنين ذباب

إن كنت يا صنعاء أكبر همتي ... وذمارُ إن ذكرت أجلُّ طلابي

فليزهد الأعداء فيَّ فإنني ... واهي العزيمة ضائع الأسلاب

إني إذا خمد اللئام رأيتني ... كالشمس بارزة بغير حجاب

سأقودها شعث النواصي شزَّبًا ... كالبحر ذات تغطمط وعُباب

حتى تصعّد بالصعيد جيادها ... وتظم غزنة من وراء الباب

---

(١) في (ب): شفار.

(٢) في (ب): العظيم.

وتمرُّ في شط الفرات عوابسًا | كالطير تكسر أجنحًا لإياب
وتقيم في بغداد يوم قيامة | تنفي شكوك الواقف المرتاب
حتى ترى أبنا أبينا أننا | شم الأنوف حماة كل عقاب
أبلغ بني العباس صفوة هاشم | وسلالة العلامة الوهاب
من واصل الأرحام غير مقاطع | ومشيّع في العالمين مُجاب
إنا أخذنا أمرنا فتبصّروا | ودعوا النّهاب فلات حين نهاب
قد حزتموها بالصوارم برهة | غصبا وليس الحقُّ للغصّاب
فالآن قرت في محل قرارها | أبناء حيدرة الفتى الضرّاب
صنو النبي وخير من وطئ الحصى | بعد النبي لباب كل لُباب
نور تنقل حالةً من حالة | ما بين أرحام إلى أصلاب
وأبوكم المفضال سلّمها له | من غير إسهاب وغير خطاب

الشعر الثاني ذكر فيه أيامه بالجوف وشكر أهله فقال عليه السلام
[الديوان: ١٦-١٧]:

رويدكما لا تعجلا بملامي | فليس مقام الليث مثل مقامي
سل الخيل في صنعاء يوم قصدتُها | بأرعن جرار أجشّ لُهام
ألم أك رمح الجيش عند قدومه | وصمصامه لو حُلّ عقد ذمام
ويوم ذمار عند مشتجر القنا | ألم يك فعلي قائداً لكلامي
وكم موقف ينسى به المرء نفسه | عُرفتُ به ماضي العزيمة سامي
ولي كل يوم همة علوية | تزيل بإذن الله ركن شمام
يُهال لها عرب وعجم وإنها | تشيّب رأس الطفل قبل فطام
أنا القائم المنصور منصور هاشم | حسام رقيق الحد غير كهام
ولي نفس حر الوالدين مهذب | ونفس عصام قد سمت بعصام
إذا رمتُ أمرًا لم تمنّع صعابه | وأدنت رؤسًا جنّحًا لخطام

فلا تجزعا أن كان للحرب جولةٌ ... فليس بأيدي الحادثات زمامي
تحملت أعباء الحوادث يافعا ... فأكرم بحمال الخطوب غلام
أبي فارس الإسلام غير مدافع ... عليٌّ إمام الحق خير إمام
أشد قريش في الهياج شكيمة ... وأقدمهم في كل يوم صدام
فمن أين يعروني اضطراب إذا القنا ... سمت بنجوم في سماء قتام
«فيا راكبًا إما عرضت فبلغن» ... بني هاشم قومي الغداة نظامي
وأبناء قحطان وعدنان عن يد ... وكل كريم الوالدين محامي
وقل لهم ما عذركم عند ربكم ... إذا قادكمْ باريكمُ لخصام
وقلتُ له يا رب لم ينصروا الهدى ... وقد ذُدت عن أديانهم بحسامي
ألا رُبَّ مفتون بعاجل عيشة ... عَمٍ عن طريق الحق أو متعامي
وكم باسط للعهد كفًّا كأنه ... لغفلته قد مدَّها لسلام
هو العهد والميثاق فالتزموا به ... أأنتم نيام أم شبيه نيام
تهنونني بالفتح عند قدومه ... وتنأون عني والنحور دوامي
أهذا من الإنصاف ما نَفْع حاملٍ ... إذا وضعت حملا لغير تمام
فقل لي لنهمٍ حيث قرَّ قرارها ... وفرسان هذا الحي حي دعام
أتاني والأنباء تُنمى على النوى ... فعالٌ لكم مسكٌ بغير ختام
سموتم لنجران وكنتم سَمَادعًا ... كراما وأهل الغدر غير كرام
فأدركتم ثأرًا لآل محمد ... وأبتم على رغم العدا بسلام
سقاكمَ مُلِثٌّ القطر من كل حالك ... حبيٌّ بطي السير غير جهام
ورعياً لأيام لنا ببراقش ... لدى قومنا السادات صفوة سام
غداة نجرُّ السمر لا اللَّهو شأننا ... وما اللَّهو في حَرِّ القنا بحرام

فهل أثلات الواد شرقي منجزر[1] كعهدي نضيرات الغُصون سوامي
ويا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بشط مـعين حاسرا للشامي
وما حال دارات لهم قد عهدتها بأيمن سليام وأيسر حام
بها كل مكسال كأن جبينها سماوة بدرٍ لاح تحت غمام
حمتها رماح الخط في كل غارة بأيدي كرام الجد غير لئام
فإن تُطهروا[2] الآفاق من دنساتها أتاكم سوادي عاجلا وخيامي
أمثلي ينام الليل ملأ جفونه وديني مضيم والعداة أمامي
وكم سائل عن بغيتي ثم قال لي مُرادك نجدي وأنت تهامي
فكلت له بالصاع ثم أجبته هواك يمانيٌّ وأنت شآمي
أيعظم من مثلي مرام معظم وسمك محل النجم دون مرامي
ولابد من يوم تظل به الظبا تمج نجيعًا من رؤوس طغام

وتقدم الإمام عليه السلام حتى انتهى إلى أثافت، ولم يزل عليه السلام يرحض أدران الفساد، ويسعى في صلاح العباد، حتى جرت الأحكام على موافقة الدين، وخسأت عفاريت المتمردين، واستحكمت الأمور في الظاهر كله بعد أن كان فيه من الفساد ما يكثر، فطهره عليه السلام وانتظمت الأمور في الجوف وصعدة وأعمالها، ونجران ونواحيه، والجهات المغربية، ونفذت دعوته إلى الحجاز فبويع له وأقيمت الجمع في يَنْبُع وخيبر وكانت الحقوق الواجبة تصل إليه من تلك الجهات على سبيل الاستمرار، ووصله مَن وصل من الشرفاء الحسنيين للجهاد في سبيل الله عزوجل بين يديه، فعز بهم الدين، واشتدت شوكة المسلمين، وكانت الغوائر إلى نواحي تهامة حالا بعد حال حتى أجلي كثير من أهلها من تتابع الغوائر، وكانت

---

(١) منطقة قرب برافش.

(٢) في (ب): تطهر.

الغنائم تنقلب بها الجنود حالا بعد حال، واستقر أمره عليه السلام في نواحي مذحج وصُلِّيت الجمع فيها، وقبضت منها الأموال، وكانت تأتيه وقتًا بعد وقت حتى كانت سببا لقوة أمره وظهور كلمته، ونظم الجنود أحسن نظام، وقدر أرزاقهم، وعمر حصن ظفار[1] حرسه الله تعالى في شهر شوال سنة ستمائة فكان سببا لانتظام أحواله وسداد أموره، وأعلا الله كلمة الدين، ولم تزل البعوث والسرايا في كل حين إلى أرض الأعادي تجوس خلالها، وتستلبُ أموالها، وتسبي أطفالها[2]، وتقتل رجالها[3].

ثم وجه عليه السلام دعاته إلى نواحي جيلان وديلمان، فبايعوا جميع من بها من الزيدية، وعلا فيها ذكره، وخطب له في مساجدها، وصليت الجمع، وقبضت الحقوق الواجبة باسمه، وجاهدوا من يليهم من الجبرية المجسمة والباطنية، وتيمنوا ببركة دعوته، واستسعدوا بإجابته حتى إن بلادهم كانت قد أصابتها حطمةٌ شديدة عظمت معها عليهم البلوى، وعضّتهم بها الأزمة الشديدة، فما كان إلا ريث دخول الدعوة إلى جهاتهم، فأبدل الله تعالى بالجدب خصبًا، وزالت الشدة عنهم عن قريب ووردت الدعوة والسعرُ فيها بالمثقال الذهب ما بين ثلاثين قفيزاً إلى خمسين، فبلغ بعد ذلك مائتين وخمسين قفيز إلى ثلاثمائة بالمثقال، وجاهدوا في سبيل الله عز وعلا، وأقيمت عندهم الحدود، وكانت الأوامر النبوية جارية فيها على الوجه الذي هي جارية في هذه النواحي.

ولقد أخبرنا من نثق به وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني من شدة تشددهم في ذلك بما يكثر حتى إن رجلاً من علمائهم ظهر منه تخذيل عن بيعة

---

(١) ظفار داود: حصن أثري في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذيبين على بعد ٧٠كم شمال صنعاء.

(٢) في (ب): أموالها.

(٣) أنظر السيرة المنصورية لأبي فراس بن دعثم ٢/ ٤٧٩، ٦٣٤-٦٣٦.

الإمام عليه السلام فلما علم ذلك بعض الأكابر من العترة عليهم السلام وهو الأمير السيد ظهير الدين أبو طالب بن يوسف الثائري الحسيني قدس الله روحه أمر من صلبه، وكذلك في صورة تشبه هذه، وطُرد رجل من علمائهم المشهورين من بلد إلى بلد لتوقفه في إمامة الإمام عليه السلام حتى صفت له عليه السلام الأمور فيها، وكانت الأموال تصل في كثير من السنين من جهتهم، ولم يُعلم أنه اجتمع لأحد من أئمتنا عليهم السلام ما اجتمع له من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان قبله عليه السلام وكذلك فإن جميع من في جهات الرّي من الزيدية كلهم اعتقدوا إمامته عليه السلام وعلا صيته في جميع الأقطار.

وكتب عليه السلام الدعوة إلى ملك خوارزم علاء الدين شاه شاه، واتصلت به على يد السيد الفاضل العالم مجدالدين يحيى بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي ابن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي أمير المؤمنين عليه السلام. وكان من سادات الزيدية، وكان متبحراً في العلم يلقب بأستاذ الطوائف المخالف والموالف؛ لتوسعه في كل فن، ومعرفته لفقه كل فقيه من فقهاء الأمة، وكان لما اتصلت به هو المبلغ لها إلى السلطان المقدم ذكره، ثم لما انتهت إليه قرأها وهو من المحققين في العدل والتوحيد هو وأهل بلده معروفون بالتشدد في مذهب المعتزلة والاعتصام به، ويعتقدون من كفر الجبرية القدرية والحشوية الفرية ما نعتقده، ولهم معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام، لا تزاحمهم فيها فرقة من فرق الأمة بعد شيعة أهل البيت عليهم السلام، فوهب السلطان للسيد مجدالدين عند ذلك خمسمائة مثقالاً، ولو مد الله في عمر الإمام المنصور بالله عليه السلام لكان ينتظم له الأمر في تلك الناحية إن شاء الله تعالى غير أنه لم يلبث عليه السلام بعد ذلك إلا المدة اليسيرة.

ووردت كتب الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب سنة إحدى وستمائة والوارد بها رجل من ولد النفس الزكية عليه السلام، ووصل اليمن فعاقه سلطان العجم عن الإمام، فأجاب عليه السلام بالشعر الذي أوله:

أتهجر معتمدا دارها. . . . . حتى قال:

إلى حلب حيث صيد الملوك	تحبو ويكرم زوّارها
سلالة من شاد دين الإله	وطهّر بالسيف أوزارها
فرحمة ربي على روحه	عشايا العصور وأبكارها

وكان عليه السلام قد رزقه الله تعالى من حسن الصيت وارتفاع الذكر وحسن الأحدوثة والثناء الجميل ما قل مثله لمن مضى من أئمة الزيدية عليهم السلام، حتى أن الإمامية على حيفهم عن السابقين من أئمة الزيدية واجترائهم على أذيتهم لم ينقل عنهم مثل ذلك في حقه عليه السلام بل كانوا في نهاية المحبة والمودة له عليه السلام على اعتقادهم ظلم القائمين بعد الحسين عليه السلام من أئمة الزيدية عليهم السلام عموما حتى قال بعض شعرائهم وهو السمطي:

سن ظلم الأنام للناس زيد	إن ظلم الأنام داء عضال
وبنو الشيخ والقتيل بفخ	ثم يحيى ومؤتم الأشبال

ولم يزل عليه السلام منفذاً للبعوث والسرايا إلى مغرب ومشرق وشام ويمن، فقلّ ما كان يقف عسكره من الغزو.

ودخل صنعاء المرة الثانية في شهر صفر سنة إحدى عشرة وستمائة، فأقام فيها مدة ثم تقدم ذمار، وانحازت جنود العجم إلى ذي حولان[1] فصمد لهم عليه السلام بنفسه حتى أظفره الله تعالى عليهم واستولى على الخيل والسلاح وأعتق الرقاب.

---

(١) قرية خارج مدينة ذمار معروفة.

وقال عليه السلام[1] في صنعاء بعد رجوعه إليها من ذمار وذكر ذي خَولان:

عجبت فهل عجبت لفيض دمع ... لموحشة على طلل ورسم
ونؤي كالسوار وجذم حوض ... وأشعث قد أطال من التأمي
وما يغنيك من طلل محيل ... لهند أو لجُمْل أو لنُعْم
أوانس كالبدور إذا تجلَّت ... كأن عيونها أعيان رقم
تميس كأنها أغصان بان ... تثني فوق أهْيَل كالخضمِّ
كأن حمولهن مكللات ... بلف من نخيل حُواث غُم
تظل الطير تخطف جانبيها ... لما صوَّرن من عُقم ورقم
فعدِّ عن المنازل والتصابي ... وهات لنا حديث غدير خم
فيالك موقفا ما كان أسنى ... ولكن مَرَّ في آذان صُمِّ
لقد مال الأنام معا علينا ... كأن خروجنا من خلف ردم
هدينا الناس كلهم جميعًا ... وكم بين المبيِّن والمعمَّي
فكان جزاؤنا منهم قراعًا ... ببيض الهند في الرَّهج الأحمِّ
همُ قتلوا أبا حسن عليًّا ... وغالوا سبطه حسنًا بسُم
وهم حظروا الفرات على حسين ... وما صانوه من نصل وسهم
وزيدا أوردوه ظُبى المواضي ... فكم جرم أتوه بعد جرم
وأولاد الهمام الشيخ[2] منا ... هداة الناس من ظُلَم وظلْم
ولم أر هالكًا كقتيل فخٍّ ... فيا لك من وسيع الباع ضخم

---

(١) الديوان ٨٢ – ٨٣.

(٢) الشيخ هو: عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالكامل عليهم السلام، وأولاده الأئمة: محمد بن عبدالله النفس الزكية .. وإخوته: إبراهيم وموسى وإدريس ويحيى عليهم السلام.

أثمــــةُ أمّــــة جــــهلتْ هداها | بخــدعــة مــارق وشــقــاق غُــتم
همُ قــدحــوا زناد النار فــينا | فــقــامــوا عن خــديجٍ غــيــر تمٍّ
وكم مــتــشــيع عــاد علينا | بــآنــس أو ديــار بــلاد قُــمٍّ
وجــــبــــري ينازعنا هدانا | كــذي خطل يعــرفني بإســمي
أتخطي رشــدنا وتصيب رشــداً | كــمن يقــضي على علم بوهم
أطيــعي مــرشــديك وشــايعــيهم | فــإن ســاعــدتني فــخــلاك ذمي
هم جــهلوا ســبيل الرشــد فــينا | فــأعــقــبــهم بهــا غــمّــا بغم
ومــا ضــر المصــيبَ هداه فــينا | أأمّــيّــا غــدا أم غــيــر أمّيّ
أخي من كــان يهــديني لرشــدي | وليس أخــي هــو ابــن أبــي وأمــي
وحــاشــا شــيــعــة الميــمــون زيد | حــمــاة الرّوع فــتــيــان التــحــمي
أمــرضــعــة الجنين تعــرّفــيــه | فــإن كــان الشــجــاع فــلا تصم
فلو عـــــاينت ابنك في ثلاث | عــقــيــب الموت ويحك لم تشم
بنى الهــرمين أعــجب مــا رأينا | وأنــفــع من بنــاه عــــريش هرم
مــتى ترقى ســويق البُــر إثمــا | فــمل عن أكله بســويق حَــزْم
وأنفع من فــرائد كــرْم جــيــد | فــرائد من ثمــار بنات كــرم
تشـــــابه أهل ملتنا علينا | فــلم ندر الأخــصّ مــن الأعــم
ينازعــني أناس أمــــــر ديني | وهــمُّــهمُ لعــمــرك غــيــرُ همي
وقــد أرشــدتهم وطلعت شــمــســا | لهــم في ليل خطب مــدلهمٍّ
وأحــمــد ســيــد الثــقلين جــدي | وجــعــفــر طائر الملكوت عــمي
ويوم مـــــثل ظل الرمح طولا | قــصــرت طويله بطويل عــزمي
فـــمن يلك ســائلا عني فــإني | غــداة الروع في الجــزء الأصمّ
أظنّ مطرّف إنكــار فــــضلي | يرد إليــه مــعــرفــتي وحــزمي

فـقـدمًـا أنكر الزاكين قبلي ‌ ‌ فلم يظفـر لشـقـوته بغنم
وعـارضني بمهـدي غـوي ‌ ‌ ألا ليت المسـمي لم يُسمَّ
أظنَّ الإسم يُبلغـه المعـالي ‌ ‌ وكم إسم يقـال لغيـر جسم
ظننتم حـربنا شـعـرًا بشـعـر ‌ ‌ وشـتـمـا ظل سـعـيكم بشـتم
فلولا حـال بينكم وبيني ‌ ‌ جنود الظلم من عـرب وعـجم
لزرتكم بأرْعن مكفـهـر ‌ ‌ بطيء السـيـر كـالطود الأشم
سلوا صنعـاء يوم الروع عنا ‌ ‌ وعن أحـلاس خـيل غـيـر عُمّ
وذي حَـولان إذ لجـأت إليـه ‌ ‌ أسـود الغـاب من كلبي وغـشم
وكـانوا النار جـاء لهـا عُـصـار ‌ ‌ فطار بهـا إلى تيـار يم
فـويل مطرِّف من طول حـربي ‌ ‌ ومن طلّبي ومن ضربي وضغمي
وعـدتكم فلم أخلف وعـيـدي ‌ ‌ وبالرحـمن إيعـادي وحـتـمي
فـأين وعـيـدكم وكـشـيش ضب ‌ ‌ ظننتم حـسّـه كـهـدير قـرم
أنا حـامي الملوك فـقل كـقـولي ‌ ‌ ليـعـجب كل ذي عـقل وفـهـم
على صـور المسـائل قلت جـهـلا ‌ ‌ وليـست هاشم كـرجـال جُـرْم
فـإن تك من رجال الحـرب فـاثبت ‌ ‌ وكن رجـلا بهـا تُرمَى وتَرمي
وجـمْع كل ذي دين خـبـيث ‌ ‌ لنلحق جـمـعكم بجـمـوع طسم

وصلحت ذمار وتلك الأعمال وجرت فيها الأحكام وهو في خلال ذلك يجتهد في تدمير المطرفية، وصبَّ كل محنة عليهم وبلية، حتى صاروا بين قتيل وطريد، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من الجهات المغربية، وعرَّف أحكاما كانت مجهولة، وجدد شرائع كانت مدروسة وأنار سننًا كانت مطموسة، وفي خلال ذلك لا يعرى عن جاهل يطعن بغير بصيرة، فيكشف له عليه السلام المشكل، ويفتح له المقفل، فبين قابل ومعرض جاهل.

رسالة ابن النساخ:

ولما أنزل ﷺ بالمطرفية الشقية النكال، واستبى النساء والذراري واستلب الأموال، عظمت عليهم البلية، فأنشأ رجل منهم يعرف بابن النساخ رسالة إلى خليفة بغداد وهو في ذلك الوقت محمد الملقب بالناصر يحثه على إرسال عسكر إلى اليمن، وذكر فيها من مناقبه ﷺ ما هو جدير، ورأينا إثباتها في أخباره؛ لأنها واردة من ضد مكاشح ولا أقوى من شهادة الضد لضده فقال فيها:

السلام عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس، المطهرة من الأدناس، المحلاة بأفضل لباس، المنتجبة لخلفاء بني العباس، المتأرِّج عرفها ونشرها، والسائر مع الأمثال السائرة ذكرها، وطن العترة الرضية، ومغرس الشجرة المباركة النبوية ... شعراً:

ومغنى أمير المؤمنين ودارُه	وفيها عماد الملك[1] قر قراره
تخيرها المنصور قدمًا فحلَّها	وأوطنها من طابَ حقًّا نجاره
هي الروضة الغناء والربوة التي	تخيرها قدما ففاق خياره
وفيها أمير المؤمنين محمد	وخير شعار العالمين شعاره

عقود العز والتحصين، والحرم المحرم الأمين، مسقط رؤوس الخلفاء الراشدين، والربوة ذات القرار والمعين... شعراً:

دار الفكاهة والتأديب والأدبا	ومنزل الظرفا الأكياس والأربا
يا رب معنى لطيف في معالمها	تراه عن غامض الأفكار قد حجبا
يروى ببغداد أن العلم متجرها	وأنه عبد ناديها إذا انتسبا

سلام يستلم شجرها ومدرها، ويستهل بالإجلال والتبجيل شمسها وقمرها:

سلامٌ كالعقود بها لآلٍ	مقلدةٌ من الغزلان عينا

(١) في (ب): عماد الدين.

سـلامٌ لا تكدِّره الليـالي يروق الناظرين السامعينا
سـلامٌ ريحه عَبِقٌ ذكي يحاكي نشر مسك التبتبينا

وعند استلامك للباب الأعظم، والمعاينة للحرم المحرم، تقبل مواضع القدم، وتعفر خدك بالسجود للواحد المعبود، حيث بلَّغك أقصى المرام، باستهلالك بدر التمام، ملك الإسلام، جمال الدنيا والدين، واسطة عقد الهاشميين، محمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين . . . شعر:

فيكتحل الطرف المحاسنَ كلَّها ويرتاح إذْ نال المنى والأمانيا
خليفة أزكى العالمين أرومة ومن لم يدع للعدل ضداً مناويا
تشعشع نور الأفق من نور عدله ويخجل في الأفق الهلال اليمانيا

وبعد ذلك نحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن، أذكى وقودها قائم من بني الحسن، تمالأ أهل اليمن على نصرته، وسارعوا إلى جماعته وجمعته، وعقدوا له الألوية والبنود، وأتوا بالخميس العرمرم المحشود، ولقد قدر علينا واستظهر فعند ذلك اصدع بما تؤمر فقد أعذر من أنذر:

وقبِّل ثرى أرض الخليفة واسجد وسلم سلام العارض المتردد
وسائل بني عم النبي محمد وأنشد بملء الشدق فيهم وغرِّد
أما بلغتكم دعوة المتهجد وإيعاده يوما يروح ويغتدي

يسائل بني عمه الأخيار من أهل البادية والقرار، في إعارة يوم من الأعمار ليبتِّك الأوتار، وينقم منك بالثأر، وعند استيلائه على الحرمين، والتئام أولاد البطنين، ينهض إلى الشام والعراقين، وَعيدٌ لا يُفند واعده، ومنهل لا يصدر عنه وارده، هي والله إحدى الكبر، التي لا تبقي ولا تذر أين منها المفر فلا منجى ولا وزر!

ويجري إليكم بالمغاور ضمّرًا دلاص الدروع السابري ثيابها
ببيضٍ مواضٍ ما تفل غُروبها وسمر دقاق يطردن كعابها

ويوم ترى أيام صفين دونه بمعركة ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه، على كل صعب وذلول جيلا بعد جيل، ورعيلاً في إثر رعيل، وتعدوا للجلاد السواعد الشداد، والسيوف الحداد، فعسى أن يُحمى بحماها بغداد وكوفان، ويملك ما سواهما من البلدان، هيهات من ذاك هيهات، لا إدراك لما فات، وقد هيأ بضرب الدينار والدرهم دارين، وملأ بهيبته ومملكته كل قلب وعين. . . شعر:

وساعده المقدور حتى جرى له بما يشتهي أفلاكها ونجومها
ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه عليٌّ أنا ترب العلا ونديمها
أما أحمد جدي، وحيدر والدي وإني للعلياء حقًّا أقيمها

بكلام يستنزل العصم، ويزلزل الشُم، أحلى من العسل، وأمضى من البيض والأسل، وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان، وطنجة وأصبهان، فماذا بعد اشتهاره بالقيام تنتظرون، فكأنه والله بما قد تأمله فيكم يكون:

وتصهل في أكناف دجلة خيله وتضرب فوق الشط منها مضاربه
ويمسي قضيب الملك ملكًا لكفه وخاتمه في خنصر هو صاحبه
ويدخل بغداد فيقتل أهلها ويغنى بسلب الملك من هو سالبه
ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي خليفتنا للأمر والنهي راكبه
مقالة حق إن ونيتم رأيتم بداركم ما الكف بالطرس كاتبه
ومن لم يخف من غائلات عدوه فرت نحره أنيابه ومخالبه
ومن جعل التفريط والعجز دأبه وجانب رأي الحزم أعيت مطالبه
على ملك الإسلام ألفُ تحية إذا بلغتنا خيله وكتائبه

ثم قال بعد هذه الرسالة:

لمنشي الحمد ذي الملكوت حمدي رداء الحمد أفضل ما تُردي

حملت على البريد بسعد جدي   نظاما ناظما تبديد عقدي
شعاع فرنده يشفي نفوسا   علقن لها السعود بغير كد
يلوح إلى خراسان ومصر   وبغداد وكوفان بقصد
ينادي في دمشق بفرد صوت   فيسمع كل فلاح وجندي
قوافيها أزمّتها بكفي   سأرسلها لخدمتها تؤدي
إلى حرم الخلافة منتهاها   لتلثم أرضها بثناء حمد
تخصكم رسالة ذي وداد   يحثكم بحزم بعد رشد
سأنتزع القوافي من لساني   سناها يستطير بأرض نجد
لها غرب شباه يشيب منها   نواصي القوم من قرب وبعد
نيامٌ يا بني العباس أنتم   وهذا ثوب إمرتكم تُردي
أراكم غافلين، وسوف عنها   نباعدكم بحد أيِّ جد
ونرميكم ببغداد بجيش   أجش، متابعا برقا برعد
ينادي يا لثارات بفخٍّ   وباخمرا ووقعة يوم مهدي
ويدعو: أين إدريس ويحيى   وعبدالله أين أبي وجدي
أأنسى قتلكم لهم جميعا   معاذ الله لو أفردت وحدي
بأحشائي عليكم نار وجد   تثير عليكم مكنون حقدي
علينا أن ننبئكم ونبدي   بأن المرء همته التعدي
إمام هاشمي فاطمي   معيدٌ للنضال لكم ومبدي
أشار إلى الخلافة فانتضاها   ولكن لا يُملأها بخلد
وسيماء الملوك عليه باد   بعيدٌ صيته يعطي ويجدي
فصيح لفظه عذب فرات   يفض به صلابة كل صلد
يقود قبائل اليمن اللواتي   تزوركم مكفرة بسرد

بكندة والذرى همـــدان تأتي ومذحج، أسدُ حرب أي أسد
وحيي حاشد وبكيل منهم وعنس والأولى من آل سعد
وسنحان وخولان، ونهم وجنب والسكون وحي نهد
وقوم من بني الملطوم شوس يحاكي بأسهم عمرو بن معدي
قبائل دعوة الداعي أجابوا وأدوكم لقد جاؤا بأد
كتائبه إليكم ذالفات بأرماح مثقفة وجُرد
وتأتلق البروق من المواضي إذا عصبت بهامة كل وغد
تشعشع ضوء نور بني علي سيطفي ناركم من غير بُد
ويتركِكم له خولا عبيداً إذا ما قاد جنداً بعد جند
وينقم منكم بالثأر قدما يصارفكم به نقداً بنقد
وظني أن داركم ستضحي ولا عهداً لها أبداً بفرد
إذا لم تنهضوا بالخيل شُعثًا نواصيها عليها كل صلد
من الأتراك أهل البأس حقًّا يقودهم شريف من معد
إذا أبطأتمُ إبطاء فند ولم تجروا إليه بكل هند
أصبتم قول ليت تجر ضيمًا وما ليت على التفريط مجدي
لكم إرث الخلافة عن أبيكم لأنكم أولو رشد ومجد

وأغارت جنوده المنصورة إلى نحو لحج وأبين فغنموا الأموال وقتلوا الرجال وانقلبوا بعزة قعساء لم يمسسهم سوء .

وكتب عليه السلام من صنعاء إلى أهل بغداد:

يا أهل بغداد إنَّ الله سائلكم عن ملَّة الدين إذْ أحدثتُمُ فيها
أنتم عيون بني الأيام قاطبة في النائبات ولكن القذى فيها
قد اشتملتم على عمياء مظلمة لا يهتدي بنجوم الحق هاديها

إن الخــلافـــة أمـــرٌ هائلٌ خطرٌ صعبٌ مسالكها صعبٌ مراقيها
لو كـان مـا أنتم فـيـه على سَنَنٍ قـام المريض إلى المرضى يُداويهـا
أيُلزم الحـد مـحـدودٌ بحكم إلـ ـه الناس أم يرشد الضلال مغويها
جـعلتم حـجة الدعوى مُطهـمَـةً جردا ، ومطرورةً تصمى نواحيها
إن الخليـفـة من يهـدى لسنتـه حـتى تضيء به الظلمـا لساريهـا
ويقـتـفي سنة المخـتـار مـعـتـمـدا حتى يضم إلى الأدنى قـواصيـهـا
ولا يميل إلى لهـــو ولا لعب إلا بسـمـر العوالي في مـجاريهـا
يجري الشريعة مجراها الذي وضعت عليـه حـتى يحل الدار بانيـهـا
خليـفـة الله يرضى الله سـيـرته ويطهـر الارض طُرًا من مـخازيها
كم قد سمعتم خلافا في الوصي وفي الـ ـصديق يعظُم في النجوى تلاحيها
فكيف يأخذها مَنْ علِم جـملتكم بحـاله عن طلاب الحق يغنيـهـا
القـــوم منا ولكن أين فــاطـمـــة وزوجـهـا وسليـلاها وواليـهـا
وأين سـيـرتنا المشـهـور طهـرتهـا باسم المهيمن مجريها ومـرسيها
نقـفـو بهـا جـدنا المختـار لا عـوج فـيهـا ولا أمت تلقى في مـعانيهـا
لا نعـرف الخمر إلا حين نُهرقـهـا ولا الفـواحش إلا حين ننفـيـهـا
إن الخـلافـة حكم الله فـانتظروا حكم المهيمن فـيهـا فهو مـعطيها
أيسـتـقـل بهـا من لا تقـوم له شـهـادة في حـقـيـر إذ يؤديهـا
وكم فتى سُملت عيناه قام بها ويُتكت أذن ثان في تعـاطيـهـا
أي الإمـامين أولى بالقـيـام بهـا يا قـوم، أوَلُهـا أم ذاك ثانيـهـا
نعـوذ بالله من قـول يقـوم له سوق من الخزي لا تخبى نواديها
أنا ابن أحـمـد إن فتشت عن نسبي القـائد الخـيل منكوبًا حـواميـهـا
المانع النفس مـا تهـواه من صغـر عمدًا لتسمو وتعلو عن مُساميها

وغارة مثل لمع البرق مشعلة ... كنا الذوائب منها لا تواليها
وهزمة مثل قصف الرعد مجحفة ... ظلت سيوف بني المختار تحميها
وسائل عن فنون العلم ملتهف ... همى عليه بماء العلم هاميها
وطالب جاء والآفاق قاتمة ... غبراء نال أمورا وهو راجيها
من ذا يكون كآل الطهر فاطمة ... من ذا يقاربها أم من يساويها
خلافة الله دين الله فانتقدوا ... رب السرير ليُعطى القوس باريها
يا أهل بغداد خافوا الله إن له ... بطشا يحش القرى جمعا ومن فيها
فارعوا حقوق رسول الله والتزموا ... بعروة لا يخاف الفصم راعيها
وراقبوا الله في سر وفي علن ... فنحن مهديُّها منا وهاديها
ونحن في غمرات الشك فُلك هدىً ... تنجي ويهلك عند الموج قاليها
نحمي حمى الدين بالجرد العتاق وبالـ ... ـبيض الرقاق رؤوس الصيد نغشيها
وكم فتى يلتقي الأبطال مبتسما ... منا ويطعنها شزراً ويرديها
يحميه منصبه الزاكي الفرار إذا ... دقت من السمر في الأحشا عواليها
وفحمة مثل سيل الليل عاتية ... ردت عواصيها العظمى مواضيها
إن الحجاب لربّات الحجال فلا ... تقبل لنفسك تلبيسًا فتصميها
إن الإمام الذي يبدو لطالبه ... كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها
إذا دجت ظلمات الخطب قام لها ... مشمراً وتجلّى أو يجلّيها
ضخم الدسيعة محمود الشريعة لا ... يرضى لنحلته كبراً يدانيها[1]

ولم يزل الأمر كذلك حتى وصلت جنود العجم من الشام إلى اليمن، فأقاموا فيه مدة مديدة حتى نظموا أحوالهم، ثم نهضوا قاصدين إلى أعمال صنعاء، فلمّا قربوا من أعمالها انتقل عليه السلام إلى كوكبان من صنعاء يوم الأحد

---

(١) أنظر دوان الإمام عبدالله بن حمزة ٨٩-٩١.

لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثني عشرةوستمائة ، فأمسى في بيت أنعم ثم تقدم إلى كوكبان ، ووصل العجم إلى الأعمال الصنعانية في جيوش يضيق بها الفضاء ، فعمدوا إلى بيت أنعم فحطوا عليه ثاني عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان عليه السلام قد شحنه بالرجال ، وما يحتاجون إليه من الطعام فأقام الحرب عليه مدة وهم مشغولون به حتى تسلموه بعد ذلك يوم الثلاثاء ثاني رجب ونهضوا إلى بلاد خمير فحطوا على المصنعة وعزان يوم الجمعة سادس رمضان من السنة المذكورة ، وأقام عليه السلام في مقاتلتهم في اللّطيّة بجبل الضلع مدة ثلاثة أشهر ونصف والحرب متواترة عليهم ، وكان أول يوم وقع فيه القتال نهض عليه السلام من اللطية إلى جبل يقال له ثمود ، ونزلت الجنود على العجم فقاتلهم قتالاً شديداً ودنوا إلى محطتهم دنوا كثيراً ، فقال عليه السلام في ذلك اليوم :

خذوا هذه عني إلى أن تتمَّ لي ... أمور أُرجي نظمها واتساقها
فإن تنكحونيها فإني كفؤها ... كريما وقد وفيت صبحًا صداقها
فأين بكم من لفح سفْع جحيمها ... إذا ضربت صبْحًا عليكم رواقها
وصاحت حماة الروع في جنباتها ... وحمَّلها مستكرها من أطاقها
فلا تسأموا الحرب العوان وشمروا ... فقد شمرت حرب بن حيدر ساقها
حسبتم طعان الطالبيين في الوغى ... معتقة لا تسأمون مذاقها
حرام عليكم لذة العيش بعدها ... فقد صدها عنكم حسام وعاقها
وقبلكم كانت ملوك كثيرة ... نسوقكم عما قليل مساقها
إذا زخرت قحطان دوني بجمعها ... وهزّت عواليها وسلت رقاقها
وشدت عليكم شدة يمنية ... تهد عليكم شامها وعراقها
ودافع من عدنان كل مشيع ... إذا نظرته العين في الروع راقها
جعلتم كلاب الباطنية ركنكم ... فنطِّقكم بالمشرفي نطاقها

رويدكم فالحرب دأبي ومتجري ومذ طرَّ شعَري ما مللت وفاقها
سبرت بنيها مذ لويتُ عمائمي ومزت لكم جدعانها وحقاقها
أنا ابن رسول الله وابن وصيه عطية مجد ذو المعارج ساقها
رقا بكم مرقوقةٌ لمحمد فما حكمكم إذ تطلبون إباقها
لنا فتية يوم الوغى طالبية تعوّدها طعن العدى وعناقها
فكم من عناة قد فككت رقابها وكم من عتاة قد شددت وثاقها
وكم منَّة طوقتها العجم فخمة فهل خلعت كفراً لضبعي رباقها
وكم ملك قد رام ملك بلادنا فلا هي لاقته ولا هو لاقها
وكم من جنود فخمة صمدت لنا فشدت بنات الأعوجي خناقها
رميناهم يوم الوغى بجباهها مسومة قبٌّ البطون لحاقها
تجبرتم لما قدرتم على الذي أسرتم فذوقوا عارها وشقاقها
نصبنا لكم سوقاً بجعل من الوفا جعلنا سبيل العفو ثم نفاقها
فبوؤا على رغم الأنوف بعارها ألا فاشربوا غب الجزاء غساقها[1]

وكثر خاذله عليه السلام في تلك المحطة لطول الأمد على الناس وملالهم، وإيثار الأكثر منهم الراحة والدعة، وهو عليه السلام غير مكترث بقلتهم ولا مطول بتفرق جماعتهم، حتى إن أهل الدين الذين ينتمون إليه لم يُر منهم أحد إلا جماعة قليلة من شيعته عليه السلام، فإنهم آسوه بأنفسهم وأدّوا حق الله تعالى في إجابة دعوته، وقاموا بنصرته، وكانت أحوال أهل اليمن معه في شدة خذلانهم وعظيم انحرافهم تَحكي من كان في عصر الحسين بن علي عليهما السلام في ذلك، فصبر عليه السلام محتسباً لله مناصباً لأعداء الله وبنى عليه السلام الدار الواسعة في مخيمه المنصور، وبنى الناس معه الدور، واستقرت دار الضرب في المخيم المنصور، وكثر النفاق

(١) الديوان ٢٦٣-٢٦٤.

جداً، ويسر الله عز وعلا له عليه السلام ذلك حتى إن بعض أهل دار الضرب أخبرني أنه ضرب فيها مما وصل من جهات مذحج ونواحيها من الفضة وغيرها من دراهم الغز خمسة وعشرون ألف درهم،هذا من هذه الجهات لا غير سوى ما كان ينقل من سائر النواحي، وأقام عليه السلام كذلك والحرب ابتداءً في الغالب من جهته عليه السلام حتى إن الوقعات لم تنحصر لكثرتها إذ كانت على الجملة الكثير من هذه المدة التي أقام فيها مواجهاً لجنود العجم، وكانت المحطة على قلة من فيها من الأعوان والأنصار قد ألبسها الله عز وجل الهيبة العظيمة مع خلاف أهل مسور وكونهم مع العجم وقربهم، فلم يُعلم أنه وقع فيها صوت من ابتدائها إلى انتهائها بلطف الله تعالى وبركته عليه السلام، وصلى عليه السلام فيها العيدين رمضان والنحر؛ لأن ابتداء إقامته عليه السلام فيها كانت من الرابع عشر شهر رمضان إلى المحرم وهو عليه السلام لا يسأم ولا يفتر من قراءة الكتب ومطالعتها حتى لقد قرأ في خلال ذلك مجلدات عدة لا يشتغل بهذا الأمر الهائل، ولا يطول بهذا الخطب النازل، فلم يزل ذلك دأبه عليه السلام حتى وقع الصلح يوم الأربعاء غرة شهر المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة، وأقامة محطة العجم عليها مائة ليلة وسبع ليال، وانصرف العدو وقد كبته الله عز وعلا قد أنفق الأموال الجليلة، وقتل من رجاله الكثير ولم يظفر بأمنيته، ولا وصل إلى بغيته.

قال مؤلف سيرته: وحكي أنه وجد في محطة العجم أربعمائة قبر جديد، وتلف من خيلهم وبغالهم وكراعهم قدر ألف رأس ومائتي رأس، ومن الإبل سبعة آلاف، وانتقل عليه السلام إلى كوكبان، وقال في شأن ذلك:

هل تعرف الدار في أعراض ذي ظفر	إلى الأكارع شرقيّ الخُريبات
فحزم بقلان فالحنوين فالسمحا	ت السود من تلبس ذات الضُغيات
فدارهم بين شيحاط إلى هرم	إلى القراشم في مجرى الأثيلات
منازلا قد عهدناها ممنعة	بذبّل الخط فوق الأعوجيات

فيها بنات مراد إن سمعت بها ... كالأدم تعطو اعسا ليج الخميلات

ومن جآذر نهم كل مخطفة ... هيفاء آلفة نوم العشيات

وقفت فيها سراة اليوم أسألها ... فأصمتت عن جوابي أي إصمات

لأيًا بلأيٍ عرفناها بأسنمة الـ ... ـكثبان فالعقدات المسبخلاَّت[1]

وكل نوء كجذم الحوض ثلَّمه ... سَحّ السواري وإثحام الغديات[2]

وماثلات جواد كالزناد بها ... أو كالحمائم أو مثل القطيات

أم الدوادي فعفَّ المور معلمها ... إلا مزاحف إضلال وحيات

إني لأعجب من قومٍ ونأيهم ... عني وقد علموا تصريف حالاتي

ألم أقم وكثير من سراتهم ... عند التنافر أحياء كأموات

وهم وشيعتهم في لج ملتطم ... من البلاء بمصيبات وآفات

كآل إسرال إذ فرعون سامهم ... ذبح البنين وإحياء البنيات

وشم قحطان والسادات من مضر ... هيمٌ يعومون في بحر الظلامات

فخضت لجَّ ذعاف الموت محتسبا ... نفسي وما لُذت في روع بمنجات

وكم خميس لهام قد صمدت له ... كالبحر يرجف من لغط وأصوات

فصار كالأمس لا عين ولا أثر ... وكان مثل الجبال المشمخرّات

سل من أقام بصنعا عن إقامته ... فيها وإن كان ذا صوم وإخبات

هل أغضب اللهَ أم أرضاه موقفه ... بدار حرب لدى لهو وحانات

قولوا أساءتكم مني معاشرةٌ ... أم بعت دينيَ منكم بالدنيات

الأرض كافرة والحكم مطرد ... فيها بنص أحاديث وسورات

أليس عم رسول الله والده الـ ... ـعباس حل به حكم العتيبات

---

(١) في (ب، والديوان) : المستحلات .

(٢) في الديوان : ثَبجُ السواري .

لم ينج حتى فدى نفسًا مرقفة بالمال قد مُلكت عن نص آيات

وكم وعظت وكم خوَّفت مجتهدا وكم نصحت فما أغنت نصيحاتي

إلا أفاضل منهم هاجروا فبنوا مجدا يدوم إلى يوم القيامات

وءآلوا وثاروا فيا لله درهم كم راغموا فيَّ من ذي سطوة عاتي

ظننتم الحرب تَرديني[1] بكلكلها فأتقيها بأغمار وسادات

نشأت فيها كنصل السيف منصلتا فلم ترعني وراعتها مصالاتي

مذ بضع عشرة ما غرَّبت غاربها فالآن إذ كنت سبّاقًا لغايات

أنا ابن رب مَعَدٍّ في مقالهم وليس ربٌّ سوى رب السموات

وأي فخر سوى بالطهر والدنا محمد وعليٍّ ذي المقامات

سائل قليب وفرسان الشئام ومن قد كان في يمن أساد غابات

عربًا وعجمًا ألم أضجر لحربهم والقوم في لجب جم الجماعات

كان المناخ شهورا لا رسول لنا ولا لهم غير بيض المشرفيات

وهم يرومون فينا ما نروم بهم كل يحاول ما يدري وما ياتي

كتائب كجبال الروم شامخة نباتها من رقاق[2] السمهريات

كم حومة قد ملأناها وهم علقا بسفح واقط تزري بالحكايات

وماجد قد أطار السيف هامته منا ومنهم صريعًا بالمناصات

وفي شبام لنا يوم له نبأ قد كاد يربي على يوم القصيبات[3]

ونحن عدَّة فرسان وهم بشرٌ على رؤوس أولي بأس ورايات

راموا الحصون فلاقوا دون بغيتهم ضربا وطعنا يُصم الراغبيَّات

---

(١) في (ب): يزريني، وفي الديوان: ترديني .

(٢) في (أ ، ب): من دقاق .

(٣) في الديوان : يوم العصيّات .

وفتية من علي أصل نسبتهم وحي قحطان أرباب الولايات
الضاربين حبيك البيض عن عُرُض والحاملين حمالات الجنايات
والتاركين دروب الروم خلفهم والناهدين إلى آطام غايات
والباعثين لكسرى في كتائبه مآتمًا يوم باب القادسيات
ولو أردنا لقلنا غير أن لهم حقا يقيم لهم حكم الرَّعيات
ما كان مثلهم في حكم طاعتنا عند الوفاء على مثلي بمقتات
لعلهم يرأبون الصدع عن كثب ويطلبون رقي تلك السعايات[1]

ثم انتقل عليه السلام من كوكبان يوم الجمعة لليلتين إن بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى ظفار حرسه الله تعالى، فأقام فيه مدة حتى دنا انقضاء الصلح بينه وبين العجم وانتقل إلى كوكبان لأربع ليال إن بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم جهز ولده الناصر لدين الله عزالدين محمد بن أمير المؤمنين إلى كنن في الجند من الخيل والرجال، وقد كان عليه السلام ابتدأ به أول مرضه في محطته في البون، وطلع كوكبان وهو يزداد بعد ذلك وكان من التجلد في حال مرضه والصبر عليه بالمحل العظيم لقوة يقينه على شدة وجعه، ولقد كان في حال النزع الشديد وهو محتب بثوبه حتى فاضت نفسه وهو كذلك .

أخبرني من شاهده أنه دخل عليه وقد خرجت إحدى ركبتيه من حبوته والأخرى بحالها، واختار الله له الإنتقال إلى دار كرامته ومستقر رحمته يوم الخميس لاثني عشر يومًا من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، ثم نُقل عليه السلام إلى بُكُر فأقام فيها مدة ثم نقل بعد ذلك عليه السلام إلى الموضع الذي قد صار منسوبا إليه ودفن فيه فسلام الله عليه، لقد نُعش الإسلام ببركته، وأعلاه بحميد عنايته، وكثر جماعة أهليه، وقلل سواد قاليه، بعد أن كانت فرق الضلال قد هدرت،

---

(١) الديوان ٩٢-٩٤ .

وبحار الجهل قد طمت، حتى أعلى الله كلمة الحق بقيامه، فانتشرت أعلام الحق، وقامت قناة الصدق، وتفجرت عيون العلم، وهطلت سحائب الفهم، وأنقت رياض المعارف الدينية، وعمرت معالم السنن النبوية، وغارت بحار الجهالات، وانطمست رسوم الضلالات، ولقد حصلت ببركته من الخيرات الجسام، والفوائد العظام، من العلم والعمل، وظهور مفردات الدين والجمل، ماظهوره يغني عن بيانه، وضرورته تنوب عن برهانه، ولقد كانت المطرفية الشقية الكفرية الغوية تسعَّرت نارهم، وطلع نهارهم، وأظهروا الكفر في دار الإسلام، ونسبوه إلى العترة الكرام، ودرّسوه في كنائسهم، ودعوا إليه نظمًا ونثرًا، حتى طبق مذهبهم كثيراً من الآفاق، وخدعوا الأنام بحب العترة عليهم السلام، فلم يزل عليه‌السلام ساعيًا في إبادة جرثومتهم، واقتلاع أرومتهم، أولاً بالدليل والبرهان، وثانيًا بالهندي والسنان، حتى فرّق الله عز وعلا جموعهم، وأخرب ربوعهم، وحصل ذلك على يديه سلام الله عليه .

ولقد حكي أن القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى رحمه‌الله رأى في النوم أنه كتب مذهب المطرفية في لوح وأعطاه شريفًا يمحوه، فكان عليه‌السلام هو الذي طمس آثارهم، وأباد ديارهم، وحكم فيهم بالأحكام النبوية، من القتل وسبي الذرية، وأجراهم مجرى الحربيين؛ عملاً بما انعقد عليه إجماع الصحابة الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بعد الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من قتل بني حنيفة وغيرهم، وسبي ذراريهم، وتغنم أموالهم؛ لأنهم كفروا بعد الإسلام وصارت لهم شوكة فانتقل حكمهم إلى حكم الحربيين، وأين الأمر من الأمر إنما كفرت بنو حنيفة بأمور يسيرة، والمطرفية كفرت بأشياء يطول ذكرها، وهي إنكارهم أن يكون الله تعالى يمرض عباده ويسقمهم ويؤلمهم ويميت الأطفال الصغار وغير ذلك من كفرهم، وأنكروا أن يقصد الله تعالى بالصواعق والبرد

المسلمين، وزعموا أن ذلك إنما يقع على جهة المصادفة لا بقصد من الله وإرادة، فحكَّمهم عليه السلام إلى الكتاب الكريم والسنة فحكما له عليه السلام بالقتل وتغنم الأموال، فأعمل في هامهم الصفاح، وثقف لنحورهم الرماح، وقاد إليهم الجنود بعد الجنود، ونظم إليهم حينا بعد حين العسكر المحشود، حتى نال المراد، وأرضى رب العباد، ولقد خرج ببركته من الكفر إلى الإسلام خلق لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى، وهي قبائل ضخمة كانت تدين بدين المطرفية أقمأهم الله تعالى، فشملتهم بركته فتابوا إلى الله تعالى وصاروا سيوفا على المطرفية الشقية، وأضحى مذهبهم بعد تلك الغضارة والبهجة التي كانت له عند الناس ذاوياً، بعد أن كان عندهم عاليًا ساميًا، وكان ذلك بحميد سعيه، ولطيف تدبيره سلام الله عليه بعد توفيق الله تعالى. وكذلك الجبرية القدرية فإنه عليه السلام أجرى فيهم ما أجراه على المطرفية من القتل وسبي الذرية؛ لقضائهم بقدم القرآن فخرجوا بذلك عن التوحيد، ومن خرج عن التوحيد كان كافرًا، وكذلك فإنهم حملوا على الله تعالى الكذب والظلم والجور وسائر القبائح، وأخرجوه تعالى عن أن يكون حكيمًا، ومن قضى بإنه ليس بحكيم ولا عدل فلاشبهة في كفره، فكذلك إذا قضى بأنه يفعل سائر القبائح وفنون الفضائح، وقالوا: بأنه تعالى يريد الفواحش وكافة القبائح من الظلم والعبث وأنواع الكفر وهذا مذهب المشركين الذين حكاه الله تعالى بقوله حاكيًا: ﴿وَقَالُوا لَو شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلم إِنْ هُم إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وقال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَو شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبلِهِم حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِن عِلْمٍ فَتُخرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُم إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الانعام: ١٤٨]، فلما تحقق عليه السلام كفرهم علم جواز قتلهم وسبي ذراريهم وتغنم أموالهم.

وابتلي عليه السلام بحرب العجم والعرب من أهل المذاهب الردية وغيرهم من طغاة البرية ، فشفى الله به قلوب المؤمنين ، وكثر به سواد المسلمين . ومحاسنه عليه السلام أكثر من أن تنظم في سلك المدائح ، وظهور حاله لقرب عهده ومعرفة الخلق به يغني عن شاهد .

وكان عليه السلام في نهاية الرفق بأهل الدين ، والتقريب للمسلمين ، يمازحهم بالمُلح ، ويفاكههم بالطرف ، ويكثر التبسم عند الكلام والبشر والطلاقة إلى الخاص والعام ، ولقد كان يعرض الأمر ويذكر المسألة فيعرض على من يحضر مجلسه الكلام ، ولقد شهدته في بعض الأيام لج عليه بعض الأحداث اللّجاج العظيم حتى كان هو المتكلم وهو عليه السلام ساكت فضلاً جمّا ، هذا مع أنه في كل فن كالبحر الزخار ، والغمام المدرار ، إلا أن اللين كان له طريقة معروفة والوطاة سجية مألوفة ، ولقد عرضت لشيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن رضوان الله عليه مسائل في شيء مما يتعلق بالسيرة فوقف عنده عليه السلام ليلة من الليالي طويلا حتى مضى طائفة من الليل ، وقام عند قيام الناس وسلم إليه القرطاس التي هي فيه ، فكتب عليه السلام أجوبتها في الحال ثم أمر بها إليه قبل أن ينام قال : لئلا ينام على شبهة ، فانظر إلى غزارة العلم ووفوره ، وحسن الورع وكثرته ، وكان في بعض الأوقات ربما يجيب عن المسائل ليلاً ؛ لكثرة الشغل بأمور الناس والتدبير العام ، فإذا خلى ليلا تولى الجواب .

تصانيفه[1] عليه السلام

وله من التصانيف الجمة ما لا يوجد لإمام ممن قام في اليمن من أئمة الزيدية عليهم السلام إلى هذه الغاية بل لا يدنو منها . وأما في السير فقد وضع شيئا لم يوجد لأحد مثله من العترة عليهم السلام ، وكان في علوم القرآن بالغا الغاية ،

---

(١) غير موجود في (أ) .

وشرع في تفسير ورتب في أوله مقدمات حسنة لا يعلم مثلها في تفسير قط ، ففرغ من سورة البقرة مجلد واحد ولم تكمل بعد ، وأودعه من الشواهد العجيبة ، ومن الكلام في المعاني الغريبة ، ومن الكلام في دلالة الآي على بطلان مذهب المطرفية الطبعية والجبرية القدرية ما تتحير فيه الألباب ، ويدل على أنه السابق في هذا الباب ، وله لمع أيضا في الكلام على آيات . ومن **تصانيفه** عليه السلام العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين في الكلام على الإمامية خاصة وهو مجلد .

ومن **تصانيفه** عليه السلام : الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة في الكلام على المطرفية ، ومنها الرسالة الحاكمة بالأدلة العالمة في الدور والتكفير والغنائم ، ومنها العقيدة النبوية في الأصول الدينية ، ومنها الرسالة القاطعة للأوراد من لجاج المتعنت في الإيراد في الجهاد وما يتعلق به ، ومنها الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة في الفقه ، وفيها مسائل أوردها موردها على وجه التعنت ، وكان ممن له معرفة واسعة في الفروع ، فأجابه عليه السلام أحسن جواب بأوضح خطاب ، وهي مائة وعشرون مسألة أكثرها في الفقه وفيها القليل مما عداه . ومنها كتاب تحفة الإخوان ، ومنها الرسالة التهامية ، وغير ذلك . . . من تصانيفه وأجوبة المسائل التي طارت بها الركبان إلى الداني والنائي من البلدان ، ولا سبيل إلى ذكرها في هذا الموضع لكثرتها ، ودعوات كثيرة قد ذكرنا بعضها فيما تقدم وتركنا منها أكثر مما ذكرنا .

وكان عليه السلام في الشعر على الحال الذي يعرفه أهل الأدب ولقد كان الجل من قصائده بمنزلة الارتجال ، وله ديوان كبير ويشتمل على فنون من الشعر وأنواع ، ولنذكر من ذلك طرفا سوى ما تقدم .

ومن محاسن شعره عليه السلام قوله وهو في براقش في شهر جمادى الآخرة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة :

طربت وما مثلي إلى اللهو يطرب　　　ولكن إلى خيل إلى الضرب تضرب

خفاف عليها جنة عبقرية إذا قوّض الأبطال في الرّوع طنّبوا

بها ليلُ بسّامون في حومة الوغى إذا صارت الأبطال فيها تقطّب

نمتهم ليوث الغَاب فاشتد بأسهم وفي منصب الآباء ليثٌ وثعلب

وكم من فتى يطفوا إذا جاش موجها وآخر فيها عند ذلك يرسُبُ

ومن ضارب بالسيف حامات جمعها وآخر بين الفيلقين مذبذب

يرى الموت قيد الرمح وهو مصمّمٌ ويقضب حدَّ السيف والسيف يَقضبُ

فلا تنعتا لي الخيل ما لم يكن لها مناسب فيهن الوجيه ومذهب

ولم يعتلق من لاحق بأواصر ومن أعوجٍ فالخيل كالناس تنجب

أقيما صدور الخيل فالموت مورد وكأس المنايا خلفه الدهر يشرب

سِمَا لي جبانًا نال خلدًا بجبنه لكلٍّ امرءٍ في الموت عضوٌ مؤرب

ألا إن دين الله أسفر وجهه فلم يَعْمَ عنه طالبٌ جاء يطلب

وهز لواء النصر فاطَّردت له قناة لها من عون ذي العرش أكعُب

لنا في أقاصي الشرق شرقٌ نرومه ويعد ديار الغرب في الغرب مغرب

نروم أموراً والإله ضمينها بإنجاز ما نرجوه منه ونطلب

فقل لبني العباس هذا زماننا وما لكم إلا إلى الحق مهرب

سنجزيكم بالإثم براً؛ لأننا بنو أحمد وهو النبي المقرب

وأنتم بنو الأعمام والحق حقنا ونحن بأطراف الأسنة أدرب

فإن لم أزر بغداد عشرين دوسراً بها حاشد العظمى ونهْم وأرحب

وشاكر طرّاً حيث كانت ومذحج وسنحان أهل الصبر والبيض تخضب

وكندة والأبطال شم قضاعة فهم جمرات حرُّها ليس يقرب

وخولان أرباب الفخار وحمير | فهم لإمام الحق جند مقرب
وأعمامنا من حي بكر وتغلب | ويغلبُ من لبَّته بكر وتغلب
ومن مضر الحمراء كل مقاتل | له مَنصب منه النبي المهذب
وعك بن عدنان بنو عمِّنا الأولى | أبوهم إذا عُدَّ النَّجَّار لنا أب
فلا حَملت كفي حسامًا مجربًا | ودون مضا عزمي الحسام المجرب
بني عمنا الأوتار عيب ولحنها | وشارب خرطوم المدامة أعيب
أيستخلف الرحمن قلتم بهيمة | له مأكلٌ نسلٌ حرامٌ ومشرب
يضلُّ ويمسي لا يقيم فريضة | ويلهو بأنواع الملاهي ويلعب
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها | مراغمة ما لاح في الجو كوكب
ذرونا نريكم كيف تشتجر القنا | وكيف يثور النقع والنقع أشهب
ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ | ونحن جنود الله والله يغلب
فقل لي لأملاك البسيطة سامحوا | فلا الحصن منّاعٌ ولا الجمع يرهب
فإن لم تدينوا قبل يوم عصبصب | فعندي لكم تالله يوم عصبصب
أيدفع أمر الله حصنٌ مشيَّد | وسحت خطاميٌ وجندٌ موشب
سنجلبها شعث النواصي كأنها | عصائب طير في السماء تقلَّب[1]
ونرسلها زهوًا رعالاً كأنها | جبال حنين والجبال تأوب
أمثلي ينام الليل والخمر يشرب | أمثلي يلذ العيش والعود يضرب
حرامٌ علي النوم إلا أقله | ووجه المعاصي ظاهر لا يُحَجَّبُ
غضبتُ لربي حين عُطِّلَ دينُه | فهل غاضب مثلي لذي العرش يغضب

(١) في (ب): هذا العجز للصدر الذي يليه. وبدله: جبال حنين والجبال تأوب.

ألا حبذا قرع الحواجب بالظُّبا وسمر العوالي في النحور تُقَضَّبُ
وصَبِّي لرأس الأعوجي على العدى وحُمر الدِّما من عارضي تصبب
ويا حبذا قول المنادي بسحرة ألا طال هذا الليل يا قوم فاركبوا
أغيروا أغيروا لا يفتكم عدوكم أتموا رؤوس الخيل لا تتهيبوا[1]
وجمعيَ للأعراج والصبح أشهب وسيري أمام الخيل والليل أخطب
وقولي لخيلي لا تَهْلُكُمْ جموعهم وشدوا عليهم تقتلوهم وتسلبوا
ألا هل لأمرٍ شاءه الله دافع وهل لقتيلٍ كاده الله مهرب[2]

وقال عليه السلام معارضة لقصيدة ابن المعتز الميمية في جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة التي يقول فيها:

بني عمِّنا أرجعوا ودّنا وسيروا على السنن الأقوم
لنا مفخر ولكم مفخر ومن يؤثر الحق لم يندم
فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم[3]

إلى آخرها... فقال عليه السلام:

بني عمنا إن يوم الغدير يشهد للفارس المعلم
أبينا[4] علي وصيُّ الرسول ومن خصه باللوا الأعظم
لكم حرمة بانتساب إليه وها نحن من لحمه والدم
لئن كان يجمعنا هاشم فأين السنام من المنسم
وإن كنتم كنجوم السما فنحن الأهلة للأنجم

---

(١) في الديوان: أقيموا رؤوس الخيل والليل أخطب.
(٢) الديوان ٩-١١.
(٣) الديوان ٤٧.
(٤) في الديوان: أبونا.

ونحن بنو بنته دونكم ونحن بنو عمه المسلم
حماه أبونا أبو طالب وأسلم والناس ولم تسلم
وقد كان يكتم إيمانه فأما الولاء فلم يكتم
وأيُّ الفضائل لم نحوها ببذل النوال وضرب الكمي
قفونا محمد في فعله وأنتم قفوتم أبا مجرم[1]

يعني أبا مسلم الخراساني عبدالرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة سبع وعشرين ومائة:

هدى لكم الملك هدي العروس فكافأتموه بسفك الدم
ورثنا الكتاب وأحكامَه على مفصح الناس والأعجم
فإن تفزعوا نحو أوتاركم فَزِعنا إلى آية المحكم
أشربُ الخمور، وفعل الفجور من شيم النَّفرِ الأكرمِ
قتلتم هداة الورى الطاهرين كفعل يزيد الشقي العمي
فخرتم بملك لكم زائل يقصُر عن ملكنا الأدوم
ولا بدَّ للملك من رجعة إلى سالك المنهج الأقوم
إلى النَّفر الشمّ أهل الكسا ومن طلب الحق لم يَظلم
يغشون بالنور أقطارها وتنسل عن ثوبها الأسحم[2]

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٧ .

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٨ .

وقال عليه السلام وقد غزا جنده المهجم وتغنم أمواله، وقتلوا رجاله في ذي الحجة سنة أربع وستمائة:

لا مَا فوارس رحرحان فاعلمي — تُبْلِي بلاء فوارسي في المهجم
في معرك لم يبق فيه ناطقٌ — غيرُ المهنَّد والكمي المُعْلم
صَفَّت جنود الظالمين وحاولت — منع الذمار فعوجلت بالصَّيلم
خفرتهم بيض السيوف وفتية — تنمى إلى الشرف الرفيع الأكرم
قامت قيامتهم بكل مثقف — وبكل عضب كالعقيقة مخذم
فكأنهم والسيف يعمل فيهمُ — أعجاز نخلٍ من طرائق مُلْهَم
لو أنهم ثبتوا لكان بوارُهم — ولكان مثواهم سواء جهنَّم
سارت إليهم بضع عشرة ليلة — في مجهل نأي الأنيس ومَعلم
قطعت إليهم جَوْز كل تنوفة — وتنزَّلت من سُلَّمٍ في سلَّم
تمشي على رجلاتها وصدورها — فيها وتنساب انسياب الأرقم
لم يحمهم إلا فرارٌ صادق — عن صدمة الجيش الأجش الأيهم
نَسجَت لها بُرْدي غبار أقتم — وملاتين من الدخان الأسحم
فكأنَّ عين الشمس مقلة أرمد — وكأنَّ وجه البدر حرف الدِّرهم
وكأنَّ أطراف الحريق المضرمُ — بيض السيوف إذا صُبغن من الدَّم
أسدَتْ بنو حسن وكانت عادةً — منها إذا اكتست السيوف بعَنْدَم
وأكارمٌ من فرع حيدرَ صمَّمت — فيها ووردَّت شأو كلِّ مصمِّم
وحماة همدان ومذحج لم تكن — فيها بهائبة المقام الأعظم
تركَتْ وجوه العرب بيضًا وضَّحًا — وطلت وجوه الأعجمين بعظلم
لولا تغيُّب أحمد بن القاسم الـ — ملك الهمام للذَّ عندي مطعمي
لكن حلاوة دهرنا ممزوجة — بمرارة كالشهد شيب بعلقم
لله درُّ عصابة زيدية — زادتْ على أيام آل مُحلِّم

إن شئت رَدَّدنا الحديث فربَّما سَلَبَ الأخير ملاحةَ المتقدِّم
هاك استمع مني ابتداء مسيرها والسَّعد يقدمها لأيمن مَقْدم
ما غرَّبت للغور غور تهامة والبون يحرز ملأ كفٌ الأجذم
خبطتهم جُرد السوابق خبطة ألصقنَهم بدعائم المتخيِّم
قامت على الجنَّات يوم قيامة فكأنها رُميت بجند الدَّيلم
غطَّى الدخان دروبها وعراصهاً فكأنَّها في جنح ليلٍ مظلمِ
دع ذا ولكن ما مساق حديثهم يوم استقلّوا كالسحاب المرهمِ
جندان كالطودين يبرق فيهما مثل البوارق في العريض المثجم
فيهم بنات الأعوجيٌ ولاحق وبنات شاحج كالجهام الأطخم
جيش تظل البُلْق في حجُراتهٌ ويظل قائده ليُعرف ينتمي
جاءوا كأنَّ الأرض قبض أكُفِّهم والله يعلم كُنْهَ ما لم تعلم
فرمى بشر حينُه ولجاجُه والبغي في لهوات أغلب ضيغم
وحداهم الخَنق الشديد لحربنا والحرب تُبرد غُلَّةَ المتضيِّم
فرميتهم بجحاجح من يعرب شمٌ الأنوف من السَّنام الأكوم
من حاشد أهلِ المفاخر والعلا وذرى بكيلٍ عصمة المستعصم
فرأوا زعافًا لا يذاق فأحجموا والموت كافل نجح عذر المحجم
بَرق الردى من خلفهم وأمامهم والقتل أطيب من ملام اللوَّم
فتحمَّلوا والليل يستر جمعهم لشوابه وخَد الظليم الأصلم
فتلاحقتهم عصبة يمنية لا يسلم الطاغي إذا لم يهزم
فترفَّعوا منها وغودر منهم الـ أشلاء للطير العتاق الحوَّم
راموا تزعزع جندنا إذ صمَّموا فكأنما راموا هضاب يلملم
هي وقعة عندي وليست بالتي تشفي غليل القلب إن لم يفطم
والحرب دائرة ونحن وضدّنا كأخي القداح يفوز إن لم يُحرم

مـا عـذر عـدنان وقـحطان إذا ... خَـذَلَت إمـام الحقِّ حـتف المجـرم

ولواء دين الله يخـفق فـيـهم ... وقـضـاء أهل الظلم ينفـذ فيـهم

قـولوا عـصـينا ربنا وإمـامنا ... فـامـثل بنا يا رب إن لم ترحم

توبوا وقوموا للجـهاد وشمِّروا ... لمنال أجـر في المعـاد ومـغنم

فـالموت حـتمٌ في الرقـاب وغبطة ... يا للرجـال يموت من لم يهـرم

والموت أجمل للفتى من عيشة ... في الذل يرمى دونها بالأسهم[1]

وقال عليه السلام يوم خروجه من صنعاء وأمر بكتابتها على باب القصر سنة اثنتي عشرة وستمائة :

تركنا ديار الظلم والفسق خاليه ... فكم من فتًى باك عليها وباكيهْ

وسوف يُسقَّى القوم كأسًا مريرةً ... وسوف نسوق الجيش للقوم ثانيهْ

فلو نصرتني العرب جمعًا بجمعهم ... لكافحتهم بالمشرفيِّ علانيه

فمالهمُ في الحرب باعٌ ولا يدٌ ... وأمهم في سَوْرَةِ الحرب هاويه

فها نحن حزب الله والله غالبٌ ... وهم حزب أتباع اللعين معاويه[2]

وقال عليه السلام وقد عارضه بعض الباطنية على هذه الأبيات وضمَّن ذلك هجواً وأمر به العجم إليه :

أتقـذف بنت المصطفى ووصيه ... كقـول اليهود الغلف مريم زانيه

ولا عجب قد قال في الله معشرٌ ... مقـالاً يهـدُّ الشمَّ والشمّ راسيه

وقد هُجي المختار أحمد جدُّنا ... فلا قدّس الله المهيمن هاجيه

عشوت فأعشت ناظرَيك أشعةٌ ... إلهيَّـةٌ طهـريَّةٌ متلاليه

كفانا مقال الطهر فيك محمد ... فحسبك ما قد قيل أمُّك هاويه

حميت فجاوزت الحدود تعدياً ... إلى سبِّنا رعيًا لحقِّ معاويه

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٥٠ .

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٩٤ .

فأمَّا ديار الفسق فالفسق ظاهرٌ بفعل صنوف المنكرات علانيه
أينكر شرب الخمر في عقر دارهم وثالثةٌ مما علمت وثانيه
ونحن أمرنا بالسباء حراسةً لدين الهدى من كلِّ شان وشانيه
وقد سنَّه المختار أحمد جدنا بتالي كتاب الله إن كنت راويه
وتابعه جدي المطهَّر حيدرٌ بسبي ليوث الغاب أسرة تاجيه
وما عبدوا ربًا سوى الله ربنا ولا لهم إلا المطهَّر داعيه
ولكن لأحداث أتى الناس فوقها جهاراً فأحمى الفاطميُّ مكاويه
سأحطم عرنينَ الضلال بمنسم[1] يلوح بغاو في الأنام وغاويه
وحاشا حماة الثغر من أن نسبَّهم ولكن بطعن يترك الكبْدَ داميه
سندعوا جنود الله حزب محمد زبانيةٌ فليدع من شاءَ ناديه
وتوعدنا بالخوف من سَوْف يسفعَنْ بناصية منه لدى الروع ناصية
نشأت بها مذ بضع عشرةَ حجَّة إلى اليوم يدري الأكرمون مقاميه
وكم منَّة طوقتها العجم فخمة فصارت لها أعناق حزبك خاليه
وتذكر أملاك الشآم وعندنا هم مثل أبواب الجنان ثمانيه
حماة ثغور المسلمين ومن لهم معال على برج السِّماكين ساميه
رعاهم لنا من شدَّ بالملك أزرهم على كل جبَّار هناك وطاغيه
ونحن طلبنا إرثنا من محمد أبينا بطام في العجاج وطاميه
وكم مقعص منا على صهواتها له عيشة عند المهيمن راضيه
وكم نفس جبار أسالت سيوفنا أُعدَّت لها نارٌ من الله حاميه
فإن نحن أغضبناك فاصبر فإنما بنو النصب معروفون من كلِّ ناحيه
أتحسب أن الشعر يعجز قائلاً وكم خامل لو شاء[2] حبَّر قافيه

---

(1) في نسخة: بميسم.

(2) في (أ): لو قال.

ولكن كـرام الناس يطلب جـزله وما راق من حـرٍّ الكلام مـعـانيه

ولعن ابن حـرب سنَّةً جـدَّنا لنا فـهل بعـده يبـغي الهـداية باغـيه

وقـد أظهـر اللَّعنَ الوصيُّ وإنما وَقَـتْـهُ وردَّته على القـومِ واقـيه

فيا ضيعة الإسلام إن كنت حاميًا عليه لقد أرخصت ويحك غاليه

وأعظمُ فـخـر جـئـتـه أن تسبَّنا وهل يُنكر الكلب العقـور مـواليه

فأما الحصون المشمخرات في الذرى فـهل تلكم الأجناد للشـهب راقيه

ومن دونهـا جُـردٌ عـتـاقٌ وفـتـيةٌ كـرام يروُّون السـيـوف اليـمـانيه

مـصـاليت من حـيَّيْ نزارٍ ويعـرب بهـاليلُ ضـحَّاكـون والأُسـد باكيه

أنا ابن رسـول الله وابن وصـيِّـه وتحـرسني عين من الله كـاليـه

وقد جئتم في السب والقذف منكرًا عظيمًا وما يخفى على الله خافيه

وهمدان ترمي من رماني ومذحجٌ وسنحـان والأمـلاك كندة رامـيه

وخــولان أنصــار الأئمــة إنهــا علينا كــأمٍّ بالمودَّة حــانيــه

وحـمـيـر أرباب الملوك فـجـدُّهم إلى أرض صين الصين أرسل واليه

ومن سادة الأتراك والكرد مـعشرٌ لهم هممٌ نحـو المكارم عـاليـه

فـإن ثقلوا عني فلي في رقـابهم عـهـودٌ تردُّ القوم نحوي ساعـيه

فيا ويلكم عند انقلاب رؤوسهم عليكم بعزمٍ يترك الجنَّ خاسيه[1]

وقال عليه السلام في وقعة شبام وقد أبلى فيها الأمير عماد الدين وقاتل في رجب سنة ستمائة:

كفيت ولم نحضر وما زلت كافيًا وعفْتَ الرِّماح إذ هويت المواضيا

وكنت شجًى بين الوريدين ناشبًا لمن كـان للدين الحنيـفيِّ قـاليًـا

دُعيْتَ عمادُ الدين لمَّا عَمَدْتَه وألقيتَ في الأرجآء منه المراسيا

عَصيتَ العذول في مكافحة العدا وظَلْتَ بمطرور الغرارين عـاصيًا

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٥٣-٢٥٥ .

وعارضت موج الخيل منك بعاصف من الريح يلقي كافح الموج ساجيًا

تعاوت عليك الكرد من كل جانب فجرَّدت عزمًا يترك الليث ساهيًا

فلو حضرت من صيد قومك فتيةٌ للاقوا بها طَعنًا يشيب النَّواصيا

وكانت لهم من دونَ شخصك وقعة على الضد نكرا فخمةٌ هي ماهيا

على أنَّ رهطًا من سلالة حيدر أجابوا إلى طعن النحور المناديا

وقاموا مقاما لم يُشِنْهم حديثه وطال به من كان في البعد نائيًا[1]

وقال عليه السلام بالمخيم المنصور باللطيَّة وكتبها على لسان مولاه مخلص الدين جابر بن مقبل إلى السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى مخيم الغز بالمصانع في بلاد حمير :

دُعانا أبا حسن لم يدع لشقاتكم حيلة تُهتَدى

ونقابكم رام ما قد علمت فأكدى هنالك أو أصلدا

فشدُّوا حيازيمكم للحمام وذوقوا سلاف كؤوس الردى

أيُمسك رحمة ربِّ العباد جهولٌ عدا طوره واعتدى

يبول لكم مثل بول البعير ليحبس من ذي الجلال الجَدَا

فأين الحلومُ؟ وأين العلوم؟ وأين العقول؟ وأين الهدى؟

سموتم لحرب سليلِ الرسول وفرخ البتول وسمِّ العدى

أبوه عليٌّ وصيُّ الرسول وابن الجدا والسُّدى والندا

سما للحروب ولم يلتثم وساد عشيرته أمردا

فأين بكم حين يأتيكم بنو يعرب زاخراً مزبدا

يقودهم من بني حيدر حماةُ الوغى وبنو أحمدا

وكم ملك خفَّفوا حملهُ وقد كان داهيةً أربدا

دَعُوا الحرَّب تسمو بفتيانها ويعتقب الأصيدُ الأصيدا

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٥٥ .

فتدعوا نزال حماة الرجال إذا نكَّص القرن أو عردا
فإن لم تروها تحاكي البزاة تبادر سرب القطا مرصدا
فلا حملتنا جيادُ الجياد تسمو بنا للعلا مصعدا
دعوا سبَّكم لبني أحمد ولا تُغضبُوا فيهمُ أحمدا
فهم سفن تعصم الخائفينَ وأقمارَ رشد بها يُهتدى
وليس يسبّهم من يميز بين الغرابِ وبين الحدا
وأعجب من سبِّهم حربُهم فهل عاقل يتبع الأرَشدا
فخافوا الذي علمه بالخفى كعلم الذكي بما قد بَدا[1]

وله عليه السلام إلى كافة بني الحسن بالصفرآء وينبع:

دَعْ دار ميَّة بالعلياء فالسَّند وما هنالك من نوء ومن وتد
وخالدات ثلاث غير زائلةَ على خصيف كخشف الظبي ملتبد
وقل لركب تؤم البيتَ واردة يا ركب إن لَنا أهلا بذا البلدَ
إذا بلغتم ولا عاقت مطيَّكم عوآئق البين في يُمنٍ وفي رَشَدَ
فأعلنوها على الأحياء ناشدةً لوازم الحق في الأدنى وفي البُعدَ
عمَّت وخصت على الدعوى بني حسن أعزَّ قوم حواهم محفل وندي
وقل لهم دعوة قامت لقائمكم فقايضوها بإنجاز يداً بيدي
فطاعة شملتكم يا بني حسن تهدي إلى قابليها رفعة الأبد
أحقكم يُبتغى من بعد قائمكم كمبتغي الصيد في عرِّيسة الأسد
طال انتظاري لكم والحربُ قائمة والسيف في الكفِّ مني غير منغمد
هذي المنابر لم تعمر بذكركمُ وأنتم الرأس في بدرٍ وفي أحدَ
قالوا الوصي رباعي فقلت لهم ثاني الرسول بلا مين ولا فَندَ
حاسيتهم في أزال كأس حـ فهم وفي ذمار وردت الموت في كبدي

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٦٤ - ٢٦٥ .

فلم تُشنكم مقاماتي ولا صدرت ... سمري ظمآءً من الأحشاء والكبد
حتى تركت على الأعواد ذكركم ... باد على رغم أهل البغي والحسد
زمُّوا المطيَّ وقودوا كلَّ سابحة ... مثل السحوق تباري الريح في الجدد
فإرثكم حازه الأقوام دونكمُ ... وطالب الحق يسعى غير متئد
أنتم سنام بني الزهراء فاطمة ... وصيد فهر وأهل المجد والعدد
وقائلٍ قال لي والحرب قائمة ... والخيل يغسلها مثعنجر النجد
وللخميسين أصواتٌ وغمغمة ... والضرب في البيض يحكي حاصب البرد
وقد نضوت رهيف الحدِّ معتمداً ... قلب الكتيبة لا ألوي على أحد
رفقاً بنفسك إن الموت موردُهُ ... صعبٌ فإن كنت تهوى ورده فَرِدِ
فقلت والخيل خلفي: إن لي أجلاً ... إذا بلغناه لم ينقص ولم يزد
وهل فتًى من علي أصلُ نسبته ... يمشي إلى الموت كالمشدود بالصَّفد
مالي أرى حسنًا قومي مخيِّمة ... عني مسعذَّرةً بالمال والولد
وفيهمُ مقربات غير مقرفة ... تردي بكل طويل الباع منجرد
شمُّ الأنوف إذا ما نوسبوا انتسبوا ... إلى الجحاجح من نَضْرٍ ومن أدد
عليهم كل جدلاء مضاعفة ... من نسج داوود مثل النهر مطَّرد
ولست أنسى حسينًا في الدعاء لها ... وكيف أنسى إذا جدَّ المضاع[1] يدي
بيض الوجوه بهاليل لباسهم ... إلى الملاحم قمصان من الزرد
ينميهم خير من قامت به قدمٌ ... من آل أحمد أعلا من هَدًا وهُدي
منهم إمام الهدى زيدٌ وشافعه ... أخوه باقرُ علم الله ذي الرَّشد
وجعفر الصادق المصدوق من شَهدت ... بفضله ملل الإسلام عن صمد
وسبط زيد الذي بالجوزجان ثوى ... ولو سئلنا فداه بالنفوس فُدي
أئمةٌ أوجب الرحمن طاعتهم ... فمن تنكَّب عنهم في السبيل رُدي

---

(١) في الديوان «المصاغ»، وفي (ب): إذ حط البضاع.

بني النبي أجيبوا من غدا لكمُ … أبرّ من والد برٌّ على ولد
ما زال مجتهدا في ردّ ملككمُ … وملبس الضد ثوب الوَجد والكمدَ
أفي النجيَّة يمسي الحقُّ ذا أود … ويبضكم مثبتات كلَّ ذي أَوَد
أفي المروءة أرجو غيركم وزراً … وأنتم خير مرجوٍّ ومعتَمدَ
أفي الحمية ألقى الجيش منفرداً … ولا مؤازر غير الصارم الفرد[1]

وقال عليه السلام يرثي الأمير[2] مجد الدين يحيى بن محمد رضي الله عنه وقد استشهد غازياً[3] وكانت وفاته في شهر صفر سنة ثمان[4] وستمائة:

أمرُّ الوجد ما أجرى الدموعا … وأضلع من مَضاضته الضليعا
وهاض المشَمخرَّ بناجذيه … وصيَّر كل فرَّاع فريعا
خليلي إن هذا الدهرَ غولٌ … تلوَّن فانبرى خلقًا فظيعا
يخادعنا فيورد ناهلينا … برفق خداعه الآل اللّموعا
ومستسق لدنياه سقته … على ثقة بها السم النقيعا
تنازعنا النفوس لها نزاعًا … فتولينا القطيعة والنزوعا
ونحلب درَّ نائلها ثلوثًا … ونستمري نوائبها ربوعا[5]
فإن ترني جَزعت فطال ما لم … أكن من عظم حادثها جزوعا
فكم من رائع كَرَمًا وبأسًا … أحالته حوادثها فروعا
مصاب الطالبي أبي حسين … حمى أجفان أعيننا الهجوعا
فقدناه حسامًا مشرفيًا … وبحراً زاخراً وحيًا مريعا

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٢٧-١٢٩.
(٢) في (ب): السيد.
(٣) في (ب): غازياً في تهامة في شهر صفر.
(٤) في (ب): سنة تسع.
(٥) في الديوان: (ثلوماً).

إمـام أئمَّــة وشـحـاك ضـدٌّ ... ولـيثًـا خـادراً وحـمًى منيـعـا
نـودِّعــــه ونـأمـل أن يـوافـي ... إلينا في عـسـاكـره سـريـعـا
وفي المعلوم أن الحـشـر وعـدٌ ... مـتى شـمـنا لغـرَّته طلوعـا
دعـتـه منيـةٌ فـأجـاب سـعـيًا ... وكـان لهـا وإن عظمت سـمـيـعـا
مـضى قـدمًـا كـأنَّ الموت غُنمٌ ... ولم يقـصـد إلى الدنيـا رجـوعـا
فـيـا لك من فـقـيـد أورثتنا ... رزيتــه الكآبة والخـشـوعـا
صـريـع أسنَّة الفـسـاق أكْـرم ... به في ذات خـالقـه صـريعـا
شـرى في الله مـهـجـتـه فـأعْـزز ... بهـا وبه على حـال مـبـيـعـا
يهـوِّن مـا ألا قـيـه بأنَّ الـ ... ـذين سطوا به قُـتلوا جـمـيـعـا
وإن أخي سـخـى بالنفس فـيـه ... مـؤاسـاةً فـصـار له ضـجـيـعـا
وإن بني أبي وسـراة قـومي ... وغرٌّ صـحـابتي خـاضـوا النجيـعـا
فـردُّوا السيف مثلومًـا خضـيـبًـا ... وردُّوا الرمح مـقـصـوداً صـديعـا
وصـارت حـوله الأبطال صرعى ... يُشـبِّـهـهـا مـشـاهدها الجذوعـا
حـفـاظ أكـارم عـافـوا الدَّنايا ... وخـافـوا قـول حـاسدهم أُضـيعـا
وقـد هزمـوا أعـاديهم وطالت ... وظل السـيف يختطف المنيـعـا
حمت باقيهم الظلما فـأضـحت ... جـهـالة مـا نأى فـجـراً صـديعـا
ونحن لهـم طوال الدهر حـتـفٌ ... نزيرهـم المهنَّد والوقـيـعـا
علـينـا أن نـزيـرهـم رجـالا ... ترى أدنى مـغـاورها الدُّروعـا
جـيـوشًـا من أفـاضـل كلِّ حيٍّ ... ترى أدناهم بطلا شـجـيـعـا
تظل البُلْق في الحـافـات منهـا ... وتضحي الشامخات لها خشوعا
يكب الطيـر عـشـيـرها فـتـضـحي ... على الأذقـان سـاقطة ركـوعـا
تصـدُّ الريح غـاب السـمـر منهـا ... فـتلزمـهـا على الكره الرجـوعـا
أيحـيى ليت عـينك أبصـرتنا ... لفـقـدك ليس عن ذلٍّ خـضـوعـا

فـقـدنا منك بحـرَ جدًى وعلمًـا ولـيث شـجـاعـة ونـدىً ربيـعـا

ومنبع حكمـــة ولزار خـــصم إذا أضـحى مـقـدَّمـهـا تبيـعـا

وركب كـابدوا لَيـلاً بهـيـمًـا بسطت لهم به خلقًـا وسـيـعًـا

وحـــادثة من الحـــدثان إدٍّ يردُّ الكهل مـعضلهـا رضيعـا

حللت عـقـالهـا وكـشـفت عنهـا وكنت لصيـد نجدتهـا قـريعـا

وكم خَطْب كـشـفت وقـرن شـر تركت مـحطًّ رحلٍ كـان ريعـا

وكم ضاجعت ذا شطب حسامًا إذا الفتيـان ضاجعت الشُّموعا

ليـهنك عيـشك الراضي إذا مـا عـداتك كـان عيشهم الضَّريعا

وقـد ثأرت بك الإخـوان منهم فكن لهم إلى البـاري شـفـيـعـا

ســـلام اللـه زارك كلَّ يوم ورحـمـتـه التي حسنت وقـوعـا

ولا زالـت ذهاب المزن تَهـــمي عليك حَيًا وتستمري الدموعا

ســرورتَ بما غُــمـنا منه وجـدًا وجاور شخصك الملأ الرفيـعـا

تراجــــعك الملائك كل يوم كـلامًا يشبه الشهد النَّصيعـا

فـبـدر الدين صبـرًا واحـتـسـابًا فـمـا كـان الذي وافى بديعـا

وتاج الدين قـد ناداك صبـرًا توارثه أبوك فكن سـمـيـعـا

وقل لسـراة قـومـهم اندبوه[1] وهزُّوا البيض والأسل الشروعا

أبوكم أربط الثـقلين جـأشـاً فكم في مـعـرك هزم الجموعا

وأنتم آله أفـــهل علمــتم أصـولاً قطُّ خـالفت الفـروعـا[2]

◆◆◆

---

(١) في النسخة: (قومك أندبوه) وما أثبتناه من الديوان.

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٨٦-٣٨٨.

وله ﷺ ألفاظ في الحكم فرائد نذكرها هاهنا وهي قوله ﷺ:

كتمان السرُّ رأسُ مال الملوك، الإلحاحُ في مطالبة المفلس تؤدّي إلى الإنكار، أشدُّ ما تكون البدعة صعوداً أقرب ما تكون جمودا، الكذب علّة توجب سوء الظن، الحياء يولّد الجلالة، البذاء يوجب السقاط، الإيمان كله حَسَنٌ وأحسنه الصبر، العصيان كله قبيح وأقبحه الجَزَع، لكلِّ شيءٍ آفةٌ وآفة المروءة سوء الخلق، الحصون أوتاد الممالك، خنادق الجنود الحرس، الإفراط في المزْح يورثُ العداوة، الغلول يؤدّي إلى الحرمان، البَطَر يؤدّي إلى الخذلان، شكر النعمة يؤدّي إلى المزيد، خير الجيوش ما قلَّ حشوه ولم تتنازع أمراؤه، خير الفرسان من عطف عند الجولة وحاذر قبل الصولة، خير النساء من تبثك السرَّ وتقرُّ العين وتثلج الصدر، خير الإخوان المواسي في الشدائد، خير الوزراء من عمَّ نفعه، واتسع ذرعه، من هاب خاب، نائب القدر الكيد، الحزم سوء الظنِّ، مصاحبة الأرذال تؤدّي إلى سقوط المنازل، حبُّ اللئام يَهدم مآثرَ الكرام، مصاحبة أهل الرفعة تؤدّي إلى الرفعة، خيرُ الأموال ما نفع الأقاربَ وضرَّ المُحارب، خيرُ الآباء من يطولُ عنقُ ولده بذكره، وتجري ألسنة الأكثر بشكره، شرُّ البدع ما عارض السنَّة، وشرُّ الولاة من تهاون بالكفاة، وخيرُ الأمراء من انتخب الوزراء، استصغار النعمة يؤدي إلى زوالها، الشكر قيدُ النعمة، والحمد خطامها، الاقتصاد يهوّن الفقر، والتبذير يقلّلُ الوَفْرَ، الحاجة تفتح باب الحيلة، الآجال حصون الأعمار، إذا انقطع الأجلُ مات صاحبه بأقل حادث، الأمانةُ من أصلح مفتاح الرزق، رجآء الشجاع أكثر من يأسه، ويأس الجبانِ أكثر من رجائه، سلطان الحق أشدُّ من سلطان الباطل؛ لأنَّ أحكامه لا يجوز فيها التبديلُ ولا يقبل عنها الفداء، أساس الحكمة العقل، ورأسها الورع، ومادتها الفكر، وآيتها الخشية. العفوُ تاج الملك، والانتقامُ سيفه، والعزمُ رمحه، والكيد سهامه، الكرمُ شجرة أصلها الحياء، والحياء شجرة أصلها العقل، وقلّة الحياء شجرة أصلها الجهل، من تفقّد أحوالَ نفسه قلَّ بالناس اشتغاله،

ومن استعظم نعم الله سبحانه عظم حالُه، ومن صغَّرها كثرت أوجاله وتضاعف بلباله، العقل ميزان والعلم وزَّان، بين الأمانة والخيانة والحزم والمهابة مآلٌ عظيم، ليس العاجز من يترك ما لا يقدر عليه، العاجز من ترك ما يمكنه، دواء الأسف على الماضي نسيانُه، فإن تعذَّر النسيانُ فالتناسي، فراق الحياة أعظم البلوى وأتمُّ الناس نعمةً من لم يُبْتَل إلا بفراق الحياة، أقبح الحرمان حرمان ذي الرَّحم أو مُسدي صنيعة، وأقبحُ الجبن ما كان من نظيرك، وأقبحُ الشحِّ شحُّ الغني[1]، وأقبحُ الرِّياء رياءُ العالم، وأقبحُ النفاق نفاق القادر، وأقبح العشق عشق الشيخ، وأقبح الجهل جهل الشريف، وأحسن العفو ما كان عمَّن هو دونك، قريبُ العهد بالإساءة إليك، وأحسنُ الورع ما كان عمًّا تمسُّ إليه الحاجة ولا ينسب متناوله[2] إلى زيادة.

العدلُ أساس الدِّين؛ لأنَّه لادين لمن لا عدل له وقد يقع العدل ممن لا دين له كالمشركين؛ فإذًا العدلُ يستغني بنفسه عن الدين والدين لا يستغني بنفسه عن العدل، فانظر إلى محلِّه ما أرفعه، وقدمه ما أرسخه، ذكْرُ الموت صعبٌ يهوِّنه ذكر ما بعده من خير وشرٍّ، احتمال بعض الذلِّ أبقى لجملَة العزِّ، الاعتذار بالشغل جهل بقدر النعمة، الموت مصيبةٌ عظيمة يُهوِّنها العلم بوقوع الاشتراك فيها، ما يسترُ الصمات من العورات، كل جارح يصيد بقدره، من الرعية أساس السلطان، الوالي المهين يُسقط هيبة السلطان القوي، الحزم هو الاحتراز مما يقضي العقل بوقوعه لولا الاحتراز، الفشل هو تجويز ما لا يقضي العقل بوقوعه في غالب الأحوال، إكرام الكريم يقوِّي الداعي إلى الكرم، وتعظيم اللئيم يغري باللؤم، السماحة مفتاح الرزق، والشحُّ مفتاح الحرمان في العاجل والآجل، العلمُ بيتٌ بابه التواضع، ومفتاحه الخشية، وعماده الصبر، وسقفه الرجاء، وحيطانه

---

(١) في (ب): بزيادة: المتقدم.

(٢) في (ب): ولا تنسب مناولته إلى حاجة.

السكينة. التكبر من المخلوق جهل بابتداء الخلقة، ترك المكافأة بالإحسان عن الإحسان لؤم، وترك المكافأة بالسيئة عن السيئة مع القدرة كَرَمٌ، نسيان الصنيع ضربٌ من الكفران، عصيان الحليم سفهٌ، وطاعته حلم، الثقة بالقادر عجزٌ، ملاحاة الرئيس فشل، وعصيانه خذلان، الصبرُ قاعدة النصر، العفَّة في مقامات الجدال والقتال خفة، رأس الغنى مغالبةُ الأقدار، الحوادث حشو بطون الليالي والأيام، خفة الجنان[1] الصلافة، الحلمُ قيد العزِّ، السفاهة مفتاح الذل، لجام الحكمة الصمتُ ورحمة الظالم ظلمٌ ونَهْرِ الضعيف تجبُّر ومحاباة فاعل المنكر إغراء له بفعله.

معاجلة الضرُّ قبل استحكام الأمر فشلٌ، وإكثار الكلام من غير إصابة غيٌّ، ما غلبت الجليلَ بمثل الجميل، ما ساد حقودٌ، ولا جاد كنود، ولا استراح حسود، أحسن خصال البرِّ الرجوع إلى الحق، كم من ظالم لم يتجاوز ظلم نفسه، وكم من عادل لم يعدل إلا في نفسه، الجهل حيلة الشيطان، والتواضع قاعدة الإيمان، تصغير الإحسان حلية الإحسان، السلاح حلية الرجل، وواسطة عقده السيف، رُبَّ كلمة خفيفة أدَّ قائلها ثقلُها، وربَّ ضحك ساق حزنًا طويلا، أكثر الناس راحة أقلهم عقلاً، أبخلُ الناس من ترك الحقوق، ليس على من وقَّر الناس غضاضةٌ. ولا نَهْرُ صاحب البدعة فظاظة، هو أدنى نفسًا من ناكح البهيمة أقلُّ حياءً من ذكر يُؤتى، هو أقوى عَزمًا من مستقبل الجيش بالكفاح، هو أضعف بختًا من كلبة حومل، عتاب من هو فوقك حُمْقٌ، وعتاب من هو دونك خُرْقٌ، وعتاب من هو مثلك نصفةٌ، من قدر على كمال وقصَّر فهو العاجز، من اغتمَّ لاعلَّة لغمِّه إلا غمك واسترَّ لا علَّة لسروره إلا سرورك فهو صادق المودَّة، العاهات تجمع السفهاء، حاجةُ السلطان إلى الرَّعية أعظمُ من حاجة الرعية إلى السلطان؛ لأنه يُوجد رعيةٌ لا سلطانَ لها ولا يوجد سلطانٌ لا رعيَّة له، العافية أصلِ لطيب كل

---

(١) في (أ): حفة الجنان.

طيّب، من زرع الشرَّ حصد الندامة، من نام على الخوف أمكن من نفسه، الحربُ حرب المنايا، أصلُ الهزائم اختلافُ الأهواء، الرُّعبُ جند السعداء، أشر من الشر شماتة الأعداء، المهزوم مذموم، كم جاءت حلاوة عافية بمرارة، كم ينغمر في أثناء الحق من الباطل، المتجانن مجنون؛ لأن العاقل لا يرضى بتشنيع نفسه، الشجاع محمودٌ ولو كان على ضلالة، الملل أقوى أسباب زوال الدُّول، إذا أراد الله زوال دولة قوَّى قلوبَ أضدادها، الإهمال لا ينمو معه المالُ، المطلُ أحد أنواع الفقر، التبذيرُ أقوى أسباب الفقر، الهلاك ثمرة الجهل، الإدلالُ على السلطان مثل مداعبة الأسد، كفرانُ الصنيع يزهِّد في أمثاله، تصغير النعمة نوعٌ من الكفران، الشيخ مع أهله فتًى، التعليم لا يغيِّر الطباع، عذر القادر مقبول على كل حال، أشجع الأمم أهلُ الدول المقبلة من كلِّ أمة، المدلُّ على السلطان كالذي يجرِّب السمَّ بنفسه، لا تقوم الضلالات إلا بأرباب الجهالات، مبتدي المعروف إلى من لا يشكر كمن يبذر الزرع في السباخ، العلم كالعروس يحتاج إلى الخلوة، من أحسنتَ إليه وأساء إليك فداؤه السيف إن أجاز ذلك الشرع، ومن أسأت إليه وأساء إليك فداؤه الإحسان، لو كان الجور صورة لكان من أقبح الصور، ولو كان العطاء صورةً لكان يوسف البشر، الأعمال ثمرات الأفكار، إذا كثرت النعم صغرت كبارُها، الطمع ينافي المروءة، حاجة الملك إلى حسن السياسة أكثر من حاجته إلى القوة، النصيحة أصلٌ لصلاح الدِّين والدنيا، الجواب ثمرة المبتدأ فإن كان خبيثا خبث وإن كان طيبا طاب، قوة الشهوة مع التمكن من المشتهى من أجلِّ النِّعم، كلُّ سلطان يجور على رعيته فهو متبَّر الرأي مقطوع الظهر قليل عمر العزِّ، الحصون أرواح الدول، من التعذير طلبُ الحاجة في غير وقتها، من لم يهتم بصغير العدو لم يضطلع بكبيره، معاتبة الجاهل كالذي يناطح الجبل، الحزم أنفع من الشجاعة، الحيلة أجدى من الجلد، المعروف عمارة الدول، قطع المعروف خراب الدول، الدعاء جند لا يغلب، رزقه الإخلاص وكراعه وسلاحه حسن

الرجاء في الله يقطع المسافات البعيدة في لمح البصر، عمارة الولد خراب الوالد، السِّلم موضع سفاهة الجبان والحرب موضع حلمه، قلة الشدَّة تؤدِّي إلى الجرأة، البخل أساس الذل، الجودُ أساس العزِّ، رب حفظ يؤدِّي إلى ضياع، الجهل بحرٌ لا ينجو من ركبه، العلمُ سفينةٌ عاصمةٌ، الكذَّابُ يهوِّن الشديدَ ويقرِّبُ البعيد ويخفِّف الثقيل ويصحِّح المستحيل. المخاطرة بالمعروف أولى من المخاطرة بضياعه، الشهوات حتف أموال السلاطين، من أصاب الرأي وقبل رأي المصيب أصاب من جهتين، من أخطأ الرأي ولم يقبل رأي المصيب أخطأ من جهتين، الخيانة خراب، الأمانة عمران، من كان عقلُه أكبر من قدرته زانته قدرته وإلا فهي شين أو هلاك، من كان عقله أكثر من ماله دامت نعمته في الحالات، من كان ماله أكثر من عقله افتقر في أسرع الأوقات، من كان عقله أكثر من شجاعته غلب الأقران وهزم الشجعان، من كانت شجاعتُه أكثر من عقله شرب الذُّل بالدِّنان وصار فريسةً لأحداث الزمان، من كان علمه أكثر من عقله كان مسخرةً لأهل العقول، من كان عقله أكثر من علمه فهو من ورثه الرسول، عينُ العفاف أمينه، وعين الغضب مجنونة، وعين الهوى خائنة، استخدام العبد عمارة، وإهماله خرابٌ، بركوب الأخطار تقضى الأوطار، ببذل الأموال تبلغ الآمال، مستحقُّ الرئاسة يبتدؤها من أسهاسها، وغير مستحقِّها يبتدؤها من رأسها، وأساسها اللِّينُ والبذل، ورأسها الأخذ والقتل. خوف المجوِّزات حزمٌ، وخوف الواقعات جَزَعٌ، من عصى اللَّبيب العارف اجترفه الجارف، الشيب برصُ الشَّعر ولولا أنه يعمُّ الخلق لكان علَّة ينفر عنها ويعيِّر بها من نزلت به، من العناء تكلُّف الفقراء حالة الأغنياء، الاستقصاء يحمل على العصيان، ربَّ مستيقظ لنائم، ربَّ جازم لعاجز، رُبَّ حافظ لمضيِّع، ما نام من استيقظ جدُّه، ما قدح من كبا زنده، ما نصح من اختلط ودُّه، ما أصاب من غاب رشده، نم على الشوك ولا تنم على الخوف، لا ينفع مهزول العرض سمنُه، لا تُعِر يدك من يقتبس فيها النار، الحريص معان،

أساس الطاعة الحياء، أساس المعاصي الكذب، عظم الأحداث دليلٌ على زوال الدُّول، مِنْ نِقَمِ الثأر ما يورث العار.

وكتب عليه السلام إلى ولده الأمير الناصر لدين الله في شهر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا فيك بلوغ المراد والهدى إلى سبيل الرشاد، أما بعد : فإن أولى الناس بالفضائل من كانت النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة سنخ نسبه ووشيجة لحمته، وكان مسرحه في كلإٍ شَرْعٍ جَدُّه شارعُه، ومعقلُه في ذروة مجد والدُه فارعُه، وإنَّ أمير المؤمنين قد تفرَّس فيك فراسةً رجا فيها الاصابة، وقضت له فيك بالأصالة والنجابة، فإياك أن تكذب فراسته أو تخيِّب ظنَّه، وعليك بالصبر فإنه مُرُّ المبدأ، حلو العاقبة، شمِّرْ في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب، وآثِرْ من ذلك الأهم فالأهم، فأوَّلُ ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم، وقاعدة الدين ومغناطيس النجاة، فتفهمها بالبراهين وتوابعها ولوازمها وما ينبني عليها وينضاف إليها من أفعاله تعالى وأحكام أفعاله وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يجوز أن يفعله وما لا يجوز أن يفعله، والنبوءات والشرائع، والإمامة وتوابعها وما ينبني عليها.

وأتبع ذلك علم اللسان العربي إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلاَّ به، ثم بعد ذلك تعلَّم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها وأسبابها وشروطها وما يشهد لها ويدلُّ عليها من الأقول والأفعال النبوية، واعتمد بعد ذلك على ما صحَّ من إجماع الأمة والعترة، اجعل العمل مطيتك، والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا تركن إلى الاغترار، وتفكَّر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله،

لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليك من طاعة ربك، ولا تسأم الدرس، ولا تَملْ إلى هوى النفس، واغتنم أيام الفراغ فيوشك أن يشغلك الناس بأمورهم عن أمر نفسك، فتكون لهم آلة إلى بلوغ أغراضهم إما مالكًا وإمَّا مملوكًا، وقد ضيَّعت الأهم من غرضك، وبادر أيَّام الشبيبة أن تنفد، فما فات منها فلن يرتدَّ، وليس له بدلٌ ولا به عوض، وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلوم خصوصًا، ولسائر المسلمين عمومًا، والزم الرفق والأناة إلاَّ عن اكتساب الخيرات وفعل الطاعات فبادر ما استطعت فإنه ميدان سباق، وأكره نفسك على مرارة الطاعة لتذوق حلاوة الجزآء والمثوبة، ولا تنس نعمةَ الله سبحانه عليك بشرف النصاب النبوي، وفضل النجار العلوي الذي تقاصرت دونه الأنساب، وخضعت له الأعناق، وأهن[1] نفسك في كسب العلوم لتعزَّ في الدنيا والآخرة، وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان، وإيَّاك والعجلة فإنها حبالة الشيطان، وتحفَّظ من منطقك من عثرة اللسان، ولا تكثر الضَّحك فإنه يميت القلب ويورث الأحزان، وإيَّاك ومجالسة السفهاء فإنها مجانبة للإيمان، وعليك بتوقير أهل الأسنان، واعرف لأهل الحق حقوقهم، وأنزلهم في نفسك منازلهم، ولا تظلم عند القدرة، وأقل العاثر العثرةَ إلا أن تعلم أو تظن أنَّ ذلك مؤدٍّ إلى التمادي في الطغيان، واشكر على القليل، وجاز على الإحسان بالإحسان، وانصف خصمك من نفسك قبل أن تُلجأ إلى حاكمٍ لا يُصغي إلى الإدهان، واستشعر خيفة الرحمن في السرِّ والإعلان، واعرف حقَّ والديك وأدِّه وصلْ رحمك، واخفض للمؤمنين جناحك، وأحسن طاعة من وَلِيَك وسياسة من وليته، ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة، وشمِّر عن ساق الجدِّ، ولا تيأس من إدراك المطلوب، ونفِّس إن استطعت كربةَ المكروب، واحمد الله على كلِّ حالٍ من رخاء أو شدَّة،

---

(١) في (ب): وأمر.

ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرِّضى، ولا محنته لك دليل الغضب، فإنه قد يَبتلي وليَّه، ويَستدرج عدوَّه، فكن عند المحنة أرجا منك عند النعمة، واذكر ربَّك في الرخاء يذكرك في الشدَّة، ولا ترض لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات، فليس مع الراحة رجاحة. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أولاده عليه السلام[1]:

محمد الناصر لدين الله، وأحمد المتوكل على الله، وعلي، وحمزةٌ دَرَج صغيراً، وإبراهيم، وسليمان، والحسن، وموسى، ويحيى، وإدريس درج صغيراً، والقاسم، وفضل درج صغيراً، وجعفر توفي ولا عقب له، وعيسى توفي ولا عقب له، وداوود، وحسين دَرَج صغيراً.

والبنات عشر: زينب، وسيِّدة، وفاطمة، وجمانة، ورملة، ونفيسة، ومريم، ومهدية، وآمنة، وعاتكة.

محمد أمه دنيا بنة قاسم حمزيَّة، وأحمد وعلي أمهما فاطمة بنة يحيى من أولاد الهادي إلى الحق عليه السلام، وجعفر أمه نعم بنة سليمان بن مفرح، وإدريس أمه منعة بنة الفضل بن علي بن حاتم، والباقي لأمَّهات أولاد شتى، وقد أنجبت أمهاتهم جميعًا. ومواقف شرفهم معروفة، ومقاماتهم على الأعداء موصوفة، شعر:

إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرَّقت الأرضُ واليوم قُرّ

وما أحقهم بقول المتنبي:

قومٌ بلوغُ الغلام عندهم ... طعنُ نحورِ الكماة لا الحلمُ

إن برقوا فالحتوف حاضرةٌ ... أو نطقوا فالصوابُ والحكمُ

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا ... فقولُهم خاب سائلي قَسمُ

---

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢٤٦.

أو ركبوا الخيل غير مسرجة ... فإنَّ أفخاذهم لها حُزمُ
أو شهدوا الحرب لاقحًا أخذوا ... من مُهج الدَّارعين ما احتكموا
تُشرق أعراضهم وأوجههم ... كأنها في نفوسهم شِيمُ

عماله عليه السلام وقضاته:

اتفق له عليه السلام عند قيامه من العترة عليهم السلام رجال بذلوا في طاعة الله وطاعته مجهودهم . فولّى الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى قدَّس الله روحه شام بلاد خولان وبني جُماعة وبني نحر والأهنوم، وكان له رضي الله عنه من العناية والاجتهاد ما يليق بمثله حتى لقد أقام يسير في بعض نواحي المغرب داعيا إلى الله تعالى وإلى طاعة الإمام المنصور بالله عليه السلام حتى ورمت قدماه، حكى ذلك الأمير الكبير عماد الدين طوَّل الله عمره على كِبَر سنِّه وضعفه . وولّى الأمير الكبير بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى رضوان الله عليه نجران. وولّى الأمير على بن المحسن رحمه الله صعدة[1] هذا في ابتداء ولايتهم ثم ولّى بعد ذلك صعدة وأعمالها ونجران وما يتصل بذلك الأمير الشهير مجدالدين يحيى بن الداعي إلى الله محمد يحيى بن يحيى الهادي إلى الحق عليه السلام فوليها حتى استشهد رضوان الله عليه . ثم وليها أخوه تاج الدين أحمد بن محمد بن يحيى حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولّى الظاهر آخرًا الشيخ أمير الدين دحروج بن مقبل. وولّى عيان وما يليه إلى نواحي الجهات المغربية من بلاد حجور وقحطان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم رحمه الله وتوفي وهو في يده . وولّى الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي رحمه الله[2] الجوف وأعماله[3]

(١) في (ب): وأعمالها.
(٢) في (ب): رحمه الله.
(٣) في (ب): وأعمالها.

وبقي في يده حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولّى الأمير الكبير عماد الدين ذا الشّرفين أبا المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان مما يلي ظاهر بني صريم إلى الطَّرف وما يتصل به من الجهات إلى بلاد حمير ونواحيها إلى بُكُرْ وما يليه من الجهات المغربية إلى مساقط حراز وبقي في يده إلى أن توفي الإمام عليه السلام . وولّى القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر حقل وخقاليه وما يليهما من بلاد جَنْب ونواحيها ، وفي بلاد مذحج الشيخ عزّان بن سعد[1] والشيخ مفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى وكان فيها من أهل العلم ممن وليّ الفقيه العالم ركن الدين سليمان بن ناصر رضي الله عنه وغيره من أهل العلم ، وقَبَضت ولاتُه الأموال من نواحي الحجاز وكانت تصل إليه موفَّرةً على أيدي رسله عليه السلام واستمراره في نواحي جيلان وديلمان على وفق الأوامر الإمامية على أيدي داعييه محمد بن أسعد ومحمد بن قاسم بن نصير ، وانتظمت الأمور فيها أشدَّ الانتظام ، وأقيمت الحدود ، وجَرَت الأحكام . وولّى القضاء في صعدة وأعمالها القاضي الفاضل محمد بن عبدالله بن أبي النجم رحمه الله تعالى وولده القاضي عبدالله بن محمد بعد أبيه ، والقاضي الفاضل عبدالله بن معرِّف رحمه الله في بلاد وادعة والقاضي عمرو بن علي العنسي رحمه الله في حوث وأعمالها ، وولده القاضي مسعود بن عمرو بعده وهو الشاعر المفلق والخطيب المصقع ، وولّى أيضا القاضي يحيى بن جعفر وكان غزير العلم بالغًا درجة الاجتهاد . أخبرني من أثق به أنَّ الأمام المنصور بالله عليه السلام سُئلَ هل هو مجتهد؟ ، فقال : هو من أكبر المجتهدين ، وكان في اليمن جماعة من أصحاب القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد قدَّس الله روحه وغيرهم منهم الفقيه العالم سليمان بن ناصر رحمه الله ، وكان غزير العلم بالغًا

---

(١) في (ب) : سعيد .

درجة الاجتهاد، ومنهم القاضي الفاضل أحمد بن مسعود الربعاني رحمة الله عليه، ومنهم القاضي فائز بن مقبل وغيرهم من العلماء، وكان في نواحي الحجاز السيد يوسف بن علي الحسني - الشهيد بعناية صاحب بغداد وهو الملقَّب بالناصر أحمد، وكان رحمه الله عالما فاضلاً - على ينبع والصفراء، ومنهم القاضي الفاضل عرفطة بن المبارك رحمه الله في ساية وبلاد بني سُليم إلى مكة وقُتل بها عن أمرِ الناصر أيضًا، والقاضي منصور بن علي البشاري والفقيه داوود بن عبيد الخيبري وغيرهم ممن يطول ذكره وإنما ذكرنا القليل لأن استقصاءهم يخرجنا إلى التطويل، إلاَّ أنا ذكرنا العيون المنظور إليهم من الكفاة والقضاة والدعاة إليه عليه السلام.

ومن مختار ما رُثي به الإمام المنصور بالله عليه السلام قول ولده الأمير الناصر لدين الله أبي القاسم محمد بن عبدالله عليه السلام:

بفيْ الشامتين الترب إن يك نالني ... مصاب أبي أو هَدَّ من عُظمه أزري
عَلَى حين أعيى المقربات فراقهُ ... وسنَّت له أنياب ذي لبَد حُسر
فإن يك نسوان بكين فقد بكت ... عليه الثريَّا في كواكبها الزُّهر
وإن يشمت الأعداءُ يوما فإنني ... على حدثان الدَّهر كالكوكب الدُّري
وما مات من أبقى لمن كان بعده ... سجالين من جود ومن نائل غَمْر
أما إنه لولا احتسابي مصابه ... على كبدي كادت تفيضُ على النحر
رزيَّةُ خَطب جلَّلتنا وجلَّلت ... عماءً على الشمس المنيرة والبدر
ولو لم يكن في مثلنا قبل مثلها ... لما كان من صبر عليها لذي حجْر
ولكنَّها الأيام تُبلي جديدها ... فتمضي ويمضي كل يوم على مُرَّ
وتلك التي تبدو علينا بوجهها ... شتيمًا وتبدو في غلائلها الخُضر
وما طلعت يومًا علينا مشيحةً ... فنَمْنَع منها حدَّ ناب ولا ظُفر
ولكنَّها تبدو بأنياب كالح ... وألحاظ شَنأن من النظر الشزر
فمَنْ للمعالي والعوالي وللنَّدى ... ومن للسريحيات أو للقنا السمر

ومن للعدى بعد ابن حمزة ضامنٌ بذي لجب تبدو عيا ظله مجر
ومن لجياد الخيل إن ظلَّ بينها فتًى منه مأطورٌ وآخر ذو كسر
ومن لليتامى يوم خلفت فلَهم كما خُلفت في الدَّوِّ بيضُ القطا الكُدْر
فلايهنأ الأعدآء مصرع ربِّهم ولا عتقوا من كلِّ جائحة نُكر
وناعٍ بفيك الترب ليتك لم تكن نعيتَ الذي لم يبق منَّا على سَتر
ولم يبق في عليا لؤي بن غالب بقاء فأولى للرَّزية في فهْر
رأيت المنايا لم يدَعْنَ محمَّداً على حاله ولم يدَعْنَ أبا بكر
وأدركن خير الناس بعد محمَّد قتيل التجوبي الذي جاء من مصر
ونلن من الأعراب قيس بن عاصم وعمرو بن كلثوم وعمراً أبا عمرو
وأدركن بسطام بن قيس بن خالد وأدركن ذا التاج الذي كان في حجر
وعيَّت عليٌّ النائبات فلم تدع طريقًا إلى علم كأنيَ لا أدري
فلم أر إلا أنها سوف تنتهي وتلك التي ليست تصح إلى زجر
فلا عين إلا ما استهلت شجونها ولا قلب إلا ما تقلَّب في جمر
لرُزْء أصاب المسلمين فأصبحوا له كالسكارى الشاربين من الخمر
أصيب عليٌّ بالذي لم يكن له كفاءٌ بمحض في شمائله حُر
لعمَّا لك إما بنْتَ غيرَ مودَّع ولا ذا قلى فيناً ولا سيئ الذكْر
كأنك لم تركب جواداً ولم تكن صبرت لأيام محجَّلة غُرّ
ولم تغزُ في خيلٍ يلوح عقابها على رأس ميمون يؤيَّدُ بالنصر
ولم تشر دون المرهقين بطعنة كأنك ليثٌ من خفيَّة ذوأجر[1]
ولم ينتظرك المعتفون لما بهم كما انتظرت غبرُ السنين إلى القطر
وأضياف ليلٍ قد دعوك إلى القرى هدوأ وقد بات المطي بهم يسري
وغامض علمٍ قد كشفتَ وفارسٍ طعنتَ وعانٍ قد فككت من الأسرِ

---

(١) في (ب): حتفة ذواجر.

وبنتَ كـريمٍ قـد نكحت ولم يكن ... لها خـاطب غير المثقفة السُّمر
ومهمة قفرٍ قد قطعت إلى العدى ... بقُبٍّ عتـاق في أعنَّتـها تجـرى
فما كان من هذا فقد كنت أجتني ... جَنى شجـرٍ جـرزٍ مـذاقتـه مُـرٌّ
تولَّت بهـم عنَّا المنون وخلَّفت ... به ذات آطالٍ مـولعـة حُـمـرِ
فـلا أنسين عـهـدًا إليَّ عَـهـدتَه ... أبى الله إلاَّ أن أغـيَّب في قـبـري
ومـا ضـاع من عـهـدٍ أكون وليتـه ... ولا أنا بالواني الضعيف ولا الغمرِ

◆ ◆ ◆

فَصلٌ نختم به الكتاب

وإذ قد فَرغنا من ذكر الأئمة السابقين عليهم السَّلام على قدر ما اتصل بنا من أخبارهم، وإن كان بعضهم لم نقف على خبره على ضرب من التفضيل فكتبنا في حقِّه ما بلغ إلينا من خبره، ونحنُ نحمد اللَّه على ما مَنَّ به من عرفانهم، وهدَى إليه من الاستنارة ببرهانهم، فإنهم الخيرة من الأمَّة، والكاشفون لكلِّ غمَّة، فطوبى لمن سعد باتِّباعهم، وانخرط في سلك أشياعهم، وأخلص لهم الوداد، وفضَّلهم على العباد، وقام بما أمر به في ذرية النبي الهاد، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول اللَّه مَنْ قرابتك الَّذين افترض اللَّه علينا مودَّتهم؟ (قال: فاطمة وولدها)[1] فما حال من نصب لهم الصفاح، وثقَّف لنحورهم

---

(١) أنظر الكشاف للزمخشري ٤/ ٢١٩-٢٢٠ / ط منشورات البلاغة، فتح القدير للشوكاني ٤/ ٥٣٤-٥٣٦، ومجمع البيان للطبرسي ٩/ ٢٨ ط. دار إحياء، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٢١، وجامع البيان للطبري ١١/ ١٤٤ ط. دار الكتب العلمية، والنيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان ٢٤/ ٣٥، والأميني في الغدير ٢/ ٣٠٦، وشواهد التنزيل ٢/ ١٣٠ رقم ٨٢٢-٨٢٩، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤١، وذخائر العقبى ٢٥.

الرماح، وسدَّد لقلوبهم السهام، وجهد في عداوتهم باليد والكلام، لقد اختار الغواية على الهدَى، واستبدل بأنوار اليقين دياجير العمَى، قال ﷺ: «من كان في قلبه مثقال حبَّة من خردل عداوةً لي ولأهل بيتي لم يرح رآئحة الجنة».

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جرير بن عبدالله عن النَّبي ﷺ أنه قال: «من مات على حب آل محمَّد مات شهيدًا، ألا ومَنْ مات على حبٍّ آل محمَّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبِّ آل محمَّد مات تائبًا، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد بشَّره ملك الموت بالجنة ثم منكرٌ ونكير، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد جعل اللَّه زوَّار قبره بالرحمة الملائكة، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد مات على السنَّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جآء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ من رحمة اللَّه، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رآئحة الجنة» وهذا الخبر يكفي في أنَّ شرفهم لا يداني، وفضلهم لا يبارى، وأنهم أساس الدين، وسادة المؤمنين، ومن نظر بعين البصيرة، أخلص للَّه السريرة، علم أنهم أولى الأنام أن يقتدَي بهم أهل الإسلام.

ميِّز يا طالب الهدى والرشاد، بين العذب والملح الثماد، كيف ترضَى بتقديم غير الذرية الأكرمين عليهم في طَلَب الصواب، وهم عدلآء السنة والكتاب، قال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبَّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» فأيُّ شَكٌّ بعد ذلك في أنهم على حق وحقيقة، وأن طريقهم في الهدى أوضح طريقة، سفينة العصمة من المهاوي، والهداةُ من المغاوي، قال النَّبي ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا

آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[1] فهل علمت أيها السامع أن أحداً نجا في زَمنِ نوح عليه السلام إلا من اعتصم بالسفينة العاصمة، ومن برح عنها أخذته أمواج الانتقام المتلاطمة، كذلك العترة عليهم السَّلام، قال بعض الشعرآء :

أعاذلُ إنَّ كسآء التُّقى كسانيَ حبي لأهلِ الكسا
سفينةُ نوحٍ ومن يعتصم بحبلهم يعتلق بالنجا

هم أدلة الحق فلا ترفض دليلك، وصراط الدين السَّويّ فلا تنكب سبيلك، أما إن كل مُنصف يعلم باليقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان في الأحيآء لسآءه ما ارتكبته أمتّه في عترته من قتل وتطريد وتمزيق وتشريد.

لا أضحك اللَّه سنَّ الدَّهر إن ضحكت وآلُ أحمد مطرودون قد قُهروا
مخلَّوْن نُفوا عن عقر دارهم كأنهم قَد جنوا ما ليس يُغتَفروا

إذا قام منهُم القآئم بعد جمعه لخصال الكمال، وتبريزه في محاسن الخلال، تلقت جفاة الأمة دعوته بالإنكار، وحكموا يالهم الويل بأنه من الأشرار، ورفضوا قول النَّبي المختار صلى الله عليه وآله الأطهار، حيث يقول : «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبَّه اللَّه على منخريه في نار جهنم»[2]؛ فهذا نص نبوي بالكبِّ في النار، لمن رفض قآئم العترة الأبرار، فما ترَى حكمه إذا شفع بالملام، وحكم عليه بأنه من الخوارج على أهل الإسلام، وحث على محاربته، وأفتَى بجواز معاداته ومناصبته، يا ويحه ماذا ارتكب، وأي سبيل تنكَّب، صدَّ عن

---

(١) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ١/ ٤٠، والإمام علي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ٤٦٤ بلفظ «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار» والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣ بلفظ «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» وقال حديث صحيح على شرط مسلم والطبراني والأوسط برقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/ ٤٥ برقم ٢٦٣٦.

(٢) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/ ٢٥٥، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٧.

السبيل الواضحة، والأعلام اللائحة، واستبدل بالنور ديجوراً، وترك مسكًا وكافوراً، واعتمد أمراً كان الأولى به أن يكون مهجوراً، ولم يرتض بأن يصير ممن جعل الله بين يديه نوراً، ومن خلفه نوراً، إنَّ مذاهب العترة الهادية أخذها الآخر عن الأوَّل بالبرهان، وأسندوها إلى من نزل عليه الفرقان، واصطفي على كل إنسٍ وجان، فأنوارها تغشي أبصار ذوي الإلحاد، وبراهينها تشجي حلوق الأضداد، وأدلتها تقشع سحب الشكوك، وتوضِّح لطالب الرشد مناهج السلوك، وترفعه في الآخرة إلى منازل الملوك، فتنوَّر بأنوار هدايتهم المشرقة، وارتع في رياض حلومهم المزهرة المؤنقة، واقتطف من دوحاتهم المثمرة المورقة، فإن ثمارها دانية، وأنهارها جارية، سارت مناقبهم مسير الشمس والقمر، وتعلَّت إلى من بدا وحضر، هذا على أن بني أمية وبني العباس قَد جهدوا في دفن مكارمهم وطمس معاليهم و مفاخرهم، فما منعها ذلك عن الانتشار، وكيف تُستَرُ شمس النهار، ولقد كانوا يجاهرونهم بإظهار مناقب العترة عليهم السَّلام، كما رُوِيَ أن هشام بن عبدالملك بن مروان حجَّ في خلافة أخيه سليمان سنةً من السنين فلمَّا كان بالبيت زُوحِمَ على الركن، فكلَّما هَمَّ باستلامه رجع إلى موضع مُصلاه وسلَّم من خلف المقام، واجتمع عنده عِدَّةٌ من الناس وفيهم الفرزدق الشاعر فينظر هشام بن عبدالملك زينَ العابدين صاحب السجادة ذا الثفنات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السَّلام وهو يطوف كلما بلغ الركن انفرج عنه الناس وخُلِّي له حتى يستلمه، فأغضب ذلك هشامًا وغار على زين العابدين عَلَيه السلامِ وهمَّ بالاستهزآء به والاستخفاف فقال: من هذا؟ فقال الفرزدق:

هذا الَّذي تعرف البطحَآء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد اللّه كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
يكاد يلثمه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جَآء يستلمُ

مستنبعٌ من رسول الله نبعته | طابت عناصره والخيم والشِّيمُ
في كفه خيزران ريحه عبق | من كفِّ أروع في عرنينه شممُ
من معشر حبهم فرض وبغضهم | كفر وحُبُّهم منجى ومعتصمُ
مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهم | في كلِّ حين ومختوم به الكلمُ
إن عُدَّ أهل التُّقى كانوا أئمتهم | أو قيل: من خير أهل الأض؟قيل: هم[1]

فأمر هشام بإسقاط صلة الفرزدق من الديوان فبلغ ذلك زين العابدين عليه السلام فأمر له ببدرة، فلمَّا حُملت إليه ردَّها، وقال: إنما تكلَّمت وقلتُ ما قلتُ لله عزَّوجل ولا أقبل عليه عوضًا وأجرًا، وردَّ البدرة على زين العابدين فردها عليه زين العابدين وقال: نَحنُ أهل البيت إذا خرجت عنَّا صلةٌ لم ترجع أبدًا، وحبس هشام الفرزدق بعسفان على مرحلتين من مكة، فقال يهجو هشامًا:

أتحبسني بين المدينة والتي | إليها جميع الناس يهوي منيبُها
يقلِّب رأسًا لم يكن رأس سيد | وعينًا له حولآء باد عيوبها

وللكميت بن زيد رحمه الله في سلطان بني أمية قصآئده المشهورة المعروفة بالهاشميَّات ذكر فيها كثيرًا من مناقب العترة عليهم السَّلام ومثالب بني أمية ولم يكترث بسلطانهم، وهي خمسمآئة بيت وبضع وثمانون بيتًا، وفي الحكاية: أن الكميت جآء إلى الفرزدق فقال: إني قلتُ قصيدةً أريد أن أعرضها عليك، فقال: هات؛ فأنشدَ:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ | ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعبُ[2]

فقال: إلى من طربت ثكلتك أمك؟، فقال:

ولم يُلهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ | ولم يَتَطرَّبني بنان مخضَّبُ

---

(١) ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١.

(٢) ويروى «أذو الشيب يلعب».

وما أنا ممن يزجر الطير همُّهُ ... أصاح غراب أم تعرَّض ثعلبُ
ولا السَّانحات البارحات عشيَّةً ... أمرَّ سليمُ القرن أم مَرَّ أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضَائل والنُّهَى ... وخير بني حوَّاء والخيرُ يُطلَبُ

فقال الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكميت :

إلى النفر البيض الَّذين بحُبِّهم ... إلى اللَّه فيما نابني أتقرَّبُ
بني هاشم رهط النَّبي فإنني ... لهم وبهم أرضَى مرارًا وأغضبُ

فقال : واللَّه لو جزتهم إلى من سواهم لذهب قولك باطلاً ، وفيها يقول :

خفضت لهم مني جناحي مودَّةٍ ... إلى كَنَف عطفاه أهلٌ ومرحبُ
وكنت لهم من هؤلاك ومن أولا[1] ... مِجَنًّا على أنِّي أُذمُّ وأُقصبُ
وأُرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذى فيهمُ وأؤنَّبُ
فما سَاءني قول امرئ ذي سفاهة ... بعوراء فيهم يجتديني فأجدب
فما لي إلاَّ آل أحمد شيعةٌ ... ومالِيَ إلا مذهب الحق مذهب[2]
ومَنْ غيرهم أرضَى لنفسيَ شيعةً ... ومن بعدهم لا من أجلُّ وأُرْجَب
يُعيِّرني جهَّالُ قومي بحبِّهم ... وبغضُهم أدنَى لعار وأعطب
فقل للذي في ظل عمياء جونة ... يرَى الجور عدلاً لا إلى أين تذهب
بأيِّ كتاب أم بأية سنةٍ ... ترَى حُبَّهُم عارًا عليّ وتحسبُ
أأسلَمُ ما تأتي به من عداوةٍ ... وبغض لهم لا جَيْر بَل هو أشجب
ستُقرعُ منهَا سنُّ خزيان نادمٍ ... إذا اليوم ضمَّ الناكثين العصبصبُ
أُريبُ رجالاً منهُم وتُريبني ... خلائق مما أحدثوا هُنَّ أريبُ
إلَيكمَ ذوي آل النَّبي تطلَّعت ... نوازع من قلبي ظمآءٌ وألببُ

---

(١) في هاشميات الكميت «وهؤلا» .

(٢) روي في ديوان الكميت «ومالي إلا مشعب الحق مشعب» وهو بنفس المعنى فيقال : شَعَبَ إذا ذَهَبَ .

وإني على الأمر الَّذي تكرهونه بقولي وفعلي ما استطعت لأجنب
وإني لمن شايعتُم لمشايع وإني فيمن سبَّكم لمسبِّبُ
يشيرون بالأيدي إليَّ وقولهم ألا خاب هذا والمشيرون أخيبُ
فطآئفة قد أكفروني بحبُّكم وطآئفةٌ قالوا مسيءٌ ومذنبُ
فما سَآءني تكفير هاتيك منهُم ولا عَيبُ هاتيك التي هي أعيبُ
يعيبونني من جهلهم وضلالهم علَى حبُكم بَل يسخرون وأعجبُ
وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه بذلك أدعى فيهم وألقَّبُ
فلا زلتُ منهُم حين يتهمونني ولا زلت في أشياعكم أتقلبُ
على ذاك إجريَّاي وهي ضريبتي ولو جمعوا طُرًّا عليَّ وأجلبوا
وأحمل أحقاد الأقارب فيكم ويُنْصب لي في الأبعدين وأنصبُ
بخاتمكم كَرْهًا تجوز أمورهم فلم أر غصبًا مثله حين يُغْصَبُ
وبُدِّلَتَ الأشرارُ بعد خيارها وجَدَّ بها من أمةَ وهي تلعبُ
وجدنا لكم في آل (حم) آية[1] تأوَّلها منَّا تقيٌّ ومُعْرِب
وفي غيرها آيًا وآيًا تتابعت لكم نصبٌ فيها لذي الشكٌ منصب
بحقكم أمست قريش تقودنا وبالفذُ منها والرِّديفين نركبُ
إذا اتضعونا كارهين لبيعة أناخوا لأخرَى والأزمَّة تُجذَبُ

وقال فيها:

ألم ترني من حبِّ آل محمَّد أروح وأغدوا خآئفًا أترقَّبُ
كأني جان مُحْدِثٌ وكأنماَ بهم يُتَقي من خشيةَ العُرِّ أجرب
على أيٌ جُرمٍ أم بأيَّة سيرة أعنَّفُ في تقريظهم وأكذَّبُ
أناسٌ بهم عزَّت قريش فأصبحواَ وفيهم خباء المكرمات المطنب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣].

مصفَّون في الأحساب محضون نجرهم هم المحض منَّا والصريح المهذب
خضمُّون أشرافٌ لهاميمُ سادةٌ مطاعيمُ أيسارٌ إذا الناس أجدبوا
إذا ما المراضيع الخماص تأوَّهت من البرد إذ مثلان سَعْدٌ وعقرب
وحاردت النُّكد الجلادُ ولم يكن لعقبة قدر المستعيرين مُعْقب
وبات وليد الحي طيان ساغبًا وكاعبهم ذات العفَاوَة أسغب
إذا نشأت منهُم بأرض سحابةٌ فلا النبت محضورٌ ولا البرق خُلَّب
إذا ادلمست ظلماء أمرين حندسٌ فبدرٌ لهم فيها مضيءٌ وكوكبُ
وإن هاج نبت العلم في الناس لم تزل لهم تعلةٌ خضراء منه ومذنبُ
لهم رُتَبٌ فضلٌ على الناس كلِّهم فضَائل يستعلي بها المترتِّب
مساميح منهُم قَائلونَ وفاعلٌ وسبَّاق غايات إلى الخير مُسْهبُ
أولاكَ نَبيٌّ اللَّه منهُم وجعفرٌ وحمزةُ ليثُ الفيلقين المجرِّب
وحيدرة الكرار في كل معرك إذا صارت الأبطال فيه تقصب[1]
هُمُ ما هُمُ وتراً وشفعًا لقومهم لفقدانهم ما يعذر المتحوِّب[2]

وقال في قصيدة أخرى :

قومٌ إذا املَولَحَ الرجالُ على أفواه من ذاق طعمهم عَذُبوا
هَيْنُون لَيْنونَ في بيوتهم سنخ التقى والفضَائلُ الرُّتبُ
إن نزلوا فالغُيُوث باكرة والأسدُ أسدُ العرين إن ركبوا
والطيبون المبرّؤون من الـ آفة والمُنتجبُون والنُّجُبُ
والسالمون المطهَّرون من العيـ ـب ورأسُ الرؤوس لا الذَّنَبُ
زُهْرٌ أصحاءُ لا حديثهم واه ولا في أديمهم عَطَبُ
والعارفو الحقَّ للمدّل به والمستقلُّو كثيرَ ما وَهَبُوا

---

(١) نقل هذا البيت من حاشية النسخة «ب» .

(٢) أنظر هاشميات الكميت ٤٣ - ٨١ .

والمحـرزو السَّـبق في مـواطن لا ... تُجـعل غـايات أهلهـا القـصبُ
والكاشـفـو المفظِع المهم إذا التـفـ ... ـف بتـصـدير أهلهـا الحـقَب[1]

وقال أيضًا :

مَن لِقَلب مُـتَيَّم مُـسـتَـهـامِ ... غَـيـر مـا صَـبـوَة وَلا أحـلامِ
طارقـــات ولا ادكّـــار غـــوانٍ ... واضــحـــات الخُـدودكـالآرام
بَـل هَـوايَ الَّـذي أجـنُّ وأُبـدي ... لِبَـني هاشـمٍ فُـــروعِ الأنـامِ
للقَــريبينَ من نَدًى والبَـعـيـديـ ... ـنَ منَ الجَـور في عُـرَى الأحكامِ
والمُصــيـبينَ بابَ مــا اخطأ النّا ... سُ وَمُـرسي قَـواعـد الإسـلامِ
والحُـمـاةِ الكُفـاة في الحَـرب إن ... لَفَّ ضِـرامًـا وَقُـودُها بِضـرامِ
والغُـيُـوث الّذينَ إن أمـحَلَ النّا ... سُ فَـمَـأوَى حَـواضن الأيتـامِ
والوُلاة الكُفـــاة للأمـــر إن طَرّ ... قَ يَتنًا بِمُـــجـــهِض أو تَمـامِ
والأُسـاةِ الشُّـفَـاةِ للداء ذي الرِّيـ ... ـبَـــةِ والمُدركين بالأوغـــامِ
والرَّوايا الَّتي بهـا يَحـمِلُ النّا ... سُ وُسُـوقَ المُطَبَّـعـات العظامِ
والبـحـور الَّتي بهـا تُكشَفُ الحرَّ ... ةُ والـدّاءُ مِـن غَـلـيـلِ الأُوامِ
لكَثـيـرينَ طَيِّـبينَ منَ النّا ... سِ وبَرّينَ صـادقينَ كِــرامِ
واضـحي أوجُـه كَـريمي جُـدُود ... واسطي نسـبـة لهـام فَـهـامِ
للذُّرَى فـالذُّرَى منَ الحَسَب الثـا ... قِب بَينَ القَـمـقـامِ فـالقَـمـقـامِ
راجحي الوَزن كاملي العَدل في السيـ ... ـرَةِ طَبِّينَ بالأُمـور الجِـسـامِ
فَضَلُوا النّاسَ في الحَديث حَديثـا ... وَقَـــديمـا في أوّلِ القُـــدّامِ
مُـسـتَـفـيـدينَ مُـتلفينَ مـواهيـ ... ـبَ مَطاعـيـمَ غَـيـرَ مـا أبرامِ
مُـسـتَـعـفَّينَ مُـفـضلِينَ مَـسامـيـ ... ـحَ مَراجيحَ في الخَميسِ اللُّهامِ

---

(١) هاشميات الكميت ١٢٠-١٢٢ .

وَمَــداريكَ للذُّحُــول مَـتــاريـ ـكَ وَإن أُحـفظُوا لعُــور الكَلامِ

لا حُـبـاهُم تُحَلُّ للمَنطق الشّـغـ ـب ولا لـلُّـطَـامِ يَـوم الـلُّـطَـامِ

أبطَحـيِّينَ أريَحـيِّينَ كَــالأنـ جُمِ ذات الرُّجُــومِ والأعــلامِ

غـالبـيِّينَ هاشـمـيِّينَ في العلـ ـمِ رَبَوا من عَطيَّــة العَــلاَّمِ

وَمُـصَـفَّينَ في المَناسب مَـحـضـ ـينَ خضَمِّينَ كـالقُرُومِ السَّوامي

وَإذا الحَـربُ أومَـضَت بسَنَا البَـر قِ وَسَارَ الهُـمـامُ نَحوَ الهُـمَـامِ

وَرَأيت الشَّــريج يَحنِنَّ والنَّبـ ـعَ بمَكسُــورَة الظُّهــار اللُّؤامِ

فَـهُمُ الأُسدُ في الوَغَى لا اللّواتي بَينَ خـيس العَـرين ذي الآجـامِ

أُسدُ حَرب غُيُوثُ جَدب بَهاليـ ـلُ مَـقـاويلُ غَـيـرُ مـا أفـدامِ

لا مَــهــاذيرَ في النَّديّ مَكاثيـ ـرَ وَلا مُـصـمَـتينَ بالإفـحـامِ

ســادَة ذادَة عَن الخُــرَّد البيـ ـض إذا اليَــومُ كــان كـالأيامِ

وَمَــغــاييـرَ عندَهُنَّ مَـغـاويـ ـرَ مَـســاعـيـرَ لَيلَةَ الإلجـامِ

لا مَــعــازيلَ في الحُـرُوب تَنابيـ ـلَ وَلا رَائمينَ بَوَّ اهـتـضـامِ

وَهُمُ الآخـذُونَ من ثِّقَـةَ الأمـ ـر بتـقـواهُمُ عُـرَى لا انفـصـامِ

والمُصـيـبُونَ والمُجـيـبُونَ للدَّعـ ـوَة والمُحـرزُونَ خَـصلَ التَّرامي

وَمُـحلُّونَ مُـحـرمُـونَ مُـقـرُّو نَ لَحـلٍّ قَــرارَةً وَحَــرامِ

سـاسَـةٌ لا كَـمَن يَرَى رعـيَـةَ النّا س سَـوَاءً وَرعـيَــةَ الأنعـامِ

لا كَـعَـبـد المليك أو كَـوَلـيـد أو سُلَيـمـانَ بَعـدُ أو كَـهـشـامِ

مَن يَمُت لا يَمُت فَـقـيداً وَمَن يَحـ ـيَى فَــلا ذُو إلٍ وَلا ذُو ذمــامِ

رَأيُهُ فـيــهم كَـرَأي ذَوي الثُّلَّـ ـة في الثـائجـات جُنحَ الظَّلامِ

جَزَّ ذي الصُّوف وانتقاءً لذي المَخَّـ ـة وانعَق وَدَعـدَعـا بالبـهـامِ

فَـهُمُ الأقـرَبُونَ من كُلِّ خَـيـرٍ وَهُـمُ الأبعَــدُونَ من كُلِّ ذامِ

وَهُمُ الأرْأفُونَ بالنّاسِ في الرأ ... فَةِ والأحلمُونَ في الأحلامِ

بَسَطُوا أيديَ النَّوالِ وكَفُّوا ... أيديَ البَغْيِ عَنهُم والعُرامِ

ركبوا القسطَ واستقاموا عليه ... حين جارت زَوامِلُ الآثامِ[1]

عيَراتُ الفَعالِ والحَسَبِ العَوْ ... دِ إلَيهِمْ مَحطُوطَةُ الأعكامِ

أُسرَةُ الصّادقِ الحَديثِ أبي القا ... سِمِ فَرعِ القُدامسِ القُدّامِ

خَيرِ حَيٍّ ومَيِّتٍ من بني آ ... دَمَ طُرّاً مَأمُومِهم والإمامِ

كانَ مَيتاً جنازَةٍ خَيرُ مَيتٍ ... غَيَّبَتهُ حَفائرُ الأقوامِ

وَجَنيناً ومُرضَعاً ساكنَ المَهـ ... ـدِ ويَعدَ الرِّضاعِ عندَ الفطامِ

خَيرُ مُستَرضَعٍ وَخَيرُ فَطيمٍ ... وَجَنينٍ أقَرَّ في الأرحامِ

وَغُلاماً وَناشِئاً ثُمَّ كَهلاً ... خَيرُ كَهلٍ وَناشِئٍ وَغُلامِ

أنقَذَ اللّهُ شلوَنا من شَفا النّا ... رِ به نِعمَةً منَ المُنعامِ

لَو فَدَى الحَيُّ مَيِّتاً قُلتُ نَفسي ... وَبَنِيَّ الفِدا لتلكَ العظامِ

طَيِّبُ الأصلِ طَيِّبُ العُودِ في البَنـ ... ـيَةِ والفَرعِ يَثرِبِيٌّ تهامي

أبطَحِيٌّ بمَكَّةَ استَثقَبَ اللّـ ... ـهُ ضِيَاءَ العَمَى به والظّلامِ

وَإلى يَثرِبَ التَّحَوُّلَ عنها ... لِمَقامٍ عن غَيرِ دارِ مُقامِ

هجرَةٌ حُوِّلَت إلى الأوسِ والخَز ... رَجِ أهلِ الفَسيلِ والآطامِ

غَيرَ دنيا مُحالِفاً واسمَ صدقٍ ... باقِياً مَجدُهُ بَقاءَ السَّلامِ

ذُو الجَناحَينِ وابنُ هالَةَ[2] منهُم ... أُسدُ اللّه والكَمِيُّ المُحامي

لا ابنُ عَمٍّ يُرَى كَهذا وَلا عَـ ... ـمٌّ كَهذاكَ سَيِّدِ الأعمامِ

---

(١) في هاشميات الكميت :

أخذوا القصد واستقاموا عليه ... حين مالت زوامل الآثام

(٢) يعني حمزة بن عبدالمطلب وأمه هالة بنت وهيب.

والوَصيُّ الَّذي أمالَ التَّجُوبـ ـيُّ[1] به عَرشَ أمَّةٍ لانهدامِ

كانَ أهلَ العَفافِ والمجدِ والخيـ ـرِ ونَقضِ الأمورِ والإبرامِ

والوَصيُّ الوَليُّ والفارسُ المُعْـ ـلِمُ تحتَ العَجاجِ غيرُ الكَهامِ

كَم لَهُ ثُمَّ كم لهُ من قَتيلٍ وَصَريعٍ تَحتَ السَّنابكِ دامي

وَخَميسٍ يَلُفُّهُ بخَميسٍ وَفِئامٍ حَواهُ بَعدَ فِئامِ

وَعَميدٍ مُتَوَّجٍ حَلَّ عَنهُ عُقَدَ التَّاجِ بالصَّنيعِ الحُسامِ

قَتَلُوا يَومَ ذاكَ إذ قَتَلُوهُ حَكَمًا لا كَغابرِ الحُكّامِ

راعيًا كانَ مُسجِحًا فَفَقَدنا هُ وَفَقدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ

نالَنا قَتلُه وَنالَ سِوانا باجتِداعٍ منَ الأُنوفِ اصطِلامِ

وَأشتَّت بنا مَصادرُ شَتَّى بَعدَ نَهجِ السَّبيلِ ذي الآرامِ

جَرَّدَ السَّيفَ تارَتَينِ منَ الدَّهـ ـرِ على حينِ درَّةٍ من صَرامِ

في مُريدينَ مُخطئينَ هُدَى اللَّـ ـهِ وَمُستَقسِمينَ بالأزلامِ

وَوَصيُّ الوَصيِّ ذي الخُطَّةِ الفَصـ ـلِ وَمُردي الخُصُومِ يَومَ الخِصامِ

وَقَتيلٌ بالطَّفِّ[2] غُودِرَ منهُ بَينَ غَوغاءِ أُمَّةٍ وَطَغامِ

تَركَبُ الطَّيرُ كالمجاسِدِ منهُ مَعَ هابٍ منَ التُّرابِ هَيامِ

وَتُطيلُ المُرزَّءاتُ المَقاليـ ـتُ عَلَيهِ القُعودَ بَعدَ القِيامِ

يَتَعَرَّفنَ حُرَّ وَجهٍ عَلَيهِ عُقبَةُ السَّروِ ظاهرًا والوَسامِ

قَتَلوا (يوم ذاك)[3] إذ قَتَلوهُ أكرَمَ الشّاربينَ صَوبَ الغَمامِ

وَسَميُّ النَّبيِّ[4] بالشِّعبِ ذي الخَيـ ـفِ طَريدُ المُحِلِّ[5] ذي الأحرامِ

---

(١) التجوبي : عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

(٢) يعني الإمام الحسين بن علي (ع) والطف: شاطئ الفرات.

(٣) في الديوان: قتل الأدعياء.

(٤) يعني محمد بن الحنفية.

وَأَبُو الفَضلِ إنَّ ذِكرَهُمُ الحُلـ ... ـوَ بِفِيَّ الشِّفَاءُ لِلأَسقامِ

فِيهِمُ كُنتُ لِلبَعِيدِ ابنَ عَمٍّ ... واتُّهِمتُ القَرِيبَ أَيَّ اتِّهامِ

وَرَأَيتُ الشَّرِيفَ فِي أَعيُنِ النا ... سِ وَضِيعًا وَقَلَّ مِنهُ احتِشامِي

وَتَناوَلتُ مَن تَناوَلَ بالغَيـ ... ـبَةِ أَعراضَهُم وَقَلَّ اكتِتامِي

مُعلِنًا لِلمُعالِنِينَ مُسِرًّا ... لِلمُسِرِّينَ غَيرَ دَحضِ المَقامِ

مُبدِيًا صَفحَتِي عَلَى المَرقَبِ المُعـ ... ـلَمِ بِاللهِ قُوَّتِي واعتِصامِي

ما أُبالِي إذا حَفِظتُ أَبا القا ... سِمِ فِيهِم مَلامَةَ اللُّوَّامِ

ما أُبالِي وَلَن أُبالِيَ فِيهِم ... أَبَدًا رَغمَ ساخِطِينَ رِغامِ

فَهُمُ شِيعَتِي وَقِسمِي مِنَ الأُمَّـ ... ـةِ حَسبِي مِن سائِرِ الأَقسامِ

إن أَمُتْ لا أَمُتْ وَنَفسِيَ نَفسا ... نُ مِنَ الشَّكِّ فِي عَمًى وَتَعامِي

عاذِلًا غَيرَهُم مِنَ النّاسِ طُرًّا ... بِهِمُ لا هَمامِ لِي لا هَمامِ

لَم أَبِع دِينِيَ المُساوِمَ بِالوَكـ ... ـسِ وَلا مُغلِيًا مِنَ السُّوّامِ

أَخلَصَ اللهُ لِي هَوايَ فَما ... أُغرِقُ نَزعًا وَلا تَطِيشُ سِهامِي

وَلِهَت نَفسِيَ الطَّرُوبُ إلَيهِم ... وَلَهًا حالَ دُونَ طَعمِ الطَّعامِ

لَيتَ شِعرِي هَل ثُمَّ هَل آتِيَنهُم ... أَم يَحُولَنَّ دُونَ ذاكَ حِمامِي

إن تُشَيِّعْ بِيَ المُذَكَّرَةُ الوَجـ ... ـناءُ تَرمِي لُغامَها بِلُغامِي

عَنتَرِيسٌ[1] شِملَّةٌ ذاتُ لَوثٍ ... هَوجَلٌ مَيلَعٌ كَتُومُ البُغامِ

تَصِلُ السَّهبَ بِالسُّهُوبِ إلَيهِم ... وَصِلَ خَرقاءَ رُمَّةً فِي رِمامِ

رَدَّهُنَّ الكَلالُ حُدبًا حَدابِيـ ... ـرَ وَحَدُّ الإكامِ بَعدَ الإكامِ

فِي حَراجِيجَ كالحَنِيِّ مَجاهِيـ ... ـضَ يَخِدنَ الوَجِيفَ وَخدَ النَّعامِ

---

(٥) الحل : يقصد عبدالله بن الزبير أحل القتل بمكة .

(١) الناقة العليقة .

يَكتَنفنَ الجَـهـيضَ ذا الرَّمَق المُعـ ـجَـل بَعـــدَ الحَنين بـالإرزامِ
مُنكَرات بَأنفُس عـــارفـــات بعُـيُـون هَوامل التّـســجـام
مـــا أبالي إذا أنخنَ إلَيــــهـم نَقَبَ الخُفُّ واعــتـــراقَ السَّنام
يَقْضِ زَوْرٌ هُناكَ حَقَّ مَـــزُوريــ ـنَ ويَحبُ السَّلام أهلَ السَّلامِ[1]

ومن قصيدة له أخرى :

فـقل لبَني أمـيــة حـيث حلُّوا وإن خـفت المهنّد والقطيـعــا
أجـاع اللّه من أشـبـعـتـمـوه وأشبع من بجـوركم أُجيـعـا[2]

هذا والكميت بن زيد جارٌ لخالد بن عبدالله القَسْري بالعراق وسيف خالد يقطر من دمَاء الشيعة ظمئان منها لا يروى ، وكذلك الحال في أيام المسوّدة فإنَ الأمر ظاهر في انتشار مناقب العترة عَلَيهم السَّلام على إخافة بني العباس لمن مال إليهم ، وتدميرهم لمن تحنَّن عَلَيهم ، قال منصور بن الزبرقان وهو على بساط هارون :

آلُ النَّبي ومن يحـــبـــهـم يتطامنون مـخـافـة القـتلِ
أمنَ النصـارى واليـهـود وهم من أمـة التـوحـيـد في أزْلِ

وقال إبراهيم بن العباس شاعرهم وكاتبهم في الرِّضَى علي بن موسى عليه السلام في أيام المأمون :

يُمنُّ عليكم بأمــوالـكم وتعطون من مـائة واحــدا
فـلا حَـمـد اللّه مـسـتـبـصـراً يكون لأعـدآئكم حـامــدا

وممن أغـرِي بمدح أهل البيت عليهم السَّلام دعْبل بن علي بن رزين بن تميم بن نهشل ، وقيل : نيهش الخزاعي ، وكان مفوّهًا بليغًا متشيِّعًا معروفًا بحبِّ

---

(١) هاشميات الكميت ١١-٤٢ .

(٢) هاشميات الكميت ص١٩٨ .

أهل البيت عليهم السَّلام، منقطعًا في بغض الخلفاء وهجوهم حتى لم يُبْق منهم أحدا ولا من وزرآئهم وهو معروف بذلك، وقصيدته «مدارس آيات خلت من تلاوة» من فاخر المديح وحسن الشعر المقول في أهل البيت عَلَيهم السَّلام، وقصد بها الرِّضَى علي بن موسى عليه السلام بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه. وروَى الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الكاتب المعروف بالأصبهاني قال: أخبرني الحسن بن علي بإسناد يرفعه إلى موسى بن عيسى المروزي وكان منزله بالكوفة في رحَبْة طيٍّ قال: سمعت دعبل بن علي وأنا صبيٌّ يتحدث في مسجد المروديّة قال: دخلت على علي بن موسى الرضَى، فقال لي: أنشدني شيئًا مما أحدثت بعدنا؛ فأنشدته:

مــــدارسُ آيات خَلَتْ من تلاوة ... ومنزلُ وحيٍ مُقْفِر العرصات

حتَى انتهيت منهُا إلَى قولي:

إذا وُتِرُوا مــــدُّوا إلى واتريهم ... أكـفّـا عن الأوتار منقبضات

قال: فبكى حتى أُغمي عَلَيه، وأومَى إليَّ خادمٌ على رأسه أن اسكت فسكت فمكثت ساعة ثم قال: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضا فأصابه مثل الَّذي أصابه في المرة الأولى وأومى الخادم إليَّ أن اسكت فسكت، ثم مكثت ساعة أخرى ثم قال لي: أعد فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها فقال: أحسنت ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرِبت باسمه ولم يكن وقعت إلى أحد بعد، ثم أمر لي من في منزله بحُليٍّ كثير أخرجه الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منهُا بعشرة اشترتها مني الشيعة، فحصلت لي مائة ألف درهم وكان أول مال اعتقدته.

وروى الشيخ أبو الفرج أن ابن مهروية قال: وحدثني حذيفة بن أحمد أن دعبلاً قال له: استوهَبَ من الرضى ثوبًا قَد لبسه ليجعله في أكفانه، فخلع جُبَّةً

كانت عليه فأعطاه إياها، وبلغ أهل قُمّ خبره فسألوه أن يبيعهم إيَّاها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل، فخرجوا عَلَيه في طريقه فأخذوها غصبًا وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم، فقال: إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ولا تنفعكم غصبًا، وأشكوكم إلى الرضَى ﷺ، فصالحوه على أن يعطوه الثلاثين الألف وفَرْد كُمّ من بطانتها فرضي بذلك. **والقصيدة هي هذه**:

مَدَارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصاتِ

لآل رسول اللّه بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمراتِ

ديارُ عليٍّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ

ديارٌ عفاها جور كل منابذ ... ولم تعف للأيام والسنواتِ

قفا نسأل الدار التي خفَّ أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلواتِ

وأين الألى شطَّت بهم غُربة النوَى ... أفانين بالأطراف منقبضات[1]

هم أهلُ ميراث النَّبي إذا اعتزوا ... وهم خيرُ قادات وخير حماة

وما الناس إلا حاسدٌ ومكذِّبٌ ... ومضطغن ذو إحنة وترَاتِ

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبراتِ

قد لاينوه في المقال وأضمروا ... قلوبًا على الأحقاد منطوياتِ

قبوراً بكوفان وأخرَى بطيبة ... وأخرَى بفخ نالها صلواتي

وقبراً بأرض الجوزجان نُحِلُّه[2] ... وقبراً بباخمرا لدَى الغرباتِ

وقبراً ببغداد لنفس زكيَّة ... تضمَّنها الرحمن بالغرفاتِ

وقبرا بطوس يالها من مصيبة ... تردَّد بين الصدر والجنحاتِ

فأما المصمَّات التي لستُ بالغًا ... مبالغها مني بكنْه صفاتِ

---

(١) بالآفاق.

(٢) في (ب): محله.

إلى الحشر حتَى يبعث اللّه قآئما ... يفــرِّج منهــا الهمَّ والكُرُبات

نفوسا لدى النهرين من بطن كربلا ... مـعـرَّسُـهُم فـيـهـا بشطِّ فـرات

أخـاف بأن أزدارهم فـيـشـوقني ... مـعـرَّسُـهم بالجـزع من نخـلات

تقـسَّـمـهم ريبُ المنون كـمـا ترَى ... لهم عـقـوة مـغـشـيـة الجـمـرات

سـوَى أنَّ منهُم بالمدينة عـصـبـة ... مـدَى الدهر أنضـاءً من الأزمـات

قليلةُ زوَّارٍ خـــلا بعـض زوَّرٍ ... من الضَبْع والعقبان والرَّخمات

لهـا كل حين نومـة لمضـاجع ... لهم في نواحي الأرض مُخْتلفَات

وقد كان منهُم بالحجاز وأرضها ... مـغـاويرُ يجـتـازون في السَّروات

تنكَّبُ لأواء السنِّينَ جـوارَهُمْ ... فلم تصطليهم جـمـرة الجـمـرات

حـمًى لم تضـره المندبات وأوجـه ... تضيء من الأسـتـار في الظلمـات

إذا أوردوا خـيـلاً تَشـمس بالقنَى ... مـسـاعُر جـمـر الموت والغَـمَرَات

وإن فَـخـروا يومًـا أتوا بمحـمَّـد ... وجبريلَ والفرقَان ذي السُّورات

أولئكَ لا شـيـخُ هند وتربهــا ... سـمـيَّـة من نَوكى ومنْ قَـذرات

مـــلامُكَ في آل النَّبي فــإنَّهُم ... أودَّاي مـا عـاشـوا وأهلُ ثقـاتي

تخـيَّـرتهم رُشـدًا لأمـري لأنَّهُم ... على كلِّ حـال خـيـرةُ الخـيـرات

فـيـاربِّ زدْني في يقـيني بصـيـرةً ... وزدْ حُـبَّـهم يا ربُّ في حـسـناتي

بنَفْسيَ أنتُم منْ كُـهـول وفـتْـيَـة ... لفَكِّ عُنَـات أو لحـــمـل ديات

وللخيل لمَّـا قـيَّـد الموتُ خَطْوَهَا ... فــأطْلَقـــتمُ منهُنَّ بالذربات

أحبُّ قصيَّ الرَّحم منْ أجْلِ حبِّكُم ... وأهجـر فـيكم زَوْجَـتي وبَنَاتي

وأكـتمُ حُـبيكم مَـخَـافـةَ كَـاشح ... عنيف لأهل الحق غـيـر مُـوات

لقدْ خفْتُ في الدنيا وأيام سَعْيها ... وإني لأرجـوا الأمن بعـدَ وفَـاتي

ألمْ تَرَ أنّي مــذْ ثلاثين حـجَّــةً ... أروحُ وأغـدُو دَائمَ الحَـسَـرَات

أرَى فيَّهم في غيرهم مُتَقسَّمًا	وأيديهم من فَيِّهم صفرات
فآل رَسُول اللَّه نُحفٌ جُسُومُهم	وآل زياد جفَّر القصرات
بنات زياد في القُصُور مصونةٌ	وآلُ رَسُول اللَّه في الفلوات
إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهم	أكفًا عن الأوتار مُنْقبضات
فَلَولا الَّذي أرجُوه في اليومِ أو غد	تَقطَّعَ قلبي إثرَهمْ حسَرات
خُروجُ إمام لا محالة خارجٌ	يقوم على اسم اللَّه والبركات
يميِّز فينا كلَّ حقٍّ وباطل	ويجزي على النعمَاء والنَّقمات
سأقصرُ نَفْسي جاهدًا عَنْ جدَالهمْ	كَفَانيَ مَا ألقَى من العَبَرَات
فيا نفسُ طيبي ، ثُمّ يا نفسُ أبشري	فغيرُ بعيد كلُّ ما هو آت
فإنْ قَرَّبَ الرحمنُ من تلكَ مُدتي	وأخَّرَ من عُمْري لطُول حَياتي
شَفيتُ وَلم أتركْ لنفسي رَزيَّةً	وَرَوَّيتُ منهُمْ مُنصلي وَقَنَاتي
أُحَاولُ نَقلَ الشمِّ عن مُستَقرِّها	وأسْمعَ أحجار من الصَّلَدَات
فمن عارف لم ينتفع ومعاند	يميلُ مع الأهواء والشَّهَوَات
إذا قلتُ عدلا أنكروه كَمُنْكَر	فغطَّوا على التَّحْقيق بالشُّبُهات
قصاراي منهُم أن أمُوتَ بغصَّة	تَردَّدُ بين الصَّدْرِ واللَّهَوَات
كأنَّك بالأضلاع قَد ضاق رحبها	لما ضُمِّنت من شدَّة الزَّفَرَات[1]

وحكَى الشيخ أبو الفرج في الأغاني : أن دعبلاً كتب هذه القصيدة فيما يقال في ثوب وأحرم فيه ، وأمر بأن تكون بين أكفانه . وقال الشيخ أبو الفرج رحمه اللَّه تعالى : أخبرني أحمد بن عبداللَّه بن عمار ومحمد بن أحمد الحليمي[2] قالا : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثني أنس بن عبداللَّه النبهاني قال: حدثني

(١) ديوان دعبل الخزاعي ١٣١-١٤٥ . (وفيه زيادة ونقص واختلاف في الروايات) .
(٢) في (ب) : الحكيمي .

علي بن المنذر قال: حدثني عبدالله بن سفيان الأشقري قال: حدثني دعبل بن علي، قال: لما هربت من الخليفة بتُّ ليلةً بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدةً في عبدالله بن طاهر في تلك الليلة، فإني في ذلك إذ سمعت - والباب مردود - السَّلام عليك ورحمة الله.. ألجُ رحمك الله؟ فاقشعرً بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم، فقال لي: لا ترع عافاك الله فإني من إخوانك الجن، ثم من ساكني اليمن طرأ إلينا طارٍ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مـــدارسُ أيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فأحببت أن أسمعها منك قال: فأنشدته إياها فبكى حتى خرَّ، ثم قال: رحمك الله ألا أحدِّثك حديثًا يزيد في بينتك ويعينك على التمسُّك بمذهبك؟ قلت: بلى، قال: مكثت حينًا أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جدِّه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «عليٌّ وشيعته هم الفائزون»[1] ثمَّ ودَّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك، قال: ضيبان بن عامر.

وكان منصور النمري من شعرآء هارون الرشيد وكان ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره وهو يريد عليًا عليه السلام لقول النَّبي صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[2] حتى وشى به بعض أعدآئه إلى الرشيد، وأنشد قصيدته «شآءٌ من الناس رآتِع هامِل»، وقد تقدَّمت حتى وصل إلى قوله:

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير في تفسير قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»، أخرجه ابن عساكر عن جابر عبدالله قال: «كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» فتح القدير ٥/ ٤٧٧.

(٢) أخرجه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٢/ ٦١، وأمالي أبو طالب ٥٠ والمرشد بالله ١/ ١٣٤، والبخاري ٤/ ١٦٠٢ برقم ٤١٥٤ ومسلم ١٨٧٠ برقم ٢٤٠٤ والترمذي ٥/ ٥٩٩ برقم ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، وأحمد في مسنده ١/ ٣٧٩ برقم ١٥٤.

ألا مصاليتَ يغضبون لهم بسلّة البيض والقنا الذابل

فأمر بعضهم أن يأتيه برأسه فوصل وقد مات، وروي أنه قال: لقد هممت أن أنبشه. وله أشعار كثيرة في أهل البيت عَلَيهم السَّلام منها قوله:

آل الرسول خيارُ الناس كلُّهم وخير آل رسول اللّه هارونُ

رضيتُ حكمكَ لا أبغي به بدلاً لأنَّ حكمك بالتوفيق مقرون

وقال علي بن العباس الرومي - وهو مولَى المعتصم - يرثي السيد الإمام الفاضل يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيهم السَّلام، وكان قد قتله بنو العباس فذكر طرفا من مثالبهم ومناقب أهل البيت عَلَيهم السَّلام وهي:

أمامك فانظر أيَّ نهجيك تَنْهجُ؟ طريقان شتّى: مستقيمٌ وأعوجُ

ألا أيُّهذا الناس: طال ضريركم بآل رسول اللّه فاخشوا أو ارتجوا

أفي كلِّ يومٍ للنّبي محمَّد قتيلٌ زكيٌّ بالدمَاء مضرَّجُ

تبيعون فيه الدين شرَّ أئمةً فلله دين اللّه قَد كاد يمرجُ

لقد ألحجوكم في حبَآئل فتنةً وللمُلْحجوكم في الحبائل ألحجُ

بني المصطفَى كم يأكل الناس شلْوكم لبلواكم عما قليل مفرَّجُ

أما فيهم راعٍ لحقِّ نبيه ولا خَائفٌ من ربِّه متحرِّجُ؟

لقد عمهوا ما أنزل اللّه فيكم كأن كتاب اللّه فيهم مُجمجُ!

لقد خاب من أنساه منكم نصيبه متاعٌ من الدنيا قليل وزبرجُ

أبعد المكنى بالحسين شهيدكم تضيئ مصابيح الظلام فتسرجُ

لنا وعلينا لا عَلَيه ولا له تُسَخسحُ أسراب الدموع وتنشجُ

وكيف نبكّي فائزًا عند ربِّه له في جنان الخلد عيشٌ مخرفجُ[1]

---

(١) المخرفج: الواسع.

فإن لا يكن حيًّا لدينا فإنَّه ... لدَى اللَّه حيٌّ في الجنان مزوَّجُ
وَقَد نال في الدنيا سناء وهيبةً ... وقام مقاما لم يقمه مزلَّج[1]
شوَىً ما أصابت أسهم الدهر بعده ... هوى ما هوَى أو مات بالرمل بحرجُ
وكنَّا نرجِّيه لكشف عماية ... بأمثاله أمثالها تتبلَّجُ
فساهمنا ذو العرش في ابن نَبيه ... ففاز به واللَّه أعلى وأفلجُ
مضى ومضى الفُرَّاط من أهل بيته ... يؤمُّ بهم ورد المنيَّة منهجُ
فأصبحت لا هم أبسؤوني بذكره ... كما قال قبلي في السنين مؤرِّج[2]
ولا هو أنساني أساىَ عَلَيهم ... بلى هاجه، والشجو للشجو أهيجُ
أبيتُ إذا نام الخليُّ كأنَّما ... تبطن أجفاني سَيَال وعوسج
أيحيى العلا لهفي لذكراك لهفةً ... يباشر مكواها الفؤادَ فينضجُ
أحين تراءتك العيون جلاءها ... وإقذاءها ظلت مراثيك تُنسجُ
بنفسي وإن فات الفداء بك الرَّدى ... محاسنك اللائي تُمحُّ فَتُنهجُ
لمن تَسْتجدُّ الأرض بعدك زينةً ... فتصبح في أثوابها تتبرَّجُ
سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحمةٌ ... عليك وممدودٌ من الظلِّ سجسجُ
ولا برح القاع الَّذي أنت جاره ... يَرفُّ عليه الأقحوان المفلَّجُ
ويا أسفاً أن لاتردَّ تحيَّةً ... سوَى أرَجٍ من طيب رمسك يأرج[3]
ألا إنما ناح الحمائم بعد ما ... ثويت، وكانت قبل ذاك تهزَجُ
أذمُّ إليك العين إنَّ دموعها ... تداعي لنار الشَّوق حين توهَّج[4]
وأحمدُها لو كفكفت عن غروبها ... عليك وخلَّت لا عج الحزن يلعجُ

---

(١) المزلج : الناقص المروءة.

(٢) المؤرج : الذي يلقي العداوة بين القوم . القاموس ص٢٢٩ .

(٣) الرمس : القبر.

(٤) في الديوان «تداعى بنار الحزن حين توهج».

وليس البكا أن تسفح العينُ إنما | أحرُّ البكائين البكاء المولَّجُ
أتمتعني[1] عيني عليك بعبرة | وأنت لأذيال الروامس مدرجُ
فإني إلى أن يدفن القلبُ داءه | ليقتلني الدآء الدفين لأحوجُ
عفاءٌ على دار ظعنت لغيرها | فليس بها للصالحين مُعرَّجُ
ألا أيها المستبشرون بموته | أظلَّت عليكم غُمَّةٌ لا تفرَّجُ
أكلُّكم أمسَى اطمأنَّ مهادهُ | بأنَّ رسول اللّه في القبر مُزعجُ
فلا تشمتوا وليخسإ المرء منكم | بوجه كأن اللون منهُ اليَرَندجُ
فلو شَهِد الهيجا بقلب أبيكم | غداة التقى الجمعان والخيل تَمعجُ[2]
لأعطَى يد العاني أو ارمدَّ هاربًا | كما ارمدَّ بالقاع الظّليم المهيَّجُ
ولكنه ما زال يغشى بنحره | شبا الحرب حتى قال ذو الجهل: أهوجُ
وحاشا له من تلكمُ غير أنه | أبَى خطة الأمر الَّذي هو أسمجُ
وأين به عن ذاك؟ لا أين إنه | إليه بعرقيه الزَّكيَّين يخرجُ
كدأب عليٍّ في المواطن قبْلَه | أبي حسن، والغصنُ من حيث يخرجُ
كأنِّي به كالليث يحمي عرينه | وأشباله لا يزدهيه المهجهجُ
كأني أراه والرِّماحُ تنوشه | شوارعَ كالأشطان تدلى وتخلجُ
كأني أراه إذ هوَى عن جواده | وعُفِّر بالترب الجبين المشجَّجُ
فحُبَّ به جسما إلى الأرض إذ هوَى | وحُبَّ بها روحًا إلى اللّه تعرجُ
أأرديتم يحي ولم يُطو أيطلٌ | طرادًا ولم يُدْبر من الخيل منسجُ
تأتَّت لكم فيه منى السوء هينة[3] | وذاك لكم بالغيِّ أغرى وألهجُ

---

(١) في (ب): أتمنعي.

(٢) تمعج: تسرع في السير.

(٣) في النسخ: تأتّت لكم فيه من السوء منية.

تمدّون في طغيانكم وضلالكم ويستدرج المغرور منكم فيدرجُ
أجيبوا بني اللخنا[1] عن شنآنكم وشدوا على ما في العياب وأشرجوا
وخلُّوا ولاة السوء عنكم وغيَّهم فأحْر بهم أن يغرقوا حيث لَجَّجوا
نذار لكم أن يرجع الحقَّ راجعٌ إلى أهله يومًا فتشجوا كما شجوا
على حين لا عذْرَى لمعتذريكم ولا لكم من حجَّة اللّه مخرجُ
فلا تأمنوا الآن الضغائن بينكم وبينهُم إن اللواقح تُنتجُ
غُررتم إذا صدَّقتُمُ أنَّ حالةً تدوم لكم والدهر لونان أخرجُ
لعلَّ لهم في منطوي الأرض ثائرًا سيسمو لكم والصبح في الليل مولجُ
بمجرٍ تضيق الأرضُ عن زفراته له زجلٌ ينفي الوحوش وهَزْمَجُ
إذا شِيْم بالأبصار أبرق بيضُه بوارق لا يستطيعها المسحمجُ
تواضه شمس الضحى وكأنما ترَى النخل[2] في أعراضه تتموَّجُ
له وَقْدة بين السمَاء وبَيْنَهُ تُلمُّ بها الطيرُ العَوافي فتُهرَجُ
إذا كُرَّ في أعراضه الطرفُ أعرضت بحار تحار العينُ فيها فتحرجُ
يؤيِّده ركنان بنيان رجله وخيل كأرسال الجداد وأرنَج[3]
عَلَيها رجالٌ كالليوث بسالةً بأمثالهم يُثْنَى الأبيّ فيُغنَجُ
تدانوا فما للنقع فيهم خصاصةٌ تنفَّسه عن خيلهم حين ترهجُ
فلو حصبتهم بالفضاء سحابةٌ لظلَّت على هاماتهم تتدحرجُ
كأن الزِّجاج اللَّهذميَّات فيهم فتيل بأطراف الردينيِّ تُسرجُ
يوَدُّ الَّذي لا قوه أنَّ سلاحه هنالك خَلْخال عَلَيه ودُمْلُجُ

---

(١) في الديوان أجنوا بني العباس.

(٢) في الديوان: البحر.

(٣) في نسخة: وأزلج.

ويظعن خوف السبي بعد إقامة ظعـائن لم يُضْرَبْ عَلَيهنّ هودجُ
فـيـدرك ثأر اللّه أنصـارُ دينه ولله أوسٌ آخـرون وخـزرجُ
ويقضي إمام الحق فيهم قضاءَه تمامًا وما كلُّ الحوامل تُخْدَجُ
وَقَد كان في يحيَى مُذَمَّرُ خطة وناتجـها لو كان في الأمر مَنْتَجُ
هنالكم يشقَى البغيُّ ببغيه إذا ظلَّت الأوداج بالسيف تودجُ
محضتكُم نصحي وإني بعدها لأعنقُ فيما ساءكم وأُهَمْلِجُ
صه لا تهادوا عرة البغي بينكم كما يتهادى شعلة النار عرفجُ
أفي الحق أن يمسوا خماصًا وأنتمُ يكادُ أخوكُم بطنةً يتبعَّجُ
تمشّون مختالين في حجراتكم ثقال الخُطا أكفالكم تترجرج
وليدُهُم بادي الضَّوى ووليدكم من الريف ريّان العظام خَدلَّجُ
تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم وترتع فيه أرتبيلُ وأبلجُ
فقد ألجمتهم خيفة القتل منكم وفي القوم حاج في الحيازم أحوجُ
بنفسي الألى كظَّتهُم حسراتكم فقد عَلزوا قبل الممات وحَشرجوا
ولم تقنعوا حتَّى استثارت قُبُورَهُمْ كلا بُكُمُ منهُما بهيم ودَيْزجُ
وعيرتموهم بالسَّواد ولم يزل من العرب الأمحاض أخضر أدعجُ
ولكنَّكم زرق يزين وجوهكم - بني الروم - ألوانٌ من الروم نُعَّجُ
إذا لم تكن بالهاشميين عاهةٌ لما أصلكم - تاللّه- إلا المُعلهجُ
بآية ألا يبرح المرء منكم يتل على حرّ الجبين فيُعفَجُ[1]
يبيت إذا الصهبَاء روَّت مشاشه يُشاوره علج من الروم أعلجُ[2]
فيطعنه في سبَّة السوء طعنةً يقوم لها من تحته وهو أفحجُ

---

(١) يعفج : يضرب بالعصا في ظهره ورأسه .

(٢) أعلج : الرجل الشديد الغليظ .

لذاك بني العباس يصبر مثلكم ... ويصبر للموت الكميُّ المدجَّجُ
فهلْ عاهةٌ إلاَّ كهذي وإنكم ... لأكذب مسؤول عن الحق ينهج
فلا تجلسوا وسط المجالس حُسَّراً ... ولا تركبوا إلا ركائب تحدجُ
أبى اللّه إلا أن يَطيبوا وتخبثوا ... وأن يسبقوا بالصالحات وتُفْلَجُوا
وإن كنتم منهُم وكان أبوهم ... أباكم فإن الصَّفو بالرَّنق يمزجُ
أروني امرأ منهُم يُزَنُّ بإبنة ... فلا تنطقوا البهتان فالحقُّ أبلجُ
لعمري لقد أغرَى القلوب ابنُ طاهرٍ ... ببغضائكم ما دامت الريح تنأجُ
سعَى لكم مسعاة سوء ذميمةً ... سعَى مثلها مستكره الرِّجل أعرجُ
فلن تعدموا ما حنّت النِّيب فتنةً ... تُحشُّ كما حُشَّ الحريق المعرفجُ
وقد بدأت لو تزجرون بريحها ... نوائحها من كل أوب تبوَّجُ[1]
بني مصعب: ما للنَّبي وأهله ... عدوٌّ سواكم أفصحوا أو فلجلجوا
دمَاءُ بني عباسهم وعَليِّهم ... لكم كدمَاء الترك والروم يُهرجُ
يلي سفكها العوران والعرجُ منكم ... وغوغاؤكم جهلا بذلك تبهج[2]
وما بكُم أن تنصروا أوليَاءكم ... وتلك هنات في القلوب تنجنج
ولو أمكنتكم في الفريقين فرصةٌ ... لقد ظهرت أشياء تلوى وتخلجُ
إذًا لا ستقدتم منهُم وتر فارسٍ ... وإن ولَّياكُمْ بالوشائج أو شجُ
أبى أن تحبُّوهم مدى الدَّهر ذكركمْ ... ليالي لا ينفك منكم متوَّجُ
وإني على الإسلام منكم لخائفٌ ... بوائق شرٌّ بابها الآن مرتجُ
وللحزم أن يستدرك الناس أمركم ... وحبلهم مستحكم العقد مدمجُ
نظارِ فإنَّ اللّه طالب وتره ... بني مصعب، لن يسبق اللّه مُدلجُ

---

(١) بوّج: صيح، وتبوج البرق: إذا برق ولمع وتكشف.

(٢) في (ب): ينهج.

لعلّ قلوبا قد أطلتم غليلها ستظفر منكم بالشفاء فتثلج[1]

وللقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم، وكان عبدالله ابن المعتز قد قال قصائد كثيرةً على قواف وأوزان مختلفة يذكر فيها الطالبيين ويطعن عليهم ويصف ما كان من القرامطة، وكان ابن المنجم وغيره قد عارضوه على أوزان قصائده إلا قصيدةً له أولها:

أبى اللّه إلاّ ما ترون فمالكم غضابًا على الأقدار يا آل طالب

فإنه لم يُعارض على وزن قصيدته هذه، فاحتسب علي بن محمد التنوخي الردّ عليه بمثل قصيدته ناقضًا عليه فيما قاله ونصر الطالبيين وأقام لهم الحجج والبراهين في إبطال ما ذكره بن المعتز، وجعلها على لسان بعض الطالبيين، فقال:

من ابن رسول اللّه وابن وصيّه إلى مدغل في عقدة الدين ناصب

نشا بين طنبور ورقّ ومزهر وفي حجر شاد أو على صدر ضارب

ومن ظهر سكران إلى بطن قينة على شبّة في ملكها وشوائب

يعيبُ عليًا خيرَ من وطئ الحصى وأكرم سار في الأنام وسارب

ويزري على السبطين سبطي محمّد فقل في حضيض رام نيل الكواكب

وينسبُ أفعال القرامط كاذبًا إلى عترة الهادي الكرام الأطايب

إلى معشر لا يسرح الذم بينهم ولا تزدري أعراضهم بالمعايب

إذا ما انتدوا كانوا شموس نديّهم وإن ركبوا كانوا بدور الركائب

وإن سُئلوا سحّت سماء أكفّهم فأحيوا بميت المال ميت المطالب

وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرّدى وإن ضحكوا بكّوا عيونَ النوائب

نشأوا بين جبريل وبين محمّد وبين عليٍّ خير ماش وراكب

وصيّ النّبي المصطفى وصفيّه ومشبهه في شيمة وضرائب

---

(1) ديوان ابن الرومي ٢/ ٢٣-٣٠.

ومن قال في يوم الغدير محمدٌ ... وقد خاف من غدر العداة النواصب
أما أنا أولَى منكُمُ بنفوسكم ... فقالوا: بلَى، قول المريب الموارب
فقال لهم: من كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي
أطيعوه طرًا فهو مني بمنزل ... كهارونَ من موسَى الكليم المخاطب
وقولوا له إن كنت من آل هاشمٍ ... فما كلُّ نجم في السمَآء بثاقب
وإنك إذ خوَّفتنا منك كالَّذي ... يخوِّف أسدًا بالظباء الربآئب
وقلت: بنو حرب كسوكم عمَآئمًا ... من الضرب في الهامات حمر الذوآئب
صدقتَ منايانا السيوف وإنَّما ... تموتون فوق الفرش مثل الكواعب
أبونا القنا والمشرفيَّة أمُّنا ... وإخوتنا جرد المذاكي الشوازب
وما للغواني والوغى فتعوَّذوا ... بقرع المثاني من قراع الكتَآئب
وقلتم قتلنا عبد شمس فملكهم ... لنا سَلبٌ هل قاتلٌ غير سالب
فيا عجبًا من خارب ظلَّ يدعَى ... مواريثَ خير الناس ملكًا لخارب
هو السلبُ المغصوب لا تملكونه ... وهل سالبٌ للغصب إلا كغاصب
أأنفال جدِّينا تحوزون دوننا ... بزعمكم الأنفال يا للعجَآئب
وهل لطليق شركةٌ مع مهاجر ... فلا تثبوا في الدين وَثْبَ المواثب
أخو المرء دون العمِّ يحوي تراثه ... إذا قُسِّم الميراث بين الأقارب
وأولاده في محكم الذكر فاقرأوا ... أحقُّ وأولَى من أخيه المناسب
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه ... فأبعد بمحجوب لحاجب حاجب
ويوم حنين قال: حُزنا فخاره ... ولو كان يدري عهدها في المثالب
وهل واقفٌ في حومة الحرب حائرًا ... وإن كان وسط الصفِّ إلا كهارب
وما شَهدَ الهيجَآء من كان حاضرًا ... إذا لم يُطاعن قرنه ويضارب
فهلَّا كما لاقَى الوصيُّ مصمِّمًا ... يعصِّبُ بالهندي كبش العصَآئب

وقلت: أبونا والدٌ لمحمدٍ ... فأنتم بنوه دوننا في المراتب
فلا تنس بالعبّاس كان وجدُّنا ... أبو طالب مثلين عند التناسب
وأدناهما من كان بالسيف دونه ... يفلُّ شبَا سيف العدوِّ المناصب
وشتّان من آوى وآسى بنفسه ... ومزدلف بغزوه بين المقانب
أبونا يقيه جاهدًا وأبوكم ... يجاهدُه بالمرهفات القواضب
فنَحنُ بنو عمٍّ لنا فوق ما لكم ... ونَحنُ بنوه دونكم في المناسب
وعبت عليا في الحكومة بينه ... وبين ابن حرب والطغاة الأشايب
فقد حَكَّم المبعوث يوم قريظة ... ولا عيب في قول الرسول لعائب
وعبت بعمّينا أبانا سفاهةً ... وكم لك من عمٍّ عن الدين ناكب
ومثل علي من عقيل وطالب ... أبو لهب من جدكُم في التقارب
ونَحنُ أسرنا عمَّنا وأباكُم ... فباتا بليل مكفهرٍّ الجوانب
ونَحنُ حقنَّا بالفداء دمَاءكم ... فلا تجحدونا حقَّ تلك المواهب
وقلت: أضعتم ثأر زيد وكنتمُ ... كسالَى فكاذب لا تُجب كل كاذب
أما ثار فيه الطالبي ابنُ جعفر ... فدكدك ركنَ الملك من كلُّ جانب
وأمطر في حي وفي أرض فارس ... سحَآئب موت ماطرًا كالسحَآئب
إلى أن رَمَتْهُ عاريات دعاتكم ... بسهم اغتيال نافذ النصل صَآئب
وقلت: نهضنا ثآئرين شعارُنا ... بثارات زيد الخير عند التجارب
فما ذاكَ منْ حبٍّ لزيد وآله ... ولكنَّها تشغيبة من مشاغب
دعوتم إلينا عالمين بأنَّكم ... مكان الذنابي من ذرَىً ومناكب
فهلاَّ بإبراهيم كان شعاركُم ... فيرجع داعيكم بخلَّة خَآئب
بنا نلتُمُ ما نلتُمُ من إمارة ... فلا تظلموا فالظلم مُرٌّ العواقب
وكم مثلَ زيد قد أبادت سيوفُكمْ ... بلا سبب غير الظنون الكواذب

أما حَمَل المنصورُ من أرض يثرب نجوم هدى تجلوا ظلام الغياهب
لهم عند ذكر الله في الليل رنةٌ كرنتكم عند اصطفاق المضارب
يتوجهم ظلما إذا أظلم الدُّجى بكل رقيق الحدّ أبيض قاضب
وقطعتُم بالبغي يوم محمَّد قرآئن أرحام لنا وأقارب
وجرَّعتم تَحتَ التراب نَبيَّكمْ بكاسات ثكل لا تطيب لشارب
قفوتم يزيداً في انتهاك حريمه بكل محادٍّ للإله محارب
تعدُّونه فتحاً ولو كان أحمد لعدَّده من فادحات المصآئب
وفي أرض باخمرا مصابيح قَد ثوت متربَّة الهامات حُمر الترآئب
يغسِّلها هامي السحاب إذا همَى وتكنفها أيدي الصبا والجنائب
وغادر هاديكم بفخٍّ طوآئفاً تهاداهم بالقاع بقع النواعب
فيا لَسيوف فُلِّلت بمعامد ويا لأسود صُرِّعت بثعالب
وهارونكم أردى بغير جريرةٍ نجومَ تُقىً مثل النجوم الثواقب
ومأمونكم سمَّ الرضى بعد بيعةٍ تؤدُّ ذُرَى شمَّ الجبال الرواسب
فهل بعد هذا في البقية بيننا بني عمنا والصلح رغبٌ لراغب
كذبتم وبيت الله أو تصدر الظبى شوارب من هاماتكم والشوارب
وكُنّا فولَّيْنَا أباكم فخاننا وكان بمال الله أول ذاهب
وكنَّا لكم في كلِّ حال مناهلاً عذاباً إذا يوردن حضر الجوانب
فلمَّا ملكتم كنتم بعد ذلَّة أسوداً علينا داميات المخالب
فقل لبَني العباس عمٌّ محمدٍ وعمٌّ عليٍّ صنوه في المناسب
عزيز عليَّ أن تدبَّ عقاربي إلى معشري الأدنَى دبيب العقارب
ولكن بدأتم فانتصرتم فأقصروا فليس جناة الذنب مثل المعاقب
وليس سوآء سبُّ سيِّدة النسا وسبّ رماد بالصفا والأخاشب
وَقَد قال أصحاب النَّبي محمد له قَد هجانا مشركوا آل غالب

فقال لهم قولوا لهم مثل قولهم فما مبتد للهجو مثل مجاوب
فهذا جوابٌ للذي قال مالكم غضابًا على الأقدار يا آل طالب

والاشتغال بهذا الشأن يخرجنا إلى ميدان رحيب؛ لأن الَّذين مدحوا العترة عَلَيهم السَّلام أكثر من أن يُعَدُّوا في هذا المقام فضلاً عن إحصَاء ما قالوه من المديح والنظام.

والعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ ممن أعرض عن إمامتهم، ولم يرتض بزعامتهم، ثُمَّ عمد إلى الجهلة الطغام، من جفاة الأنام، الَّذين شربوا من الجهل ملحًا أجاجًا، وأطفأوا من العلم سراجًا وهَّاجًا من بني أمية وبني العباس، الَّذين اشتهروا بارتكاب الجرائم، ومقارفة العظائم، وعزفت عَلَيهم القينات، وأدنوا المغنيين والمغنِّيات، وتركوا الصلوات، وناموا عن العتمات، وشربوا القهوات، واتخذوا بطانتهم أرباب المنكرات، وظهر تفاضلهم في اختيار نغمات الألحان.

فأين هؤلاء من أئمة الزيدية الَّذين تنزَّهوا عن العصيان، وأعلنوا منار الإيمان، إذا جنَّهُم الليل فرهبان يترنَّمون بالقرآن، ويستنبطون غرائبه، ويستخرجون عجائبه، وإذا تلاقت الأبطال، وتداعت نزال، وكشفت الحرب عن ساقها، ومدَّت بأرواقها، أحسنوا في اللَّه الجلاد، وقاموا بحقِّ الجهاد، تسيل نفوسهم على شفار السيوف، ويستهونون خوض بحار الحتوف، طلبًا بثأر الدين والإسلام من ذوي المروق والإجرام، أفيرضَى عاقل لبيب، أو رشيد أريب أن يطرح طاعتهم ويرفض إمامتهم لإمامة بني العباس! الَّذين شُهروا بالشَّراب، واختيار أنواع الغنا على معاني الكتاب، ومن نظر في آثارهم القبيحة علم صحَّة ما قلناه فإنَّ مثالبهم تحكي مناقب العترة عَلَيهم السلام في الظهور، وإن شئت طالعت الأغاني وما أودع لهم من الفضائح، وكذلك تاريخ الطبري وما حكَى لهم من

القبائح أليس حكَى في تاريخ الطبري[1] وهو مسموعٌ لنا بالإسناد إلى مُحَمَّد بن جرير: أن الأمين لما نزلت به الجنود من عقبة حلوان جاء إليه الخبر فقال له: يا مولاي هذا طاهر بن الحسين قد نزل من عقبة حلوان في الجيوش، فلم يلتفت إليه فلما ألحَّ عليه انتهره وقال: كوثر قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئا، ولما حُصِر في بغداد وضُويق إلى مدينة المهدي صارت حجار المجانيق تقع في شقٍّ بساطه وهو يختار الجواري للغنا فغنته جاريةٌ فأخطأت في غنائها فشتمها بالقذف، وقال: تغنيني الخطأ خذوها، فكان آخر العهد بها، وما أفاق من الخمر حتى الليلة الَّتي قُتِلَ فيها، وأبو نواس الممازح له في الخمر لما أحلَّها له فقال:

هَذه الممنوع منها وأنا المحتجُّ عَنها
ما لها تحرم في الد نيا وفي الجنَّة منها

فاستدلَّ على إباحتها في الدنيا بإباحتها في الآخرة، وهذا هو الكفر المبين عند جميع المسلمين، فأين هَذا ممن لا يعرف خمراً بالمشاهدة إلا عند إراقتها كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له:

لا أعرفُ الخمر إلا حين أُهرقها ولا الفواحشَ إلا حين أنفيها
أنا ابن من نَسَجت آي الكتاب له ملأةً غمَرت جسمي حواشيها

واسمع إلى قصة المامون وهو عندهم من العيون، وقد طلب من قاضيه يحيَى بن أكتم ووزيره أحمد بن أبي داوود الشرابَ فأبيا عليه، فقال:

إن كنتما لا تشربان معي خوف المعاد شربتُها وحدي

فاعجب من إمام المسلمين عند الجهلة العيون كيف يأمر وزيره وقاضيه وهما اللّذان يدور عَلَيهما التدبير في باب الدين والدنيا بالشراب رافضًا آي الكتاب: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) أنظر: خبر طاهر بن الحسين ٩/ ٤٧٦، ٤٧٧.

فاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] جمع تعالَى بين الخمر وهذه القبائح فاقتضَى ذلك قبحها، وأخبر بأنها رجس والرجس هو النجس، وقد قال تعالَى: ﴿والرجْزَ فاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، وحُكْم رسول اللَّه ﷺ وآله في هجران الرجس حكم غيره، وأخبر بأنها من عمل الشيطان فأمر باجتنابه، وقد قال ﷺ وآله: «لعنَ اللَّه الخمرَ وشاربَها وساقيَها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه»[1] فكيف ترَى حكم هَذا الإمام؟ يا من تعرف حرمة الإسلام وتعقل سنة المصطفَى ﷺ.

وأين هذا ممن إذا عرف من أحد شرب الخمر أنزلَ به حكم اللَّه، وجلَدَه الحدَّ الَّذي شرعه رسول اللَّه ﷺ وآله، كما رُوي أن رجلاً شرب الخمر بصنعاء والإمام المتوكل على اللَّه أحمد بن سليمان عليه السلام فيها فأراد إقامة الحدَّ عَلَيه، فسأله أن يسقط الحدَّ على ثمانية آلاف دينار فامتنع من ذلك.

ومن وصية بني العباس إلَى صاحب الدعوة بخراسان أن يقتل على التهمة مَنْ بلغ خمسة أشبار، ومن نطق بالعربية، فكان السفَّاح سفَّاكًا للدماء وإن حقنتها العهود والمواثيق؛ لأنه كان لا يرقب عهدًا، وسلك أخوه المنصور طريقته الضالَّة المضلَّة، وزاد عَلَيه في اجتهاده في حصد شجرة النبوة وزرع الوصية نحو عبداللَّه بن الحسن وإخوته وأولاده بدور الدجَى وأقمار الهدَى عَلَيهم السلام، ونَظَرَ منهم إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن عَلَيهم السلام فقال: أنت الديباج الأصفر؟، فقال: نعم، قال: إذًا واللَّه لأقتلنَّك قتلة ما قَتَلْتُها أحدًا من أهل بيتك، ثُمَّ أمر باسطوانة ففرغت، ثُمَّ أدخل فيها فبنَى عَلَيه وهو حي، رواه ابن جرير الطبري[2].

(١) روي من حديث طويل. المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٦٠ رقم ٧٢٢٨، وسنن البيهقي ٥/ ٣٢٧ رقم ١٠٥٥٩ وسنن أبي داوود ٣/ ٣٢٦ رقم ٣٦٧٤ وبلفظ لعنت الخمر عن عشرة أوجه. سنن ابن ماجه ٢/ ١١٢١ رقم ٣٣٨٠ ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٥ رقم ٤٧٨٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٠٠.

ولما أُخرجَ بنو الحسن عليهم السلام من المدينة أنشأ بعض الموالين لأهل البيت عَلَيهم السلام:

مَنْ لنفسٍ كثيرة الإشفاق ... ولعينٍ كثيرة الإطراق

جمدت للذي دهاها زمانًا ... ثم جادت بدمعها المهراق

لفراق الَّذين راحوا إلى المو ... ت عيانًا والموت مُرُّ المذاق

ثم راحوا يسلَّمون علينا ... بأكفٍّ مشدودة بالوثاق

ما رأينا من البريَّة طُرّاً ... مثلهم لو وقاهم من الموت واق

كرمًا عندما ألمَّ وصبراً ... ليست المقرفات مثل العتاق

فيهم سيِّدُ البرية يشكو ... طول حبسٍ وعض كبلٍ مضاق

مسحت وجهه قريش وعادت ... بمفد مبارك سبَّاق

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب يحيى بن الحسين عليه السلام يرفعه بإسناده إلى مُحَمَّد بن يحيَى الصولي، قال: سمعت مُحَمَّد بن القاسم أبا العيناء، يقول وقد تذاكرنا ذهاب بصره قال: كان أبو جعفر يعني الدوانيقي دعا جدي وكان في نهاية الثقة به والعقل عنده، فقال له: قد ندبتك لأمرٍ عظيمٍ عندي موقعه، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب:

ألكني[1] إليها وخير الرسول ... أعلمهم بنوا حي الخبر

ثم عرَّفه ما يريد منه وأطلق له مالاً خطيراً، وقال: كل شيء تريده بعد هذا فخذه وصر إلى المدينة فافتح بها دكان عطَّار، وأظهر أنك من خراسان شيعةً لعبدالله بن الحسن بن الحسن، وأنفق على أسبابه واهد لهم وله ما يقرِّبك منهم، وكاتبني مع ثقاتك بأنفاسهم، وتعرَّف لي خبر ابنيه مُحَمَّد وإبراهيم، فمضَى جدي ففعل ذلك كلَّه فلمَّا أخذ أبو جعفر عبدالله بن الحسن وإخوته جعل يوبخ عبدالله

(١)في الأمالي: أكلني.

على شيء من فعله وقوله، ويأتيه بما ظنّ عبدالله أنه ليس أحد يعلمه، فقال عبدالله لبعض ثقاته: من أين أُتينا؟ قال: من جهة العطار، قال: اللَّهم أبله في نفسه وولده بما يكون نكالاً وردعًا لغيره وبلاء ليشهر به، قال: فعمي جدي وعمي بعده أبي وولده وأنا على الحال الَّتي ترون وكذلك ولدي من دعاء عبدالله ابن الحسن إلى يوم القيامة[1].

فانظر إلى هذا الاجتهاد العظيم من أبي الدوانيق وإعمال الحيل والكيد لأهل البيت عليهم السلام، ولو لم يكن من الأوزار الَّتي ارتكبها والآثام الَّتي احتقبها إلاَّ قتل النَّفس الزَّكية مُحَمَّد بن عبدالله عليه السلام في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله الَّتي حرَّم اللَّه عضد شجرها لكفاه وزرًا عظيمًا، وحوبًا كبيرًا؛ لأنَّا روينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب عليه السلام يرفعه بإسناده إلى أبي صالح بن عبدالله بن عباس، قال: ينادي مناد يوم القيامة يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم هذه فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وتخرج من قبرها ومعها ثياب تشخب بالدم حتَى تنتهي إلى العرش وتقول يا رب: انتصف لولدي ممن قتلهم[2]. وفي هذا أوفى كفاية في هلاك أبي الدوانيق، فكيف يجوز أن يكون إمامًا، ثُمَّ هو القاتل لعمه عبدالله بن علي ولأبي مسلم الَّذي وطَّد لهم قواعد الخلافة بعد العهود الأكيدة.

ثم موسى الملقب بالهادي، وما كان عليه من الطرائق الكافية في الخروج عن الإسلام من قتله أهل البيت عليهم السلام في حال الإحرام لكان كافيًا في العار ودخول النار، والرشيد عقد الخلافة لولده مُحَمَّد وهو ابن خمس سنين، ومعلوم من الدين أن من كان بهذه الصفة لا ولاية له على نفسه وماله، فكيف يجعله واليًا على المسلمين، لولا الزيغ عن الدين. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

---

(1) الأمالي ١١٧.

(2) الأمالي ص٨٨.

قـد وفَّقَ اللَّه الخليـفـة إذ بنى بيت الخلافـة للهـجـان الأزهر

فـهـو الخليـفـة عن أبيـه وجـدِّه شـهـدا عَلَيـه بمنظر وبمخـبـرِ

قد بايع الثقـلان في مهـد الهُدَى لمحَـمَّـد بن زبيـدة ابنةُ جـعـفـرِ

فأين هَذا من كلام الناصر للحق عليه السلام لما قيل له - وقد حضرته الوفاة: يوصي إلى أولاده، فقال: لا أستجيز ذلك فيما بيني وبين اللَّه لقصور رآه فيهم للقيام بمصالح الإسلام وإن كانوا لا يدنون من أئمة بني العباس، وأين الأمر من الأمر. ثُمَّ أوصَى إلى الداعي الحسن بن القاسم عليه السلام بعد الهفوة الَّتي كانت منه في حقه عليه السلام، ولم تمنعه تلك الإساءة من الإيصاء إليه لعلمه بأنه يقوم بأمور المسلمين.

وكان المأمون على أنه من عيونهم يشرب الخمر شربًا ظاهرًا في الخاصَّة والعامة، فإن في الرواية عنه أنه دخل عَلَيه طاهر بن الحسين وهو يشرب فسلَّم فردَّ المأمون عَلَيه وقال: اسقوه رطلاً فأخذه بيده اليمنَى، ثُمَّ قال له: اجلس، فخرج فشربه ثُمَّ عاد وقد شرب المأمون رطلاً، فقال: اسقوه الثاني، ففعل كفعله الأوَّل، ثُمَّ دخل فقال له المأمون: اجلس، فقال: يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرط أن يجلس بين يدي سيِّده، فقال: ذلك في مجلس العامة .

فأين هَذا من أئمتنا عَلَيهم السلام الَّذين خلواتهم في العبادات، ومتَى اطلع بعض أصحابهم في عبادة حرَّج عَلَيه في كتمانها؛ لما وردت به الأثار الشريفة من مضاعفة الثواب على أعمال السر كما قدَّمناه في قصة الهادي عليه السلام ليلة وقف صاحبه على باب عبادته حتَى أصبح . وروي أن المأمون ركب بدمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سرادات فكان الماء يدخلها سحًا ويخرج منها، فاستحسن الموضع ودعا برطل وذكر بني أمية فوضَّع منهم وتنقصهم، فأقبل علويَّةُ على العود واندفع يغني:

٢.

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعة　　تفانوا فلولا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون الطعام برجله ووثب وقال لعلويه : يا ابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا هَذا الوقت ، ومعلوم أن هَذا من صفات المتهتّكين بالإجرام فكيف يوجد في أئمة أهل الإسلام ، وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر بعد أن حرّمها اللّه على لسان نبيه فليس له أن يزوّج إذا خَطَب ، ولا يشفّع إذا شفع ، ولا يصدّق إذا حدّث ، ولا يؤتمن على أمانة ، فإن اؤتمن على أمانة فأكلها أو استهلكها فليس لصاحبها أن يأجره اللّه ولا يخلف عَلَيه » ، فرسول اللّه ﷺ يقضي بأن شارب الخمر لا يؤتمن على أمانة ، والجهلة الطغام يقضون بأنه أمين على جميع أهل الإسلام ، وهو القاتل لعلي بن موسَى بن جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن عقد له بالخلافة وجعله وليّ عهده ، وأمر بأن يكتب اسمه على الطراز والدّرهم ، وأن يخطب له فكان يذكره على المنبر وينسبه إلى آبائه عَلَيهم السلام ثُمَّ يقول :

ستةٌ آباء همُ مـا همُ　　هم خير من يشرب صوب الغمام

وفيه الأثر رويناه بالإسناد الموثوق به إلى الحاكم الإمام شيخ الإسلام أبي سعد المحسّن بن كرامة الجشمي البيهقي الزيدي رضي الله عنه رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ قال : «ستُلقَى بضعةٌ مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمنٌ إلا أوجب اللّه لـه الجنّة وحرّم جسدَه على النار» . وروَى أيضا عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ : «ستُدفن بضعةٌ مني بخراسان ما زارها مكروبٌ إلا نَفّس اللّه كربته ، ولا مذنبٌ إلا غَفَر اللّه له ذنبه» . وقد نظم هَذا المعنى بعضهم وكتبه على جدار المسجد[1] فقال :

من سرّه أن يرَى قبراً برؤيته　　يفرّج اللّه عمّن زاره كُربَه .

(١) في (ب) : المشهد .

فليأت ذا القبر إنَّ اللَّه أسكنه سلالةً من رسول اللَّه مُنتجبه

ولما قيل لأبي نواس : لم لا تمدح علي بن موسَى الرضَى . أنشأ يقول :

قيل لي : أنت أوحد الناس في النظـ ـم وفي النثر والمقال البديه
فلماذا تركت مدح ابن موسَى للخصال الَّتي تجمَّعن فيه
قلت : لا اهتدي لمدح إمام كان جبريلُ خادمًا لأبيه

أراد بقوله : كان جبريل خادما لأبيه ، ما رويناه بإسناد موثوق إلى ابن المغازلي في مناقب أهل البيت الَّتي ألَّفها ، رفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر ولعمر : « امضيا إلَى عليٍّ حتى يحدثكما ما كان منه في ليلته وأنا على إثركما » قال أنس : فمضيَا ومضيت معهما ، فاستأذن أبو بكر وعمر على علي عليه السلام ؛ فخرج إليهما فقال : يا أبا بكر حدث شيء ؟ قال : لا وما حدث إلا خير ، قال لي النبي ﷺ ولعمر : «امضيا إلى عليٍّ يحدثكما ما كان منه في ليلته» ، وجاء النبي ﷺ وقال : حدِّثهما ما كان منك في ليلتك ، فقال : أستحي يا رسول الله ، قال : حدثهما إن اللَّه لا يستحيي من الحق ، فقال علي : أردت الماء للطهارة وأصبحت وخفت أن تفوتني الصلاة ، فوجَّهت الحسن في طريق والحسين في طلب الماء ، فأبطيا فأحزنني ذلك ، فرأيت السقف قد اشتق ، ونزل علي منه سطل مغطى بمنديل ، فلما صار في الأرض نحَّيت المنديل عنه فإذا فيه ماء فتطهرت للصلاة واغتسلت وصليت ، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف ، فقال النبي ﷺ لعلي : أمَّا السطل فمن الجنة ، وأما الماء فمن نهر الكوثر ، وأما المنديل فمن استبرق الجنة ، من مثلك يا علي في ليلته وجبريل يخدمه [1] . هذا معنى قوله : كان جبريل خادما لأبيه ؛ فانتهَى الحال كما قلناه إلَى

---

(١) ابن المغازلي ٧٩ رقم ١٣٩ ، ابن البطريق ص٤٣٦ ، والمناقب للكوفي ١/ ٥٥١ رقم ٤٩٠ ، وكفاية الطالب ٢٨٩ الباب ٧٢ .

قتل المأمون لعلي بن موسَى الرضَى على اختلاف الروايات في كيفية قتله ولكنه ورث الغدر عن أبيه المسمَّى بالرشيد في يحيَى بن عبدالله عليه السلام، وقتله له بعد الأيمان المؤكَّدة وقد تقدمت حكايته . وهو الَّذي عناه أبو فراس بقوله :

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غدرُ الرشيد بيحيَى كيف ينكتم
ذاق الزبيري غبَّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمةَ الأقوال والتهم
كم غدرة لكمُ في الدين واضحة وكم دمٍ لرسول اللّه عندكمُ

ثم كان الرشيد له في الإقبال على الأغاني ما لم يكن لأحدَ ممن سبقه ، فإن المروي أنه اختار منها مائة صوت ، وكان له في صلة المغنين والمغنيات ما لم يكن لأحد ممن قبله ، فإن في الطبري [٢٣٧]: أن مُحَمَّد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس لما توفي اصطفَى الرشيد جميع ما خلفه مما يصلح للخلافة وما بذل إلاَّ الخرثي [١] ، وأصابوا من العين ستين ألف ألف ، ثُمَّ أدخل جميع الذخائر إلا العين فإنه أمر بصكاك كتب للندماء ما وكُتبت للمغنين ولم يُترك في الديوان منها درهم ، فأرسلوا وكلاهم فقبضوا ذلك المال أجمع .

فأين هَذا مما نقل عن السيد المؤيد باللّه - قدس اللّه روحه - مع ولده الحسين أبي القاسم رضي الله عنه ، فإنه كان يعطيه مثل ما يعطي غيره من سائر الأجناد وكان في الشجاعة بحيث يضرب به المثل ، يهزم الصفوف ، ويرد الألوف ، فلما طلب له بعضهم الزيادة على عطيَّته امتنع السيد المؤيد باللّه - قدس اللّه روحه - وقال : إن اللّه أمر بالتسوية بين الأقارب والأجانب .

ثم كان من الرشيد ما هو ظاهر مشهور في أمر جعفر بن يحيَى البرمكي ، كان يلبس هو وإياه قميصًا واحدا بجيبين يفضي جسد أحدهما إلَى الآخر ، وكان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عبّاسة وابنه المسمَّى بالمهدي ، وكان يحضرها إذا جلس للشراب ، وزوجه إيّاها قال : ليحل له النظر إليها وعهد إليه ألا يمسَّها ،

---

(١)وهو أردأ المتاع .

فكانوا يحضرون للشراب ثُمَّ يقوم عن مجلسه ويتركهما ، وهما شابان قد غلب عليهما السكر فيواقعها ، فحملت منه وولدت ، وخافت على نفسها من الرشيد ، فأمرت بالولد إلى مكة ، وأقام مدة حتى وشى بها بعض جواريها إلى الرشيد ، فكان ذلك أحد أسباب نكبة البرامكة . رواه الطبري في تأريخه ، ثُمَّ كان منه في البرامكة ما هو ظاهر عند الناس من سفك دمائهم بعد المحبة الأكيدة والتمالي على العصيان وهي طريقتهم عمومًا .

والمأمون عمل شمعةً في عُرسه ببوران بنت الحسن قيمتها مائة ألف درهم ، وسادات المسلمين من عترة النبي ﷺ يتضوَّرون جوعاً منهم خير أهل الأض في وقته القاسم بن إبراهيم عليه السلام يطبخ الميتة ويأكلها في جبل الرس وهو أولَى بمقام المأمون ، وجعل النثار رقاعًا فيها أسماء كور وضياع من أموال المسلمين الخراجية من وقعت في يده رقعة بضيعة صار له خراجها . وفيه يقول الباهلي :

بارك اللّه للحسن ولبوران في الختن
يابن هارون قد ظفر ت ولكن ببنت من؟

ثم كان المعتصم أُمّيًا مغموراً بالجهل ولكن فقد ذكر بعض المتفقهة ممن لا يعقل حرمة الدين على الحقيقة أنها تجوز إمامة الإمام وإن كان جاهلاً فاسقاً ، وكان المعتصم جباراً عنيداً ، فإن المروي أنه كان قد جعل لكل واحد من مماليكه شغلا لا يتعدَّاه ، فنظر يوما إلى واحد ينظر في ثيابه فلم يفهم ، فقام إليه فوجاه فقتله قرما منه لسفك الدم الحرام .

ثُمَّ كان الواثق اختار من الأغاني المائة الَّتي اختارها الرشيد عشرة ألحان فهي منسوبة إليه معروفة بالواثقية ، فأين هذا من الغرائب المستحدثات ، والأفكار المستنبطات في الفقه المنسوبه إلى العيون من أئمتنا عَلَيهم السلام، وكان هذا المسمَّى بالواثق يضرب الضرب المبرح لاستخراج المال إلى الألف سوط ونحوها ،

ويقتل في العذاب ، فأين هذا من فعل الإمام الزاكي إبراهيم بن عبدالله بن الحسن عليهم السلام ؟ وقد طلب بعض أصحابه أن يستخرج له مالاً من بعض عمال أبي جعفر بالعذاب ، فقال عليه السلام : لا حاجة لي في مال لا يخرج إلا بالعذاب .

ثم انظر في المتوكل وكربه لقبر الشهيد سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام بسبب المغنية الَّتي قدمت لزيارته ، وتوكيله اليهود على منع الزوار من الزيارة . فأين هذا مما رويناه بالإسناد الموثوق به عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من زار قبرا من قبورنا أهل البيت ثم مات من عامه الذي زاره فيه وكل الله بقبره سبعين ألف ملكا يسبحون له إلى يوم القيامة »[1] وروينا بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : (زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له جريرة وأهدت لنا أم أيمن قعبًا من لبن وزبدا و صحفة من تمر ، فأكل رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وأكلنا معه ، ثُمَّ توضأ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ووجهه ولحيته بيده ، ثُمَّ استقبل القبلة فدعا اللَّه جل ذكره ما شاء ، ثُمَّ أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر ، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات ، فهبنا أن نسأله صلى الله عليه وآله فوثب الحسين عليه السلام فأكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى فضمَّه إليه ، وقال له : بأبي أنت وأمي وما يبكيك ؟ قال : يا أبة إني رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله ، فقال : يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أُسَرَّ بكم قبله ، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قتلى وأن مصارعكم شتى ، فحزنني ذلك فدعوت اللَّه لكم ، فقال له الحسين عليه السلام : يا رسول اللَّه من يزورنا على تَشَتُّتنا وتباعد قبورنا ؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله : « طائفة من أمتي يريدون بذلك برِّي وصلتي ، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيتهم من أهوالها وشدائدها »[2] .

---

(١) رواه أبو طالب في أماليه ١١١ .

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ١١٢ .

فانظر كم بين وعد رسول الله ﷺ لزائر قبر الحسين بالشفاعة والكرامة وبين تسليط المتوكل - على الشيطان لا على الرحمن - للكفرة اليهود على كرب قبره ومنع الزوار من زيارته ؟ وكان المتوكل معروفا بالجبرتة والعتوّ، فقد روي أنه كان يقتل بالحديد يدعه في عنق من يريد قتله حتى يموت إلى غير ذلك من مساوئهم . وكان المعتضد أصدقَ (قطر الندَى) ألف ألف درهم من مال اللّه تعالَى ، والمعتمد وصل شارية المغنية بمائةألف دينار وألف ثوب من شرائف الثياب ؛ حبًا للغناء وميلاً إلى الهوَى ، وإدناءً لأهل الفسوق و العصيان والجرائم والمروق .

فأين هذا مما نقل عن الهادي إلى الحق ﷺ حيث يقول : لكل شيء ضد وضدّ حياتي المعاصي ، ورُويَ أن رجلا أتَى يبايعه في جملة قوم ، وكان طويل الشَّعَر فامتنع من بيعته أوّلا ، وأمره بأن يحلق رأسه ، وقال : إنا لا نبايع أهل هذا الزي . وروي في أخبار الواثق أيضا : أن إسحاق الموصلي أنشده قول يزيد بن معاوية :

أقول لصحب ضمَّت الكأسُ شملهم وداعي صبابات الهوَى يترنَّمُ

فخرَّق ثلاث ذراريع كانت عَلَيه من الثياب ، وبلغ الغاية في الإعجاب ، فأنَّى يساوي من هذه حاله ممن يسمع الشيء من ذكر الله تعالى فيخرُّ مغشيًا عليه .

كما رُوي عن زيد بن علي عَلَيه السلام وعن غيره من العترة الكرام : يهيم خائفهم من غير شراب ، ويتململ تململ السليم من ذكر العذاب ، يدعو ربه خوفًا وطمعا ، يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا ، والنهار تدريسًا وبيانًا ، وإذا سطع القتام ، رأيته يقتطف الهام ، ويَثِبُ وثْبَ الأسد الضرغام ، غضبًا لدين اللّه أن يُضام ، وطلبا بثأر الإسلام من ذوي الفسق والإجرام ، يهتزُّ للمصاغ ويرتاح للقراع ، حتَى يردَّ سيوف الضلال كليلة ، ويُصيِّر جنوده بعد الكثرة قليلةً .

ورُوي أن الواثق كانت له جاريةٌ يصدر عن أمرها ويورد ، وقال فيها :

أنــا مملــوكٌ لمـمــلوك عَلَيــه الرقــبـآء
كنت حــرا هاشــمــيًــا فـاســترقَّـتني الإمـآء

فـأين هذه النفـوس الخـسيسـة من نفـوس أئمـة العـترة الشـريفـة الأبيـة؟ وهممـهم السامية العلية، وابن المعتز وكان ممَّن قـد عقدت له الخلافة صنَّف في تحليل الخمـر إذا مُزجت بالماء، وهَذا كفرٌ ظاهر عند جميع المسلمين، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ولم يترك شرب الخمر من جميع خلفائهم إلى وقت أبي العباس الملقب بالناصـر إلا الثـلاثة الأوَّلون من خلفـائهم والملقب بالراضي، والبـاقـون يحتسونها ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وكان الناصر أبو العباس مشهوراً بإتيان الشراب وغير ذلك من القبائح الَّتي حرَّمتها السنة والكتاب، ولم تتصل بنا أخبار من بعده إلى الآن.

فأين هَذا من قول الإمام المنصور باللَّه عبداللَّه بن حمزة عليه السلام يخاطب بعض العجم. ولا وروحي مُحَمَّد وعلي صلى اللَّه عَلَيهما وعلى الطيبين من آلهما يمينًا كنت غنيًا عنها لو خفت حنثًا فيها، لو أعطيت ملء بيت ذهبًا على أني أقرُّ شارب خمر، أو راكب فاحشة، على منكره - لما فعلت ذلك ولا خطر لي ببال.

وقال عليه السلام: واللَّه ما رأيت خمرًا بعيني في يقظة ولا في منام، ولا الملاهي من الطنابير وما يشاكلها حتى ظهرت على الجبارين من الغزِّ فأمرت بكسرها وإراقة الخمور، ولا فعلت قبيحًا أعلمه قبيحًا معتمداً من الصغر إلى هذه الغاية من الكبر، ولا أكلتُ حَبَّةً حرامًا أعلمها، ولا قبضت درهمًا حرامًا، ولا تركت واجبا عامداً، وإني لمعروفُ النشأة بالطهارة، ما كان لي شغلٌ إلا العلم والدراسة والعبادة، ثُمَّ انقلبت بعد ذلك إلى الجهاد في سبيل اللَّه، فحاربت الظالمين قبل أن أقصَّ شاربي بعلم الخاص والعام، ومعلوم عند جميع المنصفين من العارفين بالسير أجمعين أنه لا يوجد في جميع خلفاء بني العباس الماضين والغابرين أحد قط يُشار إليه بالعدالة فضلاً عن الفوز بمثل هذه المناقب الشريفة والمراتب العالية المنيفة، فكيف يكون لهم الخلافة على المسلمين:

وهل يستحق الأمر من جُلُّ همّه | لجمع حُطام أو لشرب مدامِ
تمسّكْ بأبناء النبي فإنّهم | زمامٌ لدين اللّه أيُّ زمامِ

ومن نظر في القصص المنقولة في كتب التاريخ عن أئمة بني العباس عرف بعدهم عن هَذا الشأن وشيوعهم عن أفعال الإيمان ، فإنَّ المأمون قتل الأمين ، والمنتصر قتل أباه المتوكِّل ، والمعتز قتل المستعين ، وكان المهتدي قتل المعتزَّ ، وكان الموفَّق حبس المعتمد وتولى الأمر دونه وعقد الخلافة له ، وكان المعتمد ردَّ ولاية العهد إلَى ابن الموفَّق أحمد الملقب بالمعتضد وخلع ابنه بعد العهد له ، وولي ابن المعتز يومًا واحدًا ، وخلع المقتدر ، وولي القاهر وعقدت له البيعة يومين ، والمستكفي سمل عين المتقي ، والمطيع سمل المستكفي ، وخلع المطيع نفسه وسلّم الخلافة لولده الطائع ، وقطعت إحدَى أذنيه ذكره القضاعي صاحب الشهاب في تاريخه وغيره ، وهذه نكتةٌ تدل على ما وراها .

قال الإمام المنصور باللّه عليه السلام بعد هذه النكتة الّتي رويناها عنه : فيا من يقول بإمامتهم مَنِ الإمام عندك ؟ القاتلُ أم المقتول ؟ السامل أم المسمول ؟ الخالع أم المخلوع ؟ الحابس أم المحبوس ؟ فكِّر إن كنت من المتفكِّرين (وما يعقلها إلا العالمون) .

قال الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان قصيدته الميمية وهي مشهورة أودع فيها كثيرًا من مناقب العترة عَلَيهم السلام ، وطرفًا مما ينافيها من أحوال بني العباس أحببنا ذكرها في هَذا الموضع بكمالها ؛ لأنها تليق بما نحن فيه وهي هَذه :

الدينُ محترمٌ والحق مهتضمُ | وفيء آل رسول اللّه مقتسم
والناس عندك لا ناسٌ فيحفظهم | سوَى الرِّعا ولا شاء ولانعم
إني أبيتُ قليلَ النوم أرقني | صدر تخالج فيه الهمُّ والهِمَمُ

وعزمةٌ لا ينام الليل صاحبُها إلاَّ على ظفرٍ في طيِّه كرم
يصان مهري لأمرٍ لا أبوح به والدرع والرمح والصمصامة الخذم
وكل مآثرة الضبعين مسرحها رمثُ الجزيرة والخذراف والعنم
وفتيةٌ قَلْبُهمْ قلبٌ إذا ركبوا يوماً ورأيهم رأيٌ إذا اعتزموا
يا للرجال أما للحق منتصر من الطغاة ولا للدين منتقم
بنو علي رعايا في ديارهم والأمر يملكه النسوان والخدم
مخلأون فأصفى وردهم كدر عند الورود وأروى وردهم لمم
فالأرض إلا على ملاكها سَعَةٌ والمال إلا على أربابه ديم
وما السعيد بها إلا الَّذي ظلموا وما الغني بها إلا الَّذي حرموا
للمتقين من الدنيا عواقبها وإن تعجَّل منها الظالم الأثم
لا يطغينَّ بني العباس ملكهم بنو عليٍّ مواليهم وإن رغموا
أتفخرون عَلَيهم لا أبا لكم حتَّى كأن رسول اللَّه جدُّكم
فما توازن يوماً بينكم شرفٌ ولا تساوت بكم في موطنٍ قدم
ولا لوالدكم مسعاةُ والدهم ولا نتيلتكم[1] من أمهم أمم
قام النبي بها يوم الغدير لهم واللَّه يشهد والأملاك والأمم
حتَّى إذا أصبحت في غير صاحبها باتت تنازعها الذؤبان والرخم
وصُيِّرت بعدهم شورى كأنهم لا يعرفون ولاة الأمر أين هم؟
تاللَّه ما جهل الأقوامُ موضعها لكنَّهم كتموا وجه الَّذي علموا
ثم ادَّعاها بنو العباس إرثهم وما لهم قَدَمٌ فيها ولا قَدَمُ
لا يذكرون إذا ما عصبةٌ ذكرت ولا تحكَّم في مال لهم حكم
ولا رآهم أبو بكر وصاحبُه أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا

(١) في الديوان: نفيلتكم.

فهل هم مدَّعوها غير واجبة | أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا
أما عليٌّ فقد أدنى قرابتكم | عند الولاية لو لم تكفر النِّعم
أينكر الحبر عبدالله نعمته | أبوكم أم عبيدُالله أم قثم
بئس الجزاء جزيتم في بني حسن | أبوهم العلم الهادي وأمهم
لا بيعة ردعتكم عن دمائهم | ولا يمين ولا قربى ولا ذمم
هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب | للصافحين ببدر عن أسيركم
هلا كففتم عن الديباج ألسنكم | وعن بنات رسول الله شتمكم
ما نُزِّهت لرسول الله مهجته | عن السِّياط فهلا نُزِّه الحرم
كم غدرة لكم في الدين واضحة | وكم دمٍ لرسول الله عندكم
أأنتم آله فيما ترون وفي | أيديكم من بنيه الطاهرين دم
هيهات لا قُرِّبت قُربى ولا رحمٌ | يومًا إذا أقصت الأخلاق والشيم
كانت مودَّة سلمان له رَحِمًا | ولم يكن بين نوح وابنه رَحِم
ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت | تلك الجرائر إلاَّ دون نيلكم
يا جاهدًا في مساويهم يكتِّمها | غدر الرشيد بيحيَ كيف ينكتم؟
ذاق الزبيري غِبَّ الحنث وانكشفت | عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
يا بئس ما لقيت منهم وإن بليت | بجانب الطفِّ تلك الأعظم الرمم
باؤا بقتل الرضى من بعد بيعته | وأبصروا بعد يوم رشدهم وعموا[1]
يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت | ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا | ولا الهبيري نجَّى الحلف والقسم
ولا الأمانُ لأزد الموصل اعتمدوا | فيه الوفاء ولا عن عمِّهم حلموا
أبلغ لديك بني العباس مألكةً | لا تدَّعوا ملكها مُلاكها العجم

(١) في الديوان : أمرهم غمم .

أيُّ المفاخر أضحت في منابركم وغيركم آمرٌ فيهن مُحتكمُ
وهل يزيدكم في مفخر علم وفي الخلاف عليكم يخفق العلم
خلُّوا الفخار لعلاّمين إن سُئلوا يوم السؤال وعمّالين إن علموا
لا يغضبون لغير اللّه إن غضبوا ولا يضيعون حقَّ اللّه إن حكموا
ولا يبيت لهم خبثا ينادمهم ولا يُرَى لهم قردٌ لهم حَشَمُ
ما في بيوتهم للخمر معتصرٌ ولا ديارهم للسوء معتصم
البيت والركن والأستار منزلهم وزمزمٌ والصفا والحجر والحرم
تنشوا التلاوة من أبياتهم أبدًا ومن بيوتكم الأوتارُ والنغم
منكم عليَّةُ أم منهم وهل لهم شيخ المغنين إبراهيم أم لكم؟
إذا تلوا آيةً غنَّى إمامكم قف بالطلال الَّتي لم يعفها الهدم[1]

وقد تقدم تفصيل طرف مما تضمَّنته هذه القصيدة، وعنى بقوله شيخ المغنين إبراهيم ابن المسمى المهدي وهو عم المأمون، وقد كان دعَى إلى نفسه بالخلافة وبويع له حتى خلعه المأمون لما دخل بغداد، واستتر إبراهيم بن المهدي حتَى لزمه بعض الحرس ثالث امرأتين وقد تزيًا بزي النساء، فأمر المأمون بإحضاره على هيئته وعفا عنه، وقال: اخلع نفسك. قال: يكون يوم الجمعة فارتقى المنبر والعود في يده والناس ينتظرون الخطبة فأخرج العود وضرب. وما الخالع في هذا الباب بأثر من المخلوع بل هما سيَّان في البعد عن الإيمان، والشغف بالطنابير والعيدان. هَذا وقد قال اللّه تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [لقمان :٦]. وقد رُوي أنها نزلت في شراء الجواري المغنيات، وقيل: في النضر بن الحارث لما اشترَى كتاب رستم واتخذ مجلسًا ليشغل الناس عن مجلس رسول اللّه ﷺ وسماع القرآن، وقيل: هو اتخاذ

(١) الديوان : ١٣٥-١٣٨، وفيها اختلافات كثيرة في الالفاظ وبزيادة ونقص بعض الأبيات.

المعازف، ولا مانع من حمله على الجميع لأنه لا تنافي[1] .

وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ وآله أنه قال : « إن اللّه بعثني رحمةً وهدًى للعالمين لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان »[2] .

وروينا عن النَّبي ﷺ وآله أنه قال : «يُمسخ قومٌ من هذه الأمَّة في آخر الزمان قردةً وخنازير، قيل : يا رسول اللّه أليس يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن مُحَمَّدا رسول للّه؟. قال: « بلَى، ويصلون ويصومون ويحجُّون »، قال : فما بالهم؟ قال : « اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، وباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا قردة وخنازير»[3] .

وعَنهُ ﷺ وآله أنه قال : « من أدخل بيته مزماراً أو لهواً فقد شمت بأبيه آدم؛ لأن إبليس اتخذ المزامير والسرور والطرب حين وقع آدم في الخطيئة»[4] .

وروينا عَنهُ ﷺ وآله أنه قال : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله[5] ، وعنه ﷺ وآله: «من لعب بالنرد شبراً فكأنما وضع يده في لحم خنزير» . وعنه ﷺ وآله أنه قال : «إن للّه في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة لا ينظر منها إلى صاحب الشاة»[6] ، يعني الشطرنج. وَمَرَّ ﷺ وآله بقوم يلعبون الشطرنج، فقال : «ما هذه الصور؟ ألم أنه عن هذه، ألا لعنة اللّه على من لعب بها»[7] . وعَنهُ ﷺ وآله أنه قال: «كسب المغنيه سحتٌ، كسب الزانية سحتٌ، وكسب الزاني سحت، وحق

---

(١) أنظر غريب القرآن ٢٥٠ ، ورأب الصدع ٣/ ١٥٨١ ، وأسباب النزول للواحدي ٢٨٨ ، والدر المنثور ٥/ ٣٠٧ ، والطبري مج١١ ج٢١/ ٧٤ ، والقرطبي ١٤/ ٣٧ .

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠١ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٤١ .

(٤) الحاكم في السفينة ٣/ ١١٩ .

(٥) أحمد بن حنبل في مسنده.

(٦) كنز العمال ١٤/ ٢١٨ رقم ٤٠٦١٤ والعلل المتناهية ٢/ ٧٨٣ .

(٧) الحاكم في السفينة ٣/ ١٢٠ ، والعلل المتناهية ٢/ ٧٧٣ ، بلفظ «ما هذي الكوبه ألم أنه» .

على اللَّه أن لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت»[1] . وقال ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتًا فيه خمرٌ أو دف أوطنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، ورفع اللَّه عَنهُم البركة»[2] . وقال ﷺ: «من استمع إلى لهو وغناء حرَّم اللَّه عليه مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين»[3] .

وروينا عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « عشرة من فعلِ قومِ لوط فاحذروهن: إسبال الشارب، وتصفيف الشعر، ومضغ العلك، وتحليل الأزرار، وإطارة الحمام، والرمي بالجلاهق[4]، والصفير، واجتماعهم على الشراب، ولعب بعضهم ببعض»[5]، وكل هذه الأفعال القبيحة الَّتي حضرها الشرع الشريف هي التي تغلب على خلفاء بني العباس، وتتفاضل فيه أنظارهم وتغوص على لطائفه أفكارهم.

فأما أئمة الزيدية السادة وخلفاؤهم القادة فإن اهتمامهم باستخراج المعاني الغريبة، وخواطرهم تتوق إلى العلوم العجيبة، فترَى أفكارهم بالأبكار قاذفة، وأنوار علمهم لشبهات المبطلين خاطفة، فَبَخٍ بخ لقوم نزل أئمتهم في غرف الشرف، وأضحوا الصفوة الصافية ممن غبر وسلف، فسعدوا باتباعهم، وفازوا بالانخراط في سلك أشياعهم، فنطقت بمدحهم الآثار، وشهدت بشرفهم الأخبار.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: « يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم

---

(١) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠٠، والمتقي في الكنز ١٥/ ٢٢٦رقم ٤٠٦٨٩ .

(٢)الحاكم في السفينة ٣/ ١١٨ .

(٣) أخرجه الحاكم في السفينة ٣/ ١١٨ .

(٤)في نسخة: ومنها إسبال الإزار .

(٥)رواه الهادي ، درر الأحاديث ص٢٣، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٢٤ .

من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فرجت عَنهُم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عَنهُم الأحزان، يخاف الناس ولايخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهادة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير؛ لكرامتهم على الله عز وجل»[1].

وروينا عَنهُ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أتاني جبريل آنفا، فقال: تختَّموا بالعقيق؛ فإنه أول حجر شهد للّه بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعليٍّ بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنة»[2].

ومعلوم أنه لم يرد مثل هذا في طائفة من طوائف الأمَّة، وإنما ذكرنا هٰذه النكته من أحوال بني العباس وإن كانت لا تليق بنفس الكتاب؛ لأن مبناه على ذكر الآئمة السابقين من عترة الرسول الأمين صلى اللّه عَلَيه وآله الأكرمين، غير أنا رجونا أن يطلَّ على الكتاب من ليس من الزيدية ممن له مقصودٌ صحيح، ومحبة للدين، وربَّما ينخدع بالميل إلى جنبة بني العباس، ويراهم أهلا للخلافة والإمامة، ومحلا للرئاسة والزعامة، ولا يظن أن طريقتهم على الصورة الَّتي حكيناها[3] من الأحوال الَّتي هي مباينةٌ للدين، نازحةٌ عن شرع الرسول الأمين، مخالفة لكتاب رب العالمين، وما انعقد عَلَيه إجماع المسلمين؛ فإذا وقف على ما رويناه أعمل الفكر والنظر، وفزع إلَى التمييز بين الأئمة السابقين إن طلب السلامة وأحبَّ الفوز بالكرامة، وقد قال تعالَى حاكيًا عن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤]، وأراد بالعهد الإمامة، فكيف يستحقُّها من عكف

(١) شمس الأخبار ١/ ١٤٤.

(٢) المناقب للكوفي ١/ ٥٥وابن المغازلي ١٧٩ رقم ٣٢٦، والعمدة لابن البطريق ٤٣٨.

(٣)في (ب): حكينا.

على المحرَّمات، وأخلد إلى المحظورات، وجعلها ذخره ليوم المعاد، ولم يراقب خوف يوم التناد .

وانظر في أمر معلوم عند جميع الأمة قاطبةً وهو أن القاضي يجب أن يكون عدلاً مرضيًا، ومتى كان مارقًا عن الدين لم تُنفَّذ أحكامه بين المسلمين، فكيف يعتبر فيه من العدالة ما لا يعتبر في الذي ينصبه وهو الإمام، وكذلك الشاهد لا تُقبل شهادته مع سلامة الأحوال إلا بأن يكون عدلاً رضًى، فكيف بإمام الأمة! وكيف يصح أن يلي على جميع المسلمين من يعد من الفجرة الآثمين! أم كيف يعقل أن يقيم الحدود التي انتصب لإقامتها وهو يستحق أن يقام عليه! أفليس الصحابة فزعت إلى الأفضل في الإمامة، ولهَذا ذكروا المناقب الَّتي خُصَّ بها من نصَّبوه إماما، وإن كان قد وقع الاختلاف بينهم في تعيينه، فلولا أن الفضل مراعى في الإمامة وإلا لما صحَّ ذلك، وأي فضل يثبت لمن شرب الخمور، وارتكب الفجور، وقارف الشرور، وجعل بطانته المرَّاق، وأوداءه الفسَّاق، وصيَّر الغنا رأس ماله، وسماع اللهو جلَّ أعماله، إن كان من شرائط الإمام ارتكاب الإجرام، ومقارفة الآثام، ثبت إمامة بني العباس، وإن كان من شرائطه الكفُّ عن العصيان، والمسارعة إلى أعمال البرِّ والإحسان، فهذا مفقود في جميع أئمة بني العباس، عند جميع من تحقق أحوالهم من الناس. فلا تخدع نفسك يا طالب الهدى، ولا تختر الضلال والعَمَى، وارجع إلى الفئة الزاكية والعترة الهادية، الَّذين أعلنوا الدين، وجاهدوا على العداون المعتدين، واشتغلوا بنشر العلم على كثرة شغلهم بعداوة الأمة، حتى انتشرت علومهم في الآفاق والأقطار، وشهد لها بالحسن من أنصف من النظار .

وهَذا آخر ما رمناه في هذا الكتاب الموسوم بـ: «الحَدائِقِ الوَرديَّـةِ فِـي مَنَـاقِـبِ أئمَّةِ الـزَّيدِيَّةِ».

وفيه كفايةٌ كافية لمن طلب الهدَى بجهده، وانحرف إلى العترة عَلَيْهِمُ السلام بودِّه، فورد القيامة مسرورا، جَدلاً محبورا، مؤيَّداً منصورا، قطن في دار السعداء، ومنزل الأتقياء، حيث لا تَنوب الفجائع، ولا تحل القوارع، ولا تموت النفوس، ولا يلحق أهلها البؤس، ولا تلحقهم الآفات، ولا تصيبهم العاهات، أمنوا من الفناء، وأيقنوا بتوالي النعماء، فنضارتهم تتجدَّد على مرِّ الأوقات، وخيراتهم تترى بتوالي الساعات، وما ظنك بدار صفَّاها من المنغِّصات والأكدار المليك العزيز الجبار، لا يمسهم فيها نصب ولا هم يحزنون، ولا ينالهم تعب ولا يتألَّمون، في نعم عظام، ومنح جسام، وما عسى أن يقول فيها الواصف وإن أكثر وهي التي أثنى عليها المليك الأكبر حيث يقول: ﴿وإذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، وقال تعالى فيما رواه عنه نبيه المصطفى ﷺ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، لا خَطَر على قلب بشر»[١]. أفيرغب عن اكتساب الخيرات لبيب، أو يغفل عن إدراكها أريب[٢]، وهي دائمة مؤبدة خالدة مخلدة، ويُقْبل على أعمال النار، وعصيان الجواد الغفَّار، وهو تعالَى المسدي لفوائد الإنعام، والموالي لنوافل البِّر والإكرام، فكيف يجعل شريف نعمته ذريعة إلَى معصيته، ونحن نشاهد أن الوالد إذا واتر على ولده الإحسانَ قبح منه له العصيان، وإحسان اللَّهِ تعالَى يزيد على كل إحسان، وامتنانه يربى على كل امتنان، وهو عز وعلا عالي الشأن، ظاهر العظمة و السلطان، فكيف يعصى بطاعة الشيطان، فاللَّه المستعان، ولولم يعدُّ عقابا لكان ينبغي أن لا يعصى رعيا لجلالته ووحدانيته، وإذاعاناً لإلهيته وربوبيته ودخولا في رق عبوديته، واعترافا بنعمته ومنَّته، فكيف وقد توعد بالعقاب الدائم، والعذاب اللازم، الَّذي لا تقوم له الجبال على صلابتها، والأرض على

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٣٨، الترغيب والترهيب للمنذري ٤/ ٥٢١ رقم ٥٥.

(٢) في (ب) لبيب.

عظمها وشدتها، فمهلا يا خاطئ كفَّ نفسك عن أسباب الهلاك، ولا تولجها في حبائل الإشراك، فإن جسمك لا طاقة له على الحريق، ولا قوَّة به على التمزيق، فذد نفسك عن المعاصي، قبل الجمع بين الأقدام والنواصي، وراقب اللَّه في خلواتك فإنه مطلع على سكناتك وحركاتك، أما رأيت حياك من مخلوق من جنسك من ارتكاب الخطايا بين يديه، فكيف لا تستحيي من خالق الخلق أجمعين، وهو المطلع على بواطنك، وسرائرك وعلانيتك، وظواهرك لا تخفَى عَلَيه خافية، ولا تغيب عَنهُ غائبة، قال تعالَى: ﴿ ما يَكُونُ من نَجوَى ثَلاثَة إلا هُوَ رابِعُهُم ولا خَمسَة إلا هُوَ سادِسُهُم ولا أدنَى من ذَلكَ ولا أكثَر إلا هُوَ مَعَهُم أينَما كانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] أراد تعالى أنه عالم بأحوالهم على التفصيل كجليس القوم في علمه بأحوالهم الظاهرة، وله تعالَى المزية العظمَى في العلم بأحوالهم الباطنة مع الظاهرة على التفصيل. **فكيف** لا تراقب أيها العبد مولاك، وهو الَّذي أعطاك، وخولك وأغناك، ومنحك وأقناك، أفتقبل على هواك، وتشتغل بدنياك، وتعرض عن أخراك، وإليها عودك ومنتهاك، جدَّ بك السير فشمِّر شمِّر، ولا تكن لوارث تثمر، قبل الانتهاء إلى ما حكاه الحكيم الخلاق: ﴿ كَلا إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ * وَقِيلَ مَن راقَ * وَظَنَّ أنَّهُ الفِراقُ * والتَفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ * إلى رَبِّكَ يَومَئذٍ المَساقُ ﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠].

فكم هناك من نادم لم يغن عَنهُ ندمه، وهاوٍ في النار زلَّت به قدمه، ومؤمن يمر إلى الجنة كالبرق الخاطف، قد أمن من المخاوف، وأيقن بالفوز من المتالف، نسأل اللَّه سبحانه توفيقًا يصحبنا في كافَّة الأحوال، وتسديداً يحدونا على محاسن الخلال، وتأييداً يذودنا عن مراتع الضلال، وعلمًا نستنير به إذا دجت دياجير ظلم الجهال، ونحمده تعالَى على جزيل النوال، ونسأله الصلاة والسلام على مُحَمَّد وآله خير آل. وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل ونعم المولَى ونعم النصير.

◆ ◆ ◆

المراجع

- الأحكام – الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين – مكتبة التراث– صعدة –ط ١ .
- أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، تحقيق/ فيلفرد ماديلونغ.
- أسباب النزول – الواحدي – دار ابن كثير – دمشق – ط ١ .
- أسد الغابة – ابن الأثير – تحقيق علي محمد معوض وآخرون– دار الكتب العلمية .
- الإشارة إلى سيرة المصطفى – مغلطاي بن قليج – دارالقلم دمشق دارالشامية بيروت – ط١ .
- أعيان الشيعة – محسن الأميني – دارالتعارف – بيروت – ١٤٠٦هـ .
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف القرطبي .ت :٤٦٣هـ – دار الكتب العلمية – بيروت ط :١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني – دار الكتاب العربي – بيروت .
- الاعتصام بحبل الله المتين – الإمام القاسم بن محمد – مطابع الجمعية الملكية .
- الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين –بيروت –ط ٦ .
- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني؛ تحقيق/ إبراهيم مجد الدين المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية – صعدة، ط١ – ٢٠٠١م.
- اللآلي المضيئة – الشرفي – مخطوط .
- الإمامة والسياسة –ابن قتيبة – دارالأضواء – ط١ .
- الأنساب، للإمام أبي سعد عبدالكريم التميمي السمعاني، تقديم/ عبدالله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- البداية والنهاية – ابن كثير – تحقيق علي شيري – دار إحياء التراث – ط ١ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .
- البيان والتبيين – الجاحظ – مكتبة الخانجي – القاهرة –ط ٥ .
- التاريخ الكبير – البخاري – دار الكتب العلمية – بيروت .

- التحف شرح الزلف - السيد مجد الدين المؤيدي - مكتبة مركز بدر العلمي .
- التنبيه والأشراف - المسعودي - دار ومكتبة الهلال .
- الجرح والتعديل- الحافظ الرازي - دار الفكر- بيروت - ط ١ .
- السيرة المنصورية - مجلدين- أبي فراس بن دعثم - تحقيق د. عبدالغني محمود عبدالعاطي - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- السيرة النبوية - ابن كثير - دار إحياء التراث .
- الشافي - الإمام عبدالله بن حمزة - تحقيق لجنة علمية برئاسة المولى مجد الدين المؤيدي - مكتبة اليمن الكبرى -ط١ .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الحديث - ط ٢
- الشفا - القاضي عياض - مؤسسة علوم القرآن - ط ٢ .
- الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الفكر - بيروت .
- الغدير - الأميني - دار الكتب الإسلامية - طهران.
- القاموس المحيط : العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار الكتاب العربي - ط ٤ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الكامل في ضعفاء الرجال - ابن عدي الجرجاني - دار الفكر.
- الكشاف، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه / مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث - القاهرة ط٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المجموع المنصوري، للإمام عبدالله بن حمزة، تحقيق / عبدالسلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المستدرك : على الصحيحين في الحديث للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري .ت :٤٥٠- دار الكتاب العربي.
- المصابيح - لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني - تحقيق عبد الله الحوثي - مؤسسة الإمام زيد بن علي - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المصنف : لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي .

- المعارف – ابن قتيبة –دار الشريف الرضي – ط ١ .
– المعجم الأوسط – الطبراني – دار الحرمين –القاهرة .
– المعجم الكبير – الطبراني –مكتبة العلوم والحكم .
– المغازي – الواقدي – مؤسسة الأعلمي .
– المنتظم – ابن الجوزي – دار الكتب العلمية – ط ١ .
– المواهب اللدنية – ابن حجر القسطلاني –دار الكتب العلمية –ط ١ .
– النهاية في غريب الحديث : للإمام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير ت : ٦٠٦ . دار إحياء التراث .
– أمالي المرشد بالله – عالم الكتب – بيروت – ط ٣ .
– بلوغ المرام شرح مسك الختام – القاضي حسين بن أحمد العرشي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي – دار الفكر –١٩٩٤م – ١٤١٤هـ.
– تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بمطبعة بولاق .
– تاريخ الإسلام – الحافظ الذهبي، تحقيق/ بشار عواد معروف وآخرون – مؤسسة الرسالة – ط ١ ١٤٠٨هـ.
– تأريخ الخلفاء – الحافظ السيوطي – دار الفكر .
– تأريخ الطبري –دار التراث –تحقيق محمد ابو الفضل – دار سويدان – بيروت .
– تأريخ اليعقوبي؛ لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تحقيق/ عبدالأمير مهنا – مؤسسة الأعلمي –ط ١ – ١٤١٣هـ.
– تاريخ اليمن الفكري – أحمد بن محمد الشامي – دار النفائس – بيروت – ط ١– ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.
– تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، للعلامة عبدالواسع الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ط٢ – ١٩٩٠م.
– تأريخ بغداد– الخطيب – دار الفكر – بيروت .

- تاريخ خليفة بن خياط - دار طيبة الرياض- ط ٢ .
- تاريخ مدينة دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسين الشافعي، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن :محمد بن جرير الطبري -ت: ٣١٠ - دار الفكر - بيروت .
- تفسير أهل البيت عليهم السلام - عبدالله بن أحمد الشرفي - مكتبة التراث الإسلامي - صعدة - ط ١ .
- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- تهذيب الكمال : للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور بشاد عواد معدوف ، مؤسسة الرسالة.
- تيسير المطالب في آمالي أبي طالب -الإمام أبي طالب -مؤسسة الأعلمي ، بيروت.
- حلية الأولياء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ .
- خصائص أمير المؤمنين- النسائي - دار الكتاب العربي - ط ٢ .
-درر الأحاديث النبوية - الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - تحقيق يحيى بن عبدالكريم الفضيل - مؤسسة الأعلمي - ط ٢ - ١٤٠٢ - ١٩٨٢م .
- دلائل النبوة - البيهقي - دار الريان ، الكتب العلمية -ط ١ .
- ديوان ابن الرومي - تحقيق وشرح عبد الأمير علي مهنا - منشورات دار مكتبة الهلال بيروت ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ديوان الإمام عبدالله بن حمزة (خ).
- ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق / محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بيروت، ط٢ - ١٩٧٤م.
- ديوان الفرزدق - تحقيق كرم البستاني - دار صادر بيروت.
- ديوان دعبل الخزاعي - جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الرجيلي- منشورات دار الشريف الرضي - ط٢ - ١٩٧٢م .

- رأب الصدع تخريج آمالي أحمد بن عيسى - السيد العلامة علي بن إسماعيل المؤيد - دار النفائس - بيروت ط ١ . - ١٤١٠هـ .
- سنن ابن ماجة - دار الكتب العلمية - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .
- سنن أبي داود - دار الكتب العلمية -ط ١ .
- سنن البيهقي - أبي بكر البيهقي - دار المعرفه -ط ١ .
- سنن الترمذي : لأبي عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة - دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن الدارمي - دار الكتب العلمية -بيروت .
- سنن الكبرى للبيهقي : للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار المعرفة .
- سنن النسائي - أبي عبد الرحمن النسائي - مكتبة المطبوعات الإسلامية - ط١ .
- سياسة المريدين؛ للمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ، تحقيق/ عبدالله إسماعيل الشريف، منشورات مركز بدر العلمي، ط١ - ١٤٢٢هـ.
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة -بيروت .
- سيرة المصطفى - هاشم معروف الحسني - دار الشريف الرضي - ط ٢ .
- سيرة ابن هشام : مطبعة مصطفى البابي الحلبي .ط ٢ : ١٣٧٥- ١٩٥٥م.
- سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني - الحسين بن أحمد يعقوب - تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي - دار الحكمة اليمانية - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- سيرة الإمام الهادي - راويه علي بن محمد العباسي العلوي - تحقيق د. سهيل زكار- دار الفكر -ط١ - ١٣٩٢- ١٩٧٢م.
- شرح المواهب اللدنية - الزرقاني - المطبعة الأزهرية - القاهرة - ط ١ .
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٣م.
- شواهد التنزيل : عبيدالله بن عبدالله الحاكم الحسكاني - مؤسسة الأعلمي ط ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م.

- صحيح ابن حبان -ابن بلبان - دار الكتب العلمية -ط ١ .
- صحيح البخاري : للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي .
- طبقات الزيدية الكبرى - إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله - تحقيق عبدالسلام الوجيه - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ليحيى بن الحسين بن محمد، تحقيق د/ سعيد عبدالفتاح عاشور - دار الكاتب العربي - القاهرة ط١ - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- فتح الباري : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت .
- فضائل الخمسة من الصحاح الستة - السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ط ٣ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- فضائل الصحابة - الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق وصي الله بن محمد عباس - دار ابن حزم الجوزي - ط ٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثه .
- كتاب الفتوح- أحمد بن أعثم الكوفي - تحقيق علي شيري - دار الأضواء - بيروت ط١- ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- كتاب المراتب؛ للشيخ أبي القاسم إسماعيل البستي المعتزلي، تحقيق/ محمد رضا الأنصاري القمي، ط١ - ١٤٢١هـ.
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب - الحافظ أبي عبدالله محمد بن يوسف القرشي- تحقيق محمد هادي الاميني - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف - ط٢ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- كنز العمال : للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت .

- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت - ط ١ .
- لوامع الأنوار - السيد مجدالدين المؤيدي - مكتبة التراث الإسلامي - ط ١ .
- مجمع البيان - الطبرسي - مؤسسة الأعلمي - ط ١ .
- مجمع الزوائد - دار الكتاب العربي - الهيثمي - ط ٣ .
- مجموع الإمام زيد : للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - منشورات دار مكتبة الحياة.
- مجموع رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم : تحقيق / عبدالكريم جدبان - دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ط١ - ١٤٢٢هـ.
- مجموع رسائل الإمام الهادي، تحقيق عبدالله محمد الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد، ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- مختار الصحاح - أبو بكر الرازي - دارالفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ.
- مختصر مدينة دمشق، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق / رياض عبدالحميد مراد وآخرون، دار الفكر ط١ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مروج الذهب - المسعودي - دار الأندلس - ط ٥ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتبة التجارية - ط ٢ .
- مسند الإمام زيد بن علي - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦م .
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي - ط ٢ .
- مصنف ابن أبي شيبة - دار التاج .
- مطلع البدور ومجمع البحور : تاليف احمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال .ت: ١٠٩٢ هـ. (خ).
- مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سنة الضلال، للعلامة الحسين بن ناصر المشهور بالمهلا، تحقيق / عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- معجم أعلام المؤلفين الزيدية : تاليف عبدالسلام بن عباس الوجيه مؤسسة الإمام زيد ابن علي - ط١ .

- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - إخراج مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١- ١٤١٤ه - ١٩٩٤م .
- معجم رجال الحديث - أبي القاسم الخوئي - ط٥ - ١٤١٣ه - ١٩٩٢م .
- معجم ما استعجم - عبدالله البكري - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ .
- مقاتل الطالبين - أبي الفرج الأصفهاني - تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٦٨ه - ١٩٤٩م .
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- الحافظ محمد بن سليمان الكوفي- تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - ط١ - ١٤١٢هـ.
- نصب الرآية لتحقيق الهداية : عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي .ت : ٧٦٣ه - دار الحديث القاهرة .
- نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي من خطب وكتابات ورسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) - مؤسسة المعارف - بيروت ط١ - ١٩٩٠م .
- نيل الأوطار - الشوكاني - دار الكتب العلميه - ط ١ .
- هاشميات الكميت بن زيد الأسدي بشرح أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي تحقيق د. داود سلوم ، و د. نوري القيسي - عالم الكتب - ط ٢ - ١٤٠٦ه - ١٩٨٦م.
- وفيات الأعيان لمحمد بن خلكان - مطبعة الميمنة بمصر ١٣٠٦ه .
- وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري - عبدالسلام هارون - دار الجيل الجديد - بيروت .
- ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - الأمير الحسين بن بدر الدين - مكتبة بدر - صنعاء - ط ١ .

* * *

فهرس الجزء الثاني